الحديقة الندية
شرح
117
الطريقة المحمدية
الجزء الاول

للعارف بالله تعالى سيدي العلامة عبد الغني النابلسي الحنفي رحمه الله تعالى

مطبعة عامرة

دار الخلافة (استانبول)

سنه ١٢٩٠ هجريه

İHLAS VAKFI YAYINIDIR

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

حسين حلمي بن سعيد استانبولي

يطلب من المكتبة ايشيق بشارع دار الشفقة بفاتح ٧٢

استانبول - تركيه

١٣٩٩ هجري ١٩٧٩ ميلادي

117

Marfat.com

الحديقة الندية

شرح

الطريقة المحمدية

الجزء الاوّل

للعارف بالله تعالى سيدي العلامة عبد الغني النابلسي الحنفي رحمه الله تعالى

مطبعة عامره

دار الخلافة (استانبول)

سنه ١٢٩٠ هجريه

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

حسين حلمي بن سعيد استانبولي

يطلب من المكتبة ايشيق بشارع دار الشفقة بفاتح ٧٢

استانبول - تركيه

١٣٩٩ هجري ١٩٧٩ ميلادي

aksiseda

MATBAASI

.. 27 21 99

Marfat.com

52517

شرح الطريقة المحمدية

لسيدى عبدالغنى النابلسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله لذى شرح بالطريقة المحمدية صدور عباده الابرار * حتى سرح طرف قلوبهم فى الحدائق اليانعة من تلك المعارف والاسرار * واذاقهم حلاوات مناجاته فى خلوات عباداته وكشف عن وجوههم استار الاغبار * فتسابقوا فى ميدان التوحيد على خيل التجريد مسرجة بالتفريد فلم يدرك لهم غبار * وجعلهم حجة على اهل الغفلة المكبلين فى قيود الاغترار * ومحجة واضحة الى عناية المالك الجليل وحماية الملك الجبار * والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد النبى المختار * الذى اهتدى بانوار شرائعه وارتوى بانواء ذرائعه ذو الغواية المحتار * صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود لموصل كل من اتبعه الى رؤية الله تعالى فى دار القرار * وعلى آله السادة الاطهار * الطالعين فى سموات السلالة الشريفة طلوع الشموس والاقمار * وعلى اصحابه الائمة الكاملين فى جميع الاطوار * اهل الزهد والتوكل والاستقامة والايثار * خصوصا الخلفاء الاربعة منهم والمهاجرين والانصار * وعلى التابعين لهم باحسان مانعاقب الليل والنهار *

(امابعد) فيقول الفقير الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * عبدالغنى بن اسماعيل ابن عبدالغنى بن اسماعيل بن احمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبدالله بن محمد ابن عبدالرحمن بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن ابراهيم بن سعدالدين بن جماعة النابلسى الدمشقى الحنفى اخذالله تعالى بيده * وامده بمدده * ورحم اجداده واسلافه * وسقاهم من الرحيق المختوم فى الجنان سلافه * لما ارسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق واظهره على الدين كله ماجل منه ومادق كانت الشريعة

ماظهر

ماظهر للمجتهدين من اقواله وافعاله * والطريقة ماتبين للسالكين من اخلاقه واحواله * والحقيقة ماانكشف للواصلين من مكاشفاته فى معاملاته وخطر على باله * والشريعة فقهاء وكتب لهم مؤلفة فى ذلك * والطريقة فضلاء وكتب لهم مصنفة للسالك * والحقيقة علماء وكتب لهم مشيرة الى ماهنالك * وان من اجل المصنفات فى علم الطريقة التى هى البرزخ المتوسط بين الشريعة والحقيقة (كتاب الطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية) التى صنفها الشيخ الامام * والمولى الهمام * العالم العامل * والفاضل الكامل * محمد افندى الرومى البركلى تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه * واسكنه فسيح جنانه * كان ابوه رحمه الله تعالى رجلا عالما من اصحاب الزوايا ونشأ هو فى طلب العلوم والمعارف حتى برع فيها واشتغل على المولى محيى الدين اخى زاده وصار ملازما من المولى عبدالرحمن احد قضاة العساكر فى زمن السلطان سليمان ثم غلب عليه الزهد والصلاح واتصل بخدمة الشيخ المرشد عبدالله القرمانى البيرامى ثم امره شيخه بالعود الى الاشتغال بمدارسة العلوم وافادة الطلبة فانتفع به خلق كثير وحصل بينه وبين عطاء معلم السلطان سليم محبة ومودة فبنى عطاء المذكور مدرسة بقصبة ركل وجعله مدرسا فيها وعين له فى كل يوم ستين درهما * له من المصنفات هذا الكتاب الذى سماه الطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية وشرح مختصر الكافية للبيضاوى فى النحو وله متن لطيف فى علم الفرائض وله فى الحديث والقراآت والفقه تعاليق ورسائل كان قائما بالحق لاتأخذه فى الله لومة لائم ينصر الشريعة ولايهاب كبيرا ولاصغيرا مع كمال الزهد والصيانة والورع والديانة توفى فى جمادى الأولى سنة * احدى وثمانين وتسعمائة * رحمه الله تعالى وكتابه هذا يا له من كتاب لطيف * وتأليف شريف * مزج فيه المسائل الفقهيات بالمقامات الزهديات * وجمع بين الفوائد العلميات والفرائد الاعتقاديات * واتقن تحريره * واوضح تقريره * ونصح فيه الامة * وازال به عن القلوب الغمة * وقد دعانى الى شرحه بعض الاصحاب * جعلنى الله تعالى وايا من المؤيدين بالعناية والصواب * ولما كنت وقفت له على شرح يكشف عن عباراته * ويوضح ماالتبس عند القاصرين من اشاراته * فشرعت فى شرح له مختصر المبانى * مستجمع المعانى * يجذب الى محاسنه قلوب اهل الكمال * ويصرف عن التطفل على موائده وائد اهل التعصب من الجهال * وقد سميته (الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية) ومن الله تعالى استمد الهداية والتوفيق * واسأله ان يوقفنى مواضع الزلل ويؤيدنى بالتحقيق * وان ينفع بكتابى هذا امة محمد عليه الصلاة والسلام * ويوفقهم لعلمه والعمل به ويمنحنى واياهم حسن الختام * وحسبنا الله ونعم الوكيل * والله يقول الحق وهو يهدى السبيل * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) لاسم كلمة وضعتها العرب بازاء مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا

Marfat.com

لابدمن مراعاة اربعة اشياء الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمى بكسرها والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها اوتخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمى هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هى اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا اطلق اواحس به فهم ذلك المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى اوغيره وهى مسئلة طويلة تكلم الناس فيها قديما وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * والتسبيح انما هو للرب جل وعلافدل على ان اسمه هوهو واجيب بانه اشرب معنى سبح اذكر فكأنه قال اذكر اسم ربك كقوله تعالى *واذكر اسم ربك بكرة واصيلا * وقداشرب معنى اذكر سبح عكس الاول قال تعالى *واذكر ربك*اى سبح ربك والا شراب جار فى لغتهم يشربون معنى فعل فعلا واستشكل على معنى كونه هو المسمى اضافته اليه فانه يلزم منه اضافة الشئ الى نفسه واجيب بان الاسم هو بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية هى اللفظ بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا واحتج من قال بان الاسم عين المسمى ايضا بقوله تعالى *بغلام اسمه يحيى * ثم قال يايحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدل على انه المسمى وجوابه ان المعنى يايها الغلام الذى اسمه يحيى ولوكان الاسم عين المسمى لكان من قال النار احترق لسانه ومن قال العسل ذاق حلاوته كذا قاله القسطلانى فى مواهبه وذكرنا فى كتابنا المطالب الوافية اختلاف العلماء فى الاسم والمسمى والتسمية على اثنين واربعين قولا وحررنا هذه المسئلة هناك اكمل تحرير باوضح تقرير وفى حاشية تفسير البيضاوى لشيخى زاده ذهب جمهور اهل اللغة فى اسم الله الى انه عربى مشتق صار علما بالغلبة لان اسماء الله تعالى كلها صفات مشتقة ليعرف المكلف معناها فيتوسل بها اليه فان قدماء الفلاسفة انكروا ان يكون لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم بناء على ان المراد من وضع ذلك الاسم ان يذكر عند احد لتعريف ذلك المسمى به وقد ثبت ان احدا من خلقه لايعرف ذاته المخصوصة البتة فكيف يشار اليه بذكر اسم واذا لم يصح ان يشار اليه بذكر اسم لم يبق لوضع الاسم لذاته المخصوصة فائدة فثبت ان هذا النوع من الاسم مفقود وان جميع اسمائه صفات مشتقة وهى ماتدل على ذات مبهمة باعتبار معنى معين وانما قلنا ان ذاته المخصوصة ليس معقولا لاحد لانا اذا رجعنا الى عقولنا لانجد عند عقولنا من معرفة الله تعالى الا احد امور اربعة اما العلم بكونه موجودا واما العلم بدوام وجوده واما العلم بصفات الجلال وهى الاعتبارات السلبية واما العلم بصفات الاكرام وهى الاعتبارات الاضافية وقد ثبت بالدليل ان ذاته المخصوصة مغايرة لكل واحد من هذه الاربعة فانه ثبت ان حقيقته غير وجوده واذا كان كذلك

Marfat.com

كانت حقيقته ايضا مغايرة لدوام وجوده وثبت ايضا ان حقيقته مغايرة للاعتبارات السلبية والاضافية واذ قدتحقق انه ليس فى عقولنا من معرفته تعالى الاهذه الامور الاربعة وانها مغايرة لحقيقته المخصوصة ثبت ان حقيقته المخصوصة غير معقولة للبشر وانه لاسبيل الى ادراكه من حيث هو هو وهو المسمى بالمعرفة الذاتية وانما نعرفه بالامور الخارجية عنه وهو المعرفة العرضية وهى كما اذارأينا بناء علمنا بطريق الابصار بانه لابدله من بان فالمعلوم بالذات هو البناء واما البانى فهو معلوم بالعرض فى هذه الصورة وعلم البانى لكونه بانياله لايستلزم علمه بخصوصيته وخصوصية حقيقته وانها من اى نوع الماهيات والمعرفة الذاتية كما اذاعرفنا اللون المعين ببصرنا وعرفنا الحرارة بلمسنا وعرفنا الصوت بسمعنا فانه لاحقيقة للحرارة والبرودة الاهذه الكيفية الملموسة ولاحقيقة للبياض والسواد الاهذه الكيفية المرئية وكذا الحال اذارأينا المحدثات وعلمنا احتياجها الى محدث وخالق فقدعرفنا الله تعالى معرفة عرضية وهى التى فى وسع البشر فى الدنيا واجاب بعضهم انه لايمتنع فى قدرة الله تعالى ان يشرف بعض المقربين من عباده بان يجعله عارفا بتلك الحقيقة المخصوصة ومن العلماء من تورع فى لفظ الجلالة عن طلب مأخذه وذكر معناه ومنهم من قال لعله مشتق لايعرف المشتق منه ولم نكلف بمعرفته وقال بعضهم هو اسم عربى علم غير مشتق كما ذهب اليه الخليل والزجاج وقال بعضهم انه سريانى معرب ثم ذكر اشتقاقه واطال الكلام فى ذلك (والرحمن الرحيم) اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم بان جعل الفعل المتعدى لازما بمنزلة الغرائز ليفيد المبالغة فنقل الى فعل بضم العين فاشتق منه الصفة المشبهة وانما ابتدأ بالبسملة اقتفاء لاثر القرآن العظيم واحترازا عما حذر منه الرسول الرحيم بقوله عليه الصلاة والتسليم (كل امر ذى بال) يعنى حالا يهتم به شرعا فيخرج المحرم والمكروه وفى المباح كلام (لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم) اى اقطع بمعنى مقطوع البركة (الحمدلله) وهو لغة الثناء الجميل ولواء عاء الاختيارى ولوما لا على جهة التعظيم وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد اوغيره فورده عام لشمول الفعل ومتعلقه خاص وهو النعمة والمدح لغة الثناء باللسان على الجميل مطلقا اختياريا كان اوغيره على جهة التعظيم وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم الممدوح والشكر لغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الشاكر اوغيره وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه من السمع وغيره الى ماخلق لاجله وتمامه فى كتاب الاحكام للشيخ الوالد رحمه تعالى واعقب التسمية بالتحميد اقتداء باسلوب الكتاب المجيد وعملا بقوله عليه السلام (كل امر ذى بال لايبدأ فيه بحمد الله فهو اقطع) رواه ابوداود وغيره من حديث ابى هريرة ولاتعارض بين حديثى البدأة بالتسمية والتحميد

Marfat.com

لارادة الحمد العرفى وهو اعم من فعل اللسان فانه يحصل بالقلب فيمكن البداءة معانى
فى وقت واحد بالتسمية باللسان و بالحمدلة بالقلب كما حررته فى كتابى على اوائل تفسير
البيضاوى فيكون ذكره باللسان ايضا اخبارا عما فى القلب و تأكيدا له (الذى جعلنا)
معاشر امة محمد صلى الله عليه وسلم امة الاجابة وهم المؤمنون ويحتمل ان يراد جميع
من ارسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم وهم امة الدعوة ايضا على تقدير انهم
لو كانوا مؤمنين (امة وسطا) بالتحريك اى خيارا عدولا مزكين بالعلم والعمل
ولهذا اعتبه فى الآية بقوله تعالى * لتكونوا شهداء على الناس * لان منصب الشهادة
مفتقر لوصف العدالة وبهذا يقوى دليل ابى حنيفة رضى الله عنه فى جعله كل مسلم
عدلا وقال الشافعية هذا باعتبار الكل المجموع لا باعتبار الافراد ولصحة هذا الاعتبار
قال تعالى * واشهدوا ذوى عدل منكم * ولما كانت الاطراف مما يتسارع اليها الخلل
والاغوار والاوساط محمية محفوظة فسر الوسط بالعدل لانه عدل بين الاطراف
ليس الى بعضها باقرب من بعض ذكره بن اقبرس فى فتح الصفا شرح الشفا وقال
البيضاوى الوسط فى الاصل اسم للمكان الذى تستوى فيه المساحة من الجوانب
ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين
الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى يوصف بها (خيرامم) الاول
اقتباس من قوله تعالى * وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا * وهذا اقتباس ايضا من قوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت
للناس * فان الاقتباس تضمين الكلام شيئا من القرآن والحديث لا على انه منه كما ذكره
علماء البديع فلا يضر الحذف والتغيير قال الكازرونى فى حاشية البيضاوى ولا يجب
فى الاقتباس الاالاتيان ببعض الفاظ القرآن او الحديث واما ايراده من غير زيادة
ولا نقصان فلا يجب انتهى فتأمل قوله كنتم اى فى اللوح المحفوظ او فى علم الله
او فيما بين الامم المتقدمين وهو دليل على خيريتهم فيما مضى ولا يدل على انقطاع طرأ
كقوله تعالى * وكان الله غفورا رحيما * قال ابن اقبرس خير امة اى افضل امة لان دينه
صلى الله تعالى عليه وسلم خير الاديان لقوله تعالى * ان الدين عند الله الاسلام * وهو
شهادة الله والملائكة واولى العلم وكفى بالله شهيدا وهذه منة عظيمة من الله تعالى
على عباده بهذا النبى صلى الله عليه وسلم وقال السلمى فى حقائقه قال يحيى بن معاذ
هذه مدحة لهم ولم يكن الله تعالى ليمدح قوما ثم يعذبهم وقال جعفر الصادق
تأمرون بالمعروف وهو موافقة الكتاب والسنة وفى مواهب القسطلانى قال مجاهد
كنتم خير امة اخرجت للناس اذا كنتم على الشرائط المذكورة اى تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وقيل انما صارت امة محمد عليه السلام خيرامة لان المسلمين منهم اكثر الامم

Marfat.com

بالمعروف والنهى عن المنكر فيهم فشى فقيل هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال
عليه السلام خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا يدل على ان اول
هذه الامة افضل ممن بعدها والى هذا ذهب بعض العلماء وان من صحبه صلى الله
عليه وسلم ورآه ولو مرة من عمره افضل من كل من يأتى بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها
عمل وهذا مذهب الجمهور وذهب ابو عمر بن عبد البر الى انه قد يكون فيمن يأتى
بعد الصحابة افضل ممن كان فى جملة الصحابة وان قوله عليه السلام خير الناس
قرنى ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه
عليه السلام جماعة من المنافقين المظهرين الايمان واهل الكبائر الذين اقام عليهم
وعلى بعضهم الحدود وقد روى ابو امامة انه صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن
رآنى وآمن بى مرة وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات وفى مسند ابى دواد
الطيالسى عن محمد بن ابى حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر قال كنت جالسا
عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون اى الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة
قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم
افضل الخلق ايمانا قوم فى اصلاب الرجال يؤمنون بى ولم يرونى فهم افضل الخلق
ايمانا وروى ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب
الى بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر
لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل
قول سالم قال ابو عمر فهذه الاحاديث تقتضى تواتر طرقها وحسنها التسوية بين اول هذه
الامة وآخرها فى فضل العمل الا اهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب
والله يؤتى فضله من يشاء واسناد حديث ابى دواد الطيالسى الى عمر ضعيف فلا يحتج
به لكن روى احمد والدارمى والطبرانى عن ابى عبيدة يا رسول الله احد خيرا منا اسلمنا
معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى واسناده حسن
وصححه الحاكم والحق ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والدلائل على افضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل
بذكرها انتهى ويمكن التوفيق بين ما ذهب اليه ابو عمر بن عبد البر وبين ما ذهب
اليه الجمهور بان الصحابة افضل من وجد الصحبة التى لا يعادل لها عمل ويمكن ان يكون
غيرهم افضل منهم من وجوه اخرى وبهذا يندفع التعارض بين الاحاديث والله اعلم

(والصلاة) هى من الله تعالى الرحمة ومعناها تعظيم شريعته وابقاؤها الى يوم
القيمة وفى الآخرة تشفيعه فى امته ومن الملائكة الاستغفار وهو من باب قوله صلى الله
عليه وسلم انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة على احد الوجوه
من المؤمنين دعاء له ببعثته المقام المحمود واولى ما يراد بها ههنا ما امر نا به صلى الله

Marfat.com

عليه وسلم بقوله سلوالى الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة ذكره الوالد رحمه الله تعالى فى احكامه وفى مواهب القسطلانى قال ابو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء قال فى فتح البارى وهذا اولى الاقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزياده لاطلب اصل الصلاة وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة وروى ابن ابى حاتم عن مقاتل بن حبان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وقال الضحاك ابن مزاحم صلاة الله رحمته وفى رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء اخرجهما اسماعيل القاضى عنه وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة وتعقب بان الله غاير بين الصلاة والرحمة فى قوله سبحانه * اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة * وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى * صلوا عليه وسلموا تسليما * حتى سألوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة فى تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته واقرهم النبى صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك فى السلام وجوز الحليمى ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على انبيائه هى ما تقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهى التى وسعت كل شئ وحكى القاضى عياض عن ابى بكر القشيرى انه قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من الله تعالى تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبى رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبى وبين سائر المؤمنين حيث قال تعالى فى سورة الاحزاب ان الله وملائكته يصلون على النبى وقال قبل ذلك فى السورة المذكورة هو الذى يصلى عليكم وملائكته ومن المعلوم ان القدر الذى يليق بالنبى صلى الله عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره وقال الحليمى المقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال امره تعالى وقضاء حق النبى صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال ليست صلاتنا على النبى صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا فان عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ ابى محمد المرجانى وقال ابن العربى فائدة الصلاة عليه ترجع الى الذى يصلى عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم واما الصلاة على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية فهذا جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة

Marfat.com

عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى *هو الذى يصلى عليكم وملائكته * وبقوله تعالى * اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة * وبقوله تعالى * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم * وبحديث عبدالله بن ابى اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابى بصدقته فقال اللهم صل على آل ابى اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لايجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قد صار شعار الانبياء اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم بهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او على صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله تعالى وحملوا ما ورد فى ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم وقال آخرون لايجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صار من شعار اهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم العصمة فلا يقتدى بهم فى ذلك ثم اختلف المانعون هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه او خلاف الاولى اقوال ثلاثة حكاها النووى فى الاذكار ثم قال والصحيح الذى عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم والله اعلم (والسلام) اى الدعاء بالسلامة من كل قدح ونقصان او هو مصدر بمعنى سلمه الله اى جعله سالما ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال على عليه السلام والاحياء والاموات فيه سواء غير ان الحاضر يخاطب به فيقال عليك السلام وجمع بين الصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى * ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما * وحذرا من كراهة افراد احدهما عن الآخر ولو خطا وقد صرحوا بانه يكره ترك الصلاة والسلام والاقتصار على احدهما وقيل المراد بالكراهة خلاف الاولى وليست على بابها فان الاتيان بهما فيه اجر وتركهما او احدهما محل بذلك الاجر وترك للاولى ذكره والدى رحمه الله تعالى فى احكامه ويستحب الترضى للصحابة والترحم للتابعين ومن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الاخيار وهل يجوز عكسه فقال بعضهم لايجوز بل الترضى مخصوص بالصحابة ويقال لغيرهم رحمه الله فقط وقال النووى هذا غير صحيح بل الصحيح الذى عليه الجمهور استحبابه ودلائله اكثر من ان تحصى واما اذا ذكر من اختلف فى نبوته كذى القرنين ولقمان فقال بعض العلماء كلاما يفهم منه ان يقال صلى الله عليه وسلم قال النووى والذى اراه ان هذا لا بأس به وان الارجح ان تقول رضى الله عنه لان هذا مرتبة غير الانبياء ولم يثبت كونهما نبيين واما الصلاة والسلام على الملائكة استقلالا فقال النسفى فى مسائل شتى آخر الكنز ولا يصلى على غير الانبياء والملائكة الا بطريق التبع وفى اذكار النووى اجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الملائكة والانبياء استقلالا (على افضل من) اى شخص (اوتى) اى آتاه

Marfat.com

الله تعالى (النبوة) بالهمز مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز تسهيلا اى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبئا او يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما اطلعه الله تعالى عليه وبغير الهمز يكون مشتقا من النبوة وهى ما ارتفع من الارض اى ان له رتبة شريفة ومكانة عند الله تعالى منيفة قال الزركشى كان نافع يقرأ النبئ بالهمز فى جميع القرآن والاختيار تركه والترك لغة النبى صلى الله عليه وسلم وقد جاء فى الحديث ان رجلا قال يا نبئ الله يعنى بالهمز فقال له است نبئ الله ولكن نبى الله فانكر الهمز لانه لم يكن من لغته عليه السلام قال الجوهرى والصاغانى انما انكره لان الاعرابى اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من ارض الى ارض اذا خرجت منها الى اخرى والنبوة شرعا ايحاء الله تعالى لانسان حر ذكر بحكم تكليفى سواء امره بتبليغه ام لا فهى اعم من الرسالة اذ لابد فى الرسالة من الامر بالتبليغ مع ما ذكر وقيل بينهما مساواة كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتابنا المطالب الوفية وعدة النبيين على ما ورد فى الحديث مائة الف واربعة وعشرون الفا والمرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة وعشرون ونوح اول رسول الى الكفار وآدم اول رسول الى بنيه ولم يكونوا كفارا ورسالته اليهم بتبليغ الايمان والطاعة لله تعالى وكذلك بعده شيث وادريس اول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود من قبح الصفا لابن اقبرس (والحكم) جمع حكمة وهى تحقيق العلم واتقان العمل قاله البيضاوى وفى حقائق السلمى الحكمة العلم اللدنى وقيل الحكمة اشارة لاعلة فيها وقيل الحكمة اشهاد الحق على جميع الاحوال وقيل الحكمة تجريد السر اورود الالهام وقال ابو عثمان الحكمة هى النور المفرق بين الالهام والوسواس سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول ان الله تعالى بعث الرسل بالنصح لانفس خلقه وانزل الكتاب لتثبتة قلوبهم وانزل الحكمة لسكون ارواحهم فالرسول داع الى امره والكتاب داع الى احكامه والحكمة مشيرة الى فضله وقيل الحكمة ان يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك وقيل الحكمة الفهم فى كتاب الله ومن اوتى فهم كتابه اوتى حظا عظيما من قربه قاله ابن عطاء وقيل الحكمة النبوة وقيل الخشية انتهى وعلى كونها النبوة فالعطف للتفسير وعلى غيره من باب التدلى اى افضل شخص اوتى النبوة وشخص اوتى الحكم وهو الولى يعنى افضل الانبياء والاولياء ويدخل فى الاولياء الملائكة قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله * قال المفسرون يعنى موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا فى اختصاص موسى بالكلام وقد ثبت انه تعالى كلم نبينا ايضا ولا يلزم فى كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم وقوله * ورفع بعضهم درجات * يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة اوجه بالذات

Marfat.com

فى المعراج وبالسيادة على جميع لبشر وبالمعجزات لانه عليه لسلام اوتى بالمعجزات مالم يوته نبى قبله قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضى عياض فى التفضيل المراد به هنا فى الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته اظهر واشهر اوتكون امته ازكى واكثر اويكون فى ذاته افضل واطهر وفضله فى ذاته راجع الى ماخصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام اوخلة اورؤية اوماشاء الله من الطافه وتحفة ولايته فلامرية ان آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى وذاته افضل واطهر وخصوصياته على جميع الانبياء اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته ازكى وافضل من سائر المخلوقين كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجه وروى الترمذى عن ابى سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر ومامن بنى آدم فمن سواه الا تحت لوائى وفى حديث ابى هريرة مرفوعا عن البخارى انا سيد الناس يوم القيمة وهذا يدل على انه افضل من آدم عليه السلام ومن كل اولاده وروى البيهقى فى فضائل الصحابة انه ظهر على بن ابى طالب من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة الست بسيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على انه افضل الانبياء بل افضل خلق الله كلهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه وانما قاله اظهارا لنعمة الله تعالى عليه واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه ليعرفوا نعمة الله عليهم وعليه وكذلك العبد اذ لاحظ ماهو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه فى كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين انشأ له ذلك فى قلبه سحائب السرور فاذا انبسطت هذه السحائب فى سماء قلبه وامتلأ افقه بها امطرت عليه وابل الطرب بماهو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل فطل وحينئذ يجرى على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا * فالافتخار على ظاهره والافتخار والانكسار فى باطنه ولا ينافى احدهما الآخر وجمهور اهل السنة ان خواص بنى آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم وعوام بنى آدم افضل من عوام الملائكة والمراد بعوام بنى آدم هنا الصلحاء لا الفسقة كما نبه عليه ابن ابى شريف ونص البيهقى عليه فى الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا فى الملائكة والبشر فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة كذا فى المواهب

Marfat.com

القسطلانية (وعلى آله) آل الرجل اهله وعياله وآله ايضا اتباعه ولايقال الا للاشراف من العقلاء وهم امامن حيث النسب قال النبى صلى الله عليه وسلم اولادعلى وجعفر وعقيل والعباس والحارث بن عبدالمطلب اومن حيث الدين كماروى عنه عليه السلام حين سئل من آلك قال آلى كل مؤمن اومؤمن تقى على اختلاف الروايتين ويروى انه لمانزل قوله تعالى * قل لااسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى * قالوا يارسول الله من قرابتك هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما واختلف فى المراد باهل البيت فى قوله تعالى * انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا * فروى ابن ابى حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم وروى احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه على وحسن وحسين آخذكل واحد منهما حتى دخل فادنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه اوقال كساءه ثم تلاهذه الآية انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس الى آخره وقال اللهم هؤلاء بيتى واهل بيتى احق زاد فى رواية ابن جرير فقلت وانا يارسول الله من اهلك قال وانت من اهلى قال واثلة وانها من ارجى ماارتجى وفى الترمذى وقال حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبونى بحب الله واحبوا اهل بيتى بحبى وفى المناقب لاحمد من ابغض اهل البيت فهو منافق وروى ابن سعيد من صنع الى احد من اهل بيتى معروفا فعجز عن مكافاته فى الدنيا فانا المكافئ له فى القيمة والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبدالمطلب ممن صحب النبى صلى الله عليه وسلم منهم ورآه من ذكر اوانثى وهم على واولاده الحسن والحسين ومحسن وام كلثوم من فاطمة وجعفر واولاده وهم عبدالله وعون ومحمد ويقال انه كان لجعفر بن ابى طالب ولداسمه احمد وعقيل بن ابى طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبدالمطلب واولاده يعلى وعمارة وامامة والعباس بن عبدالمطلب واولاده الذكور عشرة الفضل وعبدالله وقثم وعبيدالله والحارث ومعبد وعبدالرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضى الله عنه شعرا (تموا بتمام فصاروا عشره * يارب فاجعلهم كراما برره) ويقال ان لكل منهم ذرية وكان له من الاناث ام حبيبة واميمة وصفية واكثرهم من لبابة ام الفضل ومغيث بن ابى لهب والعباس بن ابى لهب وكان زوج امية بنت العباس وعبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب واخته صناعة وكانت زوج المقداد بن الاسود وابوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحارث وهند ابن الحارث هذا واميمة واروى وعاتكة وصفية بنات عبدالمطلب اسلمت صفية وصحبت وفى الباقيات خلاف وقداشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاول آله عليه السلام وهم ماتقدم ذكره وقيل الذين حرمت عليهم الصدقة . وعوضوا

Marfat.com

عنها خمس الخمس والثانى اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه فى رحم وقيل من اتصل به بنسب اوسبب والثالث ذووالقربى وهم على وفاطمة وابناهما والرابع عترته بكسر العين وسكون المثناة الفوقية فقيل هم عشيرته وقيل ذريته والعشيرة هم الاهل الادنون والذرية نسله واولاد بنت الرجل ذريته (واصحابه) جمع صاحب على رأى والتحقيق ان فاعلا لايجمع على افعال فهو جمع صحب تخفيف صاحب كنهر وانهار اوجمع صحب بالسكون اسم جمع كتمر واتمار والمستعمل فى وضع المفرد صحابى بالفتح منسوب الى صحابة مصدر بمعنى الصحبة وقد جاء بمعنى اصحاب ذكره الجوهرى ويقال صحب وصحبة وصحبان وصحابة واصحاب وانصحابى من لقى النبى صلى الله عليه وسلم من الثقلين مؤمنا به ومات على الاسلام وان تخللت ردة طالت الصحبة اولا فاللقاء اعم من الرؤية والمجالسة ليدخل عميان الصحابة ومن لم يجالسه وباسناده الى ضمير غير النبى صلى الله عليه وسلم يخرج عنه من كشف له صلى الله عليه وسلم عنه ليلة الاسراء ولم يلق هو النبى صلى الله عليه وسلم وبالتقييد بالثقلين تخرج الملائكة وبموته على الاسلام يخرج المرتد الذى لم يرجع عن ارتداده كابن جحش بخلاف من مات بعد ردته مؤمنا كعبدالله بن ابى سرح واختلف فى ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل وبحيرا الراهب حيث اجتمعا به عليه السلام قبل بعثته وكانت عدة الصحابة رضى الله تعالى عنهم عند وفاته عليه السلام مائة الف انف واربعة عشر الفا كلهم من اهل الدراية كذا ذكره والدى رحمه الله تعالى فى احكامه وفى مواهب القسطلانى وهل يختص جميع ذلك ببنى آدم ام يعم غيرهم من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه منهم لاينبغى التردد فى ذكره من الصحابة واما الملائكة فيتوقف عددهم فى ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله فيمن رآه فى قيد الحياة الدنيوية اما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس صحابيا وكذا من اتفق انه يرى جسده المكرم وهو فى قبره المعظم ولو فى هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله عليه وسلم ورآه كذلك على طريق الكرامة وكذا من رآه فى المنام وان كان قد رآه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية (المقتدين) نعت للآل والاصحاب (به) صلى الله عليه وسلم اى المتابعين له ظاهرا وباطنا على كل حال (فى القصد) بلام العهد اى النية الصالحة التى له صلى الله عليه وسلم فى نصرة الدين والحماية عنه ونصح الامة ومحبة الخير وكراهة الشر وقد حصل لهم ذلك منه ببركة صحبتهم له صلى الله عليه وسلم وسريان حالته فيهم وحلول نظره عليهم من اخلاصهم فى صحبته وبذل نفوسهم واموالهم فى محبته والخروج عن اهلهم

Marfat.com

واوطانهم فى مرضاته والاقتصاد فى العمل اى التوسط فيه بين الافراط والتفريط كماورد فى الحديث ان الله لايمل حتى تملوا وهوعادته صلى الله عليه وسلم كما قال ولكنى اصوم وافطر واصلى ورقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى رد بذلك على قوم من الصحابة ارادوا ان يصوموا الدهر ويعتزلوا النساء فتركوا ماارادوا واقتدوا به صلى الله عليه وسلم فى اقتصاده فى عمله (والشيم) جمع شيمة وهى الخلق والعادة والخلق بضم الخاء واللام ويجوز اسكانها ملكة نفسانية يسهل على المتصف بهاالاتيان بالافعال الجميلة والجمع اخلاق وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة اومكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث رواه البخارى وقال القرطبى الخلق جبلة فى نوع الانسان وهم فى ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شئ منها كان محمودا والا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذلك ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وكانت الصحابة رضى الله عنهم يقتدون بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى افعاله واقواله واحواله على كل حال الافيما اختص به عنهم لتكمل اخلاقهم كما كملت اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الامام السنوسى فى شرح مقدمته وقدعلم من دين الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين ضرورة اتباعه عليه السلام من غير توقف ولانظر فى جميع اقواله وافعاله الاماقام فيه دليل على اختصاصه به فقدخلعوا نعالهم لما خلع نعله عليه السلام ونزعوا خواتيمهم لما نزع عليه السلام خاتمه وحسر ابوبكر وعمر رضى الله عنهما ركبتيهما فى قضية جلوسهما على البئر كما فعل عليه السلام وكاد يقتل بعضهم بعضا من شدة الازدحام على الحلاق عند مارأوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحلق رأسه وحل من عمرته فى قضية الحديبية وكانوا يبحثون البحث العظيم على هيئات جلوسه ونومه وكيفية اكله وشربه وغير ذلك ليقتدوا به وقدثبت ان ابن عمر رضى الله عنهما لما سأله السائل عن صبغه بالصفرة ولبسه النعال السبتية وكونه لايحرم الااذا هل هلال ذى الحجة وانما يحرم فى يوم التروية وكونه انما يلمس الركنين اليمانيين فاجابه بانه استند فى ذلك كله الى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم وقدادار راحلته رضى الله عنه فى موضع وعلل ذلك بانه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل كذلك وانظر قول عمر رضى الله عنه للحجر الاسود لقدعلمت انك حجر لاتضر ولاتنفع ولولارأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبلك ماقبلتك وقدثبت عن بعض السلف واظنه احمد بن حنبل رضى الله عنه انه كان لايأكل البطيخ فقيل له فى ذلك فقال يمنعنى من اكله انه لم يثبت عندى كيف اكله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة فاتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع افعاله الاماختص به ورؤية الكمال فيها جملة وتفصيلا مماعلم من دين السلف

Marfat.com

ضرورة (مادامت) اى مدة دوام (السموات) جمع سماء تذكر وتؤنث وتجمع على اسمية ايضا والسماء كل ماعلاك فاظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء قاله الجوهرى (والارض) بالافراد لانها واحدة فى قول بعضهم والسموات سبع قال تعالى * الحمد لله الذى خلق السموات والارض *الى غير ذلك من الآيات المشتملة على جمع السموات وافراد الارض وقال اللاقانى رحمه الله تعالى فى شرح جوهرته الاصح ان الارضين سبع كما ان السموات سبع لقوله عليه السلام طوقه من سبع ارضين وقال البيضاوى جمع السموات دون الارض وهن مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها انتهى فالمراد مادامت سموات الدنيا وارضها وسموات الآخرة وارضها على ماقالوا فى قوله تعالى *خالدين فيها مادامت السموات والارض * يعنى سموات الآخرة وارضها وفى تفسير الواحدى قال الضحاك مادامت سموات الجنة والنار وارضهما وكل ما علاك فهو سماء وكل ماستقرت عليه قدماك فهو ارض والاكثرون على ان المراد منه التأبيد قال ابن قتيبة وابن الانبارى للعرب فى معنى الابد الفاظ يقول لافعل ذلك مااختلف الليل والنهار ومادامت السماء والارض ومااختلفت الجرة والدرة وماالطت الابل فى اشباه كثيرة لهذا ظنا منهم ان هذه الاشياء لاتتغير فخاطبهم الله تعالى بمايستعملون فى الفاظهم انتهى ويؤيد المعنى الاول ان السماء ماعلا من السقف وقد ورد فى الحديث سقف الجنة عرش الرحمن وفى مقابلة ذلك الارض لما سفل كما ورد ان ارضها الزعفران فيكون فى الكلام اقتباس من الآية وهو ابلغ لافادته تأبيد ذلك وعدم انقطاعه بانقضاء الدنيا (وماتعاقبت) اى مدة تعاقب اى تتابع (الاضواء) جمع ضوء وهو الضياء وكذلك الضوء بالضم تقول ضاءت النار تضوء ضوأ وضوأ واضاءت مثله واضاءته يتعدى ولا يتعدى ذكره الجوهرى والضوء والضياء هو النور اواخص منه اوالضياء مابالذات والنور مابالعرض كما قال تعالى * هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا (والظلم) جمع ظلمة فالضوء هو النهار والظلمة هى الليل بقرينة التعاقب اواعم من ذلك (وبعد) اصلها امابعد فالواو قائمة مقام اما ويؤيده انه لم يقع فى مثل هذا الموضع وامابعد بالواو ولعل وجهه ان اما قد تورد لتدل على ان مابعدها غير مرتبط بماقبلها حتى انه سمى فصل الخطاب والجملتان اللتان بينهما كمال الاتصال لايفصل بينهما بالواو العاطفة فلها دلالة ماعلى انفصال مابعدها عماقبلها فى الجملة فاستعيرت لاما الدالة على الانفصال ذكره البيرجندى فى شرح الوقاية وبعد من الظروف التى قطعت عن الاضافة ونوى فيها معنى المضاف اليه فبنى على الضم يعنى بعد ماتقدم من الحمدلة والصلاة والسلام على النبى وآله واصحابه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى بها فى خطبه وكتبه وفى غرائب مالك للدار قطنى بسند ضعيف

Marfat.com

لما جاء ملك الموت الى يعقوب عليه السلام قال يعقوب فى جملة كلامه امابعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء فان صح فهو اول من ابتدأ بها وقيل اول من ابتدأ بها داود عليه السلام وانها فصل الخطاب الذى اوتيه وقيل قس بن ساعدة وقيل كعب ابن لؤى وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان قاله والدى رحمه الله تعالى فى احكامه (فان) الفاء على توهم اما فان الشئ اذا اشتهر فى موضع جاز تركه مع بناء الكلام عليه نحو مازيد كاتبا ولاشاعر بالجر على توهم الباء اوعلى تقديرها بطريق تعويض الواو عنها بعد الحذف على انه لايمنع من اجتماع الواو مع اما كما وقع فى عبارة المفتاح واخرفن البيان ذكره الخيالى وماتقدم عن البرجندى محمول على الكثير الغالب (العقل) وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها اوالعلم بخير الخيرين وشر الشرين اومطلق لامور لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمان مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات تثبت بها الاغراض والمصالح ولهيئة محمودة للانسان فى حركاته وكلماته والحق انه روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لايزال ينموا الى ان يكمل عند البلوغ كذا فى القاموس وفى عمدة القارى شرح البخارى للعينى اختلفوا فى العقل فقيل هو العلم لان العقل والعلم فى اللغة واحد ولا يفرقون بين قولهم عقلت وعلمت وقيل العقل بعض العلوم الضرورية وقيل هوقوة يميز بها بين حقائق المعلومات واختلفوا فى محله فقال المتكلمون هو فى القلب وقال بعض العلماء هو فى الرأس انتهى فعلى القول بانه هو العلم يكون بمعنى القوة العالمية حتى يبقى للفاضلة بينه وبين العلم بمعنى الامور المعلومات معنى قال النسفى فى بحر الكلام العلم افضل من العقل وفى التمهيد فى معرفة التوحيد الاصح ان العلوم متنوعة علم بالله وبالدين وبالشرائع فهذا افضل من العقل لان العبد يجوز مع انعدام العقل ولاينجو مع انعدام الدين ولان كل عاقل مخاطب ومأمور بتعلم هذا العلم وطلبه وكل علم سوى علم المعرفة والدين كعلم الحرف والاكتساب والنحو والطب فالعقل افضل انتهى فراد بالعلوم المتنوعة المسائل المبرهن عليها ونفس البراهين من اطلاق المصدر على اسم المفعول اى التى من شأنها ان يعلمها العالم لانفس القوة العالمية التى هى العقل قال القسطلانى فى مواهبه فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان وقال بعضهم لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل البصر (والنقل) وهو النصوص الواردة فى الشريعة قطعية كانت اوظنية (متوافقان) اى كل واحد منهما يوافق الآخر يعنى ان القوة العالمية فى الانسان متفقة من حيث حكمها بنفسها بلادلالة من الغير ولااطلاع منه لهما مع الدلالة والاطلاع من الغير المسمى ذلك نقلا لنسبته الى متكلم صادق كما سمى الاول عقلا لربطه الامر على

﴿ حسب ﴾

Marfat.com

حسب قوته و قدم العقل لكونه اصلا لثبوت النقل (والكتاب) اى كتاب الله تعالى وهو القرآن العظيم (والسنة) اى سنة النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله عليه السلام وفعله وسكوته عند امر عاينه من قول اوفعل صدر من احدامته ومن السنة طريقة الصحابة رضى الله عنهم لقوله عليه السلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى و الحديث والخبر يختصان بقوله عليه السلام فقط وكذلك الاثر وربما يطلق ذلك على السنة فتكون الاربعة بمعنى واحد وقدم الكتاب لشرفه واخر السنة لان حجيتها ثابتة به قال تعالى * وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا (منطابقان) اى كل واحد منهما يطابق الآخر ولاحجة اقوى من هذه الاصول الثلاثة الاول دليل العقل والثانى دليل النقل وهو قسمان الكتاب والسنة فذكر الكتاب والسنة بعد ذكر النقل بيان للمراد منه (ان الدنيا) قال الجوهرى سميت الدنيا لدنوها والجمع دنى مثل الكبرى والكبر والصغرى والصغر انتهى يعنى لدنوها اى قربها من الانسان بالنسبة الى الآخرة اولدنوها من القلب بسبب مشتهياتها وفى حقيقتها قولان للمتكلمين احدهما اما على الارض مع الهواء والجو والثانى كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل الدار الآخرة قال النووى رحمه الله تعالى وهو الاظهر كما قاله العينى فى شرح البخارى فيدخل فى ذلك النقدان و مايشترى بهما مما لاضرورة فيه ومافيه ضرورة غير ان مافيه ضرورة مأمور بتناوله كما قال تعالى * ولاتنس نصيبك من الدنيا * قال الواحدى فى تفسيره قال قتادة لاتنس الحلال من الدنيا ابتغ الحلال والمعنى على هذا لاتترك ان تطلب فيها حظك من الرزق الحلال وقال الحسن امر ان يأخذ من ماله قدر عيشه ويقدم ماسوى ذلك لآخرته وعنه ايضا فى هذا المعنى قدم الفضل وامسك مايبلغك وعلى هذا المراد بالنصيب قدر مايكفيه (فانية) من الفناء وهو الاضمحلال والزوال قال ابو محمد الخازن فى قوله تعالى * كل من عليها فان * اى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق و ماليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمان اليسير الى الطاعة انتهى فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانية انها عرض غير باق وماليس باق فهو فان وقال القسطلانى فى تفسير قوله تعالى * كل شئ هالك الا وجهه * اى الاذانه فان ماعداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم وفى شرح وصية ابى حنيفة رحمه الله تعالى معنى كل شئ هالك الا وجهه ان كل شئ ماسوى الله تعالى معدوم فى ذاته بالنظر الى ذاته تعالى من حيث انه ممكن مع قطع النظر عن موجده لان كل ماسواه ممكن و الممكن بالنظر الى ذاته لايستحق الوجود فلايكون بالنظر الى ذاته موجودا وذكر الشيخ عبد الرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير فى قوله عليه السلام قال موسى يارب كيف شكرك آدم الحديث قال ومن نظر بعين التوحيد المحض عرف

Marfat.com

انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس فى الوجود غيره وان كل شئ هالك الا وجهه لان الغير هو الذى يتصور ان يكون له بنفسه قوام وهذا محال ان يوجد اذا الموجود المحقق هو هذا القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو وجود بغيره فان اعتبر من حيث ذاته لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه ومن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا يتصور ان يكون القيوم الا واحدا فليس فى الوجود غير الحى القيوم الواحد فالكل منه مصدره واليه مرجعه ويعبر الصوفية عن هذا بفناء النفس اى فنى عن نفسه وعن غير الله فلا يرى الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويسخر منهم فيسخرون منه هذا كله كلام الغزالى رحمه الله تعالى انتهى وهذا المعنى هو المراد بوحدة الوجود وبالوحدة المطلقة وغير ذلك من العبارات التى تذكرها العارفون من اهل التحقيق وليس مرادهم المعنى الفاسد الذى عند اهل الزندقة والالحاد وقد انكرته عليهم علماء الكلام وقد كشفت عن ذلك فى رسالة سميتها ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود واذا عرفت ما تقدم فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانيه اى معدومة بالنظر الى وجود الحق تعالى الباقى لا بالنظر الى ما يظهر منها للحس والعقل او معدومة بالنظر اليها فى ذاتها وان كانت موجودة من طرف ايجاد الحق تعالى لها ومعنى كون العقل والنقل متوافقين على ذلك وكذلك الكتاب والسنة ما ذكرنا من الآيتين ومن قوله عليه السلام كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان وقال عليه السلام اشعر كلمة تكلم بها العرب كلمة لبيد *الا كل شئ ما خلا الله باطل *قال المناوى فى شرح هذا الحديث وفى رواية اصدق كلمة قالها شاعر وفى رواية اخرى اصدق بيت قالته الشعراء وباطل اى فان او غير ثابت او خارج عن حد الانتفاع او آيل الى البطلان او كان باطلا لكونه بين العدمين ولا يشكل بصفات البارى لان بقاءها معلوم من ذكر الذات لكونها غير قابلة للانفكاك وهذا قريب من قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وانما كان ذلك اصدق لتطابق العقل والنقل على حقيقته والشهادة به وروى السلفى فى مشيخته البغدادية عن يعلى بن جراد قال انشد لبيد النبى صلى الله عليه وسلم قوله الا كل شئ ما خلا الله باطل فقال له صدقت فقال وكل نعيم لا محالة زائل فقال كذبت نعيم الآخرة لا يزول انتهى ومن استقصى ما ورد فى الكتاب والسنة تحقق معنى الموافقة والمطابقة وتيقن ذلك كله بنفس واثقة وحكم بصحة ما ذكرهنا وصحة ما سيأتى من ان الدار الآخرة لهى الحيوان وان الظفر بها لا يحصل الا بمتابعة خاتم النبيين وان الشيطان للانسان عدو مبين (سريعة الزوال) من حيث اعيانها (والخراب) من حيث بنيانها وهذا يقتضى ارادة المصنف رحمه الله تعالى للمعنى الاول الذى فسرنا به كونها

﴿ فائدة ﴾

Marfat.com

فانية قال الخازن فى تفسير قوله تعالى *انماهذه الحياة الدنيا متاع * اى متعة يتمتع بها مدة ثم تنقطع وان الآخرة هى دارالقرارالتى لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة ولامنفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة و الباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفاباقيا لكانت الآخرة خيرامن الدنيا فكيف والدنياخزف فان والآخرة ذهب باق وقال الواحدى فى تفسير قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الى آخره وتأويل الآية ان الحياة فى الدنيا سبب لاجتماع المال وزهرة الدنيا مما يروق ويعجب حتى اذا كثر ذلك عندصاحبه وظن انه ممتع به سلب ذلك عنه بموته اوبحادثة تهلكه كما ان الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته حتى تتزين به الارض وتظهر بهجتها وظن الناس انهم مستمتعون بذلك اهلكها الله ورد ها الى الفناء حتى كأن لم تكن (عزها) اى الدنيا يعنى العز الذى لاهل الدنيا بالدنيا من جاه وحشمة ومال ومنصب ورياسة ونحو ذلك (ذل) عاجل ولكن اهله لايشعرون به لسكرهم بخمر محبة الدنيا قال ابو عبدالرحمن السلمى فى قوله تعالى * يا ايها الذين امنوالاتقربواالصلاة وانتم سكارى *قال بعضهم السكر على انواع منهاسكر الخمر وهواسرعها افاقة وسكر الغفلة وسكرالهوى وسكر الدنياوسكر المال وسكرالاهل والولد وسكرالمعاصى وسكر الطاعات وكل هذا ومايشبهه يمنع صاحبه عن اتمام صلاته والقيام فيها بشرط العبودية والتأدب للمناجاة وشرط اقامة الصلاة هو القيام اليها بالغفول عن كل ماسواها (ونعمها) اى الدنيا جمع نعمة وهى مايتمتع به الانسان وغيره فيها لامايحصل للانسان فيها من المعرفة والطاعات التى هى من اجل النعم لان التمتع بهذه انمايكون فى الآخرة لا فى الدنيا ومراده هنا شهوات الدنيا ولذائذها من كل مأكول و مشروب وملبوس و منكوح ومركوب ومسكون وغيرذلك (نقم) جمع نقمة يعنى محنا وبلايا ولقداحسن من قال من اهل الكمال ان الدنيا ليس فيهالذة مطلقا ومايظهر فيهابصور اللذائذ فانما ذلك زوال الآلام لالذائذ فى الحقيقة فان لذة الاكل زوال الم الجوع ولهذا لاتوجدالابعدالجوع وكذلك لذة الشرب زوال الم العطش ولذة الجماع زوال الم الشبق الذى هو احتراق المنى بجميع ما فى الدنيا فسمان الآلام وزوال الآلام ويسمى زوال الآلام لذائذ عنداهل الدنيا بخلاف الآخرة فان اهل الجنة لاالم عندهم حتى تكون لذائذهم زوال ذلك الالم فلذائذهم حقيقية فلذة اكلهم لاعن جوع ولذة شربهم لاعن عطش كما قال تعالى * ان لك ان لاتجوع فيها ولاتعرى وانك لاتظمأ فيها ولاتضحى *وهكذا جميع لذائذهم ولايمكن فى الدنيا ذوق لذة من ذلك بل لايمكن ادراك معناها ذكر الشيخ الشعراوى فى العهود المحمدية قال سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول الدنيا كلها ابنة ابليس وكل من احبها زوجها له ويضير

Marfat.com

ابليس يتردد اليه لاجل بنته بل سمعته يقول ان الشيطان يتردد الى من خطب ابنته ولولم يدخل بها على عادة الاصهار فان اردت ياأخى الحفظ من ذلك فلا تصاهره ولاتخطب بنته وذكر الشيخ محيى الدين ابن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس قال والله مايستوى فراغ عارف عنده درهمان وفراغ عارف عنده درهم بل صاحب الدرهم افرغ من صاحب الدرهمين جاء رجل الى سيدنا ابى مدين فقال له ياسيدنا ان الشيطان يؤذينى فعسى ان تدفعه عنى فقال له الشيخ قد شكى الى ابليس بك قبلك قال وماقال لك قال قال لى لتعلم ياشيخ ان الدنيا خلقها الى ربى وجعلها حبالتى وشركى وملكنيها فجاء فلان فتعدى على فيها واخذلى منها فعدوت وراءه اطلب حقى منه ووالله ماقصدت منهم انسانا ولاطلبت احدا ولا برحت من مكانى احفظ على بستانى ومالى فمن اخذلى منه شيئا تبعته اطلب حقى وقد عرفت ان فلانا يشكونى اليك فسبقته وقد اخبرتك بالقصة وانا لا اترك منه حقى واسلبه فيما اقدر عليه من دينه اورد الى متاعى كما فعل الزهاد والموفقون ولهذا قال تعالى * ان عبادى ليس لك عليهم سلطان * فلى عليهم حجة ولاحق فانهم تركوا مالى وهذا تعدى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم فمن الظالم فقال الرجل انا فقال له الشيخ رد اليه دنياه يرد اليك آخرتك (وشرابها) اى الدنيا يعنى جميع مشروباتها المحسوسة التى هى عند النفوس عذب زلال ومشروباتها المعقولة ايضا التى هى مستحسنات النفوس من الطبائع والاحوال (سراب) بالسين المهملة قال الفراء السراب ما الصق بالارض والال الذى يكون ضحا كالماء بين السماء والارض قال ابن السكيت السراب الذى يجرى على وجه الارض كأنه الماء وهو يكون نصف النهار وهو الذى يلصق بالارض وقال ابو الهيثم سمى السراب سرابا لانه يسرب سربا اى يجرى جريا يقال سرب الماء يسرب سروبا كذا فى تفسير الواحدى شبهت مشروبات الدنيا ولذيذات احوال اهلها بالسراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وذلك لسرعة زوالها وكونها على التقضى والاضمحلال لفنائها فى حقيقة الامر كما قدمنا قال ابو عبد الرحمن السلمى فى قوله تعالى * والذين كفروا اعمالهم كسراب * الآية قال ابن عطاء يحسبه الظمآن ماء هو قلب ليس فيه شئ من انوار الله فقير بما فيه رجوعه الى الاسباب شرك يظهر اذ ذاك له ان لرجوع الى الحق هو الايمان قال تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه اى وجد الطريق اليه وقال ابن عطاء فى قوله تعالى حتى اذا جاءه لم يجده شيئا قال ماوجد الخلق الا الخلق وابى الحق تعالى ان يكون لخلق اليه سبيل اوطريق اذ لا يعرفه سواه ولا يشهده غيره قال جعفر اضلتهم ظلم صحبة الاغيار فكانت على قلوبهم مثل السراب لم تغن عنهم شيئا ولم تدخلهم على حق لو وجدوا السبيل الى الله لاضاءت سرائرهم وكانت كما قال تعالى * نور على نور * قال بعضهم

Marfat.com

القلب الذى تعلق بشئ غير الله هو فقير بما فيه لان الفقر هو صحبة الاشكال والغناء الرجوع عن الخلق الى الله عزوجل وقال ابن عطاء كل ما كان دون الله فهو فقر وكل قلب فيه محبة شئ سوى الله فصاحبه فقير انتهى فالمنهمك فى الدنيا واحوالها وهو المشتغل بالاغيار والاسباب المعاشية والمعادية دون الله تعالى انهماكه فى امر محال اى باطل واشتغاله فى فاقة من دينه ووبال فهو المغرور بما لديه فى كل حال ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس فى ترجمة شيخه ابى محمد عبد الله القطان المفتوح عليه فى القرآن كان يصدع بالامر لا تأخذه فى الله لومة لائم يرد كلام السلاطين فى وجوههم اقبح الرد له صولة يرمى من شاء بالحق ولا يبالى عرض بنفسه للقتل من كثرة سبه لافعال السلاطين وما هم عليه من مخالفة الشريعة له مجالس معهم يضيق الوقت عن ذكرها لا يتكلم الا بالقرآن ولا يرى غيره ولم يكتب كتابا سمعته يقول بمدينة قرطبة فى جماعة مساكين اصحاب المصنفات والتاكيف ما اطول حسابهم غدا فى كتاب الله مقنع وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحافظ على صاحبه ولم يتنعم قط ولا جمع بين درهمين وجه السلطان فيه ليقتله فاخذه الاعوان ودخلوا به على الوزير فاقعد بين يديه فقال له ياظالم ياعدو الله وعدو نفسه فيما ذا وجهت فقال له قد امكن الله منك ما تعيش بعدها ابدا فقال له الشيخ لا تقرب اجلا ولا تدفع مقدورا كل ذلك لا يكون انا والله اشهد جنازتك فقال الوزير لوزغته اسجنوه حتى اشاور السلطان فى قتله فسجن تلك الليلة فانصرف هو وهو يقول عجبا لم يزل المؤمن فى السجن وانما هذا بيت من بعض بيوت السجن فلما كان فى اليوم الثانى جلس السلطان واخبره الوزير بقصة الشيخ وكلامه فامر به فحضر بين يديه فرأى رجلا دميم الخلقة لا يوبه له وما احد من اهل الدنيا يريد له خيرا وهذا كله لقوله الحق واظهار معايبهم وما هم عليه من الفساد والجور فقال له السلطان بعد ما سأله عن اسمه ونسبه احفظ توحيدك فتلاه عليه من القرآن بتقاسيمه فتعجب الملك وانبسط له الى ان دخل معه فى المملكة وشأنها فقال له السلطان ما تقول فى ملكى هذا فضحك فقال له مم تضحك فقال منك تسمى الهذيان الذى انت فيه ملكا وتسمى نفسك ملكا انت كمن قال الله فيه وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا انما كان الملك الذى يصلى اليوم بناره او يجزى بها واما انت فرجل عجنت لك خبزة وقيل لك كلها ثم اغلظ عليه فى القول بكل ما يكرهه ويغيظه وفى المجالس الوزراء والفقهاء فسكت السلطان ونجل وقال هذا رجل موفق ياعبد الله تحضر مجالسنا قال لا فان مجلسك مغصوب ودارك التى تسكنها اخذتموها بغير حق ولولا انى مجبور ما دخلت هنا حال الله بينى وبينك وبين امثالك وما مضى زمن قليل الا والوزير قد مات وخرج ابو محمد وحضر جنازته وقال بررت قسمى انتهى فهذا من وقائع اهل الحق مع اهل الدنيا المغرورين بالاحقيقة له من العرض الفانى كما قال تعالى * وما الحياة الدنيا الا متاع

Marfat.com

الغرور*قال البيضاوى اى لذاتها وزخارفها شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر اوجمع غار انتهى وقال تعالى * وما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا * قال العز بن عبدالسلام فى تفسيره وما اوتيتم من شئ اعطيتم من رياش الدنيا من مال وولد فمتاع الحياة الدنيا تتمتعون به ليس من زاد الآخرة ولا مما ينفعكم فى معادكم (وان الدار الاخرة) معطوف على ان الدنيا ولم يقل الدار الدنيا ولا الآخرة بدون لفظة الدار لان الدنيا ليست بدار لعدم القرار فيها والدار هى الآخرة لانها للقرار والخلود وسميت آخرة لتأخرها عن الدنيا (لهى الحيوان) مؤكدة بان وبلام القسم لجحود الكفار لها اى الحياة الدائمة الخالدة التى لاموت فيها (اعدت) اى هيئت وفيه اشارة الى ان الجنة مخلوقة الآن وكذلك النار وجميع مافى الآخرة غيرانه خارج عن هذا العالم وهو الحق (للمتقين) اى المحترزين عن مخالفة ربهم فيما امرهم به ونهاهم عنه ظاهرا وباطنا قال المناوى فى شرح الجامع الصغير التقوى على مراتب وقاية النفس عن الكفر وهو للعامة وعن المعاصى وهو للخاصة وعما سوى الله وهو لخاصة الخاصة انتهى والآخرة مهيئة لاهل هذه المراتب الثلاثة على حسب مراتبهم فيها (من اهل الايمان) بيان للمتقين اذلاتقوى بدون الايمان وهو التصديق ظاهرا وباطنا بماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه عزوجل من الاعتقاديات والعمليات على مقتضى مايعلمه الله تعالى ويعلمه رسوله عليه السلام وهو الايمان بالغيب الذى هو فرض على كل مكلف وهو غير متفاوت بحسب مراتب الناس الثلاثة العامة والخاصة وخاصة الخاصة وانما مراتب انكشف وانعيان ظهور ذلك على حسب استعداد الانسان وليس هو الذى كلف الله تعالى به العبد ولكنه السبيل الى حقيقة الاتقان كما اشار اليه الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى اوائل كتاب العابدلة (عزتها) اى الدار الآخرة يقال عز فلان يعز عزا وعزة وعزازة صار عزيزا اى قوى بعد ذلة قاله الجوهرى (باقية) غير فانية كعزة الدنيا التى هى حقيقة المذلة كما مر (ابدية) لاانقضاء لها (ونعمها) جمع نعمة وهى مافى الآخرة مما ينعم الله تعالى به على عباده المؤمنين من انواع النعيم المقيم (صافية) اى خالصة من شوائب الاكدار (سرمدية) لانهاية لها قال الله تعالى* بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى * قال الخازن يعنى ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وانتم تؤثرون الفانى على الباقى قال عرفجة الاسجع كنا عند ابن مسعود فقرأ الآية فقال اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فاحبينا العاجل وتركنا الآجل وقال الواحدى الآخرة اى الدار الآخرة يعنى الجنة

S2-517

Marfat.com

خيرا فضل وابقى وادوم من الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب آخرته اضر بدنياه ومن طلب دنياه اضر بآخرته فآثروا مايبقى على مايفنى وتفسير السلمى قال ابو العباس الدينورى من خس طبعه وحقرت همته آثر الدنيا بخستها وحقارتها ومن علت همته وعظم قدره آثر الاخرة ومن شرف حاله وصحت حقائقه آثر الله على الدارين ومافيها (وشرابها) اى الآخرة والمراد الجنة وهو اسم للخمرة ولهذا انثها حيث قال (خالية عن اثم) اى تحريم اذهى الخمرة الحلال والاثم ايضا من اسماء الخمرة التى فى الدنيا والمعنى على هذا خمرة الآخرة خالية عن مشابهة خمرة الدنيا كما قال تعالى *لايصدعون عنها ولاينزفون* قال الخازن اى لايصدع عنها رؤسهم من شربها ولاينزفون اى لاتغلب على عقولهم ولايسكرون منها وقال فى قوله تعالى لافيها غول اى لاتضار عقولهم فتذهب بها وقيل لااثم فيها ولاوجع البطن ولاصداع وقيل الغول فساد يلحق فى جفاء وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد منها السكر ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقئ والعربدة وغير ذلك اى من الاحوال المكرهة ولايوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة وقال فى قوله تعالى * وسقاهم ربهم شرابا طهورا* يعنى طاهرا من الاقذار والاقذاء لم تمسه الايدى ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لايستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا فى ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ماأكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان فى قلبه من غل وحسد وغش وقال الواحدى وهو طهور ليس بنجس كما كانت فى الدنيا مذكورة بالنجاسة والمعنى ان ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا (و) خالية تلك الخمرة ايضا عن (لاغية) اى لغو قال الخازن * فى جنة عالية لاتسمع فيها لاغية * اى ليس فيها لغو ولاباطل وقال الواحدى فى قوله تعالى *لايسمعون فيها لغوا ولاتأثيما* اى لالغو فيها فيسمع ولايقول بعضهم لبعض اثمت لانهم لايتكلمون بما فيه اثم وهذا معنى قول ابن عباس لايتكلمون بالاثم كما يتكلم اهل الدنيا انتهى فلعل المراد من خلو خمرة الآخرة عن اللغو انها لاتشرب على الكلام الفاحش والغناء الباطل وانما تشرب على التغنى باللطائف الالهية والكلام الحق (فيها) اى فى الدار الآخرة والمراد الجنة (حور) جمع حوراء وهى النقية البياض من النساء وقال الواحدى الحور هن البيض الوجوه وقال ابو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وفى تفسير الخازن والحور من النساء النقيات البياض التى يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن (مقصورات) اى مخدرات مستورات لايخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لوان امرأة من نساء

Marfat.com

اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت مابينها وللأت مابينها ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها يعنى الخمار وقيل قصر طرفهن وانفسهن على ازواجهن فلايبغين بهم بدلا (فى الخيام) قيل هى البيوت قال ابن الاعرابى الخيمة لاتكون الامن اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام فيقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا اقام بها وتظال فيها وهى خيام من درولؤلوء وزبرجد مجوف يضاف الى القصور فى الجنة وعن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء وفى رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلايرى بعضهم بعضا وقال الواحدى روى قتادة عن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع من ذهب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها اهل للمؤمن لايراهم الآخرون وفى آخر الاحياء للغزالى قال انس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لما اسرى بى دخلت فى الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ماهذا النداء قال هؤلاء المقصورات فى الخيام استأذن ربهن فى السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلانسخط ابدا ونحن الخالدات فلانظعن ابدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حور مقصورات فى الخيام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء فى الجنة واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا (ناعمات) من النعومة وهى لين الملمس (مطهرات) اى نظيفات نقيات من الطهارة وهى النظافة (عن الاقذار) جمع قذر بالذال المعجمة محركة قال الجوهرى القذر ضد النظافة وشئ قذر بين القذارة وقدرت الشئ بالكسر وتقذرته واستقذرته اذا كرهته (و)عن (الآلام) جمع الم وهو المرض والوجع اى لاتألم لهن ولاتوجع بشئ اصلا ولايدركهن مرض ولايعلوهن اصفرار ولاتذهب بهجة حسنهن ولاجمالهن على الابد بل دائما يزددن بمرور الاحقاب صحة وعافية وحسنا وجمالا وبهجة وسرورا قال البيضاوى فى قوله تعالى * ازواج مطهرة * مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقال الواحدى مطهرة لايتغوطن ولايبلن ولايمتخطن ولايحضن فهن مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمنى والولد ومطهرات من كل الاقذار وقيل مطهرة من مساوى الاخلاق لما فيهن من حسن التبعل ودل على هذا قوله عربا اترابا وقال الخازن فى قوله تعالى * فجعلناهن ابكارا عربا اترابا * قيل هن

Marfat.com

الحور العين انشأ هن الله تعالى لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى وليس هناك وجع عربا جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس وفى رواية عنه انها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام ازرا يعنى امثالا فى الخلق وقال العز بن عبد السلام عربا اى عواشق ازواجهن وقيل يتحاب بعضهن بعضا لا كضرائر الدنيا وقيل غنجات وقيل حسنات الكلام من قوله عليه السلام يعرب عنها لسانها وفى الخبر كلامهن عربى (كأنهن) اى تلك الحور التى فى الجنة (الياقوت) وهو اربعة انواع احمر واصفر واسمانجونى وابيض فالاحمر ينقسم الى اربعة الوردى والخمرى وهو احمر مشرب والاحمر بلون العصفر الشديد الحمرة والبهرمان نقى الحمرة بحيث لا يشوبها شائبة وهو اجوده قالوا ور بما بلغ مثقاله مائة دينار اذا كان جيدا جدا والاصفر منه ازرقيق قليل الصفرة والخلوفى اصبغ صفرة منه والجلنارى اصبغ من الخلوقى وهو اجوده والاسمانجونى منه الازرق واللازوردى والنيلى والكحلى وهو اصبغ من النيلى ويسمى الزيتى والابيض منه المائى وهو الشديد البياض والذكر وهو اثقل من المائى وهذا رخص اليواقيت وادونها ذكره والدى رحمه الله تعالى فى كتاب الزكاة من احكامه والمراد هنا الياقوت الاحمر او الابيض (والمرجان) وهو صغار اللؤلؤ قاله الجوهرى واللؤلؤ قيل مطر الربيع يقع فى الصدف فيصير لؤلوأ وقيل الصدف حيوان يخلق منه اللؤلؤ قال الخازن فى تفسير قوله تعالى *كانهن الياقوت والمرجان *اراد صفاء اللون من الياقوت فى بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ واشد بياضا وفيه تشبيه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب حمرة والاصح انه شبههن بالياقوت اصفائه فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا اى خيطا ثم استصفته اى طلبت معرفة صفته لرأيت السالك من ظاهره لصفائه قال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ماروى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفته لرأيته من ورائه اخرجه الترمذى وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح وقال الواحدى كأنهن الياقوت والمرجان اراد لهن صفاء الياقوت فى بياض المرجان وقال العز بن عبد السلام كأنهن الياقوت صفاء والمرجان بريقا اذ هو ابيض من اللؤلؤ لصفائهن وحسنهن فيرى مخ سوقهن من وراء اجسامهن كما يرى السلك فى الياقوت والمرجان (لم يطمثهن) قال الواحدى الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية يقال طمث يطمث ويطمث قال المفسرون لم يطأهن ولم يغشهن

Marfat.com

ولم يجا معهن قال مقاتل لانهن خلقن فى الجنة (انس قبلهم ولاجان) اى قبل ازواجهن من اهل الجنة ومعنى الآية المبالغة فى نفى الطمث عنهن لان ذلك اقر لاعين ازواجهن اذا لم يغشهن احد غيره كذا فى تفسير الخازن وانما قدم قوله كأنهن الياقوت والمرجان على قوله لم يطمثهن مع ان الآية بالعكس لقصد الاقتباس وشرطه ارادة ان لايكون من القرآن كمامر لطول السجعة الثانية على الاولى فانه لايحسن اطالة الاولى على الثانية كماذكره علماء البديع (وجوه) اهم يعنى لاهل الجنة جمع وجه بمعنى العضو المخصوص اوهو مجموع الذات كماقالوا فى وجه الله اى ذاته (يومئذ) اى فى يوم القيمة (ناضرة) قال العزبن عبد السلام حسنة مستبشرة مسرورة مشرقة متهللة وقال الخازن ناضرة من النضارة وهى الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم (الى ربها) اى رب تلك الوجوه (ناظرة) تلك الوجوه قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلاحجاب قال الحسن حق لها ان تنضر وهى تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى كذا قاله الخازن وقال الواحدى قال الزجاج نضرت بنعيم الجنة والنظر الى ربها عزوجل وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف لهم الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه الف سنة لايرى اقصاه كما يرى ادناه ينظر فى سرره وازواجه وخدمه وان افضلهم منزلة لمن ينظر فى وجه الله كل يوم مرتين رواه الحاكم فى صحيحه وفى تفسير البيضاوى الى ربها ناظرة تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وفى حقائق السلمى قال النضر اباى من الناس ناس طلبوا الرؤية واشتاقوا اليه ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله لهم فقالوا رؤيتنا ونظرنا فيه علل ورؤيته ونظره بلاعلة وهو اتم بركة واسهل نفعا وقال عبد العزيز الخلق فى لقاء الله على ضروب منهم من يطمع فيه غفلة ومنهم من يطمع فيه جراءة ومنهم من لايطمع فيه هيبة وهو افضلهم واشرفهم واربابهم ان يؤهل لذلك انتهى فان قلت اذا كانت الوجوه بمعنى الذوات كماسبق فكيف رؤيتها للرب سبحانه قلت وكذلك يقال اذا كانت الوجوه على ظاهرها ويوضح هذا ماذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراوى فى طبقاته فى ترجمة شيخه الشيخ على الخواص انه كان يقول نشأة اهل الجنة مخالفة للنشأة الدنيوية التى نحن عليها الآن صورة ومعنى كما اشار اليه حديث ان فى الجنة مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وايضاح ذلك ان حجاب البشرية مادام موجودا فى الشخص فلايعلم احوال الجنة لان الجنة نشأة شهود واطلاق

Marfat.com

لاحجاب وتقييد ولذلك كان علم احوال الجنة خاصا بالعارفين واعلم ان الحق تعالى جعل لنا السمع والبصر والشم والذوق واللمس واللذة فى النكاح والادراك حقائق متغايرة حكما ومحلا مع اتحاد هافى الباطن لان الادراك ليس الاللنفس وهى حقيقة واحدة بمنافذ مخصوصة وانما تنوعت الآثار فى هذه الحقائق بتنوع محالها واعلم ان هذه الصفات المتغايرة هنا حكما ومحلا يقع الاتحاد بينها فى الآخرة حكما ومحلا فيسمع بمابه يبصر بمابه يتكلم بمابه ينطق بمابه يذوق بمابه يشم وكذلك الحكم فى الضد من غير تضاد فيبصر بسائر جسده ويسمع كذلك ويأكل كذلك وينكح كذلك ويشم كذلك وينطق كذلك ويدرك كذلك وهذا القدر الترر من احوال الجنة لايصح وجوده فى العقل لانه محال فى عقل من يسمع ذلك فكيف بغير الترر مماهو اعظم من ذلك ولم اراحدا تكلم على ماذكرته غير سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه فى تائيته فراجعها انتهى وذكر الشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره ان اهل الجنة ينكحون جميع نسائهم وجواريهم فى آن واحد نكاحا حسيا بايلاج ووجود لذة خاصة بكل امرأة من غير تقدم ولا تأخر قال وهذا هوالنعيم الدائم والاقتدار الالهى والعقل يعجز عن ادراك هذه الحقيقة من حيث فكره وانما يدركه بقوة الهية فى قلب من شاء من عباده والله على كل شئ قدير *ومما يؤيد ان مراده بالوجوه الذوات قوله (عنده) اى عند ربها (مرضية) تلك الوجوه اى مرضى عنها (مطمئنة) وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر على معرفته وتستغنى به عن غيره اوالى الحق بحيث لا يريبها شك اوالآمنة التى لايستفزها خوف ولا حزن قاله البيضاوى وقال العز بن عبد السلام المطمئنة المؤمنة بان الله ربها المسلمة لامره وقيل المجيبة الموفية بوعده اوالى ذكره وقال الواحدى المطمئنة الراضية بقضاء الله الذى قدر الله فعلمت ان ما اصابها لم يكن ليخطئها وان ما اخطأها لم يكن ليصيبها وقال الحازن اى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله الموقنة وقيل هى الآمنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله (وعنه) اى عن ربها (راضية) بما اوتيت وقيل عن الله بما اعدالله لها وتقديم الخبر فى الموضعين مفيد انها ليست مرضية عند غيره وهواعوجاج الخلق على اهل الاخلاص فى الدنيا وليست راضية عن غيره لخروجها عن كل ما سواه (شاكرة) له على ما انعم عليها وذكر القشيرى فى رسالته ان الشكر ينقسم الى شكر باللسان وهواعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والاركان وهواتصاف بالوفاق والخدمة وشكر بالقلب وهواعتكافه على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة وقال ابو بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقال حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيها طفيليا وقال ابو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وقال الشبلى الشكر رؤية المنعم لارؤية

Marfat.com

النعمة (وهذه) الامور المذكورة الاخروية (هى النعمة) التامة والمنة العامة لاامور الدنيا الفانية المضمحلة المتنة القذرة (واللذة العظمى) الابدية وكل لذة سواها فى الدنيا فانها وهمية (والفوز) اى الظفر بغاية المنى (والفلاح) اى الخير الكثير (والسعادة الكبرى) التى لاشقاوة بعدها ابدا (وان الظفر) معطوف على ان الدار الآخرة (بها) متعلق بالظفر اى بهذه الامور الاخروية المذكورة (لايحصل) لاحد ابدا (الا بمتابعة) وهى عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير (خاتم) بكسر التاء اسم فاعل وبفتح التاء الطابع ذكره ابن ملك فى شرح المجمع (النبيين) جمع نبى من النبوة وقد سبق تعريفها وقرئ خاتم بالكسر والفتح فمن قرأ وخاتم بالكسر فمعناه ختم النبيين ومن قرأ وخاتم بالفتح فمعناه آخر النبيين لانبى بعده صلى الله عليه وسلم قاله الزجاج فى كتابه معانى القرآن وقال البيضاوى خاتم النبيين آخرهم الذى ختمهم اوختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولايقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ (سيدنا) معشر الموجودين الآن (وسيد) بصيغة اسم الفاعل فيهما من السيادة يقال ساد قومه يسودهم سيادة وسؤددا وسيدودة فهو سيدهم اذا علا عليهم وارتفعت رتبته (الاولين) من الانبياء وغيرهم (والآخرين) الى يوم الدين وقدمنا بيان فضيلته صلى الله عليه وسلم على جميع العالمين واذا كان الانبياء الماضون عليهم السلام مأمورين بمتابعته صلى الله عليه وسلم على تقدير ان يدركوا زمانه فكيف بامته عليه السلام الذين هم ليسوا بانبياء قال فى المواهب اللدنية وقد اخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه قال تعالى *واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه* الآية اخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبى بعثه من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين وامهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وعن على بن ابى طالب وابن عباس ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس لايضاد ماقاله على وابن عباس رضى الله عنهم ولاينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه ان الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من امهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وان ينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبياء عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لايكون مكلفا فتعين ان يكون الميثاق مأخوذا على الامم قالوا ويؤكد هذا انه تعالى حكم على الذين اخذ عليهم

Marfat.com

الميثاق انهم لوتولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لايليق بالانبياء عليهم السلام وانما يليق بالامم واجيب بان يكون المراد من الآية ان الانبياء لوكانوا فى الحياة اوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى * لئن اشركت ليحبطن عملك * وقد علم الله تعالى انه لايشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال تعالى * ولوتقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين * وقال فى الملائكة * ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم * مع انه تعالى اخبر عنهم بانهم لايسبقونه بالقول وبانهم يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا نزلت هذه الآية على ان الله تعالى اوجب على جميع الانبياء عليهم السلام ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لوكانوا فى الاحياء وانهم لوتركوا ذلك لصاروا فى زمرة الفاسقين فلايكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على امهم من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء اقوى فى تحصيل المقصود وقال السبكى فى هذه الآية انه عليه السلام على تقدير مجيئهم فى زمانه يكون مرسلا اليهم لتكون نبوته ورسالته عامة الجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيمة وتكون الانبياء وامهم كلهم من امته ويكون قوله صلى الله عليه وسلم وبعثت الى الناس كافة لايختص به الناس فى زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا وانما اخذله المواثيق على الانبياء عليهم السلام ليعلموا انه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفى اخذ المواثيق وهى فى معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم فى لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفة وهى كأنها ايمان البيعة التى تؤخذ للخلفاء ولعل ايمان الخلفاء اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبى صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا عرفت هذا فالنبى محمد صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء ولهذا ظهر ذلك فى الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفى الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم ولواتفق مجيئه فى زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك لامر راجع الى وجودهم لاالى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل فهنا لاتوقف من جهة الفاعل ولامن جهة ذات النبى صلى الله عليه وسلم الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد فى عصرهم لزمهم اتباعه بلاشك ولهذا يأتى عيسى عليه السلام فى آخر الزمان على شريعة وهو نبى كريم على حاله لاكما يظن بعض الناس انه يأتى واحدا من هذه الامة نعم انه واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبى صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل مافيهما من امر ونهى فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبى كريم على حاله لاينقص منه شئ وكذلك لو بعث النبى صلى الله عليه

Marfat.com

وسلم فى زمانه اوفى زمان موسى وابراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى امهم والنبى صلى الله عليه وسلم نبى عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل واعظم ومتفق مع شرايعهم فى الاصول لانها لاتختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ اولا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم مما جاءت به انبياؤهم وفى هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيين عنا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كان ظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه جميع الناس اولهم وآخرهم والثانى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد كان ظن انه بالعلم فبان انه زائد على ذلك وانما يفترق الحال بين مابعد وجود جسده صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتأهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لوتأهلوا قبل ذلك، وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فهنا التعلق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذى يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا فى تزويج ابنته اذا وجدت كفؤا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفؤ لا يوجد الا بعد مدة وذلك لايقدح فى صحة الوكالة واهلية الوكيل (فى العقائد) متعلق بمتابعة وهى جمع عقيدة اسم لما يعقد عليه القلب من المعانى الدينية اى يربط يعنى يقطع ويجزم من غير شك ولا تردد لان الشك والتردد كفر وكذلك الظن وهو الطرف الراجح قال تعالى *ان الظن لا يغنى من الحق شيئا * واما قوله * الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم * فقال البيضاوى اى يتوقعون لقاء الله وقيل ماعنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكأن الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع انتهى فيبقى على هذا للظن اطلاقان اطلاق بمعنى رجحان احد الطرفين وهو فى الايمان كفر واطلاق بمعنى التوقع واليقين وهو محض الايمان وقدم المتابعة فى العقائد لانها الاصل لكل متابعة ولتوقف كل عمل عليها ولانها تكون بالقلب والقلب سبب المؤاخذة بالاعمال كما قال تعالى * ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم * ولانها مطهرة لموضع نظر الرب سبحانه كما ذكر النووى رحمه الله تعالى فى رياض الصالحين حديثا طويلا عن ابى هريرة رضى الله عنه وفيه ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم وفى رواية ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وفى رواية ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم

Marfat.com

(وفى الاقوال) جمع قول وهو قول الحق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على وجه العموم دون الخصوص كما كان يفعل النبى صلى الله عليه وسلم ولا يفضح احدا من امته فكان يقول ما بال اقوام يفعلون كذا وفى تفسير الخازن فى قوله تعالى * ولا تجسسوا * عن ابن عمر رضى الله عنهما قال صعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذ ذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله انتهى والحاصل ان امر النبى صلى الله عليه وسلم بالمعروف ونهيه عن المنكر كان على وجه العموم دائما ولم يردعنه عليه السلام انه كان يقول لفاسق معين لا تفعل الفسق بل ولا يظن فى احد من المسلمين الاخير او كيف يتصور ان يصدر منه ذلك وقد قال ولا تتبعوا عوراتهم كما فى الحديث وهل كان يتتبع العورة وينهى عن تتبعها ولا يستترها وفى تفسير الخازن فى المحل المذكور عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيمة انتهى فهذه كيفية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على وجه المتابعة للنبى صلى الله عليه وسلم فى اقواله وسيأتى ان شاء الله تعالى لهذا المبحث زيادة ايضاح فى هذا الكتاب (وفى الاخلاق) جمع خلق وتقدم تفسيره واخلاق النبى صلى الله عليه وسلم كلها عظيمة قال الله تعالى * وانك لعلى خلق عظيم * قال البيضاوى اذ تحتمل من قومك ما لا تحتمله امثالك وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون وفى تفسير الخازن ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة وافعاله الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة فى صاحبه ويدخل فى حسن الخلق التجنب عن الشح والبخل والتشديد فى المعاملات ويستعمل فى حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل فى جميع الامور والتسمح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتشاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع لجميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوصفه الله تعالى بقوله * وانك لعلى خلق عظيم * وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الى الله ولا ارضى عنده منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من اوامر الله وينتهى عنه من نواهى الله تعالى والمعنى وانك لعلى الخلق الذى امرك الله به فى القرآن وقيل

Marfat.com

سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله تعالى * خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين * وقال العز بن عبد السلام وقيل على طبع كريم اجتمعت فيه مكارم اخلاق الانبياء عليهم السلام لانها قصت عليه وقيل له فبهداهم اقتده وفى المواهب اللدنية قال الحليمى وانما وصف خلقه بالعظم مع ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والامانة والدماثة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا فى صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام وقال الجنيد رضى الله عنه وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم تكن له همة سوى الله تعالى وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع مكارم الاخلاق فيه قال عليه السلام فيما رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر ان الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفى رواية مالك فى الموطأ انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه ادب بالقرآن وقال صاحب عوارف المعارف ولا يبعدان قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها فكما ان معانى القرآن لا تتناهى فكذلك اوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى اذ فى كل حالة من احواله يتجدد له من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه الا الله تعالى فاذا التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة صلى الله عليه وسلم تعرض لما ليس من مقدور الانسان ولا من ممكنات عاداته وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق الكريمة فى اصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود الهى ولهذا لم تزل تشرق انوار المعارف فى قلبه حتى وصل الى الغاية العليا والمقام الاسنى واصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل لان به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل قال وهب بن منبه قرأت فى احد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رملة بين رمل من جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا رواه ابو نعيم فى الحلية وابن عساكر وعن بعضهم مما هو فى عوارف المعارف اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون فى النبى صلى الله عليه وسلم وجزء فى سائر المؤمنين (وفى الافعال) جمع فعل وقد فعل صلى الله عليه وسلم الافعال الجميلة

Marfat.com

الحسنة المرضية من بداية امره الى نهايته فكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة
اهله ويقطع اللحم معهن لا يبث بصره فى وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل
الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة وكان
يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم
حلال وان وجد شواء اكله وان وجد خبز قمح او شعير اكله وان وجد حلواء او عسلا
اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا يأكل متكئا ولم يشبع
من خبز قمح ثلاثة ايام متوالية حتى لقى الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا اشد الناس
تواضعا واسكنهم فى غير كبر لا يهوله شئ من امور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة
برد حبرة يمانية ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه فى خنصره
الايمن او الايسر يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة
بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشى راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يمزح
ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره ويسابق اهله
وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم
فى مأكل ولا ملبس يخرج الى بساتين اصحابه لا يحقر مسكينا لفقره ولا يهاب ملكا لملكه
يدعو هذا وهذا الى الله دعاء واحدا وكان اذا لقى احدا من اصحابه بدأه بالمصافحة
ثم اخذ يده فشبكه ثم شد قبضته وكان لا يجلس احد اليه وهو يصلى الا خفف صلاته
وجلس اليه فقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان اكثر جلوسه
ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه
من مجلس اصحابه لانه كان حيث ما انتهى به المجلس جلس وكان اكثر ما يجلس مستقبل
القبلة وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده فى الحديث وكان لا يأكل الحار
ويقول انه غير ذى بركة وان الله تعالى لم يطعمنا نارا فابردوه وكان يأكل مما يليه ويأكل
باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان
وجاءه عثمان بن عفان بفالوذج فأكل منه وقال ما هذا يا اباعبد الله فقال بابى انت وامى
نجعل السمن والعسل فى البرمة ونصفيهما فى النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة اذا طحنت
فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فيأتى كما ترى فقال عليه السلام ان هذا
طعام طيب وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا فى معنى الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا
فى طعام او شراب تحدث معهم وان تكلموا فى امر الدنيا تحدث معهم رفقا بهم
وتواضعا لهم ثم نهض عنهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء
من امر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام الى غير
ذلك من افعاله صلى الله عليه وسلم واحواله الشريفة العظيمة وتمامها مبسوط
فى احياء علوم الدين للغزالى رحمه الله تعالى وفى كتاب المسامرات للشيخ محى الدين

Marfat.com

العربى رضى الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم لا يذكر عنده الا راذل يكرم كريم كل قوم
ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى بشره عن احد ولا خلقه
يتفقد اصحابه ويسئل الناس عما فى ايد الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح
ويوهنه اه وفى الجامع الصغير للسيوطى كان صلى الله عليه وسلم اذا تغدى
لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان يحمل ماء زمزم وكان يحدث حديثا بحيث
او عده العاد لاحصاه وكان يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجارى الى اكثر من ذلك
مما هو مفصل فى كتب الشمائل النبوية والاخلاق المحمدية (وان الشيطان) معطوف
على ان الظرفية بها والشيطان اما من شاط يشوط شوطا فى الارض وهو سرعة السير
لسرعته فى السريان فى باطن الآدمى لتلبيس الامور وعجلته فى الاضلال او من شاط
اذا احترق لغلبة النار يته عليه او من شاط اذا هلك لهلاكه بكفره وعناده فوزنه على هذا
فعلان او من شطن اذا بعد لبعده عن رحمة الله فوزنه فيعال وهو اسم لابليس واولاده
كالانسان اسم لآدم واولاده قال ابو محمد الخازن فى تفسير قوله تعالى *فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم *المراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق
على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة فى قلوب بنى آدم
باقدار الله اياهم على ذلك وقال الواحدى فى تفسير قوله تعالى فى سورة البقرة *فسجدوا
الا ابليس *قال اكثر اهل اللغة والتفسير سمى ابليس بهذا الاسم لانه ابلس من رحمة الله
اى ايس منه والمبلس المكتئب الحزين الآيس وفى القرآن فاذا هم مبلسون وقيل لا يجوز
ان يكون مشتقا من ابلس لانه لو كان كذلك لانصرف ونون كما ينون اكليل وبابه
وترك تنوينه فى القرآن يدل على انه اعجمى معرب والاعجمى لا يعرف له اشتقاق وقال
ابن عباس كان ابليس قبل ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان
من سكان الارض وكان سكان الارض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة
اشد اجتهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله وابى السجود لآدم وعصاه طرده ولعنه
وجعله شيطانا وسماه ابليس (للانسان) وهو لواحد من بنى آدم ذكرا كان او انثى
(عدو مبين) ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء فاخرجهما من الجنة وقال لاحتنكن
ذريته وفى تفسير الخازن يعنى انه بين العداوة لان عداوته قديمة وعن ابى قتادة قال
كنت ارى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة
من الله والرؤيا السوء من الشيطان فاذا رأى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب
واذا رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا ويتعوذ بالله من الشيطان وشرها فانها
لن تضره اه وهذا من عداوة الشيطان لا يسلم منه ابن آدم وفى لا حالة نومه قال الشيخ
المناوى فى شرح الجامع الصغير المؤمن محسود ولعبه شيطانه لشدة عداوته فهو يكيده
ويخزيه من كل وجه ويلبس عليه فاذا رأى رؤيا صادقة خلطها ليفسد عليه بشراه

Marfat.com

اوانذاره اومعاينته ونفسه عون للشيطان اللعين فيلبس عليه بما اهتم به فى يقظته
اه واعلم ان الشيطان وان كان لك عدوا مبينا فانه لايظهر منك الا ماهو فيك
من السوء ولاتأثيرله فيمايصدر منك اصلا كمالاتأثيرلك انت ايضا فى ذلك وانما ينسب
الفعل اليك وينسب سبب ذلك الفعل وهوالوسوسة الى الشيطان العدو والله خالق
كل شئ وهو بكل شئ عليم ولله الحجة البالغة ولوشاء لهداكم اجمعين وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الاسيوطى فى جامعه الصغير بعثت داعيا ومبلغا وليس
الى من الهدى شئ وخلق ابليس مزينا وليس له من الضلالة شئ وقال شارحه المناوى
فالرسل انما هم مستجلبون لامر جبلات الخلق وفطرهم فيبشرون من فطر على خير
وينذرون من جبل على شر والشيطان انما ينشر جبائله لامر جبلات الخلق كما تقرر
فكلا الفريقين لايستأنفون امرا لم يكن بل يظهرون امرا كان مغيبا وكذا حال كل امام
وعالم فى زمنه ودجال وضلال فى اوانه فانما يميز كل منهما الخبيث من الطيب انتهى
فتأمل هذا فى جميع ماسيأتى من امور الشيطان واحذر ان تعتقد ان له لعنه الله تعالى
من امر الله شيئا فانه تعالى قال لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شئ
فكيف يكون لعدو اللعين من الامر شئ انما الامر كله لله ولكن هى كلمات والفاظ تفصح
عن معانى حضرات الله تعالى فى اسمه المضل واسمه الهادى وانه يضل من يشاء بمن يشاء
اى بملابسته لابالاستعانة به ويهدى من يشاء بمن يشاء كذلك (يصد) ى الشيطان

بمعنى يمنع يقال صده عن الامر يصده صدا منعه وصرفه عنه قاله الجوهرى (عنه)
اى عن الظفر بالدار الآخره وما فيها على حسب ماسبق اوعن الانسان والمفعول
محذوف اى الخير بمعنى يمنع ويصرف عن الانسان كل خير وصلاح (صدا) مصدر
مؤكد للفعل المذكور (باقصى) اى بغاية (جهد) بضم الجيم وفتحها اى طاقة
وقدرة كما قرئ * والذين لايجدون الاجهدهم * وجهدهم اى طاقتهم (متين)
من المتانة وهى القوة ومتن الارض ماصلب منها (انما) كلمة حصر (يدعو) يعنى
الشيطان بمعنى يقهر ويغلب (حزبه) اى اشياعه واولياءه وكل من اطاعه لاغير
وهوماذكرنا من ان كل داع الى طاعة اومعصية يميزالله به بين الخبيث والطيب
فقط (ليكونوا) اى من دعاهم (من اصحاب السعير) تقريرلعداوته وبيان لغرضه
فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا قاله البيضاوى وقال السلمى فى قوله
تعالى * ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا * قال الواسطى فاتخذوه عدوا بمانصركم
عليه واحذروا ان يعانيكم فانه انما يدعو اخربه وحزبه هم الراكنون الى الدنيا والمحبون
لها والمفتخرون بها وقالت رابعة رضى الله عنها ارجى آية فى كتاب الله عندى قوله تعالى
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا قالت كأنه يخاطبنا ويقول انا حبيبكم فاتخذونى
حبيبا وقال سهل حزبه اهل البدع والضلالات والاهواء الفاسدة والسامعون ذلك

Marfat.com

من قائلها وقال الواسطى حذروسمى حزبه ومتابعيه وامر بطرده بضياء المبادرة
فى العهود وحفظ الحدود ورعاية الود بطرد الوساوس كما ان بضياء النهار تطرد الكلاب من
المجالس وانشد شعرا * ومن رعى غنما فى ارض مسبعة *ونام عنها تولى رعيها الاسد*
(فخذوا) ياايها المؤمنون (حذركم) منه لئلا يدخل عليكم سوأ ملبسا فى صورة خير
ولاتشعرون به بقدرة لله تعالى الممده له فيما هو بصدده فان الله تعالى اعطاه خلقه
الذى هو مقتضى ماخلق له وهو الاضلال كما اعطى كل شئ خلقه من خير اوشر ثم
هدى اى بين لكم مقتضى خلق كل شئ لا بقدرته هو التى هى فيه سبب الامداد المذكور
(وانخذوه) ى الشيطان (عدوا) لكم فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه
فى مجامع احوالكم (فانه) اى الشيطان (كلب مبير) اى مهلك من البوار وهو الهلاك
وله تكالب على ذلك وحرص شديد قال الامام الغزالى رضى الله عنه فى كتاب شرح
عجائب القلب من احياء العلوم قال جرير بن عبيد العدوى شكوت الى العلاء بن زياد
ما اجد فى صدرى من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذى تمر به اللصوص
فان كان فيه شئ عالجوه والامضوا وتركوه يعنى ان القلب الخالى عن الهوى لايدخله
الشيطان فلذلك قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى
فهو عبد الهوى لاعبد الله فلذلك يسلط عليه الشيطان وقد قال تعالى *افرأيت من اتخذ
آلهه هواه* اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لاعبد الله وقال
عثمان بن العاص يارسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك
شيطان يقال له خنزب اذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت
ذلك فاذهبه الله عنى وفى الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله
منه ولايمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شئ سوى مايوسوس به لانه
اذا حضر فى القلب ذكر شئ انعدم عنه ماكان فيه من قبل ولكن كل شئ سوى الله
وسوى ماتعلق به يجوز ان يكون ايضا مجال الشيطان فذكر الله هو الذى يؤمن
جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولايعالج الشى الا بضده وضد جميع وساوس
الشيطان ذكر الله بالاستغاثة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ولا حول ولاقوة الا بالله وذلك لايقدر عليه الا المتقون الذين
الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بقلبهم فى اوقات الفلتات على سبيل
الخلسة قال الله تعالى *ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون*وقال مجاهد فى معنى قوله من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب
الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطاردبين
ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنار ولتضادهما
قال تعالى *استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله * وقال انس قال رسول الله

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس
وان نسى التقم قلبه وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة
ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال يابى وجه لايفلح وكما ان الشهوات ممتزجة
بلحم الآدمى ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب
من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى
الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان
الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات لتقلب من جوانبه قال تعالى حكاية عن ابليس
*لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم
وعن شمائلهم *قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقة
فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم وقعد له
بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد
فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال تقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك
فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا
على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة
وهى هذه الخواطر التى تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه
عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب
ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمى وانما يختلفون
بعصيانه ومتابعته ولذلك قال مامن احد الا وله شيطان آه واعلم ان الشيطان كما يكون
من الجن على حسب ماذكرنا من اوصافه الرديئة وعداوته لاهل الملة الا سلامية
يكون من الانس ايضا قال الواحدى فى تفسير قوله تعالى * وكذلك جعلنا لكل نبى
عدوا شياطين الانس والجن *يعنى مردة الانس والجن والشيطان كل عات متمرد
من الانس والجن قالوا ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان الشيطان
من الجن اذا اعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان
الانس فاغراه بالمؤمن ليفتنه قال يدل على هذا ماروى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لابى ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت وهل للانس
من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن قال مالك بن دينار ان شيطان الانس
اشد على من شيطان الجن وذلك انى اذا تعوذت بالله من شيطان الجن ذهب
عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا وفى تفسير الخازن فى قوله تعالى
من الجنة والناس قال ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون
من الانس وكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان
الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد فى الوسوسة وان كره السامع

Marfat.com

ذلك انخنس وانقبض (فغاية بغيته) اى الشيطان والبغية بالكسر والضم الحاجة نفسها يقال لى فى بنى فلان بغية وبغية اى حاجة وبغى ضالته وكذلك كل شئ طلبه بغاء بالضم والمد وبغاية ايضا (سلب) اى اخذ وازالة (الايمان) من الانسان بالله تعالى اوبرسله او بشئ مماوزد عنهم من اليقينيات ولو بالتشكيك فيه ليتساوى الانسان معه فى رتبة الكفر التى هوفيهاورتبة الشكوك والترددات فيما هو عين الحق المبين قال ابن اقبرس فى فتح الصفاء شرح الشفاء اختلف العقلاء فى ان ابليس حين اشتغاله بالعبادة كان كافرا ام لا فمنهم من قال انه كان كافرا ابدا واستدل بما نقل صاحب شرح الاناجيل الاربعة من انه وقع المناظرة بين الملائكة وبين ابليس فقال ابليس للملائكة انا اسلم ان الله خالقى وخالق الخلق لكن لى على حكمته اسئلة الاول ما الحكمة فى الخلق لاسيما اذا كان عالما ان الكافر لايستوجب عند حكمته الا الاثم الثانى ما الفائدة فى التكليف مع تنزهه عن عود الفائدة اليه ومايعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير توسط التكليف الثالث هب انه خلقنى لمعرفته وطاعته فلم كلفنى بالسجود لآدم الرابع ثم لما عصيته فتركت السجود لآدم فلم لعننى واوجب عقابى مع انه لافائدة له ولالغيره فيه ولى فيه اعظم الضرر الخامس هب انه فعل ذلك فلم مكننى من دخول الجنة ووسوسة آدم السادس لما فعل ذلك فلم سلطنى على اولاده ومكننى من غوايتهم واضلالهم السابع ثم لما استمهلته المدة الطويلة فى ذلك فلم امهلنى ومعلوم ان العالم كان خاليا عن الشر فاوحى الله اليه من سرادقات الجلال والكبرياء يا ابليس انك ماعرفتنى ولوعرفتنى لعلمت انه لااعتراض على فى شئ من افعالى فانى انا الله لااله الا انا لااسئل عما افعل قال بعض المحققين لاجواب عن هذه الشبهات الا الجواب الذى ذكره الله تعالى واقول ان الله تعالى انما اقتصر له على هذا الجواب لعلمه تعالى بما اودعه فيه من صفة الجهل بحكمته وانه عاجز عن ادراك ذلك اذلازم ماذكره فى الشبه التعطيل ولاشك ان الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا والحكمة فى افعاله تعالى قدتكون خفية فيختلف فيها الحال باختلاف الاشخاص فى الادراك وقدتكون جلية وعندى ان جواب هذه الشبه غير بالغ فى الحفاء وليس هذا المقام يقابل للتطويل بذكر الحكمة فى كل سؤال من هذه الاسئلة لان فيه خروجا عن المقصود اه والحاصل انه لعنه الله كافر بجهله وعناده لماقام عنده من الشبهات التى فتنه الله تعالى بها فهو يوسوس فى صدور الناس ليحملهم على ماوقع منه فيقع منهم نظيره ويكفرون كما كفرهو قال تعالى *كمثل الشيطان اذقال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين *قال الواحدى اذقال للانسان وهوعابد فى بنى اسرائيل واسمه برصيصا ذكر ابن عباس قصته فقال كان فى بنى اسرائيل عابد عبدالله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤن على يده

Marfat.com

وانه أتى بامرأة ذات شرف قدجنت وكان لهـا اخوة فأتوه بها وكانت عنده فلم
يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنهـا
فلما فعل ذلك ذهب الشيطـان حتى اتى احد اخوتها فاخبره بالذى فعل الراهب
وانه دفنها فى مكان كذا وكذا ثم اتى بقية اخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل
الرجل يلقى اخاه فيقول والله لقداتانى آت ذكرلى شيئـا يكبر على ذكره فذكر
بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسـار الملك والناس فاستنزلوه فاقرلهم بالذى
فعل فامر به فصلب فلما رفع على خشبته مثل له الشيطان فقال انا الذى زينت لك
هذا والقيتك فيه هل انت مطيعى فيما اقول لك اخلصك ممـا انت فيه قال نعم قال
اسجدلى سجدة واحدة فسجدله وقتل الرجل فهو قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين وقال البيضاوى فى قوله تعالى
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم فى معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم* وقال
لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم * مقالة نفسانية والمعنى انه القى فى روعهم
وخيل اليهم انهم لايغلبون ولايطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم
اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل
الدينين انتهى وكم له لعنه الله من حيلة على ابن آدم ليوقعـه فى الكفر كما وقع هو فيه
والله خير حافظا وهو ارحم الراحمين (و) غاية بغيته (الخلود) اى خلود الانسان وهو
دوام البقـاء تقول خلد الرجل يخلد خلودا واخلده الله اخلادا وخلده تخليدا قاله
الجوهرى (الدائم) تأكيد له لفظى بموافقه نحو اجل جيرى (فى النيران) اى نيران الكفر
والشرك والعياذ بالله تعـالى فان قلت قال ابو حنيفة رضى الله عنه فى الفقـه الاكبر
لايجوز ان نقول بان الشيطان يسلب الايمان من العبد المؤمن قهرا وجبرا فكيف قال
المصنف رحمه الله تعـالى غاية بغيته سلب الايمان قلت ليس مراده سلب الايمـان
من العبد قهرا عنه وجبرا عليه ولو كان كذلك ما كان العبد كافرا حينئذ لاكراهه
على ذلك وزوال اختياره وارادته عنه بل مراده سلب الايمان باختيـار العبد لتركه
وارادته ذلك حتى يبقى العبد مكلفا فيستحق العقاب ولما كان سببا للسلب بوسوسته
نسب السلب اليه ولهذا قال للانسان اكفر يعنى وسوس له فى نفسه بان يكفر باختياره
وارادته فلما كفر قال انى برئ منك كما مر وقد اجاب ابو حنيفة رضى الله عنه فى الفقه
الاكبر عن ذلك بقوله ولكن نقول العبد يدع الايمان يعنى باختياره وارادته لان الشيطان
وسوس له بذلك فاطاعه فحينئذ يسلبه منه وفى تفسير الخازن فى قوله تعـالى * وقال
الشيطان *يعنى ابليس* لما قضى الامر * يعنى فرغ منه وادخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار فى لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبـا قال مقاتل يوضع له
منبر فى النار فيجتمع اليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله تعالى بقوله * ان الله

Marfat.com

وعدكم وعدالحق *وتقديره فصدق فى وعدى *ووعدتكم فاخلفتكم * وقيل يقول لهم انى قلت لكم لابعث ولاجنة ولانار * وماكان لى عليكم من سلطان * يعنى من ولاية وقهر وقيل لم آتيكم بحجة فيما وعدتكم به *الاان دعوتكم فاستجبتم لى فلاتلومونى ولوموا انفسكم *يعنى ماكان منى الا لدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لاتلتفتوا الى ولاتسمعوا قولى فلما رجحتم قولى على الدلائل الظاهرة فكان اللوم بكم اولى باجابتى ومتابعتى من غير حجة ولادليل *ماانا بمصرخكم * يعنى بمغيثكم ولامنقذكم *وماانتم بمصرخى *يعنى بمغيثى ولامنقذى مماانا فيه *انى كفرت بما اشركتمونى من قبل* يعنى كفرت بجعلكم اياى شريكا له فى عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جحد مايعتقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك (ثم) يتنزل مع الانسان بعد ذلك اذالم يبق له حيلة فى تكفيره والتسبب له بالخلود فى النار فيرضى ان يكون منه (الفسق) وهو الخروج عن طاعة الله تعالى مع الايمان بها كفعل المعاصى وترك المأمورات (الظاهر) على الانسان يعنى الذى يظهر به الانسان عن قصد منه واختيار وللشيطان ابواب يدخل منها على الانسان فيتحكم منه بها فيحمله على مايغويه وهى كثيرة من اكبرها الدنيا قال فى الاحياء للغزالى قال ثابت لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ماذاهو فانطلقوا ثم جاؤه وقالوا ماندرى قال ابليس انا آتيكم بخبره فذهب وجاء وقال بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ماصحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيحمى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروى ان عيسى عليه السلام توسد حجرا فربه ابليس فقال ياعيسى رغبت فى الدنيا فاخذه من تحت رأسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وذكر ايضا قال ان لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو اليه قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شئ من امره فذكر ان اسماءهم ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبوز فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يأمر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبوز فهو صاحب السوق وبسببه لايزالون ملتطمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء الولهان وقد وردت فى ذلك اخبار كثيرة وقد روى عمر بن عبدالعزيز ان رجلا سأل ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبيه واذنه له خرطوم

﴿ طويل ﴾

Marfat.com

طويل دقيق قدادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكرالله خنس ومثل هذا قد يشاهد فى اليقظة بعينه وقدرآه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم على جيفة يدعوالناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا (والظلم) لنفسه بمنعه حقها من الخير وفعله بها مايضرها من الشر ولغيره بمنعه حقه او بفعل مايضره (القاهر) اى الذى يكون بطريق التعدى والجور لامافيه كف عن سوء اوحمل على خير فى النفس اوفى الغير (وادناها) اى ادنى بغية الشيطان اى اقل مايكون من حاجته بالانسان (التثبيط) اى المنع للانسان والتعويق له (فى) فعل (الخيرات)عن المضى فيها وعن انشائها من الاصل وعن الاعتناء بها (والحط)اى التسفل والرضى بالدون (فى المراتب)العلية (والدرجات) العملية بان يقول للانسان لاتترك التنعم واللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر بلية عظيمة فعندهذا اذاذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشدمنه ولابد من احد هما فاذا ذكر العبد وعدالله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذلا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصى ولايمكنه ان يقول المعصية لاتفضى الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه فيترك العبد المعصية وينهمك فى فعل الطاعات فينخذل الشيطان اللعين ويذهب عنه وربما قال له فى نفسه ان الله غفور رحيم وان رحمته واسعة فافعل ماشئت من المعاصى فان الله يغفرها كلها لك كما قال البيضاوى فى قوله تعالى *يا ايها الناس ان وعدالله حق فلاتغرنكم الحياة الدنيا* فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها *ولايغرنكم بالله الغرور* الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وفى تفسير الخازن *فلاتغرنكم الحياة الدنيا* اى لاتخدعنكم بلذاتها ومافيها عن عمل الآخرة وطلب ماعندالله * ولايغرنكم بالله الغرور* اى لايقل لكم اعملوا ماشئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور بقوله ان الشيطان لكم عدو انتهى والحاصل ان الشيطان له وساوس يلقيها فى نفوس اهل الغفلة عن شهود الله تعالى فيحملهم بها على الكفر اولا فان لم يمكنه بان وفقهم الله تعالى للاحتفاظ على ايمانهم يحملهم على فعل المعاصى وارتكاب الآثام من الذنوب القاصرة على نفوسهم والذنوب المتعدية الى غيرهم فان لم يمكنه ذلك حملهم على التوانى والتضاعف والتكاسل فى العبادات والطاعات وحرمهم نيل المراتب والدرجات العاليات وهذا الترتيب دأبه وعادته فى كل احد لايقنع بالادنى الااذا عجز عن الاعلى ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى (ولايرضى) يعنى الشيطان (به) اى بكل واحد من التثبيط والحط المذكورين (الا عند اليأس) اى القنوط بالكلية (من غيره) اى غير

Marfat.com

كل واحد منهما فان آيس من الكفر رضى بالفسق وان آيس من الفسق رضى بالتثبيط
فى الطاعات والحط عن الدرجات العاليات. (نعوذ) اى نلتجى ونحتمى ونستجير (بالله)
الذى خلقنا وخلقه (ثم نعوذ) تأكيد لفظى للاول (بالله) كذلك (من شره) اى
الشيطان قال الخازن فى تفسير قوله تعالى * واما ينزغنك من الشيطان نزغ * النزغ
شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه اى يبعثه على مالا ينبغى فاستعذ بالله
اى من شره انه هو السميع اى لاستعاذتك العليم باحوالك قال الغزالى فى الاحياء فان
قلت فما العلاج فى دفع الشيطان وهل يكفى ذكر الله وقول الانسان لاحول ولاقوة
الا بالله فاعلم ان علاج ذلك سد مداخله وتطهير القلب من الصفات المذمومة وليس
فى الآدمى صفة مذمومة الا وهى سلاح الشيطان ومدخل من مداخله نعم اذا قلعت
من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اختبارات وخطرات ولم يكن له
استقرار ويمنعه من الاختبار ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب
الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث
نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى *ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا * خصص ذلك بالمتقى والمتقين ومثل الشيطان
مثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز ينزجر بان تقول له اخسأ
فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولم يندفع
بمجرد الكلام فالقلب الخالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة
اذا غلبت على القلب دفع حقيقة الذكر الى حواشى القلب فلم يتمكن من سويدائه
يعنى داخله فيستقر الشيطان فى سويداء القلب اى فى داخله واما قلوب المتقين الخالية
من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة
عن الذكر فاذا عادت الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى *فاستعذ بالله
وسائر الآيات والاخبار الواردة فى الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان
الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث عار
فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جائعا
واذا شرب سمى فاظل عطشانا واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا
فقال شيطان الكافر ولكننى مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه فى طعامه
وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت
علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته
من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وابعد بيننا وبينه كما بعدت بينه وبين جنتك انك
على كل شئ قدير فتمثل له ابليس يوما فى طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفنى
قال ومن انت قال اللعين قال له وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة

Marfat.com

قال والله لامنعتها ممن اراها فاصنع الآن ماشئت وقال صلى الله عليه وسلم ماسلك عمر فجا الاسلك الشيطان فجا غير فجه وهذا لان القلوب مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهى الشهوات فهما طمعت فى ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع فى ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما نفع الذى شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر دواء والتقوى احتماء يخلى القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما يندفع العلة بنزول الدواء فى معدة خالية عن الاطعمة قال تعالى *ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب * وقال تعالى* كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير* ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول ان الحديث ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل فان منتهى ذكرك وعبادتك صلاتك فراقب قلبك اذا كنت فى صلاتك كيف يتجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين وكيف يمربك فى اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لاتذكر مايشتبه من فضول الدنيا لافى صلاتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلاة محك القلوب فيها يظهر مساويها ومحاسنها فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر وقد فر الشيطان منك كما يفر من عمر رضى الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله لاتسب الشيطان فى العلانية وانت صديقه فى السر اى انت مطيع له اه فقولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وانت فاسد القلب من غير تقوى عندك فى ظاهرك وباطنك لايؤثر شيئا عند الشيطان بل ربما استعان الشيطان على غرورك بقولك ذلك لظنك انك طردت الشيطان عنك بمجرد لقلقة لسانك وانت مقيم على الغفلات والمعاصى ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم (والمؤمن) بالله تعالى وبرسله وماجاء عنهم (الطالب) بظاهره وباطنه مع الاخلاص (للحق) اى لمعرفته سبحانه وتعالى وللوصول اليه (والباقية) وهى الدار الآخرة التى اهلها فيها دائمون خالدون فى نعيم اوعذاب اليم وكل من طلب الامرين معا فهو من الابرار اصحاب السلوك فى طريق المعرفة بالله تعالى ولا وصول لهم اليه تعالى بعد وادنى منهم المنقطعون الواقفون عن الطلب المذكور وهم عامة المؤمنين واعلى من الكل الكاملون الواصلون المقربون وقد اقتصر طلبهم على الله تعالى وحده فهم سائرون به اليه فيه ولما كان هذا الكتاب منحصرا فى بيان رتبة الابرار وذكر رفعتها بالنسبة الى رتبة عامة المؤمنين لم يذكر فيه رتبة المقربين ولا كلامهم (لاتخفى عليه) اى على ذلك الطالب للامرين معا الحق والدار الآخرة الطلبة (الاولى) التى هى

Marfat.com

الحق سبحانه (ولا) الطلبة (الثانية) وهى الباقية اى الآخرة اذكل من طلب شيئا فانه يعرفه وطلب المجهول محال البتة فمن طلب الحق تعالى فلولانه يعرفه بوجه ماوهو طالب كمال معرفته ماطلبه ولاخطر فى باله حسن الوصول اليه سبحانه وكذلك من طلب الآخرة فلولانه يعرفها بوجه من الوجوه ماامكنه ان يطلبها ولا كان يخطر على باله حسنها فكل من تيسر له الطلب المذكور فهو عارف لمايطلب. معرفة الهامية حصلت له بمحض فيض فضل الله تعالى وهو الذى يسمى مريدا فى اصطلاح الصوفية واما من كانت ارادته مجرد تشهى المعرفة الالهية وتشهى الوصول الى الدار الآخرة من غير سعى فى طريق ذلك الموصل اليه فهو صاحب غرور فى الحياة الدنيا وليس بمريد كما ان من اراد السفر الى بلاد مثلا اذاقصد ذلك بقلبه ولم يخرج من بلاده التى هو فيها فانه ليس بمسافر اصلا بل هو مشتهى السفر ومتمنى له وانما المسافر من خرج من اوطانه واعرض عن جميع اهله واخوانه وجرد قصده الى مطلوبه واقبل بكليته الى وجه محبوبه ومن كان كذلك فلايخفى عليه شئ من المسالك ولو فرضنا انه جاهل بالطريق فانه يرى له حيث صدق فى التوجه الف رفيق ولهذا قال الجنيد البغدادى رضى الله عنه المريد الصادق غنى عن علم العلماء كذا نقله القشيرى فى الرسالة يعنى غنيا بالله عن من سواه من كل عالم فالله تعالى يعلمه بالعلماء من اى نوع كان من انسان اوحيوان اوجماد اونبات وعلامة ذلك وجود العلم عنده وكل شئ فى الوجود له عقل وعلم كما بينته مفصلا * فى كتاب لمعات البرق النجدى شرح تجليات محمود افندى (وانما الاشتباه) وهو دخول الشئ فى شبهه يقال اشتبه الامر اذالم يتميز من اشباهه واشكل اذادخل فى اشكاله (والالتباس) مثل الاشتباه فان الشئ اذالبس هيئة الآخر اشتبه به فيقال التبس به حيث لم يتميز عنه (ونفوذ) اى مضى يقال نفذ السهم فى الغرض اذامضى فيه بالذال المعجمة واما بالدال المهملة فهو التمام والفراغ يقال نفد المال اذاتم وفرغ (وسواس) اسم مصدر كالوسوسة مثل الزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والوسوسة الهمز والصوت الخفى وقال العز بن عبد السلام فى تفسيره الوسواس الشيطان واصل الوسوسة الحركة وقيل الصوت الخفى والوسواس الصوت الجلى وحديث النفس وقال الخازن فى قوله تعالى * لذى يوسوس فى صدور الناس * يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع (الخناس) الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذاذكر الانسان ربه قاله البيضاوى وقال العز بن عبد السلام الخناس المختفى عن الاعين وقيل هو الذى يخنس مرة ويوسوس اخرى وقيل المتأخر عند ذكر الله وقيل وهو جاثم على قلب ابن آدم فاذاذكر الله خنس واذاغفل وسوس وقال الخازن الخناس الرجاع وقال قتاده الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب بمنيه ويحدثه

Marfat.com

فاذا ذكرالله خنس واذالم يذكرالله رجع ووضع رأسه على القلب (فى الجاهلين) متعلق بنفوذاى تأثير ذلك فى اهل الجهل وهوخلاف العلم فيشمل الشك والوهم والظن فى الاعتقاديات وان الحق بالعلم فى العمليات والمرادبهم الذين جهلوا ما اوجب الله تعالى عليهم علمه والعمل به من الاحكام الشرعية (المتنسكين) اى المتعبدين من النسك وهى غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة قاله البيضاوى والمرادانهم عابدون لله تعالى مع الجهل به تعالى وبعبادته وفى الخلق اناس كذلك ولكنهم غير معلومين باعيانهم لوجوب الحمل على الكمال وستر عورات المسلمين وحرمة الظن السوء والتجسس عنهم كما ورد فى صريح الآيات والاحاديث وليس مراد المصنف رحمه الله تعالى جماعة مخصوصين لوجوب ظن الخير فيه وانما كلامه عام ليعم النفع به فكذلك يجب ان يكون كلام كل مدرس وواعظ فى كل زمان حتى لايتدنس بالآثام فى باطنه وظاهره فينجع فى غيره كلامه (و) فى (العالمين) بكسر اللام جمع عالم وهو موصوف بالعلم (الغافلين) عن ماهم مأمورون بذكره واستحضاره ومن اسرار التوحيد ولطائف العبادات وهم العلماء المنهمكون فى الشهوات النفسانية المغرورون بالزخارف الدنيوية وهم غير معلومين ايضا باعيانهم ولكن بيانهم على طريق العموم كالاولين قال الله تعالى *والله يعلم المفسد من المصلح (فيما) اى كائنا ان يعنى الاشتباه والالتباس فى الامور التى هى (عداهما) اى غير الحق والباقية المذكورين بمعنى الله تعالى ولآخرة (من) جميع انواع (الشرور) جميع شر ضد الخير من امور الدنيا ومافيها وكون الله تعالى والآخرة لااشتباه ولاالتباس فيهما ولاعلى الجاهلين المتنسكين والعالمين الغافلين لان الله تعالى غيب مطلق والآخرة غيب مقيد والغيب يجب الايمان به قبل الاطلاع عليه ولايقبل الايمان به بعد الاطلاع عليه لانه ليس بايمان اختيارى بل هو شهود ضرورى حينئذ لايتصور فيه التكليف ولهذا لايصح ايمان الكافر اذا شاهد امر الآخرة كما قال تعالى *يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل* والايمان قدر مشترك بين الجاهل والعالم وبين الغافل والمتيقظ كما قال ابو حنيفة رضى الله عنه ايمان اهل السماء والارض سواء وانما التفاوت فيما عدا ذلك من الآيات التى فى الآفاق وفى الانفس يراها الجاهل ظلمات فيحرفها عن مواضعها ويبدلها بعد ماسمعها وتغلب حالته على العالم الغافل فيقتدى به فى ذلك فلهذا سماها شرورا لانها منشأ الشر لكل منهما فان قلت الجاهلون المتنسكون والعالمون الغافلون لايعرفون الله تعالى ولاالآخرة كما يعرف العالمون العاملون الكاملون فكيف يكون الله تعالى والآخرة غير مشتبهين ولاملتبسين عليهما قلت لايتصور الاشتباه والالتباس فى الامر المجوز عن ادراكه للكل الذى اشترك الكل فى الايمان به من غير تحكم عليه بما ليس وارداعنه من الاوصاف والقصور فى القاصرين انما هو من جهة ما عدا الله تعالى والآخرة

Marfat.com

فانها الشرور التى متى اشتغل بها احدانسته ذكر الله تعالى واحضرت عنده كل سوء ونقص وحملته على نسبة ذلك الى الله تعالى والى الآخرة وهما مبرآن من ذلك فالاشتباه والالتباس المنسوبان فى الظاهر عند الجاهل والغافل الى الله تعالى والى الآخرة واقعان فى نفس الامر على ماعدا الله تعالى والآخرة من الامور الدنيوية لانه من لم يعرف نفسه لايعرف ربه ومن لم يعرف احوال نفسه لايعرف الآخرة فالفطرة الانسانية مجبولة على معرفة الله تعالى ومعرفة الآخرة وانما الاشتباه والالتباس فيماعداهما فاذاتقطعت اسباب ماعداهما ظهرت الفطرة الاصلية ظهورا اضطراريا لااختياريا كسبيا فلاينفع ذلك قال تعالى *حتى اذاكنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق *قال البيضاوى *-عوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال العارض من شدة الخوف اه قلت ولاجل هذا شرع الجهاد فيهم لعل ان تتراجع فطرهم ويزول العارض لهم عن معرفة حقيقة الامر بالاغلاظ عليهم والتخويف لهم فيرون الحق حقا والباطل باطلا ويضمحل عنهم الكفر والجهل وفى تفسير الواحدى دعوا الله مخلصين له الدين قال ابن عباس رضى الله عنهما تركوا الشرك واخلصوا لله فى الربوبية وقالوا لئن انجيتنا من هذه الريح لنكونن من الشاكرين الموحدين الطائعين فلما انجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق يعملون فيها بالفساد والمعاصى والجراءة على الله تعالى وقال ابو محمد الخازن يعنى انهم اخلصوا فى الدعا لله عزوجل ولم يدعوا احدا سواه من آلهتهم وقيل فى معنى الاخلاص العلم الحقيقى لااخلاص ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لاينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذاوقعوا فى شدة وضر و بلاء اخلصوا لله عزوجل الدعاء (فدلاهما) اى الشيطان المتقدم ذكره وضمير التثنية راجع الى الجاهلين المتنسكين والعلماء الغافلين (بغرور) بماغرهما به من التنسك مع الجهل والعلم مع الغفلة اومتلبسين بغرور وفى تفسير الواحدى التدلية ارسال الدلو فى البئر فيل اصله تدلية العطشان فى البئر ليروى من الماء ولايجد الماء فيكون مدلى بغرور ثم وضعت التدلية فى موضع الاطماع فيما لايجدى نفعا فيقال دلاه اذا اطمعه فى غير مطمع وقال الخازن فدلاهما بغرور اى فخدعهما يقال مازال فلان يدلى فلانا بغرور يعنى مازال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لايكون الامن اعلى الى اسفل (فيفرطون) بكسر الراء مخففة من افرط فى الامر اذاجاوز فيه الحد قال له الفارابى فى ديوان الادب وهو وصف راجع الى الجاهلين المتنسكين يعنى انهم من جهلهم

Marfat.com

بالاحكام الشرعية يجاوزون حدودها ويتعدون عنها القدر الذى عينه الشارع طمعا منهم ان ذلك حسن فى الشرع فيكثرون من العبادات الصورية بل من البدع والمخالفات ولا يشعرون (او يفرطون) بكسر الراء مشددة من فرط فى الامر بالتشديد اذا ضيعه وتهاون فيه وهو وصف للعالمين الغافلين يعنى انهم من كثرة استيلاء الغفلة على قلوبهم بانهماكهم فى شهوات نفوسهم وغرورهم فى الدنيا مع علمهم بقبح ذلك كله ومعرفتهم طريق النجاح ضيعوا حقوق الله تعالى عليهم واستهانوا بها وضيعوا حقوق العباد ايضا المتعلقة بهم ولم يبالوا بما فعلوا اعتمادا على علمهم الذى هو حجة عليهم قال تعالى * فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون * قال البيضاوى اى غافلون غير مبالين بها وقال العز بن عبد السلام ساهون لاهون اوغافلون لا يبالون صلوا ام لم يصلوا وقيل يصلونها رياء ويتركونها خلاء وقيل يلتفتون فيها تهاونا وقيل لا يذكرون الله ولا يفرون فيها ويتركونها وفى الحديث يؤخرونها عن وقتها بلا عذر وقيل الذى لا يدرى عن ثلاث انصرف اى سلم او عن رابع وقال الخازن لما قال الله تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظ عن علم انها فى المنافقين والمؤمن قد يسهو فى صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سهى فى صلاته تداركه فى الحال وجبره بسجود السهو وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله فى جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذى لا يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ولا يرجو الثواب على فعلها ولا يخاف العقاب على تركها وقال ابو عبد الرحمن السلمى عن صلاتهم ساهون قال بعضهم الذين لا يحضرونها بشهود قلب ورعاية حقوق المناجاة وخشوع الجوارح فيها لا يعلمون ان الصلاة مواصلة بين العبد وبين ربهم فاذا لم يراع حقوقها كانت مفاصلة سمعت عبد الله ابن على البغدادى يقول سمعت احمد بن فاتك يقول سمعت ابا العباس بن عطاء يقول ليس فى القرآن وعيد صعب الا وبعده وعد لطيف غير هذه الآية فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ذكر الويل لمن صلاها بلا حضور من قلبه فكيف بمن تركها رأساسئل ما الصلاة قال اتصال العبد بالله عزوجل من حيث لا يعلم الا الله تعالى اه وهذا شان الجاهلين والغافلين فى جميع عباداتهم وطاعاتهم فى الصلاة وغيرها يتجاوزون الحدود او يقصرون فى اقامة الحدود (وهم) اى الجاهلون المتنسكون والعالمون الغافلون (يحسبون) اى يظنون (انهم يحسنون) فيما يعملون قال الواحدى فى قوله تعالى * قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا * بالقوم الذين هم اخسر الخلق فيما عملوا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا بطل عملهم واجتهادهم فى الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا يظنون انهم بفعلهم محسنون انتهى والاحسان راجع

Marfat.com

الى اتقان العبادات ومراعات حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار فيها كذا فى المفهم لما اشكل من تلخيص مسلم للقرطبى (فاردت) الفاء للتفريع اى يتفرع على ماتقدم انى اردت اى قصدت (ان اصنف) اى اجعل صنوفا اى انواعا واقساما فهو اخص من التأليف الذى هو ابقاع الالفة بين المسائل ولو من نوع واحد وفى المواهب اللدنية للقسطلانى ومن خصائص هذه الامة انهم اوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم ولاتزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتى امر الله رواه الشيخان ولنا كلام على هذا الحديث بشرحه فى كتابنا نهاية المراد شرح هدية ابن العماد (الطريقة) اى السنة والدين وقال الفارابى فى ديوان الادب يقال مازال على طريقة واحدة اى حالة واحدة (المحمدية) المنسوبة الى محمد صلى الله عليه وسلم نبينا ورسولنا (واجبت) معطوف على اردت (ان ابين) اى اكشف واوضح (السيرة) اسم من سار يسير وهى الطريقة خيرا كان او شرا ومنه سيرة العمرين اى طريقتهما قال العينى فى شرح الكنز (الاحمدية) المنسوبة الى احمد وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر القسطلانى فى مواهبه مايزيد على اربعمائة اسم للنبى صلى الله عليه وسلم وقال رأيت فى كتاب احكام القرآن للقاضى ابى بكر بن العربى قال بعض الصوفية لله تعالى الف اسم وللنبى صلى الله عليه وسلم الف اسم اه ومعنى عبارة المصنف رحمه الله تعالى هنا وقد اشتهر بها اسم هذا الكتاب ان مراده ان يذكر فى كتابه هذا طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى مقتضى شرعه المفهومة من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالحين والائمة المجتهدين الخالية من البدعة فى الاعتقاد والعمل والغرض من ذلك (حتى يعرض عليها) اى على هذه طريقة المحمديه والسيرة الاحمدية (عمله) بالباطن والظاهر فيعم الاعتقادات والافعال والاقوال والاحوال (كل انسان سالك) فى طريق الله تعالى الموصل الى رضوانه والجنة فيكون هذا الكتاب ما صنفه مصنفه رحمه الله تعالى الا للعمل بما فيه لايتمتع الفقيه بحفظ الفاظه ودراية معانيه ويزين بعباراته المجالس وقلبه مملوء من الوساوس فهو تحفة العاملين وحسرة الغافلين وميزان السالكين ومعراج الصالحين (فيتميز) بعرض العمل عليها (المصيب) اى الذى وافق الصواب فى عمله (من المخطئ) اى الذى اخطأ فى العمل وهذا فى الدنيا لان الصواب والخطأ يظهر ان اليوم فيمكن التدارك بمعاطاة الاسباب الموجبة لازالة الخطأ شرعا (ويتميز) ايضا (الناجى) وهو المصيب (من الهالك) وهو المخطئ وهذا فى حكم الآخرة لان النجاة والهلاك يظهران فى يوم القيامة وعلامتهما فى الدنيا بان يصيب الطريقة المحمدية او يخطئها والطريقة المحمدية هى ما اشتملت عليه كتب الشريعة والدين علما وعملا واعتقادا (ورتبته) اى هذا المصنف الذى

﴿ هو ﴾

Marfat.com

هوالطريقة المحمدية (على ثلاثة ابواب) . وبيانها على التفصيل * الباب الاول * فى الاعتصام بالكتاب والسنة ومايتبع ذلك وهو ثلاثة فصول الفصل الاول نوعان النوع الاول فى الاعتصام بالكتاب النوع الثانى فى الاعتصام بالسنة الفصل الثانى فى البدع الفصل الثالث فى الاقتصاد فى العمل الباب الثانى فى الامور المهمة فى الشريعة وهو ثلاثة فصول الفصل الاول فى تصحيح الاعتقاد الفصل الثانى فى العلوم المقصودة لغيرها وهو ثلاثة انواع النوع الاول فى المأموربه وهو صنفان الصنف الاول فى فروض العين الصنف الثانى فى فروض الكفاية النوع الثانى فى المنهى عنه النوع الثالث فى المندوب اليه الفصل الثالث فى التقوى وهو ثلاثة انواع النوع الاول فى فضيلتها النوع الثانى فى تفسيرها النوع الثالث فى مجاريها وهو تسعة اصناف الصنف الاول فى منكرات القلب وهو على قسمين القسم الاول فى تفسيرالخلق القسم الثانى فى الاخلاق الذميمة والكفر ثلاثة انواع جهلى وجحودى وحكمى والرياء سبعة مباحث المبحث الاول فى تعريفه وتقسيمه المبحث الثانى فيما به الرياء المبحث الثالث فيما له الرياء المبحث الرابع فى الرياء الخفى وعلاماته المبحث الخامس فى احكام الرياء المبحث السادس فى امور مترددة بين الرياء والاخلاص المبحث السابع فى علاج الرياء ثم الكبر خمسة مباحث المبحث الاول فى تفسيره وضده وحكم ذلك المبحث الثانى فى اقسام الكبر المبحث الثالث فى اسباب الكبر المبحث الرابع فى علامات الكبر المبحث الخامس فى اسباب الضعة والتواضع ثم الحسد اربعة مباحث المبحث الاول فى تفسيره وضده المبحث الثانى فى غوائل الحسد المبحث الثالث فى العلاج العلمى والعملى المبحث الرابع فى العلاج القلعى ثم الحقد فيه ثلاث مقالات المقالة الاولى فى تفسيره وحكمه المقالة الثانية فى غوائله المقالة الثالثة فى سبب الحقد ثم الغضب وفيه خمس مقامات المقام الاول فى تفسيره واقسامه المقام الثانى فى العلاج العلمى المقام الثالث فى العلاج العملى المقام الرابع فى العلاج القلعى المقام الخامس فى الحلم ثم الحلم ثلاث مقاصد المقصد الاول فى فوائده المقصد الثانى فى فوائد ثمرته المقصد الثالث فى طريق تحصيل الحلم ثم البخل مبحثان المبحث الاول فى غوائله وسببه وآفته المبحث الثانى فى سبب حب المال وعلاجه ثم حب الدنيا فيه مقالتان المقالة الاولى فى ذمه وغوائله المقالة الثانية فى ثمراته وذمها وضده ومدحه وفيه مقامان المقام الاول فى ثمراته المقام الثانى فى ضد حب الدنيا ثم الاسراف خمسة مباحث المبحث الاول فى ذمه وغوائله المبحث الثانى فى السر والسبب الاصلى فى مذمومیته المبحث الثالث فى اصناف الاسراف المبحث الرابع فى ان الاسراف هل يقع فى الصدقة المبحث الخامس فى علاج الاسراف الصنف الثانى من الاصناف التسعة فى آفات اللسان وهو قسمان القسم الاول فى وجوب حفظه وعظم جرمه القسم الثانى فى آفاته وفيه ستة مباحث المبحث الاول فى الكلام الذى الاصل فيه الحظر المبحث الثانى

Marfat.com

فيماالاصل فيه الاذن من العادات التى لايتعلق بها نظام المعاش المبحث الثالث فيما الاصل فيه الاذن من العادات التى يتعلق بها النظام المبحث الرابع فيما الاصل فيه الاذن من العبادات المتعدية المبحث الخامس فيماالاصل فيه الاذن من العبادات القاصرة المبحث السادس فى آفات اللسان من حيث السكوت الصنف الثالث فى آفات الاذن الصنف الرابع فى افات العين الصنف الخامس فى آفات اليد الصنف السادس فى آفات البطن الصنف السابع فى آفات الفرج الصنف الثامن فى آفات الرجل الصنف التاسع فى آفات البدن الغير المختصة بعضو معين *الباب الثالث فى امور يظن انها من التقوى والورع وهوثلاثة فصول الفصل الاول فى دقة امر الطهارة وهوار بعة انواع النوع الاول فى كون الدقة فى ذلك بدعة و هوصنفان الصنف الاول فيما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم وخير القرون النصف الثانى فيما وردعن أئمتنا الحنفية النوع الثانى فى ذم الوسوسة وآفاتها النوع الثالث فى علاج الوسوسة النوع الرابع فى اختلاف الفقهاء فى امر الطهارة والنجاسة الفصل الثانى فى التورع والتوقى من طعام اهل الوظائف الفصل الثالث فى امور مبتدعة باطلة اكب الناس عليها على ظن انها قربة وهذا آخرما اشتمل عليه هذا الكتاب من الا بواب والفصول والانوع والاصناف ذكرناها على ماهى عليه ليقف الانسان من اول وهلة على ما تضمنه من بيان الطريقة المحمدية على وجه الاجمال ولم يذكره المصنف رحمه الله تعالى فى خطبته قبل الشروع فى المقصود لطول الكلام عليه وليتشوق الطالب اليه فتتوفر الدواعى الى مطالعته كله وحاصله ان بيان الطريقة المحمدية منحصر فى هذه الابواب الثلاثة ومافى ضمنها من انحصار الكلى فى جزئياته لان كل مسئلة من ذلك تسمى طريقة محمدية مالم يكن هذا اللفظ اسما للكتاب فيصير من انحصار الكل فى اجزائه وذلك لان الكلام عليها اما ان يكون من حيث ذاتها وماهيتها اومن حيث مايعرض لهافان كان الاول فهوالباب الثانى وما تضمنه وان كان الثانى فاما من حيث ماهى عليه من الاوصاف فى نفسها مما يدعو اليها وهو الباب الاول واما من حيث مايشتبه بها وليس منها وهو الباب الثالث (متوكلا) حال من ضمير الفاعل فى قوله ورتبته اى معتمدا (على رب) اى مالك (الارباب) اى المالكين كلهم من خلقه وفى رسالة القشيرى قال سهل بن عبدالله اول مقام فى التوكل ان يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء لايكون له حركة ولاتدبير وقال حمدون التوكل هو الاعتصام بالله و من حكم ابن عطاء الله الاسكندرى رضى الله عنه من علامة النجح فى النهايات الرجوع الى الله فى البدايات فلهذا قال المصنف رحمه الله تعالى ذلك فى ابتداء سلوكه هذه المسالك ﴿الباب الاول﴾ من الابواب الثلاثة وهو مايدخل منه قال والدى رحمه الله تعالى فى احكامه اعلم ان الفصل صنف تحت الصنف المسمى بالباب كما ان الباب صنف تحت الصنف المسمى بالكتاب والكل تحت الصنف المسمى بالعلم المدون والصنف من العلم بمعنى الادراك جنس و ماتحته من اليقين والظن

﴿ نوع ﴾

Marfat.com

نوع والمدون يكون ظنيا كالفقه وقطعيا كالكلام والحساب والهندسة فواضع العلم لما لاحظ
الغاية المطلقة له فوجدها تترتب على العلم باحوال شتى اواشياء خاصة وضعه ليبحث
عن احواله من تلك الجهة فقد قيد ذلك العلم بعارض كلى فصار صنفا وقيل للواضع
صنف هذا العلم اى جعله صنفا فالواضع للعلم اولى باسم المصنف من المؤلفين وان صح
ايضا فيهم (فى الاعتصام) اى الامتناع والاحتفاظ من المعصية وهى المنع كما فى قوله
تعالى *لاعاصم اليوم* اى لامانع والله يعصمك من الناس اى يمنعك (بالكتاب) هو القرآن
العظيم (والسنة) اى سنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وتقدم بيانها (والاحتراز)
اى التوقى (عن العادات) جمع عادة وهى ما يعود من افعال الانسان مرة بعد اخرى
(السيئة) اى القبيحة المنكرة فى الشرع (والبدع) جمع بدعة معطوف على العادات السيئة
على طريقة البيان لها لان العادة تثبت بمرة على رأى بعضهم اوهى اعم من العادات
لاشتراط التكرار فى العادة دون البدعة فيكون من عطف العام على الخاص لقصد
التتميم (المحدثة) صفة كاشفة اذكل بدعة محدثة نظير قوله تعالى *يحكم بها النبيون
الذين اسلموا (والاقتصاد) مصدر كقولك اقتصد فى النفقة اذالم يسرف ولم يقتر قاله
الفارانى فى ديوان الادب (فى الاعمال) المرضية فى الشرع (والتوسط) وهو معنى
الاقتصاد مصدر توسط يتوسط (والاجتناب) اى التباعد (عن الطرفين) المذمومين
شرعا وعقلا قال الجوهرى الطرف بالتحريك الناحية من النواحى والطائفة من
الشئ وفلان كريم الطرفين يراد به نسب ابيه ونسب امه فالطرف الاول (الافراط)
اى الاكثار والزيادة يقال افرط فى الشئ اذا اشتط فيه وبالغ (و) الطرف الثانى
(التفريط) وهو التقصير يقال فرط فى الشئ اى قصر فيه فيكون هذا الباب مشتملا
على ثلاثة امور فلهذا قال (وهو) اى هذا الباب (ثلاثة فصول) لكل امر من تلك
الامور الثلاثة فصل يبينه (الفصل الاول) من الفصول الثلاثة (نوعان) تثنية نوع
وهو القسم من الشئ (النوع الاول) من هذين النوعين (فى) بيان (الاعتصام)
اى الاحتفاظ على النفس والدين والعقل والمال والعرض وهى الخمسة التى يجب
على كل مكلف الاحتفاظ عليها كما قررته مفصلا فى كتاب المطالب الوفية (بالكتاب)
اى كتاب الله تعالى (الكريم) لان مضمونه الكرم على العباد اولانه من عند الله
(والقرآن) بيان للكتاب (العظيم) من العظمة وهى كبر الشان والمراد بالاعتصام
بالكتاب الايمان به والدخول فى ربقة احكامه عن رضا وتسليم حتى تصير تلك
الاشياء الخمسة محفوظة له محترمة محصنة بالحصن الشرعى محمية من كل متعرض
لها (و) الدليل على ذلك (الآيات) الواردة فيه وهى جمع آية قال السيوطى
فى الاتقان حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ ومقطع مندرج
فى صورة واصلها العلامة ومنه ان آية ملكه لانها علامة للفضل والصدق اوالجماعة

Marfat.com

لانها جماعة كلمة وهى الواحدة من المعدودات فى السور سميت به لانها علامة على صدق من اتى بها وعلى عجز المتحدى بها وقيل لانها علامة على انقطاع ماقبلها من الكلام وانقطاعه عما بعدها قال الواحدى وبعض اصحابنا يجوز على هذا القول تسمية اقل من الآية لولا ان التوقيف ورد بما هى عليه الآن وقال ابو عمر والدانى لا اعلم كلمة هى وحدها آية الا قوله مدهامتان قال غيره بل فيه غيرها مثل والفجر والضحى والعصر وكذا فواتح السور عند من عدها وقال بعضهم الصحيح ان الآية انما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السور وقال الآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذى بعدها فى اول القرآن وعن الكلام الذى قبلها فى آخر القرآن وعما قبلها وعما بعدها فى غيرهما اى غير الاول والآخر مشتمل على مثل ذلك قال وبهذا القيد خرجت السورة انتهى وجملة الآيات التى ذكرها المصنف رحمه الله تعالى هنا اثنتى عشرة آية من سور متفرقة مترتبة * الآية الاولى اول سورة البقرة ولايخفى حسن بدايته بها تبركا واقتداء بكتاب الله تعالى فى اول كتابه وهى قوله تعالى (الم) كثر اختلاف المفسرين فى الحروف المقطعة فى القرآن فذهب قوم الى ان الله تعالى لم يجعل لاحد سبيلا الى ادراك معانيها وانها مما استأثر الله تعالى بعلمها فنحن نؤمن بظاهرها ونكل علمها الى الله تعالى قال الشعبى ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك وفسرها الآخرون قال ابن عباس معنى الم انا الله اعلم وان كل حرف منها له تفسير قال والدليل ان العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التى هو منها وانشد * قلت لها قفى فقالت قاف * فنطق بقاف فقط يريد قالت اقف وقيل ان الم وسائر حروف التهجى فى القرآن اسماء للسور ذكره الواحدى وقال ابو محمد الخازن قيل ان حروف الهجا فى اوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه وهى سر الله تعالى فى القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى كل كتاب سر وسر الله تعالى فى القرآن اوائل السور وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى وقال آخرون من اهل العلم هى معروفة المعانى ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل هى اسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الرحمن فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعا وقال ابن عباس هى اقسام قيل اقسم الله بهذه الاحرف لشرفها وفضلها لانها مبانى كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على

Marfat.com

بعضهـا وان كان المراد كلها فهوكما تقول قرأت الحمدلله وتريدانك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هوالكتاب المثبة فى اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوابسورة من مثله بعشر سور مثـله فعجزوا عنه انزل هذه الاحرف ومعناهـا ان القرآن ليس الامن هذه الاحرف وهم قادرون عليها فكان يجب ان يأتوا بمثله فلما عجزهم عنه دل ذلك على انه من عندالله لامن عند البشر وقيل انهم لما اعرضوا عن سمـاع القرآن واراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى مايجئ به محمد صلى الله عليه وسلم فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ فى قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم وقيل ان الله تعالى حيرعقول الخلق فى ابتداء خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحدالى معرفة خطابه الاباعترافهم بالعجز عن معرفة حقيقة حطابه (ذلك الكتاب) ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف اوفسر بالسورة اوالقرآن فانه لما تكلم به وتقضى اوواصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته اوخبره الذى هوهو قاله البيضاوى وقال الواحدى ذلك يجوز ان يكون بمعنى هذا عند كثير من اهل التفسير ومثاله فى الكلام انك تقول قدم فلان فيقول السامع قد بلغنا ذلك او يقول بلغنا هذا الخبر وقيل انما قال تعالى ذلك الكتاب فاشار الى غائب لانه اراد هذه الكلمات يامحمد ذلك الكتاب الذى وعدتك ان اوحيه اليك لان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم انا سنلقى عليك قولا ثقيلا كان واثقا بوعدالله اياه فلما انزل عليه الم ذلك الكتاب دله على الوعد المتقدم والكتاب مصدر كتبت ويسمى المكتوب كتابا كما يسمى المخلوق خلقا واصل الكتب فى اللغة الضم والجمع والكتابة جمع حرف الى حرف (لاريب فيه) معنـاه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لايرتاب العاقل بعدالنظر الصحيح فى كونه وحيدا بالغـاحد الاعجاز لان احدا لايرتاب فيه قاله البيضـاوى وقال الخـازن اى لاشك فيه انه من عندالله وانه الحق والصدق وقيـل هوخبر بمعنى النهى اى لاترتابوا فيه قال الواحدى فان قيـل كيف قال لاريب فيـه وقد ارتابت فيه المرتابون قيـل معنـاه انه حق فى نفسه وصدق وان ارتابت فيه المبطلون كما قال الشاعر *ليس فى الحق يا مامة ريب* انما الريب مايقول الكذوب * فنفى الريب عن الحق وان كان القاصر فى العلم يرتاب (هدى للمتقين) اى يهديهم الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال تعالى لعلى هدى اوفى ضلال مبين ولانه لايقال مهدى الالمن اهتدى الى المطلوب ذكره البيضاوى وقال الواحدى معنى الاتقاء فى اللغة الحجز بين الشيئين يقال اتقـاه بترسه اى جعل الترس حاجزا بينه وبينه فالمتقى هوالذى يتحرز بطاعته عن العقوبة ويجعل اجتنابه عما نهى وفعله

Marfat.com

ما امر حاجزا بينه وبين العقوبة التى توعد بها العصاة والمراد بالمتقين فى هذه الآية المؤمنون الذين اتقوا الشرك وجعلوا ايمانهم حاجزا بينهم وبين الشرك كأنه قال القرآن بيان وهدى لمن اتقى الشرك وهم المؤمنون وخص المؤمنون بان الكتاب بيان لهم دون الكفار الذين لم يهتدوا به لانتفاعهم به دونهم كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها وكان صلى الله عليه وسلم منذرا لمن يخشى ولمن لم يخش وقيل معناه هدى للمتقين والكافرين فاكتفى باحد الفريقين عن الآخر كقوله تعالى *سرابيل تقيكم الحر وارادالحروالبرد فاكتفى بذكراحدهما وقال الخازن فان قيل كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيزالكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ماهوثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وقال البيضاوى وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجاز اوتفخيما لشانه *الآية الثانية فى سورة آل عمران وهى قوله تعالى (واعتصموا) اى تمسكوا (بحبل الله) اى بدينه الاسلام اوبكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعارله الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردا كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردى واستعار للوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز قاله البيضاوى وقال لواحدى حبل الله الجماعة وقال قتادة والسدى والضحاك هو القرآن وقيل الاعتصام بحبل الله هو ترك الفرقة واتباع القرآن لان المؤمن اذا اتبع القرآن امن العذاب وقال مجاهد وعطاء بهعد الله وبامره وسمى عهد الله حبلا لانه سبب النجاة كالحبل الذى يتمسك به للنجاة من بئر ونحوها (جميعا) اى مجتمعين عليه (ولاتفرقوا) اى ولاتنفرقوا عن دين الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب اولا تذكروا مايوجب التفرق ويزيل الالفة ذكره البيضاوى وقال الواحدى اى تناصروا على دين الله ولاتتفرقوا وقال الخازن وقيل معناه ولاتحدثوا مايكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التى انتم عليها ففيه النهى عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لايكون الاواحدا وماعداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهى عن الاختلاف فى الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه والله اعلم* الآية الثالثة فى سورة المائدة وهى قوله تعالى (قدجاءكم من الله نور) اى ضياء من الضلالة يعنى الاسلام وقيل النور محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى يبين الاشياء قاله الواحدى وقال الخازن انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور فى الظلام (وكتاب مبين) يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال وفيه بيان مايختلفون فيه (يهدى به الله) اى بالكتاب المبين كما قاله الواحدى وقال البيضاوى وحد الضمير لان المراد بهما واحدا ولانهما فى الحكم كواحد انتهى يعنى ان المراد بالنور والكتاب المبين شى واحد وهو القرآن العظيم فالعطف للبيان اذ الكتاب نور من الله وعلى

Marfat.com

التغاير الذى هوالاصل فى العطف همافى حكم شئ واحد لاشتراكهما فى الابانة والكشف عن الامور (من اتبع رضوانه) اى اتبع مارضيه الله تعالى بمامدحه واثنى عليه و هودين الاسلام (سبل) اى طرق (السلام) قال ابن عباس يريد دين الاسلام دين الله والسلام اسم من اسماء الله تعالى وقال جائز ان يكون اراد طرق السلام اى طرق السلامة التى من سلكها سلم فى دينه ويجوز ان يكون اراد سبل السلام كما قال تعالى لهم دار السلام عندربهم و يراد بها طرق الجنة ولكنه على حذف المضاف اى سبل دار السلام ذكره الواحدى وقال البيضاوى اى طرق السلامة من العذاب اوسبل الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) يعنى من انواع الكفر الى الاسلام (باذنه) يعنى بتوفيقه وهدايته وارادته (ويهديهم الى صراط مستقيم) الى طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤداليه لامحالة ذكره البيضاوى وقال الواحدى هو الذى يأخذ بصاحبه حتى يؤديه الى الجنة يعنى الاسلام * الآية الرابعة فى سورة الانعام وهى قوله تعالى (وهذا كتاب) يعنى القرآن (انزلناه مبارك) اى كثير النفع والخير والبركة ولايتطرق اليه نسخ قاله الخازن (فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه وهو العمل بمافيه ذكره البيضاوى وقال الواحدى اتبعوا حلاله واتقوا حرامه لتكونوا راجين للرحمة وقال الخازن فاتبعوه يعنى فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهى والاحكام واتقوا يعنى مخالفته لعلكم ترحمون يعنى ليكن الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكى ترحموا على جزاء التقوى * الآية الخامسة فى سورة يونس وهى قوله تعالى (يا أيها الناس) قال ابن عباس يريد قريشا وقيل هم على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبرى (قدجاءتكم موعظة من ربكم) يعنى القرآن والوعظ زجر مقرون بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة الاتابة عما يدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق ذكره الخازن وقال البيضاوى اى قدجاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التى هى شفاء لمافى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد (وشفاء لمافى الصدور) يعنى ان القرآن دواء وشفاء لمافى القلوب من داء الجهل وذلك ان داء الجهل اضر للقلب من داء المرض للبدن وامراض القلب هى الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الله تعالى الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهواعز موضع فى بدن الانسان لمكان القلب فيه قاله الخازن (وهدى) الى الحق واليقين (ورحمة للمؤمنين) حيث انزلت عليهم

Marfat.com

فتجوابها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد درجات الجنان والتنكير فى الموعظة للتعظيم وقال الخازن ورحمة للمؤمنين يعنى ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم انتهى *الآية السادسة فى سورة النحل وهى قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (تبيانا لكل شئ) قال البيضاوى بيانا بليغا لكل شئ من امور الدين على التفصيل اوالاجمال بالاحالة الى السنة اوالقياس وقال الزجاج تبيان اسم فى معنى البيان ومثل التبيان التلقاء ولوقرئ تبيانا على وزن تفعال لكان وجها لان التبيان فى معنى التبين ولاتجوز القراءة به لانه لم يقرأ به احد من القراء وقال الخازن تبيانا لكل شئ يعنى من امور الدين اما بالنص عليه او بالاحالة على مايوجب العلم به من بيان النبى صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم بين مافى القرآن من الحدود والاحكام والحلال والحرام اواجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح لعلوم الدين والله اعلم (وهدى) من الضلالة (ورحمة) لمن آمن به وصدق وانما حرمان المحروم من تفريطه (وبشرى) من الله سبحانه وتعالى (للمسلمين) خاصة *الآية السابعة فى سورة الاسراء وهى قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم) اى للحال التى هى اقوم الحالات وهى توحيد الله تعالى شهادة ان لااله الا الله والايمان برسله والعمل بطاعته وهذه صفة الحال التى هى اقوم قاله الزجاج وقال الواحدى اى يرشد الى الكلمة التى هى اعدل الكلمات واصوبها وهى كلمة التوحيد وقال الخازن اى الى الطريقة التى هى اصوب* الآية الثامنة فى سورة الاسراء ايضا وهى قوله تعالى (وننزل من القرآن ماهو شفاء) فمن لبيان الجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذى هو قرآن ماهو شفاء قال قتادة اذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه وعلى هذا معنى كونه شفاء انه ببيانه يزيل عمى الجهل وحيرة الشك فهو شفاء من داء الجهل وقال ابن عباس يريد شفاء من كل داء وعلى هذا معناه ان يتبرك به فيدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار ويؤكد هذا ماروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ذكره الواحدى وقيل ان من للتبعيض والمعنى ان منه مايشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء قاله البيضاوى وقال الخازن شفاء اى بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطنة والثانى الاخلاق المذمومة اما الاعتقادات فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة فى الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كله مشتمل على دلائل المذهب الحق فى هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة فلاجرم كان القرآن شفاء لما فى القلوب من هذا النوع واما النوع الثانى وهو الاخلاق

Marfat.com

المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت ان القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتاب ومايدريك انها رقية (ورحمة للمؤمنين) قال ابن عباس يريد ثوابا لاانقطاع له يعنى فى تلاوته يرحمهم الله بها ويثيبهم عليها ذكره الواحدى (ولايزيد الظالمين الاخسارا) قال الخازن لان الظالم لاينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم وقال الواحدى ولايزيد القرآن الظالمين المشركين الاخسارا لانهم يكفرون به ولاينتفعون بمواعظه والقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسارة الكافرين وقال قتادة عن اويس القرنى قال لم يجالس هذا القرآن احد الاقام عنه بزيادة اونقصان قضاء من الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاخسارا * الآية التاسعة فى سورة العنكبوت وهو قوله تعالى (اولم يكفهم) هذا جواب لقولهم قبله لولا انزل عليه آيات من ربه كما قال الخازن وقال الزجاج كان قوم من المشركين كتبوا اشياء عن اليهود فأتوا بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه السلام كفى بها حماقة قوم اوضلالة قوم ان رغبوا عما اتى به نبيهم الى ما اتى به غير نبيهم الى غير قومهم يعنى كان هذا سبب نزول الآية (انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) يعنى تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لاتضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعنى اليهود بتحقيق مافى ايديهم من نعتك ونعت دينك ذكره البيضاوى وقال الخازن معناه ان القرآن معجزة اتم من معجزة من تقدم من الانبياء عليهم السلام لان معجزة القرآن تدوم على ممر الزمان والدهور ثابتة لاتضمحل كما تزول كل آية بعد كونها (ان فى ذلك) اى الكتاب الذى هو آية مستمرة وحجة مبينة (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى لقوم يؤمنون) وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت قاله البيضاوى * الاية العاشرة فى سورة (ص) وهى قوله تعالى (كتاب انزلناه اليك) ى هذا كتاب يعنى القرآن انزلناه اليك (مبارك) اى كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) ليتفكروا فى اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه فى اوامره ونواهيه ذكره الخازن وقال البيضاوى ليتفكروا فيها فيعرفوا مايدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك (وليذكر اولوا الالباب) وليتعظ به ذوو العقول السليمة او يستحضروا ماهو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لايعلم الا من الشرع وارشاد الى مالا يستقل به العقل ولعل التذكر الاول والتذكر الثانى قاله البيضاوى * الآية الحادية عشر فى سورة الزمر وهى قوله تعالى

Marfat.com

(الله نزل احسن الحديث) يعنى القرآن وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من افصح الكلام واجزله وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل نوع يخالف الكل فى اسلوبه واما الوجه الثانى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وقال العز بن عبد السلام روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله لو حدثتنا فانزل الله تعالى الآية احسن الحديث يعنى اكمله برهانا واجمعه بيانا واعدله حكما واصحه نظما (كتابا متشابها) بدل من احسن اوحال منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة ذكره البيضاوى وقال الخازن اى يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام اى يشبه بعضه بعضا فى التصديق او فى الاعجاز والعدل او يشبه الكتب المتقدمة فى الامر والنهى والترغيب والترهيب (مثانى) جمع مثنى اومثنى قال البيضاوى فى سورة الحجر المثانى من التثنية اوالثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قرأته والفاظه اوقصصه ومواعظه ويثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثنى على الله سبحانه وتعالى بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى وقال الواحدى المثانى جمع مثناة وهو كل شئ يثنى اى يجعل اثنين واكثر وقال العز بن عبد السلام مثانى ثنى فيه القصص وقيل ذكر الجنة والنار اويثنى فى التلاوة فلا يمل اويشتمل على المزدوجات كالامر والنهى والوعد والوعيد والرحمة والعذاب (تقشعر) اى تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب اى قلوب الذين يخشون ربهم ذكره الخازن وقال البيضاوى تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حرف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) من الرجاء وقيل لاعظامه وعند تلاوته وقيل بوعده ووعيده وقال البيضاوى بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق الاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلب لتقدم الخشية التى هى من عوارضه وقال ابو محمد الخازن اى لذكر الله قيل اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وجلبت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه

Marfat.com

كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفى رواية حرمه الله على النار قال بعض العارفين السيارون فى بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا قال قتادة نعت اولياء الله الذين نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك فى اهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتى اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنه كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا فى جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا فى الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد فى اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم، قيل ان المكاشفة فى مقام الرجاء اكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب فاذا حصل الخوف لقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد (ذلك) اى الكتاب الذى هو احسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته وهو الذى شرح الله صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) ومن يخذله ويجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فماله من هاد) يخرجه من الضلال * لآية الثانية عشر فى سورة فصلت وهى قوله تعالى (وانه) اى الذكر يعنى القرآن لان الآية قبله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه (لكتاب عزيز) كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه ذكره البيضاوى وقال العز بن عبد السلام عزيز اى عند الله والمؤمنين وقيل لا يوجد له مثل او ممتنع من ان يأتيه الباطل او على الناس ان يأتوا بمثله وقال الخازن قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز العديم النظير وذلك لان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولا يجئ بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا يأتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) اى مانع عن تبديل معانيه باحكام مبانيه (حميد) مستحق للتحميد بالهام معانيه قاله العز بن عبد السلام وقال البيضاوى من حكيم حاكم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه وقال الخازن من حكيم فى جميع افعاله حميد الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم انتهى الكلام على هذه الآيات فقد دلت بمنطوقها

Marfat.com

ومفهومها على وجوب الاعتصام بكتاب الله تعالى على كل مكلف (و) الدليل على ذلك ايضا (الاخبار) النبوية الواردة فى ذلك جمع خبر وهو الحديث وتقدم بيان الفرق بينهما وبين السنة والاثر واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى رمز فى تخريج هذه الاحاديث والاخبار التى فى هذا الكتاب رموز اكثر من الاسيوطى رحمه الله تعالى ذلك فى جامعه الصغير اختصارا فى الكلام واستدعاء لقوابل الهمم والافهام وجملة ذلك مما اشتمل عليه هذا الكتاب ثمانية وثلاثون رمزا وبيانها ان الخاء المعجمة للبخارى وتكتب هكذا (خ) والميم لمسلم وتكتب هكذا (م) والدال المهملة لابى داود وتكتب هكذا (د) والتاء المثناة لفوقية للترمذى وتكتب هكذا (ت) والسين المهملة للنسائى وتكتب هكذا (س) والطاء المهملة لموطأ مالك وتكتب هكذا (ط) والغين المعجمة للبغوى صاحب المصابيح وتكتب هكذا (غ) والزاى للبزار وتكتب هكذا (ز) وهذه الرموز المفردات وهى ثمانية حروف والمركبات الطاء المهملة والباء الموحدة للطبرانى وتكتب هكذا (طب) والطاء المهملة والكاف للطبرانى فى معجمه الكبير وتكتب هكذا (طك) وطاآن مهملتان للطبرانى ايضا فى معجمه الاوسط وتكتب هكذا (طط) والطاء والصاد المهملتان للطبرانى ايضا فى معجمه الصغير وتكتب هكذا (طص) والطاء المهملة والكاف والصاد المهملة للطبرانى ايضا فى معجمه الكبير والاوسط وتكتب هكذا (طكص) والطاآن المهملتان والصاد المهملة للطبرانى ايضا فى معجمه الاوسط والصغير وتكتب هكذا (ططص) والطاء المهملة والكاف والطاء المهملة ايضا والصاد المهملة للطبرانى ايضا فى معجمه الكبير والاوسط والصغير وتكتب هكذا (طكطص) والحاء المهملة والباء الموحدة لابن حبان وتكتب هكذا (حب) والحاء المهملة والكاف للحاكم وتكتب هكذا (حك) والحاء المهملة والدال المهملة لاحمد بن حنبل وتكتب هذا (حد) والدال المهملة والراء للدارمى وتكتب هكذا (در) والميم والجيم لابن ماجه وتكتب هكذا (مج) والخاء المعجمة والزاى لابن خزيمة وتكتب هكذا (خز) والصاد المهملة والفاء للاصفهانى وتكتب هكذا (صف) والصاد المهملة والباء الموحدة للاصبهانى وتكب هكذا (صب) والقاف والطاء المهملة والنون للدارقطنى وتكتب هكذا (قطن) والهاء والقاف للبيهقى وتكتب هكذا (هق) والباء الموحدة والراء لابن عبد البر وتكتب هكذا (بر) والدال المهملة والياء المثناة التحتية واللام والميم لابى منصور الديلمى وتكتب هكذا (ديلم) والقاف والشين المعجمة للقشيرى وتكتب هكذا (قش) والدال المهملة والنون والياء لمثناة التحتية والالف لابن ابى الدنيا وتكتب هكذا (دنيا) والياء المثناة التحتية والعين المهملة واللام والياء صورة المقصور لابى يعلى وتكتب هكذا (يعلى) والنون والعين المهملة والميم لابى نعيم وتكتب هكذا (نعم) والسين المهملة والنون والياء المثناة التحتية لابن السنى وتكتب هكذا (سنى) والشين المعجمة والياء المثناة التحتية والخاء المعجمة لابى الشيخ وتكتب هكذا (شيخ) والعين المهملة

Marfat.com

والسين المهملة والكاف والراء لابن عساكر وتكتب هكذا (عسكر) والعين المهملة والدال المهملة لابن عدى وتكتب هكذا (عد) والباء الموحدة والراء والكاف لابن مبارك وتكتب هكذا (برك) والراء والزاى والالف والقاف لعبدالرزاق وتكتب هكذا (رزاق) والطاء المهملة والحاء المهملة للطحاوى وتكتب هكذا (طح) وهذه رموز المخرجين لاحاديث هذا الكتاب واخباره كلها اوردناها ليسهل الامر فى الابتداء على مطالع هذا الكتاب وهنا سبعة احاديث الحديث الاول (طك) يعنى روى الطبرانى فى معجمه الكبير باسناده (عن ابى شريح رضى الله عنه انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليس تشهدون ان لااله الاالله وانى رسول الله) هذا الاستفهام لتقرير الكلام وتثبيته واذا دخلت فى جوابه بلى الموضوعة لاثبات الكلام المنفى وابطال نفيه كقوله تعالى *الست بربكم قالوا بلى* اى بلى انت ربنا فجروا النفى مع التقرير مجرى النفى المجرد فلذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لو قالوا نعم لكفروا ووجهه ان نعم لتصديق الخبر بنفى اواثبات ولهذا كان جوابهم هنا انهم (قالوا بلى) اى بلى انه لااله الاالله وانك رسول الله وفائدة هذا الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ليستنطقهم ماهو موجود فيهم من الايمان بالله ورسوله والاسلام لما جاء به من الحق حتى يبتنى عليه قوله بعد ذلك ويتحقق عندهم ويثبت وان كان محققا من قبل وثابتا فى قلوبهم كما انك اذا اردت ان تحدث ابنك مثلا بحديث هو نصح له فقلت له الست ابنى فقال لك بلى انا ابنك فاذا حدثته بعد ذلك بالحديث كان فى غاية التأكيد عنده وكمال النصح له باعترافه بابوتك وكذلك هنا (قال) صلى الله عليه وسلم (ان هذا القرآن) يعنى الكلام القديم المنزل بجبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم المحفوظ فى القلوب بالحروف والكلمات المتخيلة المقروء بالالسنة بالحروف والكلمات اللفظية الهوائية المكتوب فى المصاحف والالواح بالحروف والكلمات الرسمية المدادية فمادة الحروف الاولى الخيال ومادة الحروف الثانية الهواء ومادة الحروف الثالثة الحبر والمداد كما ان موضع الاولى القلب وموضع الثانية الفم وموضع الثالثة القرطاس وهذه الانواع الثلاثة من الحروف فى مواضعها الثلاث صور تتصور بها كلام الله تعالى القديم المنزه عن الحروف والاصوات والمواضع والكلمات فهى كسوته ولباسه فى ظهوره لنا لا على معنى انه حال فيها او متحد بها او متصل بها او منفصل عنها لان كلام الله تعالى صفة وصفات الله تعالى كلها قديمة والقديم لاوجود للحادث معه بوجود آخر من نفس الحادث اومن قديم آخر اذ لا قديم الا واحد عقلا وشرعا بل للحادث وجود بالقديم الواحد ووجود الحادث اذا كان بالقديم كان الوجود للقديم والحادث منسوب اليه الوجود فقط فكيف يتصور الحلول ونحوه فيه والموجود لايحل فى المعدوم اذا علمت هذا ظهر لك فساد قول من قال

Marfat.com

ان كلام الله تعالى مقول بالاشتراك الوضعى على معنيين الصفة القديمة والمؤلف من الحروف والكلمات الحادثة فانه قول يؤول بصاحبه الى اعتقاد الشرك فى صفات الله تعالى وان الله تعالى يوصف بالكلام الحادث مع قدمه سبحانه واشارة النبى هنا فى هذا الحديث الى القرآن تفيد انه واحد لاتعدد له اصلا وهو الصفة القديمة وهو المكتوب فى المصاحف المقروء بالالسنة المحفوظ فى القلوب من غير حلول فى شئ من ذلك ومن لم يفهم هذا على حسب ماذكرنا اصعوبته عليه يجب عليه الايمان به بالغيب كما يؤمن بالله وباقى صفاته سبحانه وتعالى ولايجوز لاحد ان يقول بحدوث مافى المصاحف والقلوب والالسنة * غاية الامر ان القرآن العظيم له طرفان الطرف الواحد مما يلى الحق سبحانه وتعالى لانه كلامه وكلامه صفته والطرف الثانى مما يلى الخلق وهو ظهوره بتلك الانواع الثلاثة من الحروف والكلمات فى تلك المواضع الثلاثة من كل انسان فتتعدد صوره وتتكثر بسبب ذلك مع وحدته فى نفسه كما يتعدد الوجه الواحد اذا ظهر فى المرايا الكثيرة بطريق انطباع آثاره فيها لاحلوله فيها بنفسه وتختلف صور ظهوراته بحسب اختلاف تلك المرايا بالصغر والكبر والطول والعرض ونحو ذلك فلايجوز ان يقال لزيد وجهان احدهما فى جسمه الظاهر والآخر فى وسط المرآة بل يلزم على هذا ان يقال ان له وجوها كثيرة مختلفة بحسب اختلاف تلك المرايا وهو ممتنع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (طرفه) اى القرآن يعنى احد وجهيه (بيد الله) سبحانه وتعالى بحيث لايعلم به الاهو وهو وجه وحدته وكمال نزاهته وتقدسه (وطرفه) اى وجهه الآخر (بايديكم) وهو صوره المتعددة له المسماة عندكم حروفا وكلمات مخيلة اولفظية اورقمية (فتمسكوا به) اى بالقرآن المذكور من حيث ظهوره لكم فى صوره المذكورة وايمانكم به من حيث ماغاب عنكم من اطلاقه عن كل صورة وتنزهه عن ذلك وتقدسه فى ذات الله تعالى (فانكم) ان فعلتم ذلك (لن تضلوا) اى لن تحيروا فى اعتقاد ولا قول ولا عمل فى الدنيا (ولن تهلكوا) فى الآخرة بمخالفة فى شئ من ذلك (بعده) اى بعد القرآن المذكور او بعد تمسككم به (ابدا) لان الله تعالى لم يفرط فيه من شئ وفى ذكر اليد من الجانبين مشاكلة نظير قوله تعالى *فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه *ولم يقل فجازوه واورد هذا الحديث الاسيوطى فى كتابه الاتقان برواية اخرى عن ابى شريح ايضا وزاد فيه قال واخرج ابن ابى شيبة من حديث ابى شريح الخزاعى ان هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده ابدا والسبب الحبل وذكر السبب فى هذه الرواية مما يؤيد ماذكرناه من وحدة القرآن وعدم تعدده لان الحبل الواحد اذا كان له طرفان احدهما بيد واحد والآخر بايدى جماعة لايلزم ان يكون لاجل ذلك حبلين *الحديث الثانى (حب) يعنى روى عن ابن حبان باسناده (عن جابر رضى الله

Marfat.com

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن) يوم القيمة عند الله تعالى (شافع) في المؤمنين المذنبين الذين ماتوا قبل التوبة (مشفع) بصيغة اسم المفعول اى مقبول الشفاعة عند الله تعالى وهذا يقتضى المغايرة بينه وبين الله تعالى مع انه صفته وصفات الله تعالى لا تغايره كل المغايرة على ما قررناه في موضعه فهو باعتبار طرفه الذى بايدينا اللابس صور الحروف والكلمات المتشكل في اشكالها من غير ان تستقل دونه بوجود فيلزم ان يحل فيها كما قدمناه يصح فيه ان يظهر في اى صورة شاء الله تعالى من غير ان يتغير عن اطلاقه وتنزهه وتقدسه كما ورد عن احمد بن حنبل رضى الله عنه انه لما مرض فشارف الاحتضار وابوه جالس عند رأسه يقرؤله سورة يس ثم لقنه الشهادة فكان كلما قال له لا اله الا الله يقول لا فخاف عليه من الفتنة حتى زالت عنه تلك الحالة وبرئ من مرضه فاخبره بذلك فقال تصور لى الشيطان وكان يقول لى افلت مني يا احمد فقلت له لا ورأيت شابا حسن الصورة يدفع عنى الشيطان فسألته من انت فقال انا سورة يس وذكر الغزالى في كتابه الدرة الفاخرة ان القرآن يأتى يوم القيمة في صفة رجل ويشفع فيشفع والاسلام مثله فيخصم ويخاصم وقد ذكرنا حكاية الاسلام عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في كتاب الاحياء وبعد مخاصمته يتعلق به ما شاء الله فيأوى به الى الجنة وكذا تأتى الدنيا في صورة عجوز شمطاء اقبح ما يكون فيقال للناس اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من هذه فيقال لهم هذه الدنيا التى كنتم لها تحبون وعليها تحاسدون وفيها تتباغضون وكذا تأتى الجمعة كأنها عروس تزف احسن ما يكون فتحدق بها المؤمنون وتحيط بها كثبان المسك والكافور عليها نور يعجب منه كل اهل الموقف حتى تدخل بهم الجنة فانظر رحمك الله وجود القرآن والاسلام والجمعة اشخاصا وذلك في الدنيا لا يعقل له عين بل هو متحيز الى العالم الملكوتى وعارف حقيقته لا يقول بخلق القرآن كما قالت الجهمية الى اخر عبارته ووردت احاديث في شفاعة القرآن يوم القيمة فمن ذلك ما ذكره النووى رحمه الله تعالى في رياض الصالحين عن ابى امامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيمة شفيعا لاصحابه رواه مسلم وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى يوم القيمة بالقرآن واهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وال عمران تحاجان عن صاحبهما رواه مسلم وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك رواه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن وفى رواية ابى داود تشفع (وماحل) اى القرآن يعنى خصما مجادلا وقيل معناه ساع من قولهم محل بفلان اذا سعى به الى السلطان قال في القاموس محل به مثلثة الحاء محلا ومحالا قاده بسعاية الى السلطان وما حله مما حله ومحالا قاواه حتى يتبين ايهما

Marfat.com

اشد (مصدق) بصيغة اسم المفعول والمعنى ان القرآن خصم يخاصم عن قارئه العامل به يوم القيامة فيصدقه الحق تعالى فى مخاصمته عنه ومجادلته اوساع بقارئه الغير العامل به الى ربه فيقبل الله تعالى سعايته فيه اوبقارئه العامل به الى الحق تعالى ليرفع درجاته فى مقامات القرب لديه ولا يرد الحق تعالى سعايته بل يصدقه فى كل ما سعى به (من جعله امامه) اى قدامه بمعنى تابعه واقتدى بما فيه من الاحكام والمواعظ واعتبر بقصصه واخباره وتحقق بنصائحه وامثاله (قاده) اى اوصله الى الجنة ومن جعله خلف) اى وراء (ظهره) وفى رواية أنس مرفوعا خلفه بأن ترك العمل به ولم يعتبر بما فيه واهمله واشتغل بما تقتضيه طبيعته ويستحسنه عقله من الاعتقاد والقول والعمل كما قال تعالى *نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون* فقيل اراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن اما نبذهم التوراة فكانوا يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل انهم ادرجوها فى الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها ذكره الخازن وقال الواحدى قوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب يعنى علماء اليهود الذين تواطئوا على كتمان امر محمد صلى الله عليه وسلم وقوله كتاب الله وراء ظهورهم يجوز ان يكون المراد بكتاب الله القرآن ويجوز ان يكون المراد به التوراة لان الذين كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم نبذوا التوراة والنبذ الطرح ويقال لكل من استخف بشئ ولم يعمل به نبذه وراء ظهره وقيل هو بين ايديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به وقيل ادرجوه فى الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ وقوله كأنهم لا يعلمون اعلم الله تعالى انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم بعظيم ما يفعلون حتى كأنهم لا يعلمون ما يستحقونه من العذاب انتهى وهذه عبرة عظيمة فى المؤمنين بالقرآن اذا تركوا العمل به مع المواظبة على قراءته ولم يتعظوا بمواعظه ولم يتحققوا بقصصه واخباره وادرجوه فى الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة واعتمدوا على مجرد تعظيمه والتبرك به من دون احلال حلاله وتحريم حرامه وامتثال اوامره واجتناب نواهيه فانهم عاملون حينئذ نظير عمل اهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم هذه المقالة المذكورة (ساقه الى النار) اى اوصله اليها واستعمل فى الاول القود لانه تسيير الدابة بجذب عنانها من قدامها ومن جعل القرآن امامه فقد جذبه القرآن الى الجنة من قدامه بعنان الطاعة واستعمل السوق فى الثانى لان السوق زجر الدابة من خلفها ومن جعل القرآن خلف ظهره زجره القرآن ودفعه الى النار وفى الكلام اشارة الى انه لا بد من التقليد للمكلف فاما ان يقلد القرآن ويتبع احكامه فينجو واما ان يقلد طبعه وعقله ويجعل القرآن وراء ظهره فيهلك ويفهم من قوله ساقه الى النار ان الاضلال منسوب الى القرآن ايضا فيمن لم يتبعه كالهداية

Marfat.com

كما قال تعالى * يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا * الحديث الثالث (زحك) يعنى
روى البزار والحاكم باسناهما (عن سهل بن معاذ رضى الله عنه عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن) لعل المراد من تعلم قراءته حتى كان متى
اراد قرأه وتلاه وتعلم تفسيره وتأويله لاجل قوله (وعمل به) يعنى بمضمون آياته
من الاحكام والاسرار مع الاخلاص والخشوع بان صار عالما بالقرآن عاملا به على وجه
السنة لا البدعة (البس) بضم الهمزة اى البس الله تعالى (والداه) اذا ماتا مؤمنين
اواحدهما اذا مات كذلك (تاجا) وهو الاكليل تقول توجه فتتوج اى البسه التاج فلبسه
يقال العمائم تيجان العرب قاله الجوهرى (يوم القيامة) يحتمل فى الجنة ويحتمل قبل
دخولها وهما فى المحشر اكراما لهما حيث انتجا هذا السعيد الموفق وجزاء على تعليمه
بانفسهما او بمالهما او باعانتهما له ولو بالدعاء قال تعالى * يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم * يعنى من الشرك والكفر فمن اتى الله بقلب سليم من الشرك والكفر
ينفعه المال والبنون حينئذ كما ورد فى هذا الحديث ولهذا شرطنا الايمان فى الوالدين
ولو كان فى الحديث ابواه مكان والديه لقلنا بدخول الجد والجدة فى ذلك فانه قد يسمى
الجد ابا ولكن لا يسمى والدا كما هو المتبادر (ضوءه) اى ذلك التاج (احسن من ضوء
الشمس فى بيوت الدنيا) من جهة الانارة والاشراق ولم يرد التشبيه بالشعاع
بل بما يظهر عنه فى البيوت من خلف الجدران وفيه كمال البهجة واللطافة (فاظنكم)
يا معشر المؤمنين (بالذى عمل بهذا) يعنى بذلك الولد الذى قرأ القرآن وعمل به
كما ذكرنا فان له عند الله تعالى جزاء اعظم من ذلك لا يوصف واورد هذا الحديث
الاسيوطى فى الاتقان رواية اخرى عن الطبرانى فى الاوسط من حديث ابى هريرة
ما من رجل يعلم ولده القرآن الا توج يوم القيمة بتاج فى الجنة واخرج ابو داود واحمد
والحاكم من حديث معاذ بن انس من قرأ القرآن فاكمله وعمل به البس والداه تاجا
يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فاظنكم بالذى
عمل هذا وفى قوله فاكمله اشارة الى ان من قرأ بعضه لا ينال هذه الفضيلة لعدم
اطلاعه على تمام ما كلف به علما وعملا ويحتمل ان يكون المراد باكماله تصحيح كلماته
وتجويده وتقويم معانيه * الحديث الرابع (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن عبد الله
ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا القرآن مأدبة الله) اى ضيافته
قال فى القاموس المأدبة والادبة بالضم طعام يصنع لدعوة او عرس ادبه يأدبه دعاه
الى طعامه انتهى ووجه كونه مادبة انه مشتمل على انواع من الاقوات الروحانية
والاحكام والحكم والنصائح والمواعظ الممدة للارواح كما يمد الطعام للاجسام
(فاقبلوا مأدبته) اى ضيافته التى هيأها لكم واستعملوا منها (ما استطعتم) اى
مقدار استطاعتكم ولا تردوها عليه فيغضب من عدم استعمالكم لها (ان هذا القرآن

Marfat.com

حبل الله المتين) اى القوى لازله طرفين احدهما بيدالله وهو وجه اطلاقه عن الحروف والاصوات والآخر بايدى العباد وهووجه تقييده بالحروف والاصوات كما قدمناه و بهذا الاعتبار اطلق عليه حبل فكل من تمسك به جذبه الله تعالى اليه فوصل الى معرفته ورضوانه (والنورالمبين) اى الكاشف عن خفايا الملك والملكوت والموضح لمابه رضاء الله تعالى ومابه غضبه ولايخفى مابين المتين والمبين من انواع البديع وهو جناس الصحيف (والشفاء النافع) من كل داء فى النفس اوفى الجسد يشفى امراض القلوب الروحانية بالعلوم الحقيقية ويشفى الامراض البدنية بالتطبب به والرقية القولية والرقية (عصمة) بالكسر اى منع ووقاية وحفظ (لمن تمسك به) فى اعتقاده وقوله وعمله (ونجاة) اى خلاص يقال نجا نجوا ونجاة ونجاية خلص وانجاه الله ونجاه كذا فى القاموس (لمن اتبعه) اى عمل بما فيه من الاوامر والنواهى واتعظ بمواعظه ورغب بترغيبه ورهب بترهيبه وقام بحقوقه عليه قالا وحالا (لايزيغ) اى القرآن قال فى القاموس زاغ مال يزيغ زيغا وزيغانا وزيغوغة والزيغ الشك والجور عن الحق اه والمعنى انه لايميل عن الحق ولايعدل عنه لانه حق من حق (فيستعتب) استعتبه اعطاه العتبى والعتبى الرضاء كاعتبه واستعتبه طلب اليه العتبى ضده كذا فى القاموس والمناسب هنا المعنى الثانى وهوطلب العتبى لا عطاؤها يعنى ان القرآن العظيم لايجور عن الحق باحد اتبعه ولايميل عنه حتى يطلب الرضاء من احد بازالة ذلك الجور منه والميل عن الحق (ولايعوج) عوج كفرح والاسم عوج ككتب ويقال فى كل منتصب كالحائط والعصا فيه عوج محركة وفى نحو الارض ولدين كتب وقد اعوج اعوجاجا وعوجته فتعوج كذا فى القاموس يعنى ان القرآن العظيم *لايدخل فيه عوج لانه صراط الله المستقيم كما قال تعالى * قرآنا عربيا غيرذى عوج * قال البيضاوى لااختلال فيه بوجه ما وقال الخازن اى منزها عن التناقض قال ابن عباس غير مختلف وقيل غيرذى لبس وقيل غيرمخلوق و يروى ذلك عن مالك بن انس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولامخلوق اه فكونه ليس بمخلوق ظاهر وكونه ليس بخالق لانه ليس بمغاير لله تعالى كل المغايرة بل هوصفته سبحانه فالله تعالى هوالخالق به لانه كلامه القديم وامره العظيم كما قال تعالى *انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (فيقوم) اى يزال عوجه يقال قومته ازلت عوجه وقومته عدلته والقرآن العظيم غنى عن التقويم والتعديل قال تعالى * انانحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (ولاتنقضى) اى لاتفرغ قال فى القاموس تقضى فنى وانصرم كانقضى (عجائبه) جمع عجيب يقال تعجبت منه واستعجبت منه كعجبت منه يعنى مافيه من الامور العجيبة لاتفرغ ولاتفنى ولاتنصرم وتنكشف منه المعانى الشريفة على ممر الازمان لقلوب اهل المعرفة والايمان وتتجلى لهم خبايا الاسرار وخفايا الانوار شيئا فشيئا من غير

﴿ فراغ ﴾

Marfat.com

فراغ ولانقصان قال تعالى *قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا *قال الواحدى قال ابن عباس يريد ان كلماته اعظم من ان يكون لها مدو كلام القديم سبحانه صفة من صفات ذاته فلا يجوز ان يكون لكلامه نهاية ومنتهى كما ليس له غاية وحد فاوصاف ذاته غير محدودة وهذا رد على اليهود حين ادعوا انهم اوتوا العلم الكثير وكأنه قيل لهم اى شئ الذى اوتيتم فى علم الله وكلماته التى لاتنفد لو كتبت بماء البحر وقال الخازن المعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر مدهم لفنى ماء البحر ولم تفن كلمات الله ولو جئنا بمثل ماء البحر فى كثرته مددا وزيادة وقال تعالى * ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله* قال البيضاوى والبحر المحيط بشعبه مداد ممدودا بسبعة ابحر مانفدت كلمات الله بكتبها تلك الاقلام بذلك المداد (ولا يخلق) اى لا يبلى يقال خلق الثوب كنصر وكرم وسمع خلوقة وخلقا محركة بلى كذا فى القاموس وهذا وصف على طريق الاستعارة بتشبيه الفاظ القرآن باثوب الذى لا يبلى بل هو مستمر على هيئته الابتدائية لايطرأ عليها ما يخرجها عن اطلاق اسم الجديد الى العتيق البعيد من قولهم ثوب خلق اى بال و هو من باب علم يعلم كذا فى فتح الصفاء لابن اقبرس (من كثرة الترداد) اى تكرار تلاوته يعنى ان قارئه لا يمل منه ولا يسأم على ممر الزمان كما اشار اليه ابن اقبرس ويحتمل ان يكون معناه انه لا يتغير حرف من حروفه ولا يتبدل مع كثرة من يتلوه ويدرسه من العلماء والجهلاء والاعراب والاعجام فان الله تعالى حافظه من ذلك ومقيض له من يرد الخطأ فى تلاوته وفى معناه الى ان يرفعه الله تعالى اليه حتى ورد فى الحديث كما اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قرأ القارئ فأخطأ اولحن اوكان اعجميا كتبه الملك كما انزل قال الشارح المناوى رحمه الله تعالى وفيه ان القارئ يكتب له ثواب قراءته وان اخطأ اولحن لكن محله اذا لم يتعمد ولم يقصر فى التعلم والا فلا يؤجر بل يؤزر اه اما اشتراط انه لم يتعمد فظاهر لان المسلم المؤمن بالقرآن العظيم لا يقع منه فى الغالب ان يتعمد اللحن فيه والتحريف ولكن يقع منه ذلك جهلا لاسيما ولفظ الحديث فيه ذكر الخطأ والخطأ لا يكون عمدا غايته انه قد يكون مقصرا فى التعلم مع مطاوعة لسانه للتصحيح فيأثم واما اذا كان لسانه ثقيلا فى النطق لا يطاوعه ولم يستطع اتقان ذلك فهو معذور مأجور على قراءته وان اخطأ وان لحن كما هو صريح الحديث المذكور ولا تكتبه الملائكة له الا صحيحا كما انزل فقد قيض الله تعالى للقرآن العظيم ملائكة يكتبون الخطأ واللحن فيه صحيحا (اتلوه) امر من التلاوة وهى القراءة وتستحب فى غير الصلاة من المصحف اومن الحفظ عن ظهر القلب والاول افضل لزيادة فضيلة النظر فى المصحف فانه عبادة اخرى غير التلاوة قال الغزالى فى الاحياء قراءة القرآن فى المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتأمل المصحف

Marfat.com

وحمله فيزيدالاجربسببه وقيل الختمة من المصحف بسبع لان النظر فى المصحف ايضا عبادة وقدخرق اى قطع عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من الصحابة رضى الله عنهم يقرؤن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف وقال على رضى الله عنه ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن (فان الله) تعالى (يأجركم) من الاجر وهو الجزاء على العمل وجمعه اجور وآجار اجره يأجره ويأجره جزاه كذا فى القاموس (على تلاوة) اى قراءة (كل حرف) من حروف القرآن وهى حروف التهجى ويطلق الحرف على الكلمة ايضا قال فى شرح الدرر واما تعليمه يعنى الجنب القرآن حرفا حرفا فلا بأس به اتفاقا قال والدى رحمه الله تعالى يعنى كلمة كلمة كما فسره به الحلبى فى شرح المنية ولكن ليس المراد هنا بالحرف الكلمة بدليل ما يأتى (عشر حسنات اما) بفتح الهمزة وتخفيف الميم قال الجوهرى هى تحقيق للكلام الذى يتلوه تقول اما ان زيدا عاقل اعنى انه عاقل على الحقيقة لا على المجاز وتقول اما والله لقد ضرب زيد عمرا (انى لا اقول) كلمة (الم حرف) واحد (ولكن) اقول (الف) منه (حرف) مستقل اى اسم لمسمى ذلك المسمى حرف (ولام حرف) مستقل ايضا (وميم حرف) كذلك وكل حرف بعشر حسنات فقارئ الم له ثلاثون حسنة وان اعتبرنا بسط حروف الف لام ميم فجملة ذلك تسعون حسنة * وجعل هذا الحديث فى كتاب الاحياء للغزالى موقوفا على حديث ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال قال ابن مسعود رضى الله عنه اقرؤا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما انى لا اقول الم حرف ولكن اقول الالف حرف واللام حرف والميم حرف ووصله النووى فى رياض الصالحين حيث قال وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول آلم حرف الف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذى وقال حسن صحيح * الحديث الخامس (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن الحارث بن اغور رضى الله عنه انه قال مررت بالمسجد) لعله مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة (فاذا الناس) اى الصحابة الموجودون هناك حينئذ يخوضون فى الاحاديث) قال فى القاموس خاض الماء يخوضه خوضا وخياضا دخله وكنا نخوض مع الخائضين اى فى الباطل وتخاوضوا فى الحديث تفاوضوا اه والمراد انهم كانوا يتفاوضون فى احاديث الدنيا (فدخلت على على رضى الله عنه فاخبرته) بما وجدت فى المسجد من ذلك (فقال) على رضى الله عنه (اوقد فعلوها) يعنى هذه الفعلة على وجه الانكار لذلك حيث لم يعهده فى السنة النبوية (قلت نعم) يعنى فعلوها (قال) على رضى الله عنه (اما) بالتخفيف كما سبق (انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا) بالفتح والتخفيف تدل على تحقيق ما بعدها قال فى المغنى ويقول

Marfat.com

المعربون فيها حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها وافادتها التحقيق من جهة تركيبها من انهمزة ولاوهمزة الاستفهام اذاخلت على النفى افادت التحقيق نحو اليس ذلك بقادر ذكره الاسيوطى فى الاتقان (انها) يعنى هذه الفعلة المذكورة وهى كلام الدنيا فى المساجد كأنها معلومة عند على رضى الله عنه من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال اوقد فعلوها على طريقة الاستفهام ويحتمل ان يكون الضمير المؤنث للقصة نظير ضمير الشان فى المذكر قال الاسيوطى فى الاتقان قال ابن هشام متى امكن الحمل على غير ضمير الشان فلاينبغى ان يحمل عليه ومن امثلة ضمير الشان والقصة قل هوالله احد فاذاهى شاخصة ابصار الذين كفروا فانهالاتعمى الابصار وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بان يذكر اولا مبهما ثم يفسر (ستكون) اى توجد (فتنة) وهى بالكسر الحيرة فتنه يفتنه فتنا وفتونا وافتنه والضلال والاثم والفضيحة والاضلال واختلاف الناس فى الآراء كذا فى القاموس وهذه المعانى الستة منا سبة هنا (قلت) يعنى قال على رضى الله عنه (فما المخرج منها يارسول الله) اى ماموضع الخروج بالسلامة من تلك الفتنة (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم المخرج منها (كتاب الله) تعالى اى التمسك به وترك الآراء العقلية فان فيه بيان حكم هذه المسئلة كما قال تعالى *فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه * قال ابو محمد الخازن المراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله فى الارض تضئ لاهل السماء كما تضئ النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الانبى الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلاها قبلة و بيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء اسس على التقوى و بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا اذن الله ان ترفع اى تبنى وقيل تعظ فلا يذكر فيها الخنا اى المكروه من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار و يذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه اه ففى كتاب الله بيان حكم كل شئ حتى المسئلة المذكورة فى التكلم فى المساجد بكلام اهل الدنيا وفيه المعافاة من كل داء والسلامة من كل فتنة وكل محنة ظاهرا وباطنا (فيه) اى فى كتاب الله (نبأ) اى خبر (ما) اى الذين (قبلكم) وقد يستعمل موضعها من فهما سواء فى الاطلاق على من يعقل كما بينته فى كتاب خمرة الالحان و رنة الالحان (وخبر مابعدكم) يعنى علوم الاولين والآخرين وهى قصص الامم الماضية وحديث هذه الامة الى يوم القيمة (وحكم مابينكم) فى الدنيا من حلال وحرام ومندوب ومكروه ومباح وصحيح وفاسد وفى الآخرة من ثواب وعقاب وعتاب وسؤال وحساب وخلود فى نعيم اوفى عذاب اليم (هو) يعنى كتاب الله (الفصل) اى الحق من القول او القضاء بين الحق والباطل كذا فى القاموس وضمير الفصل للحصر اى لافصل غيره كما قال *هو الحق

Marfat.com

مصدقا (ليس) هو (بالهزل) اى لم ينزل باللعب فهو جد ليس بالهزل قاله الواحدى وقال العز بن عبدالسلام بالهزل باللعب اوالعبث اوالباطل اوالكذب وقال ابن اقبرس قوله هوالفصل ليس بالهزل اشارة الى قوله تعالى *انه لقول فصل وماهو بالهزل (من تركه) اى لم يعمل به ولم يقف عند حلاله وحرامه ولم يتعظ بمواعظه فيرغب فى ترغيبه ويرهب من ترهيبه وينتصح بنصائحه (من جبار) بيان لمن تركه اذالتارك له لايكون الاجبارا وهوكل عات والعظيم القوى الطويل وقلب لا تدخله الرحمة والقتال فى غيرحق كذافى القاموس وهذه المعانى الاربعة مناسبة هنا (قصمه الله) تعالى قال فى القاموس قصمه يقصمه كسره وابانه اوكسره وان لم يبن فانقصم وتقصم ورجع من حيث جاءاه والمعنى اهلكه الله تعالى ودمره فى كل امر شرع فيه لكونه ترك الاقتداء والاتباع لكتاب الله تعالى وتبع رأيه وعقله (ومن ابتغى) اى طلب يقال بغيته ابغيه طلبته كابتغيته وتبغيته واستبغيته كذا فى القاموس (الهدى) بضم الهاء وفتح الدال الرشاد والدلالة هداه هدى وهديا وهداية وهدية بكسرهما ارشده كما فى القاموس فيستعمل الهدى بمعنى الدلالة فقط كقوله تعالى * واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى اى دللناهم وقوله *وانك لتهدى الى صراط مستقيم *اى تدل وبمعنى الايصال الى الحق كقوله *من يهدى الله فهوالمهتدى وقوله * انك لاتهدى من احببت اى لاتوصل وان دللت والهدى هنا بمعنى الايصال الى الحق (فى غيره) اى فى غير كتاب الله تعالى واما السنة والاجماع والقياس التابع لذلك فهى من الكتاب ايضا بدليل قوله تعالى *وما اتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وقوله *ولا تفرقوا وقوله ولاتنازعوا وقوله كونوا قوامين بالقسط وقوله فاعتبروا ياأولى الابصار فان الاعتبار هوالقياس كما ان النهى عن التفرق والتنازع يقتضى الحث على الاجماع وذكر الخازن فى تفسير قوله تعالى *ومن يشاقق الرسول الآية قال روى ان الشافعى رحمه الله تعالى سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهى قوله *ويتبع غيرسبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين مفارقة الجماعة وهو حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة وذكره البيضاوى ايضا فى تفسير الآية المذكورة (اضله الله) تعالى من الضلال وهو ضد الهدى اذمابعد كتاب الله تعالى هدى لمهتد وكل ماخالف كتاب الله تعالى فهو باطل (وهو) اى كتاب الله تعالى (حبل الله المتين) الذى دلاه من حضرته الغيبية الذاتية الى حضرته الفعلية فنزل الى افعال المخلوقين بمعانى وحروف وكلمات فقرؤه وعملوابه على حسب توفيقهم له فنجوا وكل من تركه هلك (وهو الذكر الحكيم) اى المحكم الممنوع من الباطل وهو القرآن لانه حاكم

Marfat.com

يستفاد منه جميع الاحكام قاله الخازن وقال البيضاوى الحكيم المشتمل على الحكم والمحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه وقال الواحدى الحكيم يعنى الحاكم اى المانع من الفساد وكل مايقبح (وهو الصراط المستقيم) اصله سراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكأنه يسترط السابلة واذلك سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء فى الاطباق وقدتشم الصاد صوت الزاى ليكون اقرب الى المبدل عنه وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق فى التذكير والتأنيث والمستقيم السوى والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام ذكره البيضاوى (وهو الذى لايزيغ) اى لايميل عن الحق (به) اى بسببه (الاهواء) جمع هوى وهو ارادة النفس يعنى ارادات النفوس واهواءها من جميع الخلق لاتزيغ بسبب اتباعه والاقتداء بمافيه عن الطريق الحق وقال ابن اقبرس الزيغ الخروج عن الشئ والحيد عنه يقال زاغ عن الحق اى خرج عنه ومنه قوله تعالى *ربنالاتزغ قلوبنا يعنى عن الهداية لقوله بعد اذهديتنا والاهواء الاغراض النفسانية التى تهوى بصاحبها بالميل الى المهلكات قال الله تعالى *ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه اى مال مع غرض نفسه تابعا اياه والفرق بين الهوى المقصور والممدود ظاهر وقدافرده ابن دريد مصنفا مشهورا والمعنى ان القرآن اذا تمكنت فى القلوب معرفة معانيه واصوله الاعتقادية فلايطرأعنها شبهة تورث زيغا وذلك بتوفيق الله تعالى (ولاتلتبس به الالسنة) هذا فى غاية الظهور لان الله تعالى ميز هذا اللسان العربى عن سائر الالسن ومكن الاسماع من حال هذا التميز كل التمكن فامن اللبس فيه مثل عين الشمس قاله ابن اقبرس وفى القاموس لبس عليه الامر يلبسه خلطه * والبسه غطاه وامر ملبس وملتبس مشتبه والتلبيس التخليط والتدليس والالسنة جمع لسان وهو اللغة والمعنى ان هذا القرآن العظيم من غاية ظهوره ووضوحه لاتلتبس معانيه وحكمه واحكامه وكونه حقا من حق وكونه معجزا للبشر على احد مطلقا واهل جميع اللغات التى للخلق يعرفون هذه الصفة له وينتفعون به وان لم يكن على لغتهم ولاجاء بلسانهم (ولايشبع منه العلماء) قال ابن اقبرس لانه بحر المعانى فكل طمآن يطلب ريه منه اه فقدعدل فيه عن معنى الاكل الى معنى الشرب والمراد انه غذاء العلماء وتربية كمالهم الروحانى لان المراد به مجرد تبريد غلة العطش والمراد بالعلماء الذين يغتذون بكتاب الله تعالى العلماء بالله تعالى الذين استغنوا به عمن سواه وهم اهل الخشية قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * قال الشيخ جمال الدين خليفة فى حاشيته على تفسير البيضاوى اى العلماء بالله دون غيرهم وهم الذين علموه تعالى بجلال ذاته وكمال صفاته وقوة افعاله وعلموا انه كم اهلك من عباده ولم يبال وسينتقم من كثير من العباد يوم القيمة ولايبالى ومايقال من ان الآية تدل على ان الخشية فى العلماء ولاتدل على ان كل عالم فيه

Marfat.com

خشية فدفوع بار مأخذ الاشتقاق يفيد العلية وفى الكشاف فى سورة النازعات لان الخشية لاتكون الا بالمعرفة قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * اى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامور من خشى الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام * من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل * الادلاج السير اول الليل وفى الحاشية المذكورة عند قوله تعالى *وهم من خشيته مشفقون فالعلماء هم العالمون بجلال الله وجماله وعظمته وكماله فمن ذلك علم ان العلماء من هم ومن يقال له عالم (ولا يخلق) اى هو ثوب يعنى ان القرآن شبه ثوب هو جديد يلبسه المؤمن به فيغشيه بنوره فيخلق المؤمن به ويبلى وينتقل فى اطوار خلقته والقرآن جديد لايخلق بل هو على ماهو عليه لانه كلام الله تعالى القديم والقديم لايتغير والمؤمنون به كلهم حادثون والحادث متغير فى كل حال (على كثرة الترداد) بتكرار التلاوة له والايمان به والاحتفاظ على الكمال باردية انواره والتلفف بادرعة حقائقه واسراره (ولاتنقضى) اى لاتفرغ ولاتتم (عجائبه) جمع عجيبة او عجيب على ارادة النوع ومعناه الحالة الحاصلة للمتعجب من الشئ لكونه امرا مستغربا فان قلت ذلك معنى قائم بالمتعجب والاعراض تزول بزوال محالها فما معنى كونه لاتنقضى عجائبه ولابد من انقضاء كل من قام به هذا الوصف قلت ان اعتبر ذلك وصفا قائما بالمعنى القديم فواضح فيه المعنى وان اعتبر وصفا قائما بصورة نظمه من الالفاظ والاصوات والحروف فيكون ذلك على قصد المبالغة فى بقائه دائما الى حين انقراض الخلق وانقضاء الصحف المكتوب تلك الصور فيها كذا اشار اليه ابن اقبرس (هو الذى لم تذته الجن) وهم جنس من الخلق سموا بذلك لاجتنانهم اى استتارهم عن الاعين والنسبة اليهم جنى بالكسر والجنة بالكسر طائفة منهم قال الخازن اختلف الناس قديما وحديثا فى ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا فى ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائى يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولااعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولايعلم عدد انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهى كونها حاصلة فى الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوى وسفلى ولايمتنع فى بعض الاجسام الهوائية اللطيفة ان تكون مخالفة لسائر انواع الاجسام فى الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة شاقة تعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل

Marfat.com

ان الاجسام متساوية فى تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الاشعرى وجمهور اتباعه (اذ) اى حين (سمعته) اى القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخازن اختلفت الرواية هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم فى صحيحه وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخارى ومسلم قال ابن عباس ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجع الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم فقيل حيل بيننا و بين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا وماذاك الامن نبى قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ماهذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فرالنفر الذين اخذوا نحو تهامة بانبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا وقالوا هذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فرجعوا الى قومهم وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم وانما اعلمه الله عز وجل بما اوحى اليه من قوله قل اوحى الى الى آخره واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعى بان الجن والشياطين موجودون يتعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقهم وحالهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الانس والجن فمن دخل فى دينه فهو من المؤمنين ومعهم فى الدنيا والآخرة والجنة و من كذبه فهو الشيطان المبعد من المؤمنين فيهما والنار مستقره وروى الواحدى فى تفسيره باسناده الى علقمة ابن قيس قال قلت لعبد الله من كان منكم مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال ما كان منا معه احد فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة فقلنا اغتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم او استطير فانطلقنا نطلبه فى الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء قلنا يارسول الله اين كنت لقد اشفقنا عليك وقلنا له بتنا الليلة شر ليلة بات بها قوم حين فقدناك فقال انه اتانى داعى الجن فذهبت اقرئهم القرآن فذهب بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم فاما ان يكون صحبه منا احد فلم يصحبه وقال الخازن فى تفسير قوله تعالى * واذ صرفنا اليك نفرا من الجن * قال جماعة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله تعالى اليه نفرا من الجن وهم من اهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه انى امرت ان اقرأ على الجن فايكم يتبعنى فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا فتبعه عبد الله بن مسعود بعد الثالثة قال عبد الله ابن مسعود ولم يحضر معه احد غيرى قال فانطلقنا حتى اذا اتى على مكة دخل نبى الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم امرنى ان اجلس فيه ولا اخرج حتى يعود الى فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت ارى مثال

Marfat.com

النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله صلى الله عليه وسلم وغشيته
اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع
السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الى
فقال لى نمت. فقلت لا والله يارسول الله لقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك
تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال اوخرجت لم آمن عليك ان يختطفك بعضهم
ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين
سألونى المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يارسول الله
يقذرها الناس علينا فنهى النبى صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت
يارسول الله ومايغنى ذلك عنهم فقال انهم لايجدون عظما الاوجدوا عليه لحمه يوم
اكل ولاروثة الاوجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا
فقال ان الجن بدرت فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق واختلفوا
فى عدد اولئك النفر الذين صرفهم الله تعالى من الجن الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى انه كان زوبعة من التسعة الذين
استمعوا القرآن وروى ان الجن ثلاثة اصناف صنف منهم لهم اجنحة يطيرون بها
فى الهواء وصنف على صورة الحيات والكلاب وصنف يرحلون ويظعنون ونقل
بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم
اليهود والنصارى والمجوس وعبدة اصنام وفى مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر
وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع واطبق المحققون من العلماء على ان الكل
مكلفون وسئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (حتى قالوا)
يعنى الجن الذين استمعوا القرآن (انا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس بليغا والمعنى
قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته قاله الواحدى وقال البيضاوى عجبا بديعا مباينا لكلام
الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدى الى الرشد)
يدعو الى الصواب من التوحيد والايمان (فامنا به) بذلك القرآن ذكره الواحدى
(فمن قال به) اى بكتاب الله تعالى يعنى تكلم بما تضمنه من الاحكام والحكم والاسرار
والقصص والمواعظ اومن اعتمد عليه فى جميع احواله الظاهرة والباطنة (صدق)
فى كل مايقول وفى جميع اعماله وافعاله (ومن عمل به) اى بمقتضى مافيه من الامر
والنهى (اجر) بالبناء للمفعول اى اثيب يعنى يكتب الله تعالى له الاجر والثواب
ولايضيع الله تعالى له عملا ابدا بل يضاعفه له اضعافا كثيرة بخلاف من لم يعمل به وعمل
برأى نفسه ومقتضى عقله فان عمله مردود عليه يستحق العقاب عليه
والعذاب (ومن حكم) على نفسه اوعلى غيره (به) اى بما جاء فى القرآن
من احكام النفس والغير فى الظاهر والباطن (عدل) فى حكمه اى وافق العدل

Marfat.com

قال فى القاموس العدل ضد الجور وما قام فى النفس من انه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة عدل يعدل (ومن دعا اليه) اى ساق قال فى القاموس دعاه ساقه والنبى صلى الله عليه وسلم داعى الله ويطلق على المؤذن اه يعنى من دعى غيره من الخلق الى اتباع القرآن والدخول تحت احكامه والاتعاظ بمواعظه والاعتبار بقصصه وامثاله ومعلوم انه قبل ذلك قد دعا نفسه (هدى) بالبناء للمفعول اى هداه الله تعالى بمعنى اوصله (الى صراط) اى طريق (مستقيم) استقام اعتدل وقومته عدلته وهو قويم ومستقيم كذا فى القاموس وهو طريق الحق ومنهج الصدق قال تعالى* ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم* قال الواحدى ومن يعتصم بالله اى يستمسك بحبل الله ويمتنع به فقد هدى الى صراط مستقيم يعنى الاسلام وقال الخازن اى الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدى الى الجنة * الحديث السادس (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فى حجة الوداع) وهى خطبة عرفة قال القرطبى فى شرح مسلم فلما كانت سنة عشر يعنى من الهجرة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجته المسماة بحجة الوداع (قال) فى اثناء خطبته (ان الشيطان) اى جنسه وهو شيطان كل انسان (قد يئس ان يعبد) بالبنا للمفعول اى يعبده احد منكم (بارضكم) وذلك ببركة الايمان بالله تعالى وعبادة الشيطان هى عبادة الاصنام لانه وردان الشيطان كان يكلمهم من داخل الاصنام فيسجدوا له وبعد ظهور الاسلام ايس الشيطان من اهل الاسلام ان يعبدوا الاصنام كما كانوا فى الجاهلية يعبدونها ويؤيده ما فى صحيح مسلم من انه عليه السلام قال فى خطبة الحج الا كل شئ من امور الجاهلية تحت قدمى موضوع فقال القرطبى فى شرحه يعنى به الامور التى احدثوها والشرائع التى كانوا شرعوها فى الحج وغيره وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا ما ليس منه فهو رد (ولكن رضى) اى الشيطان منكم (ان يطاع)اى ان تطيعوه اذا امركم (فيما سوى ذلك) يعنى فى غير عبادة الاصنام التى هى عبادته وذلك (فيما تحتقرون) اى فى الامور التى تحتقرونها (من اعمالكم) ولا تعدونها امرا كبيرا كقوله تعالى فى قصة الافك* وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * قال البيضاوى اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة فيه وهو عند الله عظيم فى الوزر واستجرار العذاب فاحذروا ان يطيعوه فى ذلك او احذروا ان تحتقروا شيئا من اعمالكم فان احتقار المعصية يوجب عظمها عند الله تعالى حتى ذهب بعضهم فى الفرق بين الصغيرة والكبيرة الى ان الانسان اذا استصغر الذنب فهو كبيرة واذا استكبره فهو صغيرة كما بينته فى كتاب المطالب الوفية (انى قد تركت) اى ابقيت (فيكم) اى فيما بينكم وعندكم (ما) اى شى عظيم (ان اعتصمتم) اى تمسكتم به فى جميع اموركم (فلن تضلوا)

Marfat.com

اى لاتقعون فى الضلال مادمتم متمسكين بذلك (ابدا) وهو (كتاب الله) تعالى (وسنة نبيه) صلى الله عليه وسلم وهما شيئان فى الظاهر وشئ واحد فى حقيقة الامر لان الكل وحى قال الشيخ عبد الرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير الاحاديث القدسية تفارق القرآن بانه اللفظ المنزل للاعجاز بشئ منه والحديث القدسى اخبار الله تعالى نبيه عليه السلام معناه بالهمام اومنام فاخبر عنه بعبارة نفسه وبقية الاحاديث لم يضفها اليه ولم يروها فالقرآن اشرف الكل فالقدسى لانه نص الهى فى الدرجة الثانية وان كان بغير واسطة ملك غالبا لان المنظور اليه معناه دون لفظه وفى التنزيل اللفظ والمعنى معا ذكره الطيبى اه وقال القسطلانى فى المواهب اللدنية فى الكلام على قوله تعالى * والنجم اذ هوى ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى * تأمل كيف قال تعالى ماضل صاحبكم ولم يقل ماضل محمد تأكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولاغى ولاضلال ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم ان يصدر عن هوى فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفى نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن نفى الامرين نطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغى والضلال ثم قال تعالى ان هو الاوحى يوحى فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل اى ما نطقه الاوحى يوحى وهذا احسن من جعل الضمير عائدا الى القرآن فان نطقه بالقرآن والسنة وان كلاهما وحى يوحى قال الله تعالى * وانزل الله عليك الكتاب والحكمة * وهما القرآن والسنة وذكر الاوزاعى عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياه * الحديث السابع (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن على رضى الله عنه قال) يعنى عليا رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لقرآن) اى تلاه اوتعلم تلاوته (واستظهره)اى حفظه عن ظهر قلبه قال فى القاموس استظهر به استعان من ظهر القلب اى حفظا بلا كتاب وقرأه ظاهرا واستظهره واظهرت على القرآن واظهرته قرأته على ظهر لسانى اه وحفظ القرآن كله عن ظهر القلب فرض كفاية قال والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام معزيا الى المضمرات حفظ قدر ماتجوز به الصلاة من القرآن فرض عين وحفظ الفاتحة وسورة واجب واما حفظ جميع القرآن ففرض كفاية اه وفى لفظ استظهر الواقع فى الحديث من الادب مالیس فى قولهم حفظ ولهذا نقل الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس فى ترجمة شيخه ابى جعفر العربى رضى الله عنه انه دخل عليه رجل

Marfat.com

معه ابنه قال الشيخ الاكبر وانا الى جانبه جالس فسلم عليه وقال لابنه سلم عليه وكان الشيخ قدذهب بصره فقال له الرجل ياسيدنا ابنى هذا من حملة القرآن يحفظه فتغير الشيخ وصاح وطرأ عليه حال وقال القديم يحمله المحدث القرآن يحمل ابنك ويحملنا ويحفظ ابنك ويحفظنا فهذا كان من حضوره رضى الله عنه (فاحل) الفاء للسببية اذقراءته واستظهاره سبب لذلك (حلاله) اى حلال القرآن يعنى اتخذ الاحكام الحلال التى فيه حلالا ولم يحرم شيئا منها ظاهرا وباطنا (وحرم حرامه) اى اتخذ جميع مافيه من الاحكام الحرام ايضا حراما ولم يحلل شيئا منها والمراد انه اعتقد ذلك وعمل عليه كذلك واما اذا اعتقده ولم يعمل به بان ترك الحلال وفعل الحرام فهو فاسق وان لم يعتقد الحلال حلالا والحرام حراما فهو كافر كما سيأتى بيانه (ادخله الله تعالى به) اى بسببه يعنى بسبب القرآن الذى قرأه واستظهره (الجنة) مع السابقين الاولين ان مات على ذلك وان شقى قبل موته لم ينفعه ذلك وهو محتمل فلايترك لاجل احتماله ماهو الاصل المحقق وهو بقاء ماكان على ماكان (وشفعه) بالتشديد اى قبل الله تعالى شفاعته (فى عشرة) اشخاص (من اهل بيته) ذكور اكانوا اواناثا وهم سكان بيته اباؤه وابناؤه وازواجه وكل من اتصل به من قبل آبائه كماذكره الفقهاء فى كتاب الوقف لوقال اوقفت على اهل بيتى يدخل فيه ابو الواقف وولده من الصلب وكل من اتصل به من قبل آبائه الى احزاب فى الاسلام ومن قبل اولاد الذكور ولا يدخل قوم الام لان الانسان يعد من قوم الاب لا من قوم الام واختلف فى اولاد البنات كما حررته فى شرحى على عمدة الحكام (كلهم) اى العشرة المذكورين على طريقة التغليب بضمير المذكر (قدوجبت له) اى لكل واحد منهم (النار) اى دخولها والتعذيب بها يعنى استحقها لاقترافه الذنوب وموته بلاتوبة على وجه التطهير لاالتكفير لان الكافرين لاتنفعهم شفاعة الشافعين (النوع الثانى) من النوعين اللذين اشتمل عليهما الفصل الاول (فى) بيان (الاعتصام) اى التمسك (بالسنة) اى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى قوله وفعله وسكوته كامر والدليل على ذلك (الآيات) القرآنية وهى سبع عشرة آية من سور شتى تذكر على الترتيب *الآية الاولى من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (قل) يامحمد لليهود والنصارى الذين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اولقريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فقال يامعشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقالت قريش انما نعبدها حباالله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول فى عيسى حباالله وتعظيما له فانزل الله تعالى هذه الآية كذا فى تفسير الخازن (ان كنتم

Marfat.com

تحبون الله) فيما تزعمون وتعبدون الاصنام لتقربكم الى الله (فاتبعونى يحببكم الله) فأنا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم قاله الواحدى وقال الخازن لانه قد ثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين فى ادعاء محبة الله منقادين لاوامره ومطيعين له فاتبعونى فان اتباعى من محبة الله وطاعته وقال البيضاوى المحبة ميل النفس الى الشىء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه اوغيره فهو من الله و بالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته وقال القسطلانى فى مواهبه اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هى المنزلة التى يتنافس فيها المتنافسون واليها تشخص العاملون فهى قوت القلوب وغذاء الارواح وقرة العيون وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذى من فقده فى بحار الظلمات والشفاء الذى من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التى من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهى روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التى متى خلت منها فهى كالجسد الذى لا روح فيه تحمل اثقال السائرين الى بلد لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها ابدا واصليها وتبوءهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولاها داخليها وقد قدر الله تعالى يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من احب فيالها نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم الى السعادة وهم على ظهور الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم فى سيرهم واقفون وقد اختلفوا فى المحبة وعباراتهم وان كثرت فليست فى الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال وانما هى اختلاف احوال واكثرها يرجع الى ثمرتها دون حقيقتها وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند اهل المعرفة من المعلومات التى لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذه بعض رسوم وحدود قيلت فى المحبة بحسب آثارها وشواهدها فمنها موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته واثبات المحب لذاته وهذا من احكام الفناء فى المحبة وهو ان تمحى صفات المحب وتفنى فى صفات محبوبه وذاته ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وهو لابى يزيد وهو ايضا من احكامها وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق او بذل المحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيى منه ولو ناله من محبوبه ايسر شىء لاستكثره واستعظمه ومنها استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول لكنه مخصوص بما من المحب ومنها معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها

Marfat.com

ومنها ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شئ رهو اسيدنا ابى عبدالله القريشى وهوا يضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد ان تهب ارادتك وعزماتك وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبسا فى مرضاته ومحابه ولا تأخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتأخذ منه له ومنها ان تمحو عن القلب ماسوى المحبوب وكمال المحبة يقتضى ذلك ومنها ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك وهو للشبلى ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها ان يكون مثلك يحبه ومنها غض طرف المحبوب عماسوى المحبوب غيرة وعن المحبوب هيبة فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل لكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم ومنها ميلك الى الشئ بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبى يقول ذلك ومنها سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذى يحصل عند المشاهدة لا يوصف ومنها سفر القلب فى طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره فلا ريب ان من احب شيئا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاهى التى لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها اولاستلذاذه بادراكه بحاسة اويكون حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها كما رواه ابونعيم فى الحلية وابو الشيخ وغيرهما فاذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة اومرتين معروفا فانيا منقطعا اواستنقذه من هلكة اومضرة لا تدوم فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم من لا يفنى ولا يحول وهو الله سبحانه وتعالى ثم بسط الكلام فى هذا المقام (ويغفر لكم ذنوبكم) فيحببكم ويغفر لكم جواب الامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوءكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة اوالمقابلة قاله البيضاوى (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه * الاية الثانية من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (قل) يا محمد ولما نزلت الآية الاولى قال عبدالله بن ابى بن سلول رأس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله تعالى هذه الآية (اطيعوا الله والرسول) يعنى ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعى رضى الله عنه كل امر اونهى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك فى الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به فى كتابه اونهى عنه وقال ابن عباس معناه فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لى فما ان تطيعونى وتعصوا محمدا فلن

Marfat.com

اقبل منكم قاله الخازن (فان تولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فان الله لايحب الكافرين) لايرضى عنهم ولايثنى عليهم وانما لم يقل لايحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر به من هذه الحيثية بنفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ذكره البيضاوى وقال الخازن عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الامن ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى * الآية الثالثة من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (واطيعوا الله) يعنى فيما امركم به ونهاكم عنه (والرسول) اى واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله (لعلكم ترحمون) اى لكى ترحموا ولا تعذبوا اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قاله الخازن وقال البيضاوى لعل وعسى فى امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ماجعل خبر له *الآية الرابعة من سورة ال عمران ايضا وهى قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين) يعنى احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك فى الحقيقة لايكون الا لله تعالى وقال البيضاوى انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) يعنى من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم من انفسهم نسبه وليس حى من احياء العرب الاوقد ولده وله فيهم نسب الا بنى تغلب فانهم كانوا نصارى وثبتوا على النصرانية فظهر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب قاله الخازن وقال البيضاوى من انفسهم من نسبهم اومن جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه الصلاة والسلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم وقال الخازن وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله من انفسهم اى بالايمان والشفقة لابالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بنى آدم وقيل من انفسهم يعنى انه من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى مايخلصهم من العذاب العظيم ويوصلهم الى الثواب فى جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان اقرب الى تصديقه والوثوق به وفى كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابوطالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا

Marfat.com

محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابنى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل فى وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلو عليهم آياته) يعنى يقرأ عليهم كتابه الذى انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى السماوى (ويزكيهم) اى يطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث ذكره الخازن وقال البيضاوى ويطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعنى القرآن والسنة التى سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قاله الخازن وقال البيضاوى يعنى القرآن والسنة ولم يقل التى سنها على لسان نبيه لقصد تعميمها حتى تشمل الفعل والسكوت (وان كانوا من قبل) اى من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال مبين) يعنى لفى جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ذكره الخازن

* الآية الخامسة من سورة النساء * وهى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) يريد بهم امراء المسلمين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل يعنى فى الآية قبله وهى قوله تعالى * واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل * تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى * ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم * ذكره البيضاوى وقال الواحدى اطيعوا الله واطيعوا الرسول اتباع الكتاب والسنة واولى الامر منكم قال ابن عباس فى رواية الوالبى هم الفقهاء والعلماء اهل الدين يعلمون الناس معالم دينهم اوجب الله طاعتهم وقال فى رواية عطاء هم الولاة وقيل هم الامراء والسلاطين لما امر وهم باداء الامانة فى الرعية بقوله تعالى * ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها * الآية امرت الرعية بحسن الطاعة لهم فيما وافق الحق قال النبى صلى الله عليه وسلم الامن ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يدا عن طاعة الله رواه مسلم وقال الخازن عن ابن عباس قال نزلت الآية فى عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدى السهمى اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال السدى نزلت فى خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار قد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار انى قد امنته وقد اسلم فقال خالد

Marfat.com

تجير على وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان
عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى
الامر منكم واصل الطاعة الانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق
وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول
فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء فى اولى الامر منكم الذين
اوجب الله تعالى طاعتهم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم
دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامراء والولاة وهى رواية
عن ابن عباس ايضا قال على بن ابى طالب رضى الله عنه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله
ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا وعن ابن عمر
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب
اوكره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وعن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة
ما اقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهى رواية
عن ابن عباس ايضا ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولى الامر
ابابكر وعمر رضى الله عنهما لما روى عن حذيفة قال قال رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
انى لا ادرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر اخرجه الترمذى
وقيل هم جميع الصحابة رضى الله عنهم لما روى عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين فى كتابه وروى
البغوى بسنده عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابى فى امتى
كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف
نصلح قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة
الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل
طاعة * وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة اولى الامر من يقوم بشأن المسلمين
فى امر دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية
مادام على الطاعة فاذا زل عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق
الحق اه ويؤيد هذا ما رواه الامام احمد بن حنبل فى مسند العشرة قال فى مسند على
رضى الله عنه حدثنا عبد الله حدثنى ابى حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن سعد
ابن عبيدة عن ابى عبد الرحمن السلمى عن على قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار فلما خرجوا قال وجد عليهم فى شئ قال
فقال لهم اليس قد امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطيعونى قالوا بلى قال فقال
اجمعوا حطبا ثم دعا بنار فاضرمها فيه ثم قال قد عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم
بدخولها قال فقال لهم شاب منهم انما فررتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار

Marfat.com

فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان امركم ان تدخلوها فادخلوها قال فرجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال لهم لو دخلتموها ما خرجتم منها ابدا انما الطاعة فى المعروف اه وقال شيخى زاده فى حاشيته على البيضاوى عند قوله تعالى *وعلم آدم الاسماء كلها* لمراد من اولى الامر العلماء فى اصح الاقوال لان المالوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس وقال الشيخ العينى رحمه الله تعالى فى شرح الكنز قوله وللشاب العالم ان يتقدم على الشيخ الجاهل فى مسائل شتى آخر الكنز لانه افضل منه قال الله تعالى *قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون* ولهذا يقدم فى الصلاة وهى احد اركان الاسلام وهى تالية الايمان وقال تعالى *اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم* والمراد باولى الامر العلماء فى اصح الاقوال والمطاع شرعا مقدم وكيف لا يقدمون والعلماء ورثة الانبياء عليهم السلام على ما جاء به السنة (فان تنازعتم) انتم واولوا الامر منكم (فى شئ) من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول يعنى من ان المراد باولى الامر الامراء اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات قاله البيضاوى وقال الخازن تنازعتم يعنى اختلفتم فى شئ من امر دينكم والتنازع اختلاف الآراء واصلها من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) اى رد واذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسول الله واجب فان وجد ذلك الحكم فى كتاب الله اخذ به فان لم يوجد فى كتاب الله ففى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد فى السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله ان تقول لما لا تعلم الله ورسوله اعلم وقال البيضاوى فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى كتابه وسنته دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس وقال الواحدى روى عن عمر بن ميمون عن ابيه قال قال مسلمة بن عبد الملك ليس قد امرتم بطاعتنا يعنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم قال قلت ان الله انتزعه منكم اذا خالفتم الحق قال الله تعالى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول قال فأين الله قلت الكتاب قال فأين الرسول قلت السنة والمعنى فان تنازعتم فى شئ انتم وامراؤكم فردوا الحكم فيما تنازعتم فيه الى كتاب الله وسنة رسوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر) يعنى افعلوا ذلك الذى امرتكم به ان كنتم تؤمنون

Marfat.com

بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال قال العلماء فى الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لايكون مؤمنا بالله واليوم الآخر قانه الحازن (ذلك) اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الكتاب والسنة وتركم التجادل (خير واحسن تأويلا) اى احمد عاقبة والعاقبة تسمى تأويلا لانها ما آل الامر يقال الى هذا ما آل الامر وتأويله اى عاقبته قاله الواحدى وقال الحازن وقيل معناه ذلك اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تأويلا منكم له واعظم اجرا اه وفى هذا المعنى تأييد لمذهب السلف الصالحين فى الآيات المتشابهات وان تسليمها الى الله احسن واعظم اجرا عنده *الآية السادسة* من سورة النساء ايضا وهى قوله تعالى (فلا) اى ليس الامر كما زعموا انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال (وربك لايؤمنون) وهذا قول بعضهم ان الآية نازلة فى قصة اليهودى والمنافق اللذين اختصما وهى متصلة بما قبلها والذى قبلها قوله تعالى * الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك *الآية قال المفسرون وقع نزاع بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين فقال اليهودى بينى وبينك ابو القاسم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وعلم انه لايقبل الرشوة وقال المنافق بينى وبينك كعب بن الاشرف لانه علم انه يأخذ الرشوة ويميل فى الحكم فاختلفا ثم اتفقا ان يأتيا كاهنا من جهينة فيتحاكما اليه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزعمون وقال آخرون هذه مستأنفة نازلة فى قصة اخرى وهى ما اخبرنا ان الزبير خاصم رجلا من الانصار الى النبى صلى الله عليه وسلم فى شراج الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال النبى صلى الله عليه وسلم للزبير اسق ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى فقال يارسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان النبى صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اشار على الزبير برأى اراد فيه سعة له وللانصارى فلما احفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا حاطب بن ابى بلتعة فقال قضى لابن عمته ولوى شدقه فغضب له يهودى فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ويتهمونه فى القضاء والله لقد ذنبنا مرة فى حياة موسى عليه السلام فقال لنا موسى اقتلوا انفسكم ففعلنا فقتل سبعون الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس والله اوامرنى محمد ان اقتل نفسى لفعلت فانزل الله فى شأن حاطب وليه شدقه فلا وربك لايؤمنون الآية قال عروة قال الزبير والله ما احسب هذه الآية انزلت الا فى ذلك والشراج جمع شرج وهو مسيل الماء من الحرة الى الوادى ذكره الواحدى والحازن (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) اى اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه قاله البيضاوى

Marfat.com

يقال شاجره فى الامر اذا نازعه مشاجرة وتشاجروا تشاجرا واشتجروا وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم فى بعض عند المنازعة (ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت) اى ضيقا مما حكمت به اومن حكمك اوشكا من اجله فان الشاك فى ضيق من امره (ويسلموا تسليما) وينقياد والك انقياد ابظا هرهم وباطنهم ذكره البيضاوى وقال الواحدى يعنى يرضون بقضائك وقيل لاتضيق صدورهم بقضيتك ويسلموا مايأتى من حكمك لايعارضونه بشئ اى لايتركون الرضاء بحكمك و يتركون التسخط والمنازعة *الآية السابعة* من سورة النساء ايضا وهى قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبين) نزلت الآية فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغيرلونه يعرف الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغيرلونك قال يارسول الله مابى مرض ولاوجع غيرانى اذالم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم انى اذاذكرت الآخرة اخاف ان لااراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين وانى وان دخلت الجنة كنت فى منزلة هى ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لااراك ابدا وقيل ان بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله فى الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله هذه الآية ذكره الخازن وقال الواحدى ان ناسا من الانصار قالوا يارسول الله انك تسكن الجنة فى اعلاها ونحن نشتاف اليك فكيف نصنع فنزلت هذه الآية وقيل جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال ومايبكيك يافلان فقال يارسول الله بالله الذى لااله الاهو لانت احب الى من نفسى واهلى ومالى وولدى وانى لاذكرك وانا فى اهلى فيأخذنى مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتى وانك ترفع مع النبيين وانى ان دخلت الجنة كنت فى منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فأنزل الله تعالى ومن يطع الله يعنى فى الفرائض والرسول يعنى فى السنن فاولئك يعنى المطيعين مع الذين انعم الله عليهم من النبيين اى انه يستمتع برؤية النبيين وزيارتهم والحضور معهم فلا يتوهمن من اجل انهم فى اعلى عليين انه لايراهم، قال الخازن من يطع الله فى اداء الفرائض واجتناب النواهى والرسول اى ويطع الرسول فى السنن التى سنها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعنى بالهداية والتوفيق فى الدنيا وبدخول الجنة فى الآخرة من النبيين يعنى ان المطيعين مع النبيين فى الجنة لايفوتهم رؤية الانبياء فى الجنة ومجالستهم لانهم يكونون فى درجتهم فى الجنة لان ذلك يقتضى التسوية فى الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) جمع صديق فعيل وهو الكثير الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق الذى صدق بكل الدين لايخالجه فيه شك والمراد بالصديقين فى هذه الآية افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابى بكر

Marfat.com

فانه هوالذى سمى بالصديق من هذه الامة وهوافضل اتباع الرسل قاله الخازن وقال الواحدى كل من صدق بكل ماامر الله لايداخله شك وصدق الانبياء فهوصديق وهوقوله تعالى *والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون* وقيل الصديقون اول من صدق الانبياء حين عاينوهم (والشهداء) يعنى القتلى فى سبيل الله وقال الخازن هم الذين استشهدوا يوم احد (والصالحين) جمع صالح وهوالذى استوت سريرته وعلانيته فى الخيروقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلى وبالصالحين سائر الصحابة وقال الواحدى والصالحون هم سائر المسلمين وقال البيضاوى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين اوحال منه اومن ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لايتأخروا عنهم وهم الانبياء عليهم السلام الفائزون بكمال العلم والعمل والمتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هى عليه ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم فى طاعة الله تعالى واموالهم فى مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله تعالى وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء عليهم السلام اولا فيكونون كمن يرى الشئ من بعدوهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون فى العلم الذين هم شهداء الله فى ارضه واما ان يكون بأمارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون (وحسن اولئك رفيقا) فى معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز اوالحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق اولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا وقال الواحدى وحسن اولئك رفيقا يعنى الانبياء وهؤلاء رفيقا اى اصحابا ورفقاءهم جمع رفيق وسمى رفيقا لارتفاقك به وبصحبته ويقال للجماعة فى السفر رفقة لارتفاق بعضهم ببعض ووحد الرفيق لان الواحد فى التمييز ينوب عن الجماعة نحوقولك هذا اجمل فتى المعنى هوا جمل الفتيان *الآية الثامنة من سورة النساء* ايضا وهى قوله تعالى (من يطع الرسول فقداطاع الله) يريدان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعة الله وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وذكر الشافعى فى الرسالة فى باب فرض طاعة الرسول هذه الآية وقال كل فريضة فرضها الله فى كتابه كالحج والصلاة والزكاة اولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا اداء شئ من العبادات واذا كان الرسول من الشريعة بهذه المنزلة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله ذكره الواحدى وقال البيضاوى لانه

Marfat.com

فى الحقيقه مبلغ والآمر هوالله تعالى وقال الخازن سبب نزول هذه الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن احبنى فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فأنزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعنى فيما أمر به ونهى عنه فقد اطاع الله فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله لانه هو آمر به * الاية التاسعة * من سورة النساء ايضا وهى قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول) اى يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر ذكره البيضاوى نزلت فى طعمة بن أبيرق من بنى ظفر بن الحارث من الانصار سرق درعا من جاره يقال له قتادة بن النعمان و كان الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما اخذها وماله بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد رأينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا الدقيق الى منزل اليهودى فاخذوه منه فقال اليهودى دفعها الى طعمة بن ابيرق فمجحده طعمة فأنزل الله تعالى قوله * انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما * الى آخر الآية ثم حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على طعمة بالقطع فخاف على نفسه الفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين وأنزل الله فيه ومن يشاقق الرسول يعنى يخالفه فى التوحيد والايمان (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له ان دين الاسلام وان ما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق قاله الواحدى وقال الخازن اى وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدله على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اى غير ما هم عليه من اعتقاد وعمل ذكره البيضاوى وقال الخازن يعنى و يتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان و يتبع عبادة الاوثان (نوله ما تولى) اى نجعله واليا لمن تولى من الضلال ونخلى بينه و بين ما اختاره قاله البيضاوى وقال الخازن اى نكله فى الآخرة الى ما تولى فى الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) اى ونلزمه جهنم واصله من الصلا وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعنى و بئس المرجع الى النار وقال البيضاوى والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثانى باطل اذ يصح ان يقال من شرب الخمر واكل الخنزير استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم * الآية العاشرة * من سورة الاعراف وهى قوله

Marfat.com

تعالى (قال عذابى اصيب به من اشاء) يعنى قال الله عز وجل لموسى عليه السلام عذابى أصيب به من اشاء من خلقى وليس على اعتراض لان الكل ملكى وعبيدى ومن تصرف فى خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض (ورحمتى وسعت كل شئ) يعنى ان رحمته تعالى عمت خلقه كلهم البر والفاجر فى الدنيا وهى للمؤمنين خاصة فى الآخرة وقيل للمؤمنين خاصة فى الدين والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله تعالى له فاذا كان يوم القيمة وجبت للمؤمنين خاصة قاله الخازن وقال الواحدى ورحمتى وسعت كل شئ قال الحسن وقتادة ان رحمته وسعت فى الدنيا البر والفاجر وهى يوم القيمة للمتقين خاصة وقال عطية العوفى ان الكافر يرزق و يدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فاذا صار الى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضئ بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه (فساكتبها للذين يتقون) اى يتركون الكفر والمعاصى (و يؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلا يكفرون بشئ منها (الذين يتبعون الرسول النبى) سماه رسولا بالاضافة الى الله و نبيا بالاضافة الى العباد (الامى) الذى لا يكتب ولا يقرأ وصف به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته قاله البيضاوى وقال الواحدى قال قتادة وابن عيينة فى قوله ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس انا من ذلك الشئ فانزل الله فساكتبها للذين يتقون الى آخر الآية فتمنتها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتوراة والانجيل ونؤدى الزكاة فاختلسها الله من ابليس واليهود والنصارى وجعلها لهذه الامة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى وهو نبيكم كان اميا لا يكتب (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) يجدون نعته ونبوته وامره عن الصلصال قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لنا ان عبادة بن الصامت عليل امضوا بنا لنعوده فوثب صلى الله عليه وسلم وامنا واتبعناه فاجتاز فى طريقه برجل من اليهود يعرض ابناله فمال اليه فقال يا يهودى هل تجدوننى عندكم مكتوبا فى التوراة فاومأ اليه اليهودى برأسه يعلمه انهم لا يجدونه عندهم فى التوراة مكتوبا فقال ابن اليهودى والله يا رسول الله انهم يجدونك عندهم فى التوراة مكتوبا ولقد طلعت وان فى يده لسفرا من التوراة يقرأ فيه صفتك وصفة اصحابك وذكرك فلما رآك سترعنك فانى اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فكانت آخر ما تكلم به الغلام حتى قضى نحبه فقال رسول صلى الله عليه وسلم اقيموا على اخيكم حتى تقضوا حقه قال فحلنا بين اليهودى و بينه وتولينا امره حتى واريناه وانصرفنا وقال الخازن المراد بالذين يتبعون الرسول جميع امته الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بنى اسرائيل اوغيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا

Marfat.com

لانه الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع القدر عندالله المخبر عنه ثم وصفه بالامى قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لايكتب ولايقرأ ولايحسب قال الزجاج فى معنى الامى هو الذى على صفة امة العرب لان العرب اكثرهم لايكتب ولايقرأ ولايحسب فالنبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وصح فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لانكتب ولانحسب قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم اميا من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذى فيه علم الاولين والآخرين والمغيبات واعجز الخلائق بفصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولانقصان منه ولاتغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى * سنقرئك فلاتنسى *وقيل انه لوكان يحسن الكتابة ثم انه اتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غير فلما كان اميا وتى بهذا الكتاب العظيم دل على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولااشتغال على احد فدل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى الامى الذى هو منسوب الى امه كأنه لم يخرج بعد عن من ولدته وقيل سمى اميا لانه منسوب الى ام القرى وهى مكة والذين يجدونه مكتوبا عندهم يعنى يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماؤهم واحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل ماكانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال اجل انه موصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن* يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك بالمتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الاسواق ولايجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لااله الاالله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا والصخاب الكثير الصياح ويقال بالسين المهملة ايضا (يأمرهم بالمعروف) قال ابن عباس يريد مكارم الاخلاق وصلة الارحام (وينهاهم عن المنكر) عبادة الاوثان وقطع الارحام ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخصص احدا منهم بعينه على وجه الاغلاظ والتبكيت فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بل كان يلين الكلام الكل واحد خصوصه طمعا فى ايمانه وقبوله النصح ويغلظ عليهم من حيث عمومهم

Marfat.com

بلا تخصيص احد فليكن هكذا طريقة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من هذه الامة المحمدية ولا يبتدعون كيفية سيئة بتخصيص احد بعينه وان ظهر منكره فان ستره متعين كما كان يستر النبي صلى الله عليه وسلم ماهو ابلغ من المعصية وهو الكفر وسنبينه ان شاء الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب (ويحل لهم الطيبات) يعني ما كان يحرمه اهل الجاهلية من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي وغيرها (ويحرم عليهم الخبائث) الميتة والدم ولحم الخنزير قاله الواحدي وقال البيضاوي يحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربا والرشوة وقال الخازن يأمرهم بالمعروف يعني بالايمان والتوحيد وينهاهم عن المنكر يعني الشرك وقيل المعروف ماعرف في الشريعة والسنة والمنكر مالا يعرف في شريعة ولا سنة ويحل لهم الطيبات يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو المستلذات التي تستطيبها النفس ويحرم عليهم الخبائث قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس اه وهذا القول بان المراد بالخبائث كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس يقتضي ان تكون اللام في الخبائث لاستغراق الجنس وهو خلاف الاصل المقرر عند علماء الاصول من انه متى امكن حمل اللام على العهد لا يعدل عنه الى حملها على غيره الا اذا تعذر قال في متن المنار في اصول الفقه اذا دخلت لام المعرفة فيما لا يحتمل التعريف بمعنى العهد اوجبت العموم وقال ابن ملك في شرحه اي عموم الجنس ثم قال لان اللفظ الذي تدخل عليه اللام دال على الماهية بدون اللام فحمل اللام على الفائدة الجديدة اولى من حمله على تعريف الجنس والفائدة الجديدة اما تعريف العهد او استغراق الجنس فتعريف العهد اولى من الاستغراق لانه اذا ذكر بعض افراد الجنس خارجا او ذهنا فحمل اللام على ذلك البعض اولى من حمله على جميع الافراد لان لبعض متيقن واذا لم يحتمل العهد فالاستغراق متعين وفي شرح مرقاة الاصول اعلم ان الاصل الراجح عند علماء الاصول هو العهد الخارجي لانه حقيقة التعيين وكمال التمييز ثم الاستغراق لان الحكم على نفس الحقيقة بدون اعتبار الافراد قليل الاستعمال جدا والعهد الذهني موقوف على وجود قرينة البعضية فالاستغراق هو المفهوم من الاطلاق حيث لا عهد في الخارج اه وبهذا الاعتبار اقتصر البيضاوي والواحدي كما ذكرنا على القول بان المراد من الخبائث الخبائث المعهودة كالدم ولحم الخنزير والميتة والربا والرشوة ونحو ذلك فمن اثبت به حراما جديدا لم يصب لعدم عمومه حيث تعين العهد خارجي (ويضع عنهم اصرهم) يعني ثقلهم واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق

Marfat.com

الذى اخذ على بنى اسرائيل ان يعملوا بما فى التوراة من الاحكام وكانت تلك شديدة
قاله الخازن وقال الواحدى قال الزجاج الاصر ماعقدته من عقد ثقيل قال ابن جبير
هو شدة العبادة (والاغلال التى كانت عليهم) قال البيضاوى ويخفف عنهم ماكلفوا
به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص فى العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة
وقرض موضع النجاسة وقال الخازن يعنى ويضع الاثقال والشدائد التى كانت
عليهم فى الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس فى التوبة وقرض الثوب المتنجس
بالقراض وتحريم اخذ الدية وترك العمل فى السبت وان صلاتهم لاتجوز الا فى الكنائس وتتبع
العروق من اللحم وغير ذلك من الشدائد التى كانت على بنى اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا
لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التى تجمع
اليد الى العنق كما ان اليد لاتمتد مع وجود الغل فكذلك لاتمتد الى الحرام الذى نهيت
عنه وكانت هذه الاثقال فى شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد صلى الله
عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة
السمحة (فالذين آمنوا به) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) يعنى وقروه وعظموه
واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير الشئ تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه (ونصروه)
يعنى على اعدائه (واتبعوا النور الذى انزل معه) وهو القرآن سمى نورا لان به يستنير
قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم ذكره الخازن وقال
البيضاوى النور الذى انزل معه اى مع نبوته يعنى القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر
من مظهر غيره اولانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوه
اى واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبى فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة
(اولئك هم المفلحون) الفائزون بالرحمة الابدية * الآية الحادية عشر عقيب هذه
الآية من السورة المذكورة وهى قوله تعالى (قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم)
الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل
الى اقوامهم (جميعا) حال من اليكم قاله البيضاوى وقال الخازن الخطاب للنبى صلى الله
عليه وسلم اى قل يا محمد للناس انى رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض
ففى الآية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا ايها الناس خطاب عام
يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله عزوجل بان يقول انى رسول الله اليكم جميعا وهذا
يقتضى كونه مبعوثا الى جميع الناس (الذى له ملك السموات والارض) لما امر الله
تعالى رسوله ان يقول يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة
دعواه يعنى ان الذى له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك امرهما هو
الذى ارسلنى اليكم وامرنى بان اقول لكم ذلك (لااله الا هو يحيى ويميت) فان من ملك
العالم كان هو لااله الا هو لاغيره وفى يحيى ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية

Marfat.com

قاله البيضاوى وقال الخازن وصف الله تعالى نفسه بالالوهية وانه لاشريك له فيها وانه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه (فآمنوا بالله ورسوله) امر تعالى جميع خلقه بالايمان به و برسوله لان الايمان به هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدأ بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله ثم وصفه تعالى فقال (النبى الامى) وتقدم معناهما (الذى يؤمن بالله وكلماته) قال قتادة يعنى آياته وهى القرآن وقال مجاهد والسدى اراد بكلماته عيسى ابن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعنى يؤمن بجميع كلمات الله تعالى ذكره الخازن وقال البيضاوى كلماته ماانزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس اوالقرآن اوعيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له (واتبعوه) يعنى واقتدوا به ايها الناس فيما يأمركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة فى الاقوال ومتابعة فى الافعال اما المتابعة فى الاقوال بان يمتثل التابع جميع مايأمر به المتبوع على طريقة الامر والنهى والترغيب واما المتابعة فى الافعال بان يقتدى به فى جميع افعاله وآدابه الاماخص به صلى الله تعالى عليه وسلم وثبت الدليل انه من خصائصه فلامتابعة فيه (لعلكم تهتدون) اى ترشدون وتصيبون الحق والصواب فى متابعتكم اياه قاله الخازن وقال البيضاوى جعل رجاء الاهتداء ثر الامرين يعنى الايمان والاتباع تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه فى التزام شرعه فهو بعد فى الضلالة * الآية الثانية عشر * من سورة الانبياء وهى قوله تعالى (وما ارسلناك) اى يامحمد صلى الله عليه وسلم (الا رحمة للعالمين) لان مابعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال ذكره البيضاوى وقال الخازن قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا فى حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وميز الحلال من الحرام وقيل الا رحمة للعالمين اى للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستيصال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة * الآية الثالثة عشر * من سورة النور وهى قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره) اى يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمته خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الاعراض او يصدون عن امره

Marfat.com

دون المؤمنين من خالف عن الامر اذا صدعنه دونه وحذف المفعول لا ن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له حقيقة اوللرسول فانه المقصود بالذكر قاله البيضاوى وقال الخازن اى يعرضون عن امره وينصرفون عنه بغير اذنه وقال العزبن عبدالسلام وقيل خلافا عن امره اى عن امر الله وعن زائدة اوعن امر النبى صلى الله عليه وسلم وقيل عدى بعن لان معناه يعرضون (ان تصيبهم فتنه) اى لئلا تصيبهم فتنة اى بلاء فى الدنيا ذكره الخازن وقال العزبن عبدالسلام اى محنة فى المال والنفس والولد اوكفر بان يفتنوا عن دينهم اوعقوبة اوزلازل واهوال وتسليط سلطان جائر اوطبع القلوب اواظهار مافيها اوفساد فيها اواسباغ النعم استدراجا وقسوة القلب عن معرفة المعروف وانكار المنكر وقيل الفتنة للعوام والبلاء للخواص (او يصيبهم عذاب اليم) اى وجيع فى الآخرة اوهو القتل قاله العزبن عبدالسلام

* الآية الرابعة عشر من سورة الاحزاب * وهى قوله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) اى قدوة صالحة اى اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله تعالى وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذى بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته قاله الخازن وقال البيضاوى اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد اوهو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) اى ثواب الله اولقائه ونعيم الآخرة ويوم الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر يوم الله بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة اوصفة لها ذكره البيضاوى وقال الخازن يعنى ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس رضى الله عنهما يرجو ثواب الله واليوم الآخر يعنى ويخشى يوم البعث الذى فيه الجزاء (وذكر الله كثيرا) اى فى جميع المواطن على السراء والضراء وقال البيضاوى وقرن بارجاء كثرة الذكر المؤدية للملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك

* الآية الخامسة عشر من سورة الاحزاب ايضا وهى قوله تعالى (يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة ذكره الخازن وقال البيضاوى على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وقال العزبن عبد السلام شاهدا لوحدانيتنا وقيل شاهدا انا فلا يرى الا انا (ومبشرا) برحمتنا وللمحسنين برضانا وقال الخازن اى لمن آمن بالجنة (ونذيرا) لمن كذب بالنار وقال العزبن عبدالسلام ونذيرا بنقمتنا وللعصاة بعقابنا (وداعيا الى الله) اى الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته قاله البيضاوى

Marfat.com

وقال الزجاج الى توحيد الله وما يقرب منه وقال العز بن عبد السلام وداعيا الى عبادتنا اودا عيا الخلق الى بابنا والى شهادة ان لااله الاالله اوالى الطاعة (باذنه) اى بأمره او بعلمه او بالقرأن المنزل باذنه وقال البيضا وى بتيسيره اطلق له يعنى الاذن للتيسير من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لايتأتى الا بمعونة من جناب قدسه (وسراجا منيرا) اى وكتابا بينا المعنى ارسلناك شاهدا وذا سراج منير اى وذا كتاب بين وان شئت كان وسراجا منصوبا على معنى داعيا الى الله وتاليا كتابا بينا قاله الزجاج وقال العز بن عبد السلام وسراجا حجة ظاهرة لحضرتنا اوهاديا لهم الى انوار الانس منيرا عليهم ظلمات النفس وقيل اى ذا سراج اى آتيناك سراجا بعد وقت منيرا اى تاليا كتاب الله المنير وقال البيضاوى منير ايستضاء به فى ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وقال الخازن سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار وصفه بالانارة لان من السرج مالا يضئ فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاءة من السراج وانور قلت لان نور الشمس لايمكن ان يؤخذ منه شئ بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه انوار كثيرة اه وفيه نظر فان نور القمر مأخوذ من نور الشمس وكذلك انوار النجوم على رأى البعض ولا يبعد ان يكون معنى السراج المنير هنا الشمس فان الله تعالى قال وجعلنا الشمس سراجا فيكون سماه شمسا منيرة ولم يؤنث الوصف باعتبار لفظ السراج فانه مذكر *الآية السادسة عشر *من سورة الاحزاب ايضا وهى قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله) فى الاوامر والنواهى (فقد فاز فوزا عظيما) يعيش فى الدنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا قاله البيضاوى وقال الخازن اى ظفر بالخير العظيم *الآية السابعة عشر *من سورة الحشر وهى قوله تعالى (وما اتاكم الرسول فخذوه) اى من مال الغنيمة قاله الخازن وقال الواحدى من الفئ فخذوه فهو لكم حلال وقال البيضاوى وما اعطاكم من الفئ اومن الامر فخذوه لانه حلال لكم اوفتمسكوا به لانه واجب الطاعة (ومانهاكم عنه فانتهوا) اى من الغلول وغيره وهذا نازل فى اموال الفئ وهو عام فى كل ما امر به النبى صلى الله عليه وسلم اونهى عنه من قول اوعمل من واجب اومندوب اومستحب اونهى عن محرم فيدخل فيه الفئ وغيره وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بنى اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرأ القرآن فاتته فقالت ماحديث بلغنى عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله ومالى لاالعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله فقالت المرأة لقد قرأت لوحى المصحف فما وجدته فقال ان كنت قرأته لقد وجدته

Marfat.com

قال الله عزوجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ذكره الخازن (واتقوا الله) فى مخالفة رسوله (ان الله شديد العقاب) لمن خالف قاله البيضاوى وقال الخازن اى على تركك ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاكم عنه (و) الدليل على الاعتصام بالسنة ايضا (الاخبار) اى الاحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى عشرون حديثا* الحديث الاول (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن العرباض) بعين مهملة مكسورة وباء موحدة واصله الطويل (ابن سارية رضى الله عنه انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه) الكريم يعنى بعد فراغه من الصلاة كما هو العادة المشروعة فى الامام اذا فرغ من صلاته يستقبل القوم بوجهه مالم يكن خلفه مسبوق فينحرف الى يمين القبلة او يسارها (فوعظنا) من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب (موعظة) تنكيرها للتعظيم (بليغة) من البلاغة قال فى القاموس بالغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد ولم يقصر والبليغ الفصيح يبلغ بعبارته كنه ضميره بلغ ككرم والبلاغة فى علم المعانى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة كلماته (ذرفت فيها العيون) اى سال دمعها من البكاء قال فى القاموس ذرف الدمع يذرف وذرفت عينه سال دمعها (ووجلت) اى خافت وخشيت (منها القلوب فقال رجل) ممن حضر من الصحابة رضى الله عنهم من كثرة ما رأى من اجتهاد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى تلك الموعظة واهتمامه بها وزيادة التخويف والتهويل فيها والتقريع للمخالف لها (يارسول الله كأن هذه الموعظة موعظة مودع) اى رجل مودع قومه يريد ان يرحل عنهم فيعظهم قبل ارتحاله بما يعلم انهم محتاجون اليه بعده غاية الاحتياج ويوصيهم وينصحهم ويخوفهم ويقرعهم ويحذرهم من المخالفة حرصا عليهم ان يضلوا بعده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع الحديث اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير يعنى صل صلاة رجل يعلم انه لا يعيش حتى يصلى بعدها صلاة اخرى والمراد استفراغ الجهد فى اتقان الصلاة بمراعات حقوقها المشروعة لها كلها من غير زيادة ولا نقصان وفى الحديث اشارة الى ان الواعظ ينبغى له فى قت وعظه ان يستفرغ جهده فى نصح الحاضرين عنده ولا يترك فائدة يعلم انهم محتاجون اليها الى مجلس آخر لعدم القطع بالحياة الى المجلس الآخر وانه يجوز له التخويف والتقريع احيانا على مقتضى الحال من غير ان يتكلف ذلك ولا يعتاده كما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم فى وقت دون وقت (فماذا تعهد الينا) اى توصينا به قال فى القاموس العهد الوصية من عهد اليه اوصاه (قال) صلى الله عليه وسلم (اوصيكم) معاشر المؤمنين (بتقوى الله) تعالى اى الاحتراز منه فى الاعتقاد والقول والعمل والسكوت فلا يعتقد احدكم ولا يقول ولا يعمل الا بما يعلم ان الله تعالى يرضى به ولا يسكت الا عما يعلم انه يرضى به تعالى ايضا ويجتنب ما يسخطه تعالى اعتقادا وقولا وعملا وينكره مطلقا

Marfat.com

من غير تعيينه فى احد مع ستر ما يرى من عورات المسلمين عنه وعن غيره بالتأويل والحمل على المحامل الحسنة وفى لفظ التقوى الوارد فى الكتاب والسنة اشارة الى ان المتقى هو المحترز من ذلك على حسب قدرته وطاقته كما قال الله تعالى *لا يكلف الله نفسا الا وسعها* فلا يمنع من التقوى وقوع المؤمن فى زلة فى بعض الاوقات من غير اصرار عليها ولا اهتمام بفعلها ولا يشترط فى المتقى ان يكون دائم العصمة كالانبياء عليهم السلام (والسمع) اى لمن يتكلم عليكم من ولاة الامور بمعنى الامتثال كقوله تعالى * ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * اى احسنوا بالكلام بحاسة آذانكم وهم لا يمتثلون معنى ذلك الكلام كما يقال فلان سمع من فلان اى امتثل كلامه وليس المراد الاحساس بحاسة الاذن فقط والمناسب ان يكون هذا هو المراد بالسمع لولاة الامور فيما امروا به (والطاعة) لهم ايضا فيما نهوا عنه اذا لم يكن فيما امروا به او نهوا عنه معصية لله تعالى كما قدمناه وهذا الامتثال لهم فى امرهم ونهيهم على طريقة الوجوب لانهم نواب الشرع وهذه وصية نبوية جامعة لنفع الآخرة بذكر التقوى ولنفع الدنيا بذكر السمع والطاعة للولاة وان كانت التقوى اعم فهو من عطف الخاص على العام للتأكيد والاهتمام (وان كان) والى امركم الآمر الناهى لكم (عبدا) اى رقيقا استعمله الامام الاعظم عليكم اميرا امارة خاصة او عامة (حبشيا) اى منسوبا الى الحبشة وهم جيل من السودان ذكرهم دون غيرهم لكثرتهم وشهرتهم بالخدمة فى بلاد الحجاز ايام العرب والى الآن وفى حديث الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة قال الشارح المناوى بزاى مفتوحة حبة عنب سوداء حالا وصفة لعبد مشبها رأسه بالزبيبة فى السواد والحقارة وقباحة الصورة او فى الصغر يعنى وان كان صغير الجثة حتى كأن رأسه زبيبة وقد يضرب المثل بما لا يكاد يوجد تحقيرا لشأن الممثل له واستدل بهذا الحديث على ان الامام اذا امر بعض رعيته بالقيام ببعض الحرف والصنائع من زراعة وتجارة وعلم انه يتعين على من عينه لذلك وينتقل من فرض الكفاية الى فرض العين عليه بتعيين الامام قال الزين العراقى حتى قاله بعض شيوخنا فى الفلاحين المقررين لزراعة البلدان انه امر شرعى بتقرير الامام ذلك عليهم نعم ان تعدى عليهم والزموا بما لا يلزمهم من ايجار الارض بغير رضاهم لم يجز لكن يكونوا كالعمال يعملون ويستحقون اجر المثل اهـ ومراده بالقيام ببعض الحرف والصنائع لا نفسهم ولبقية الرعية لا ولى الامر فقط بان امرهم ان يصنعوا له شيئا بلا اجرة او سخرهم فى عمل مطلقا من غير اجرة فانه ظلم محض لا يجب عليهم اطاعته فى شئ منه اصلا وانما يجوز لهم ذلك ويؤجرون عليه اذا اكرههم فخافوا من شره وربما يجب عليهم ذلك خوفا على انفسهم من شره اذا تحققوا منه وقوع ما هددهم به وهى مسئلة الاكراه التى ذكرها الفقهاء لا مسئلة اطاعة ولى الأمر (فانه) اى الشان (من يعش منكم فسيرى)

Marfat.com

فى هذه الامة من ولاة الامر وغيرهم (اختلافا كثيرا) وهذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم بما يقع فى امته بعده من كثرة الاختلاف اولا فى امر الخلافة كما وقعت الحروب على ذلك فى زمان على ومعاوية رضى الله عنهما واختلف اجتهاد الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك وان كانوا كلهم مثابين عليه وان اخطأ بعضهم لعدم دخول حظوظ انفسهم فيه بل انما كان ذلك منهم نصرة للدين ثم كثرة الحروب بعد ذلك والاختلافات بين ملوك الاسلام والامراء فى غالب الازمان الى هذا الاوان واختلفت العلماء ايضا فى امور الدين وافترقت منهم الاقوال والاعمال والاعتقادات وذهبوا فى الاصول والفروع الى مذاهب كثيرة وكل هذا فى اشارة خبره صلى الله عليه وسلم (فعليكم) اى الزموا يقال عليك زيدا اى الزمه وتزاد الباء للتأكيد كما زاد فى خبر ليس فيقال عليك بزيد كما يقال ليس زيد بقائم (بسنتى) وهى اسم لاقواله عليه السلام وافعاله واعتقاداته واخلاقه وسكوته عند قول الغير اوفعله كما مر واصلها الطريقة فى الدين مرضية كانت اوغير مرضية (وسنة الخلفاء) جمع خليفة قال فى القاموس الخليفة السلطان الاعظم ويؤنث كالخليف وجمعه خلائف وخلفاء وخلفه خلافة كان خليفته وبقى بعده، وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير قال الراغب الخلافة النيابة عن الغير لغيبة المنوب عنه اوموته اوعجزه اوتشريف المستخلف وعلى الاخير استخلف الله اولياءه فى الارض اه فالمراد من الخلفاء هنا الصحابة الاربعة ابوبكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وربما يزاد بعدهم كل خليفة موصوف بما وصفهم به النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث حيث قال (الراشدين) رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى كاسترشد واسترشد طلبه والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه كذا فى القاموس وهم العاملون العاملون المخلصون الثابتون على ذلك الى موتهم (المهديين) بصيغة اسم المفعول اى الذين هداهم الله تعالى فاهتدوا اى دلهم ووصلهم الى مقام قربه والجأهم الى حضرة الانس به سبحانه فأدخلهم مدخل صدق الى مقام شهوده ومعرفته العيانية واخرجهم مخرج صدق من رؤية ماسواه (تمسكوا بها) اى بكل واحدة من سنتى وسنة الخلفاء المذكورين (وعضوا عليها) اى على كل واحدة من السنتين وافرد الضمير فيهما اشارة الى ان سنة الخلفاء بعده هى سنته ايضا لانهم سنوها من شريعته ارشادا وهداية للقاصرين الى طريقته صلى الله عليه وسلم لا من قبل نفوسهم لتمشية اغراضها (بالنواجذ) وهى اقصر الاضراس وهى اربعة اوهى الانيات اوالتى تلى الانياب اوهى الاضراس كلها جمع ناجذ والنجذ شدة العض بها كذا فى القاموس والمعنى احتفظوا على ذلك بكمال قدرتكم وطاقتكم واحرصوا عليه بمنزلة من يمسك شيئا باسنانه واضراسه ويعض عليه فانه لا يسقط من فيه مادام كذلك وشبه التمسك بالسنة فى آخر الزمان بالماسك على الشئ

Marfat.com

بأسنانه واضر اسه اشارة الى ان ذلك متعب جدا ومانع من الكلام والاكل والشرب والتنفس لابكلفة ومشقة فمن امسك شيئا باسنانه كان حاله هكذا واذا لم يتكلف له كان سريع التفلت منه ومثله المتمسك بالسنة فى آخر الزمان لايقدر على الكلام الحق الا بمشقة كلية ولايقدر ايضا على الاكل الحلال والشرب الحلال كذلك لاتلافى الظلمة موال المسلمين بغصبها واتلافها حتى التنفس المريح لجسده لايكاد يقدر عليه ايضا بين المبتدعة اهل الجهل المركب امداوتهم له وتضايقهم فى امور الا بجهد جهيد (واياكم ومحدثات الامور) كلا هما منصوب بفعل مضمر اى باعدوا واحذروا الاخذ بالامور المحدثة فى لدين واتباع غيرسنن الخلفاء الراشدين (فان كل) امر (محدث) فى الدين على خلاف ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وكانت عليه الخلفاء الراشدون من بعده الى يوم القيمة فهو (بدعة) بالكسر وهى الحدث فى الدين بعد الاكمال او ما استحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الاهواء والاعمال جمعه بدع كعنب كذا فى القاموس واختصت لبدعة هنا بالدين اذ لبدعة فى غيرالدين كبدع لعادات غيرمرادة هنا كما سيأتى بيانه (وكل بدعة) فى الدين (ضلالة) يضل بها مبتدعها والعامل بها عن الصراط المستقيم (وكل ضلالة) يضل بها منشئها والعامل بها (فى النار) اى كائنة فى نارجهنم والمعنى كون صاحبها فى النار ولكن اريد المبالغة بأن نفس البدعة فى النار مع انها لم تظلم هى وانما ظلم بها صاحبها نفسه نظير قوله تعالى *واذا المؤدة سئلت باى ذنب قتلت *قال البيضاوى وذا لمؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق اولحوق العار بهم من اجلهن سئلت بأى ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت للنصارى بقوله تعالى لعيسى *أأنت قلت للناس اه وهذا الحديث المذكور اخرجه الحافظ ابو بكر احمد بن الحسين بن على البيهقى بنوع تغيير يسير فى كتاب المدخل باسناده الى عبدالرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر قالا اتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه * ولاعلى الذين اذ ما اتوك لتحملهم قلت لااجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون * فسلمنا فقلنا اتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال العرباض صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يارسول الله كأن هذا موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبد حبشى فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة *الحديث الثانى (دت) يعنى روى ابوداود والترمذى باسنادهما (عن المقداد رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا) بفتح الهمزة وتخفيف الام اداة استفتاح وتنبيه

Marfat.com

كما ر (انى اوتيت) اى اتانى الله تعالى (الكتاب) وهو القرآن العظيم (ومثله معه) وهو السنة النبوية فان الله تعالى آتاه اياها ايضا كما آتاه الكتاب قال الامام البيهقى فى المدخل اخبرنا ابو عبد الله الحافظ اخبرنا ابو العباس محمد بن يعقوب اخبرنا الربيع ابن سليمان اخبرنا الشافعى رحمه الله تعالى قال وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثلاثة اوجه احدها ما نزل الله فيه نص كتاب فسن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل نص الكتاب والثانى ما انزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما اراد بالجملة واوضح كيف فرضها اعاما ام خاصا وكيف اراد ان يأتى به العباد والثالث ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص كتاب فمنهم من قال جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق فى علمه من توفيقه لرضاه ان يسن فيما ليس فيه نص كتاب ومنهم من قال لم يسن سنة قط لا ولها صل فى الكتاب كما كانت سنته لتبين عدد الصلاة وعملها عن اصل جملة فرض الصلاة وكذلك ما سن فى البيوع وغيرها من الشرائع لان الله تعالى * قال لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم * وقال واحل الله البيع وحرم الربا فاالمحل وحرم فانما بين فيه عن الله عزوجل كما بين الصلاة ومنهم من قال بل جاءته به رسالة الله جل ثناؤه فاثبتت سنة بفرض الله عزوجل ومنهم من قال القى الله فى روعه كل ما سن وسنه الحكمة التى القيت فى روعه عن الله عزوجل وروى البيهقى ايضا فى كتابه المذكور باسناده الى عبد الله بن رافع قال سمعت ام سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة الرجلين يختصمان فى مواريث واشياء قد درست فقال انما اقضى بينكما برأيى فيما لم ينزل على فيه وروى ايضا باسناده عن ابن شهاب ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وهو على المنبر يا ايها الناس ان الرأى انما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبا لان الله عزوجل كان يريه انما هو منا الظن والتكلف وذكر البيهقى ايضا قال وامر الله تعالى اياه صلى الله عليه وسلم وجهان احدهما وحى ينزله فيتلى على الناس والثانى رسالة يأتيه عن الله بان افعل كذا فيفعله قال الشافعى رضى الله عنه واعل من حجة من قال هذا القول ان يقول قال الله تعالى * وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم * فيذهب الى ان الكتاب ما يتلى عن الله تعالى والحكمة ما جاءته الرسالة به عن الله فاثبت سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى باسناده عن قتادة فى قول الله تعالى * وذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة * قال القرآن والسنة وروى باسناده الى عطاء ان صفوان ابن يعلى بن امية اخبره ان يعلى بن امية كان يقول لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ليتنى ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه فلما كان النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وعلى النبى صلى الله عليه وسلم ثوب قد اظل عليه ومعه فيه ناس من اصحابه فيهم عمر اذ جاء رجل عليه جبة متضمخ بطيب وقد احرم بعمرة فقال يا رسول الله

Marfat.com

كيف ترى فى رجل احرم بعمرة فى جبة بعدما تضمخ بطيب فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت فجاءه الوحى فاشار عمر بيده الى يعلى رضى الله عنهما ان تعال فجاء يعلى فادخل رأسه فاذا النبى صلى الله عليه وسلم محمر الوجه يغط ساعة ثم سرى عنه فقال اين الذى سألنى عن العمرة آنفا فالتمس الرجل فجئ به فقال النبى صلى الله عليه وسلم اما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات واما الجبة فانزعها ثم اصنع فى عمرتك ماتصنع فى حجك اخرجه البخارى فى الصحيح وعن حسان بن عطية قال كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها كما يعلمه القرآن اه وقدمنا هذا فيما سبق فالسنة مما آتاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وليست مما جاء بها من تلقاء نفسه (الا) بالفتح والتخفيف للاستفتاح والتنبيه (يوشك) بالكسر من وشك الامر ككرم سرع واوشك اسرع السير ويوشك الامر ان يكون وان يكون الامر ولا تفتح شينه اولغة ردية كذا فى القاموس والمعنى يقرب ان يكون (رجل) وهو مثل قوله عليه السلام رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع اى نادر وجود ذلك فى المسلمين (شبعان) من الشبع وهو ضد الجوع كناية عن الغافل المغرور المنهمك فى شهوة بطنه وفرجه فان الشبع كان فى صدر الاسلام معدودا من العيوب المنقصة للكمال الانسانى ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث وعن عائشة رضى الله عنها لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ذكره فى الشفاء وقال صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك كاجر المجاهد فى سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال عليه السلام سيد الاعمال الجوع وكان النبى صلى الله عليه وسلم يجوع من غير عوز اى مختارا لذلك كما بسطه الامام الغزالى فى كتاب الاحياء (على اريكته) فى القاموس الاريكة كسفينة سرير فى حجلة او كل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش وسرير متخذ مزين فى قبة او بيت فاذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة جمعه ارائك انتهى والمعنى انه فى ترف من العيش ورفاهية فيه يجلس على كرسى وعظه وامارته (يقول) بطريق الوعظ لكم والنصيحة او الاحتجاج لبعض اغراض نفسه وحظوظها (عليكم) اى الزموا الاقتصار على العمل (بهذا القرآن) الذى بين اديكم يتلى ويحفظ ويكتب (فما وجدتم فيه) ولا يمكن ان يجدوا الا بحسب قدرتهم والا فكل شئ فى القرآن كما قال تعالى * ما فرطنا فى الكتاب من شئ * فالقاصر يجد على حسب قصوره فيلزم ان يجهل اكثر مما يعلم (من) حكم (حلال) وهو ما نص على تحليله بعينه اوجنسه كالبيع واكل الخبز (فاحلوه) اى احكموا بحله واعملوا على ذلك (وما وجدتم) انتم ايضا كذلك (فيه) اى فى هذا القرآن (من) حكم (حرام) وهو ما نص على تحريمه بعينه اوجنسه كالربا والرشوة (فحرموه) اى

Marfat.com

اخكموا بتحريمه ايضا واتركوا العمل به وهذا القول من قائله ذلك الرجل المذكور فيه قصور واضح اذلا يمكنهم ان يجدوا فى القرآن كلما حلله الله تعالى لهم وحرمه عليهم وان كان القرآن جامعا لجميع ذلك فلابد من النظر فى السنة النبوية ايضا فان فيها بيان ماخفى فى القرآن وايضاح مجمله وتفصيل مقتضياته ثم لما فرغ صلى الله عليه وسلم من حكاية قول الرجل المذكور قال (وانما) اى الحكم الذى (حرم) اى حكم بتحريمه (رسول الله) يعنى نفسه (كما) اى مثل الحكم الذى (حرم الله) من حيث ان كلا منهما بوحى من الله تعالى لنبيه عليه السلام كما ذكرنا لامن قبل رأى نفسه ثم قال صلى الله عليه وسلم (الا) للتنبيه والاستفتاح (لايحل لكم) معشر المسلمين (الحمار الاهلى) يعنى ان تأكلوا لحمه وكان يؤكل قبل ذلك قال الشيخ النووى رحمه الله فى شرحه على صحيح مسلم قدوقع فى اكثر الروايات ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحومها وفى رواية حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحوم الحمر الاهلية وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وجد القدور تغلى بلحمها فامر باراقتها وقال لاتأكلوا من لحومها شيئا وفى رواية نهينا عن لحوم الحمر الاهلية وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اهريقوها واكسروها فقال رجل يارسول الله اونهريقها ونغسلها قال اوذاك وفى رواية نادى منادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الاان الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر فانها رجس اونجس فاكفئت القدور بما فيها واختلف العلماء فى المسئلة فقال الجماهير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم بتحريم لحومها لهذه الاحاديث الصحيحة الصريحة وقال ابن عباس ليست بحرام وعن مالك ثلاث روايات اشهرها انها مكروهة كراهة تنزيه شديدة والثانية حرام والثالثة مباحة والصواب التحريم كما قاله الجماهير للاحاديث الصريحة واما الحديث المذكور فى سنن ابى داود عن غالب بن ابجر قال اصابتنا سنة فلم يكن فى مالى شئ اطعم اهلى الاشئ من حمر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم لحوم الحمر الاهلية فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اصابتنا السنة ولم يكن فى مالى ما اطعم اهلى الاسمان حمرواتك حرمت لحوم الحمر الاهلية فقال اطعم اهلك من سمين حمرك فانما حرمتها من اجل جوال القرية يعنى بالجوال الذى يأكل الجلة وهو العذرة فهذا الحديث مضطرب مختلف الاسناد شديد الاختلاف ولوصح حمل على الاكل منها فى حال الاضطرار اه كلامه ويمكن له وجه آخر بان يحمل قوله صلى الله عليه وسلم اطعم اهلك من سمين حمرك اى من اجرتهن اومن ثمنهن فانه لما وصفهن بالسمن للاكل حول النبى صلى الله عليه وسلم هذا الوصف للاجرة على الحمل والركوب والحراسة والدياسة ونحو ذلك بأخذ الاجرة عليها او بيعهن والاطعام من ثمنهن كما قال الفقهاء فيمن حلف لايأكل من هذه النخلة تقيد حنثه بأكله من تمرها حتى لواكل من عينها

Marfat.com

لم يحنث وان لم يكن لها ثمر يصرف اليمين الى ثمنها فيحنث اذا اشترى به مأكولا واكله فيه قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانما حرمتها من اجل جوال القرية اعتذار لغالب بن ابجر على قوله وانك حرمت لحوم الحمر الاهلية وبيان لسبب التحريم لا لعلل التحريم اذ الدليل حكم الله تعالى باوحى المنزل عليه (ولا) يحل لكم ايضا (كل ذى ناب من السباع) ان تأكلوا لحمه والناب هو السن خلف الرباعية مؤنث وجمعه انياب وانياب ونيوب وانايب كذا فى القاموس وقال النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير وفى رواية كل ذى ناب من السباع فاكله حرام والمخلب بكسر الميم وفتح اللام للطير والسباع بمنزلة الظفر من الانسان وفى هذه الاحاديث دلالة لمذهب الشافعى وابى حنيفة واحمد وداود والجمهور انه يحرم اكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير وقال مالك يكره ولا يحرم قال اصحابنا فذو ناب ما يتقوى به ويصطاد واحتج مالك بقوله سبحانه وتعالى * قل لا اجد فيما اوحى الى محرما * الآية واحتج اصحابنا بهذه الاحاديث قالوا والآية ليس فيها الا الاخبار بانه لم يجد فى ذلك محرما الا المذكورات فى الآية ثم اوحى اليه بتحريم كل ذى ناب من السباع فوجب قبوله والعمل به (ولا) يحل لكم ايضا (لقطة) من لقطه اخذه من الارض فهو ملقوط ولقيط ولقط الثوب رفعه واللقطة محركة وكخرمة وهمزة ما التقط كذا فى القاموس والمراد ما يجده الانسان فى الطريق وغير من الامتعة الساقطة من اصحابها . فى شرح الكنز لمسكين هى ما يوجد فى الطريق ولا يعرف له مالك بعينه سميت بها لانها تلقط غالبا (معاهد) من العهد وهو الامان والذمة عاهده اذا اخذ عليه عقد امان والذمة والمراد بالمعاهد الذمى الذى عاهده الامام على اعطاء الجزية والخراج فان له مالنا وعليه ما علينا ويدخل فى ذلك الحربى الذى دخل بالامان الى دار الاسلام فانه آمن على دمه وماله كالذمى فمن وجد لقطة لذمى اولمستأمن وجب ردها اليه بعد اقامة البينة كلقطة المسلم ويجوز ردها من غير وجوب عليه ان ذكر لعلامة فقط قال فى المنهج شرح المجمع يستحب اخذ اللقطة ورفعها خوفا من ان تصل اليها يد خائن وان خاف ضياعها يجب الالتقاط صونا لاموال الناس عن الضياع وقال بعض اصحابنا اذا خاف على نفسه الطمع فيها وانه لا يعرفها ولا يردها فالافضل الترك صيانة لنفسه عن الوقوع فى المحرم وهى امانة بشرط ان يشهد الملتقط انه يأخذها ليحفظها فيردها على صاحبها وان لم يشهد ضمن ويعرفها مدة يغلب على ظنه ان صاحبها لا يطلبها بعد ذلك ثم يتصدق بها على فقير لا غنى ان شاء فان جاء صاحبها فامضاها ولا ضمن الملتقط او لمسكين ان شاء وان كانت قائمة اخذها منه وايهما ضمن لا يرجع على الآخر . يجوز للفقير ان ينتفع بها لا للغنى الا باذن الامام ويجوز التقاط البهائم الضالة ويؤجرها

Marfat.com

الحاكم ويتفق عليها من الاجرة ان كان لها منفعة والاباعها وحفظ ثمنها وان اذن الحاكم للملتقط فى النفقة رجع بها ويحسبها لاستيفائها ولا كان متبرعا واذا دعاها لم تدفع اليه الا ببينة ويحل له دفعها بذكر علامة (الا ان يستغنى عنها) اى عن اللقطة (صاحبها) بان كانت حقيرة كتمرة ونحوها قال فى مختصر المحيط قال ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله تعالى ولا بأس بان يلتقط ما لا قيمة له اصلا مثل النوى وعلف الدواب وقشر الرمان اذا نبذه صاحبه والانتفاع به ولصاحبه ان يأخذه من الملتقط وان كان ذلك كثيرا لم يجز للملتقط ان يأخذه اه وكذلك ان وصل اليه ان صاحبها اباحها له اولكل من اخذها (ومن نزل) اى ضيفا (بقوم) اى صار ضيفا عندهم فى قرية او بلدة او محلة وقد تعذرت عليه كفايته من القوت ولم يمكنه الشراء (فعليهم) اى بطريق الوجوب حيث علموا به وهو محتاج الى القوت (ان يقروه) اى يضيفوه باعطائه كفايته من ذلك قال الجوهرى قريت الضيف قرى وقراء احسنت اليه اذا كسرت لاف قصرت واذا فتحت مددت وفى القاموس اقرئ طلب ضيافة فقوله ان يقروه بفتح الياء من قرأه لا بضمها من اقرأه وفى حديث الجامع الصغير للاسيوطى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما ضيف نزل بقوم فاصبح الضيف محروما فله ان يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه وقال الشارح المناوى فاصبح الضيف محروما من الضيافة اى لم يطعمه القوم تلك الليلة فله ان يأخذ من مالهم بقدر قراه اى ضيافته اى بقدر ما يصرف فى ثمن طعام يشبعه ليلته قال الطيبى وقوله فاصبح الضيف مظهر اقيم مقام المضمر اشعارا بان المسلم الذى ضاف قوما يستحق لذاته ان يقرى فمن منعه حقه فقد ظلمه فحق لغيره من المسلمين نصره واخذ بظاهره الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه فاوجب الضيافة وان الضيف يشتغل بأخذ ما يكفيه بغير رضاء من نزل عليه او على نحو بستانه اوزرعه وحمله الجمهور على انه كان فى اول الاسلام فانها كانت واجبة حين اذ كانت المواساة واجبة فلما ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة او على التأكيد كما فى غسل الجمعة واجب فلما ارتفع وجوب الاستقلال بالأخذ حمل على المضطر لكنه يغرم بدله بعد او على مال اهل الذمة المشروط عليه ضيافة من نزل بهم لادلة اخرى كخبر لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس واما قول بعض المالكية المراد انه له ان يأخذ من عرضهم بلسانه ويذكر للناس عيوبهم فمعورض بان الاخذ من العرض والتحدث بالعيب عيب ندب الشارع الى تركه لا الى فعله وفى حديث الجامع ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل اضاف قوما فاصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ بقرى اى ضيافة ليلته من زرعه وماله وقال الشارح المناوى ويقتصر على ما يشد الرمق بشين معجمة اى يقوى بقية الروح او مهملة اى يسد الخلل الحاصل

Marfat.com

من الجوع قال الطيبي وافرد الضمير فيها باعتبار المنزل عليه والمضيف وهو واحد ثم هذا فى المضطر اوفى اهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المارة (وله) اى يجوزله (ان يعقبهم) اى يجازيهم قال الجوهرى اعقبه بطاعته اى جازاه والعقبى جزاء الامر والمعنى ان يجازيهم على منعهم حقه فلا يحترمهم ولا يستأذنهم (بمثل قراه) اى بأخذ مثل ضيافته اى مقدار ذلك يعنى قدر حاجته المضطر اليها من المأكل والمشرب وعلف الدابة ونحو ذلك واخرج الامام البيهقى فى المدخل هذا الحديث المذكور برواية اخرى اسندها عن المقدام بن معدى كرب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الا انى اوتيت الكتاب ومثله الا انى اوتيت القرآن ومثله الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة مال معاهد الا ان يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فان له ان يعقبهم بمثل قراه وروى باسناده ايضا عن الحسن بن جابر انه سمع المقدام بن معدى كرب الكندى صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول حرم النبى صلى الله عليه وسلم اشياء يوم خيبر منها الحمار الاهلى وغيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يقعد الرجل منكم على اريكته يحدث بحديثى فيقول بينى وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله عز وجل وهذا اسناد صحيح * الحديث الثالث (دت) يعنى رواه ابوداود والترمذى باسنادهما (عن ابى رافع رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين) بضم الهمزة اى اجدن يقال الفيت الشئ بالفاء وجدته قاله الجوهرى والمعنى لاجعلنى الله تعالى اجدن (احدكم) اى الواحد منكم ايها المؤمنون (متكئا) اى معتمدا مستندا قال فى القاموس توكأ عليه تحمل واعتمد (على اريكته) اى سريره وكرسيه (يأتيه) اى يصل اليه (امرى) اى شانى (مما) اى من جهة الامر الذى (امرت به) الامة بطريق الخلافة عن الله تعالى فى الارض (اونهيت) الامة عنه بالنيابة عن الله تعالى (فيقول) ذلك المتكئ على اريكته (لا ادرى) هذا الوارد الى من الامر والنهى (وما) اى الحكم الذى (وجدناه فى كتاب الله) تعالى من الامر والنهى (اتبعناه) لاغير وهذا قول من طبع الله على قلبه فاراد ان يفرق بين الله ورسوله ولن يصل الى ذلك ابدا قال البيهقى فى المدخل زاد ابو عبد الله فى روايته بهذا الاسناد عن الشافعى رضى الله عنه قال وفى هذا ثبيت الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلامهم انه لازم لهم وان لم يجدوا له نص حكم فى كتاب الله عز وجل * الحديث الرابع (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعنى خطيبا (فقال ايحسب

﴿ احدكم ﴾

Marfat.com

احدكم) حال كونه (متكئا) اى مستنداً (على اريكته) اى كرسيه (يظن)
تأكيد لفظي ليحسب بمرادفه (ان الله) تعالى (لم يحرم) على الامة (شيئا الا ما)
اى الذى (فى هذا القرآن) من المحرمات الظاهرة منه لكل احد والا فقد قال تعالى
ما فرطنا فى الكتاب من شئ وفى الحديث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال
ما احل الله فى كتابه والحرام ما حرم الله فى كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه اخرجه
الاسيوطى فى الجامع الصغير فان فى القرآن من الاحكام ما لا يظهر بالبداهة لغالب
الانام ولهذا لما دقق نظر امامنا ابى حنيفة رضى الله عنه فى استنباط المسائل من القرآن
ما لم يعثر عليه اكثر المجتهدين نسب اليه القاصرون القول بالرأى فان من وجد الحكم
فى كتاب الله تعالى لا يعدل عنه الى السنة ومن لم يجده فى الكتاب عدل الى السنة (الا)
للاستفتاح والتنبيه (وانى قد امرت) بالمعروف الذى وجدته فى كتاب الله تعالى
ما لم يجد غيرى وهى الحكمة التى قال الله تعالى عنها *وانزل الله عليك الكتاب والحكمة*
وهى السنة النبوية كما قدمناه فان امره صلى الله عليه وسلم من امر الله تعالى لانه نبيه
ورسوله روى البيهقى فى المدخل باسناده عن ابى جعفر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه دعى اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام فصعد
النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس فقال ان الحديث سيفشو عنى فما اتاكم عنى
يوافق القرآن فهو عنى وما اتاكم عنى يخالف القرآن فليس عنى وقال الشافعى
رضى الله عنه وليس يخالف الحديث القرآن ولكن حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم مبين معنى ما اراد خاصا وعاما وناسخا ومنسوخا ثم يلزم الناس ما سن
بفرض الله تعالى فمن قبل عن رسول الله صلى الله عيه وسلم فعن الله قبل وعن على
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تكون بعدى رواة يروون
عنى الحديث فاعرضوا حديثهم على القرآن فما وافق القرآن فحدثوا به ومالم يوافق
القرآن فلا تأخذوا به (ووعظت) اى ذكرت الترغيب والترهيب و بشرت وانذرت
اخذا من كتاب الله تعالى بوجه لم ينكشف لغيرى (ونهيت) الامة (عن اشياء)
من الاقوال والاعمال والاعتقادات والاحوال التى وصلت الى من كتاب الله تعالى
ولم يهتد الى طريقها احد من المجتهدين اصلا لان طريق الوصول اليها الوحى والنبوة
لا الاجتهاد وان اقر النبى صلى الله عليه وسلم قول المجتهد المخطئ ووعده بالثواب عليه
مرة لضرورة فقدان الوحى والنبوة (انها) اى تلك الاشياء التى نهيت عنها (مثل) المناهى
الظاهرة لكم من (القرآن) لانى اخذتها منه بالوحى والنبوة والامر ونهى الا ما فى القرآن
يدل عليه ما رواه البيهقى فى المدخل باسناده عن ابن طاوس عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه يا ايها الناس لا تمسكوا على بشئ فانى
لا احل الا ما احل الله ولا احرم الا ما حرم الله فى كتابه اه وجميع علم النبى صلى الله

Marfat.com

عليه وسلم من القرآن لكنه من وجه الوحى والنبوة فلهذا لايمكن ان يصل اليه غير نبى وفتح الاولياء وان كان فى القرآن ايضا كذلك ولكنه من وجه آخر غير وجه الوحى والنبوة وكذلك علم المجتهدين ولكنهم زادوا بالاخذ من بيان النبى صلى الله عليه وسلم الذى هو السنة وبيان غيرهم من المؤمنين الذى هو الاجماع والتأمل بالمقايسة فى الكتاب والسنة والاجماع الذى هو القياس والكل يجتمعون فى اصل واحد هو مأخذهم وهو القرآن اخذ منه النبى سنته والولى فتحه والمجتهد علمه (او اكثر) من المناهى الظاهرة لكم من القرآن لزيادة اطلاع النبى صلى الله عليه وسلم على كتاب الله تعالى مالم تطلع عليه الاولياء ولا المجتهدون فيكشف منه عن اكثر ماظهر لهم كلهم فلهذا تمسك الامام الشافعى رحمه الله تعالى وغيره من المجتهدين بالسنة اكثر من الكتاب حيث قال الشافعى رضى الله عنه اذا صح الحديث فهو مذهبى (وان الله) تعالى (لم يحل) بالضم من احل اى جعل حلالا لكم (ان تدخلوا بيوت اهل الكتاب) من اليهود والنصارى وغيرهم لان ذلك يؤذيهم ولايجوز ايذاء اهل الذمة (الا باذن) منهم فى ذلك (ولا) احل لكم ايضا (ضرب نسائهم) اى اهل الكتاب لان فيه كمال ايذائهم (ولا) احل (اكل ثمارهم اذا اعطوكم) الحق (الذى عليهم) من الجزية والخراج فاذا امتنعوا من ذلك انتقض عهد ذمتهم عند الأئمة الثلاثة خلافا لابى حنيفة قال والدى رحمه الله تعالى عند شرح قول صاحب الدرر لاينتقض عهده اذا امتنع عن الجزية لان التزامها باق وبالاباء تؤخذ منه جبرا وفى رواية كما فى المجمع ذكرها فى الواقعات فى كتاب الزكاة انه ينتقض وهو قول الثلاثة هذا اذا ابى عن دفعها اما لو ابى عن قبولها انتقض عهده كذا فى فتح القدير واذا انتقض عهدهم حل فيهم ماحل فى اهل الحرب واصل الحديث ماذكره البيهقى فى المدخل باسناده عن العرباض بن سارية السلمى قال نزلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم خيبر ومعه من معه من اصحابه وكان صاحب خيبر رجلا ماردا منكرا فاقبل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد الكم ان تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضرب نساءنا فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد الا ان الجنة لاتحل الا لمؤمن وان اجتمعوا للصلاة قال فاجتمعوا ثم صلى بهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قام فقال ايحسب احدكم متكئا على اريكته يظن ان الله عزوجل الى آخر الحديث المتقدم ذكره * لحديث الخامس (م) يعنى روى مسلم باسناده (عن جابر رضى الله عنه) انه قال (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب) فى الجمع والاعياد وغيرهما اوفى غالب امره بحسب الوقائع الدينية والدنيوية (احمرت عيناه) من كمال شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تبليغ احكام الله تعالى (وعلا) اى ارتفع (صوته) لتنفذ دعوته الى الحق فى جوانب مجلسه على التمام (واشتد غضبه) فى اظهار دين الله تعالى وايصاله الى صميم القلوب (كأنه)

Marfat.com

عليه الصلاة والسلام فى تلك الحالة (منذر) اى مخوف (جيش) اى عسكر عظيم من غارة تدركهم (يقول) فى انذاره للجيش من تتمة التشبيه (صبحكم) بالتشديد اى ادركم العدو فى وقت الصباح (ومساكم) بالتشديد ايضا اى ادركم فى وقت المساء فتهيؤا للقائه ومقارعته و يحتمل ان يكون معنى ذلك صبحكم الامر الذى انذركم به فى الآخرة ومساكم من شدة قربه منكم (ويقول) فى خطبته ايضا (بعثت) اى بعثنى الله تعالى (انا والساعة) اى القيامة قال المناوى فى شرح الجامع الصغير الساعة الوقت الذى تقوم فيه القيمة وهى ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم (كهاتين) اى كأصبعين من شدة القرب (ويفرق بين اصبعيه) يسيرا (السبابة) وهى المسبحة (والوسطى) وهو من تمثيله صلى الله عليه وسلم الغائب بالحاضر اشارة الى دوام شريعته وبقائها الى يوم القيمة وانه لا يتخلل بينه وبين الساعة نبى ولا شريعة (و يقول) فى الخطبة (اما بعد) بالبنا على الضم اى بعد دعائى لك واول من قاله داود عليه السلام او كعب بن لؤى كذا فى القاموس وتقدم هذا فى شرح الخطبة (فان خير الحديث) وهو الخبر يأتى على القليل والكثير و يجمع على احاديث على غير قياس قال الفراء نرى ان واحد الاحاديث احدوثة ثم جعلوه جمع الحديث ذكره الجوهرى (كتاب الله) وهو القرآن العظيم (وخير الهدى) جمع هدية وهى السيرة قال الجوهرى وما احسن هديته وهديته ايضا بالفتح اى سيرته والجمع هدى مثل تمرة وتمر و يقال ايضا هدى هدى فلان اى سار سيرته وفى الحديث واهدوا اهدى عمار (هدى محمد عليه السلام) نبينا ورسولنا (وشر الامور) اى الافعال والاقوال والاحوال والاعتقادات (محدثاتها) اى المحدثات منها فى الدين بعد زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة والتابعين لهم باحسان رضى الله عنهم (و كل) امر (محدث) فى الدين لم يكن فى الصدر الاول من فعل او قول او حال او اعتقاد (بدعة) اى فعلة على خلاف الملة المحمدية (وكل بدعة ضلالة) اى يضل بها صاحبها عن طريق السنة * الحديث السادس (خ) يعنى روى البخارى باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة) يعنى امة الاجابة وهم المسلمون المؤمنون به صلى الله عليه وسلم وبجميع ما ورد عنه و يحتمل ان يراد بالامة ما يشمل امة الدعوى ايضا بقرينة قوله (الا من ابى) اى امتنع ان يدخل الجنة (قيل) اى قال احد ممن حضر تعجبا من حال من ابى ان يدخل الجنة (ومن ابى) يعنى اى انسان امتنع من ذلك وهو مراد الكل (قال) صلى الله عليه وسلم (من اطاعنى) فى كل ما امرت به و نهيت عنه بالظاهر والباطن (دخل الجنة) خالدا فيها ابدا (ومن عصانى) اى لم يطعنى فى امتثال كل ما امرت به ونهيت عنه مع الايمان بذلك ان اريد بالامة امة الاجابة بقرينة ذكر العصيان فانه مشتهر بمعنى الفسق لا الكفر وان اريد امة الدعوى

Marfat.com

فمن عصانى لم يطعنى فيما امرت به ونهيت عنه لاايمانا ولاعملا وهو الكافر (فقد ابى) اى امتنع ان يدخل الجنة *الحديث السابع (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن ابى سعيد رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل طيبا) اى حلالا متيقن الحل لاشبهة فيه وان جاز اكل مافيه شبهة روى عن ام عبدالله بنت اوس الانصارية اخت شداد بن اوس انها بعثت الى النبى صلى الله عليه وسلم بقدح لبن عند فطره فرد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وقال انى لك هذا قالت من شاة لى قال انى لك الشاة قالت اشتريتها من مالى فشرب ثم قال صلى الله عليه وسلم امرت الرسل ان لاتأكل الاطيبا ولاتعمل الا صالحا ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (وعمل) بقلبه فى اعتقاد وبلسانه فى قول وبجوارحه فى فعل وبنفسه فى حال عملا كائنا (فى سنة) اى اتباع للنبى صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا (وامن الناس) من اهل الاسلام ولوفاسقين اومعاهدين من الكفار (بوائقه) جمع بأنقة وهى الداهية وباق جاء بالشر والخصومات وباق به حاق وباق القوم عليه اجتمعوا فقتلوه ظلما وباق المال فسد وبار وباق فلان تعدى على انسان اوهجم على قوم بغير اذنهم كباق وباق القوم سرقهم كذا فى القاموس (دخل الجنة) من غير عذاب يسبق (قالوا) اى الحاضرون من الصحابة رضى الله عنهم (يارسول الله ان هذا) يعنى اكل الطيب والعمل فى سنة وامن الناس البوائق (فى امتك) يعنى امة الاجابة المسلمين لك المؤمنين بك وبجميع ماجئت به من عندالله تعالى (اليوم) يعنى فى ذلك الزمان الاول فى صدر الاسلام (كثير) حيث لم تظهر البدع بعد (قال) صلى الله عليه وسلم (وسيكون فى قوم) نكرهم للتقليل اوللتعظيم (بعدى) يعنى الى يوم القيمة فان الله تعالى حاشاه ان ينزع الكمال من هذه الامة المحمدية وقد شهد لها بالخيرية فى قوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس المتران الصحابة والتابعين رضى الله عنهم كان فيهم المنافقون والفاسقون ولم يخرجوا بذلك عن الكمال من حيث عموم الظاهر *الحديث الثامن (هق) يعنى روى البيهقى باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى عنه وعن ابيه العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تمسك بسنتى) اى احتفظ على العمل بها (عند فساد امتى) باتباع الاهواء والبدع بحيث تصير نفوسهم لاتطمئن فى الاعمال والمعاملات الا الى الوساوس الشيطانية والاختراعات العقلية مع علمهم بالسنن النبوية والمقادير والحدود الشرعية وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (فله) عندالله تعالى يوم القيمة (اجر) اى ثواب (مائة شهيد) قاتل فى سبيل الله فقتل لما يلحقه من المشقة فى العمل بالسنة واحيائها لعدم المعاون وكثرة العوائق كما تلحق الشهيد المقاتل للكفار كذا فى شرح الشرعة* الحديث التاسع (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن زيد بن ملحة عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدين) اى دين الاسلام الذى هو ملة محمد صلى الله عليه وسلم (بدا) اى ظهر قال الجوهرى

Marfat.com

بدا الامر بدوا مثل قعد قعودا اى ظهروابديته اظهرته (غريبا) اى مستغربا يستغرب احكامه كل احد لعدم معرفته والايتلاف به (ويرجع) فى آخر الزمان (غريبا) ايضا كما بدا فلا يعرفونه ولا يأتلفون به فينكرونه وقد كان فيما بين بدايته ورجوعه معروفا مألوفا وهو زمان عزته ونصرته يجدون عليه اعوانا صدورهم مملوءة توحيدا وايمانا ومعرفة وايقانا واخلاصا واحسانا (فطوبى) فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا واللضمة قبلها ويقال طوبى لك وطوباك بالاضافة قال يعقوب ولاتقل طوبيك بالياء قاله الجوهرى (للغرباء) جمع غريب وهو الانسان الغريب فانه الذى يستمسك بالدين الغريب فهو غريب مثله وقد فسرهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (الذين يصلحون) من اصلحه ضدا فسده والصلاح ضد الفساد كالصلوح صلح كمنع وكرم وهو صلح بالكسر وصالح وصليح كذا فى القاموس (ما) اى الذى (افسد الناس) اوافسادهم (من بعدى) متعلق بافسد (من سنتى) اى سيرتى وطريقتى اعتقادا اوعملا اوقالا اوحالا واصلاحهم لما فسد من السنة اما بامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر على وجه العموم من غير تخصيص احد باللسان ولا بالقلب مع سترعورات المسلمين وتغطية ماانكشف من قبائحهم كما هو الطريقة المسنونة فى الامر والنهى لا المبتدعة التى اخترعها جهلة العلماء من كشف فضايح المسلمين واستباحة اعراضهم على توهم المنكر فضلا عن تحققه او بالعمل بذلك والمواظبة عليه حتى يقتدى به اهل الدين والتقوى مع الاخلاص والخشوع او بتصنيف الكتب فى بيان ذلك او باقراء الكتب المصنفة فيه او بالاعانة عليه والترغيب فيه وعدم المبالاة بفساد الزمان والاخوان حتى ورد فى حديث آخر تفسير الغرباء اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وهو قوله صلى الله عليه وسلم طوبى للغرباء اناس صالحون فى اناس سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم وقال الشارح المناوى وفى رواية بدله من يبغضهم اكثر ممن يحبهم ومن ثمه قال الثورى اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه لو نطق بالحق لابغضوه قال الغزالى وقد صار ما ارتضاه السلف من العلوم غريبا بل اندرس وما اكب الناس عليه فاكثر مبتدع وقد صارت علوم اولئك غريبة بحيث يمقت ذاكرها * الحديث العاشر (م) يعنى روى مسلم باسناده (عن رافع بن خديج انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انتم) يامعشر المكلفين من الصحابة وغيرهم (اعلم) اى اكثر علما منى (بامر دنياكم) لكثرة اشتغالكم بذلك وليس امر الدنيا بامر عظيم القدر عند الله تعالى حتى يدخل النقص فى جناب النبوة بنفى الاعلمية فيه حيث كانت الدنيا ماعونة ملعون مافيها الا ذكر الله كما ورد فى الخبر وتقدير المعنى فلا تحتاجون فى احوال الدنيا الى امرى لكم فيها بما ينفعكم من التصرفات ونهى عما يضركم لاكتفائكم فى ذلك بنظر عقولكم وتجربتكم وقائع الاحوال ولكن (اذا امرتكم بشىء من) امر (دينكم)

Marfat.com

امتثالا لطاعة اوانكفافا عن معصية فدخل النهى فى الامر لانه امر بالكف كما ان الامر امر بالفعل (فخذوا) اى تمسكوا واحتفظوا (به) وامتثلوا له والتقدير فانى اعلم منكم بامر دينكم كما جاء فى حديث آخر فوالله لانا اعلمهم بالله واشدهم له خشية

الحديث الحادى عشر (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما) اى عنه وعن ابيه عمر بن الخطاب (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يؤمن) اى يصدق ويعترف بما جئت به من عندالله تعالى امرا ونهيا ظاهرا وباطنا (احدكم) اى الواحد منكم ذكرا كان اوانثى (حتى يكون هواه) اى ميله ورغبته ومحبته (تبعا) اى تابعا (لما جئت به) من عندالله تعالى من الشرايع والاحكام بحيث لا يستحسن برأيه وعقله زيادة فيه اونقصانا منه ولا يستقبح بنظره ما يخالف شيئا من ذلك بل يصير رأيه وعقله ونظره فى اثر ما جاء عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحكم فيه الوارد فى الشرع لا يحكم هو فى الوارد فى الشرع الحديث الثانى عشر (خم) يعنى روى البخارى ومسلم باسناد هما (عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال ليأتين) اى والله ليأتين (على امتى) يعنى امة الاجابة المؤمنين به عليه السلام بسبب طول العهد عن زمن نبوته ونقصان النقلة لدينه من غير زيادة ولانقصان وذهاب العدول الا قليلا (كما اتى على بنى اسرائيل) اى امة موسى عليه السلام يعنى من التغيير والتبديل لشرايع الدين والزيادة فيها والنقصان منها (حذو) بالذال المعجمة (النعل بالنعل) قال الجوهرى حذوت النعل بالنعل حذوا اذا قدرت كل واحدة على صاحبتها يقال حذو القذة بالقذة اه والمعنى موافقة هذه الامة لبنى اسرائيل موافقة كلية فى جميع ما صدر منهم فى دين الله تعالى (حتى ان كان منهم) اى من بنى اسرائيل (من اتى) اى جامع (امه) التى ولدته (علانية) اى جهرا من غير استتار وهو افحج معصية فى الاسلام عقلا وشرعا ومروة وعرفا (لكان فى امتى من يصنع ذلك) ايثارا لهوى نفسه على ما جاء به نبيه صلى الله عليه وسلم من عند ربه من الحق وبنو اسرائيل هؤلاء هم اولاد يعقوب جمع ابن قال البيضاوى الابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعربية صفوة الله وقيل عبد الله وقال الخازن اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب عليه السلام ان اسحق عليه السلام ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين (وان بنى اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة) بالكسر وهى الشريعة والدين كذا فى القاموس (وتفترق امتى) يعنى امة الاجابة المؤمنين به صلى الله عليه وسلم لان امة الدعوى مفترقون اكثر من ذلك فى زمانه عليه السلام على ثلاث وسبعين ملة بزيادة ملة واحدة ولعل ذكر السبعين للتكثير لا للتعديد (كلهم

Marfat.com

فى النار) للتطهير لا للتكفير اذا وكفروا لكانوا امة دعوى لا امة اجابة فساووا ملل امة الدعوى وكذلك كل فرقة كفرت منهم خرجت على الثلاث والسبعين واصله ان الخطأ فى الاجتهاد فى الاعتقاد اذا كان فى غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة هل يوجب الكفر ام لا كان الخطأ فى الاجتهاد فى العمليات فى غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة مثاب عليه اتفاقا واما المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة من قسم الاعتقاديات كحدوث العالم وحشر الاجساد وثبوت صفات الله تعالى مما جحدته الفلاسفة ومن قسم العمليات كاركان الاسلام الخمسة وحرمة الرباوالزنا وشرب الخمر والسرقة والظلم ونحو ذلك فان الاجتهاد فى شئ من هذا باطل لا يصح اجماعا لان جحوده كفر قال فى شرح مرقاة الاصول فى الخلاف فى الاجتهاد بين اهل السنة والمعتزلة فالمجتهد يخطئ ويصيب عندنا وعندهم كل مجتهد مصيب بناء على ان الحكم عند الله واحد عندنا ومتعدد عندهم فان المجتهدين اذا اجتهدوا فى حادثة واحدة فالحكم عند الله تعالى على رأينا واحد منهما وعلى رأيهم ما دى اليه اجتهاد كل مجتهد وهذا الخلاف فى الشرعيات لا العقليات كمباحث تتعلق بالذات والصفات والافعال من الالهيات والنبوات فان الملليين اجمعوا على وحدة المصيب فى العقليات الا عند بعض المعتزلة وهو ابو الحسن العنبرى والجاحظ فانهما قالا ان كل مجتهد مصيب فى مسائل الكلام وفى شرح المنار لابن ملك وهذا الخلاف فى الشرعيات لا فى العقليات التى من اصول الدين والحق فيها واحد بالاجماع والمخطئ فيها كافر ان خالف ملة الاسلام كاليهودى والنصرانى انتهى وتقديره وان لم يخالف ملة الاسلام بأن كان اجتهاده فى غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكون كافرا ان اخطأ فى ذلك وهو ما فصلناه آنفا فهؤلاء الثلاث والسبعون فرقة ان لم يكفروا بجحود مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كلهم مسلمون مجتهدون فى دين الاسلام من حيث الاعتقاد فمن اخطأ منهم فى اجتهاده كان فاسقا مبتدعا ضالا وليس بكافر ولا يثاب على خطاه كما لو اخطأ المجتهد فى العمليات الاعلى مقتضى مذهب ابى الحسن العنبرى والجاحظ من المعتزلة لتسويتهم فى صحة الاجتهاد وقبول الخطأ فيه بين العمليات والاعتقاديات ومما يؤيد ما قلناه قوله صلى الله عليه وسلم كفوا عن اهل لا اله الا الله لا تكفروهم بذنب فمن اكفر اهل لا اله الا الله فهو الى الكفر اقرب اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وقال شارحه المناوى فمخالف الحق من اهل القبلة ليس بكافر مالم يخالف ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الاجساد فانه حينئذ ليس من اهل لا اله الا الله فتكفره اه واذا تأملت هذا ظهر لك الجواب عن قول العلامة السعد التفتازانى فى شرح عقائد النسفى رحمهما الله تعالى والجمع بين قولهم لا نكفر احدا من اهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القرآن او استحالة الرؤية او سب الشيخين ابى بكر وعمر رضى الله

Marfat.com

عنهما ولعنهما وامثال ذلك فشكل انتهى كلامه فان المراد باهل القبلة من لم يكفر بانكار مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة والتكفير بهذه الثلاثة المذكورة مختلف فيه بين المجتهدين فمن اكفر بها اراد باهل القبلة من لم يقل بذلك (الا ملة واحدة) استثناها فبقى اثنان وسبعون ملة مقدار ملل بنى اسرائيل وهذه الملة المستثناة لاتدخل النار اصلا بسبب عدم عصيانها فى الاعتقاد ان ماتت معتقدة مقتضى مذهبها ولكن يمكن أن تدخل النار بسبب عصيانها فى العمل هذا ان حملنا افتراق هؤلاء المسلمين الثلاث والسبعين ملة على افتراقهم فى الاعتقاد فقط وان اطلقنا، فى الاعتقاد وفى العمل ايضا على معنى افتراقهم فى الشيئين معا بقرينة قوله عليه السلام فى صدر الحديث حتى ان كان منهم من أتى اى جامع امه علانية لكان فى امتى من يصنع ذلك فان هذا متابعة فى العمل فتكون هذه الملة المستثناة لاتدخل النار اصلا بسبب عدم عصيانها فى الاعتقاد وفى العمل ان ماتت على ذلك وهو المتبادر من ظاهر الحديث (قالوا) اى من حضر من الصحابة رضى الله عنهم (من هى) اى تلك الملة الواحدة (يارسول الله قال ما) اى الذى اوامر وشان معناه ملة (انا) منطو (عليه واصحابى) من هذه الملة الاسلامية والسيرة المرضية المحمدية والمراد بالملة هنا وفيما تقدم اصحاب الملة المعتقدون لها العاملون بمقتضاها من اطلاق احد المتجاورين على الآخر لانها تجار ورهم بالاعتقاد لها والعمل بها فصح اطلاقها عليهم وان يرادو ابها كما قالوا من هى فاستفهموا عن اصحابها بمن التى تستعمل فيمن يعقل فقال عليه السلام ما انا عليه مجيبا بما التى تستعمل فيما لا يعقل بمعنى الملة نفسها وفى كتاب المدخل قال البيهقى قد اخبر سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم عما ظهر بعده من اختلاف الامة وحذرهم متابعة اهل الاهواء منهم فيما احدثوا من البدعة وحثهم على متابعة سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده من الصحابة ودلهم بالاشارة الى ما كانوا عليه على الفرقة الناجية فمن سلك فى دينه سبيلهم ولزم فى متابعة الكتاب والسنة هديهم فاز فوزا عظيما ونال حظا جسيما ولعل قائلا يزعم ان المجتهدين من اهل السنة والجماعة اختلفوا ايضا اختلافا كثيرا وتباينوا تباينا شديدا فهم وان اختلف اجتهادهم فيما يسوغ فيه الاجتهاد فقد اجتمعوا من حيث لم يخالف واحد منهم كتابا نصا ولا سنة قائمة ولا اجماعا ولا قياسا صحيحا عنده وان كل واحد منهم قد ادى ما كلف من الاجتهاد واحرز الاجر الموعود على طلب الصواب واختصاص بعضهم باحراز الاجر الآخر الموعود على اصابة العين التى امر بالاجتهاد فى طلبها فضل الله يؤتيه من يشاء والذى لم يصبها غير آثم بالخطأ لانه انما كلف فى الحكم الاجتهاد على الظاهر دون الباطن ولا يعلم الغيب الا الله فهم مع اختلافهم هذا النوع من الاختلاف من اهل السنة والجماعة وانا نرجو ان لا يؤخذ على واحد منهم انه قصد ان يخالف كتابا نصا ولا حديثا ثابتا ولا قياسا صحيحا عنده ولكن

Marfat.com

قد يجهل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها لانه عمد خلافها وقد يغفل المرء ويخطئ فى التأويل وقد تكون نازلة ويوجد لها فى اصلين شبه فيذهب ذاهب الى اصل والاخر الى اصل غيره فيختلفان ثم بسط الكلام فى هذا المقام * الحديث الثالث عشر (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم قال لى يابنى) هذه حكاية قول انس رضى الله عنه وفى هذا النداء لانس ما لا يخفى من الأكرام والتحنن والانس (ان قدرت) اى اقدرك الله تعالى بعنايته وتوفيقه (ان تصبح) يعنى فى كل صباح طول عمرك (وتمسى) فى كل مساء طول عمرك (و) الحال انه (ليس فى قلبك) اضمار (غش) بالكسر اسم من غشه لم يمحضه النصح او اظهر له خلاف ما اضمر كغششه والغش الغل والحقد و بالضم الغاش كذا فى القاموس (لاحد) بالتنكير ليشمل المؤمن والكافر والصديق والعدو والانسان وغيره (فافعل) كذلك وعود نفسك برياضيتها على ذلك ليطهر قلبك من ادناس الوسواس (ثم قال) النبى صلى الله عليه وسلم لانس رضى الله عنه (يابنى وذلك) يعنى سلامة القلب من اضمار الغش لاحد أما (سنتى) اى سيرتى وطريقتى (ومن احب سنتى) هذه وغيرها ايضا فعمل عليها حتى تخلق بها (فقد احبنى) اى كان ذلك دليلا على انه يحبنى فان من احب احدا احب جميع افعاله كما قال القسطلانى فى مواهبه ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراءة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان فى قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى او من حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه فتعمه تلك الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوى برى عطف محبوبه الذى لا شئ اروى لقلبه من عطفه عليه ولا شئ اشد للهيبة وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب اهل النار باحتجاب ربهم عنهم اشد عليه من العذاب الجسمانى كما ان نعيم اهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم من النعيم الجسمانى لاحرمنا الله تعالى ذوق حلاوة هذا الشراب (ومن احبنى كان معى فى الجنة) يعنى اوصلته محبة الرسول صلى الله عليه وسلم الى النعيم الابدى والرضوان السرمدى فان المرء مع من احب كما ورد فى الحديث وليس المراد انه معه فى منزلته بل مطلع عليه وكاشف عنه وكل واحد منهما فى منزلته لم يتغير عنها قال الشيخ النووى فى شرح مسلم عند الكلام على هذا الحديث فيه فضل حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم والصالحين واهل الخير الاحياء والاموات ومن افضل محبة الله تعالى ورسوله امتثال امرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية ولا تشترط فى الانتفاع بمحبة الصالحين

Marfat.com

ان يعمل عملهم اذلو عمله لكان منهم وقد صرح فى الحديث الذى بعد هذا بذلك فقال رجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال اهل العربية لما النفى الماضى المستمر فتدل على نفيه فى الماضى وفى الحال بخلاف لم فانها تدل على الماضى فقط ثم انه لا يلزم من كونه معهم ان تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه * الحديث الرابع عشر (دن) يعنى روى ابو داود والبزار باسناد هما (عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر) ابن الخطاب رضى الله عنه (فقال) يعنى عمر رضى الله عنه (انا نسمع احاديث) جمع حديث وهى اخبار الكتب الماضية (من) اناس (يهود) جمع يهودى وهم الزاعمون انهم الآن من امة موسى عليه السلام (تعجبنا) تلك الاحاديث لما فيها من الحكم والمواعظ (افترى) اى افتنظر (ان نكتب) اى نجمع عندنا (بعضها) لنعتبر به ونتعظ بمعانيه (فقال) صلى الله عليه وسلم (امتهوكون انتم) اى متحيرون قال الجوهرى التهوك التحير وفى الحديث امتهوكون انتم قال ابن عون فقلت للحسن ما متهوكون قال متحيرون والتهوك ايضا مثل التحير وهو الوقوع فى الشئ بقلة مبالاة (كما تهوكت) اى تحيرت (اليهود والنصارى) جمع نصرانى وهم الزاعمون انهم الآن من امة عيسى عليه السلام (لقد جئتكم) من عند الله تعالى (بها) اى بتلك الاحاديث التى تعجبكم (بيضاء) اى منيرة مشرقة بالفاظ عربية فصيحة ومعان واضحة راجحة بخلاف تلك الاحاديث التى هى عند اهل الكتاب فانهم تلقوها من ابنائهم باللسان العجمى وتناقلتها فهوم الجاهلية فى ايام الفترة فكثفت لطائفها وجهلت معارفها وطمست انوارها وكدرت انهارها (نقية) اى خالصة من شوب الخفاء والالتباس متطهرة من انواع العيوب والادناس بخلاف احاديث اهل الكتاب فانهم لما نقلوها من العجمية الى العربية دنسوها بقبائح كلماتهم وخلطوها بخبائث وساوسهم (واو كان موسى) بن عمران عليه السلام (حيا) فى هذا الزمان (ما وسعه) اى ما جاز له (الا اتباعى) ولا يسوغ له ان يستقل بشريعته دونى اذ هو صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء ورسول المرسلين من حضرة رب العالمين وقد اخذ الله تعالى الميثاق على جميع الانبياء والمرسلين ان كل من لقيه صلى الله عليه وسلم منهم وادرك زمانه يكون تابعا له فى شريعته كما قال تعالى * واذ اخذ الله ميثاق النبيين * الآية وقد قدمنا الكلام على هذا المبحث وفى الحديث اشارة الى انه لا يجوز لعالم ولا جاهل ان ينظر فى كتب اهل الكتاب اليوم ولا فى التوراة والانجيل والزبور والصحائف الموجودة الآن بايدى الكفار ولو بنية الانتصاح والاعتبار كما كره الفقهاء الدخول الى البيعة او الكنيسة لانها مأوى الشياطين وكذلك كتبهم وصحائفهم الآن التى حرفوها وغيروها وبدلوها صارت مشتملة على كلام الشياطين ولهذا جوز بعض الشافعية الاستنجاء بها اذا خلت من ذكر الله تعالى قال الشيخ عاوان بن عطية الحموى رحمه الله

Marfat.com

تعالى فى كتابه هداية العامل وماحرف من الكتب اونسخ لاحرمة له ولايجوز الايمان بالمحرف ولاالعمل به بل بالغ بعض العلماء فجوز الاستنجاء بالتوارة التى فى ايدى اليهود اليوم وعندى فيه نظر الاماتحقق تحريفه بالالفاظ الكفرية ونحوها اه وقرأت فى هذا المحل على هامش نسخة من الكتاب المذكور هداية العامل من خط العلامة المرحوم الشيخ شمس الدين الميدانى قال ماذكره من النظر هو الصواب لان التوراة حق لاشك فيه فاحترامها واجب لانها كلام الله تعالى ونحن الآن شاكون فيها هل بدلت ام لا الاجائزان يقال بدلت كلها لان فيها مايجزم الانسان بانه غير مبدل بل يقال بدل بعضها واختلف الائمة هل هو تبدل معنى مع بقاء اللفظ بحاله اوتبديل لفظ بلفظ وعلى كل تقدير فقد اشتملت على معظم وغير معظم فاذا لم يتميز المبدل من غيره فنعظمها رجوعا الى الاصل واحتياطا للمعظم الذى لم يبدل وتحرم اهانتها تغليبا للمعظم الذى انبهم علينا انتهى كلامه ويؤيد هذا ان الأئمة الحنفية كرهوا للجنب قرأة التوارة وعللوا بنحو ماذكر قال فى شرح الدرر ويكره له اى الجنب قراءة التوراة والزبور والانجيل اه وقداخبرنى رجل كان يتردد الى انه دخل مرة كنيسة اليهود فكشفوا له عن صحائف التوراة فاستهان بها حتى انه اغفلهم وبصق فيها وخرج ثم انى رأيته بعد ذلك لم يزل ينكب فى دينه وفى دنياه حتى مات اقبح ميتة وقيل انه قتل نفسه والعياذ بالله تعالى فعلمت انه بسبب اهانته لما ينسب الى الله تعالى من الكلام وان كان محرفا وعرفت سر كراهة علمائنا قراءة التوراة للجنب حثا على الاحترام وتعظيما لما ينسب الى كلام ذى الجلال والاكرام والحاصل انه لايجوز اهانة هذه الكتب المنسوخة ولا يجوز القراءة فيها ايضا ولاالمطالعة * الحديث الخامس عشر (حدز) يعنى روى احمد بن حنبل والبزار باسنادهما (عن مجاهد رضى الله عنه انه قال كنا مع ابن عمر) ابن الخطاب رضى الله عنهما (فى سفر فربمكان فحاد) اى اعرض (عنه) اى عن ذلك المكان (فسئل) اى سأله من حضره (لم فعلت ذلك قال) يعنى ابن عمر رضى الله عنهما (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك) يعنى حاد عن ذلك المكان (ففعلت) انا كذلك وهذا من زيادة متابعته للنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع افعاله واعماله واقواله واحواله *الحديث السادس عشر (ز) يعنى روى البزار باسناده (عن ابن عمر) ابن الخطاب (رضى الله عنهما انه كان يأتى شجرة) فى موضع (بين مكة والمدينة فيقيل تحتها) من القائلة وهى نصف النهار قال قيلا وقائلة وقيلولة ومقالا ومقيلا وتقيل نام فيه فهو قائل كذا فى القاموس والمعنى انه كان ينام تحت تلك الشجرة وقت القيلولة نصف النهار (ويخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك) وهو يقتدى به ويتابعه فى مثل فعله الذى رآه يفعله حرصا على متابعة السنة المحمدية قال الامام البيهقى فى المدخل ان اباعبدالله الحافظ اخبره باسناده عن ابى جعفر محمد بن على قال لم يكن

Marfat.com

احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا اجدران لا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا ولا من ابن عمر وحدث ايضا باسناده عن مالك عن عبد الله بن عمر انه كان يتبع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره وحاله ويهتم به حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك * الحديث السابع عشر (م) يعنى روى مسلم باسناده (عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رغب) اى اعرض (عن سنتى) يقال رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة اراده كارتغب وعنه لم يرده واليه ابتهل وهو الضراعة كذا فى القاموس والسنة الطريقة والسيرة تعم الاقوال والافعال والاحوال كما قدمنا (فليس) محسوبا (منى) اى من ملتى ودينى لاعراضه عن السنة واتباعه البدعة فان اعرض عنها معتقدا لها فهو مبتدع فاسق وان لم يرها حقا وتهاون بها فهو كافر * الحديث الثامن عشر (حب) يعنى روى ابن حبان باسناده (عن عبد الله بن عمر) ابن الخطاب (رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل عمل) من اعمال بنى آدم فى الخير والشر بظاهره او باطنه (شرة) اى نشاط من شرة الشباب بالكسر نشاطه كذا فى القاموس والمعنى ان ابن آدم كلما عمل عملا من الاعمال بقصده واختياره كان له الى ذلك العمل نشاط وحرص شديد ورغبة زائدة فى وقت عمله له ولهذا لا يمكن فى الغالب ارجاعه عنه بلوم اوتضييق مالم يرجع هو بنفسه اذا تم نشاطه فيه كما قال الشاعر

لا ترجع الانفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

(ولكل شرة) اى نشاط الى عمل من الاعمال وشدة رغبة فيه من كل احد (فترة) يقال فتر يفتر فتورا سكن بعد حدة ولان بعد شدة وفتر الماء سكن حره وفتر جسمه فتورا لانت مفاصله وضعف كذا فى القاموس والمعنى ان كل من غلب نشاطه الى شئ مطلقا واشتدت رغبته فيه لابد ان يضعف منه ذلك النشاط وتزول تلك الرغبة لان النفس جاهلة من اصل خلقتها ولها غفلة ورعونة وطيش فى طبيعتها لا تتكلف لشئ من ذلك لانها مجبولة عليه فاذا ظهر لها كمال فى شئ من الاعمال وغيرها سواء كان خيرا اوشرا اونفعا اوضرا حالا اوما لا اقبلت على ذلك الشئ ورغبت فيه كمال الرغبة ونشطت اليه ابلغ نشاط ولا يمكنها فى ذلك الوقت ان ترجع عنه بوجه مطلقا حتى يتراءى لها فى ذلك الشئ وجه من وجوه النقص ولابد ان يظهر لها ذلك فى كل ما هى رغبانة فيه وناشطة اليه كائنا ماكان ذلك الشئ فعند ذلك تذهب رغبتها ويقل نشاطها وتضعف عما كانت فيه من قبل وهذا من كمال جهلها وزيادة رعونتها وحمقها (فمن كانت فترته) اى سكونه من نشاط نفسه وغلبة رغبته فى عمل من الاعمال مطلقا (الى سنتى) بان ترك اقباله على كل شئ وانهماكه فى كل امر واشتغل بالسنة النبوية

Marfat.com

والطريقة المحمدية (فقداهتدى) اى وصل الى سعادة الدنيا والآخرة (ومن كانت فترته) اى سكون نشاطه وضعف طلبه من عمل من اعماله (الى غيرذلك) اى الى غير السنة بل كان الى البدعة او الى عمل آخر من اعماله وهو معرض عن السلوك فى طريق السنة (فقدهلك) بالضلال فى الدنيا والآخرة وفى الحديث اشارة الى ان مراعات حظوظ النفوس بالنشاط والحرص على المباحات غير مذموم لذاته بل ربما كان محمودا اذا تركه الانسان بعد الاهتمام به والانهماك فيه وعدل الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مراعات ذلك فان له اجر المهاجر من نفسه الى ربه اى من حظ نفسه الى امر ربه كما قال تعالى *واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى* وفيه اشارة ايضا الى ان الله تعالى يقبل العبد المسرف على نفسه اذا ترك ما كان فيه من الخطايا والآثام واقبل على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيد بمتابعتها والمحافظة عليها وان كان تركه خطاياه وآثامه سامة منها وفتورا فيها من عدم قبول طبيعته لها وان المقصود الشرعى ترك ذلك والاقلاع عنه كيف ما كان* الحديث التاسع عشر (طك حب حك) يعنى روى الطبرانى فى المعجم الكبير وابن حبان والحاكم باسنادهم (عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستة لعنتهم) يقال لعنه اى طرده وابعده فهو لعين وملعون والمعنى دعوت الله تعالى ان يطردهم ويبعدهم عن رحمته فقول الانسان عن غيره لعنه الله دعاء منه بان الله لا يرحمه ضد قوله عنه رحمه الله وهو الدعاء بان الله تعالى يرحمه وماساغ ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم الا بعد علمه بلعن الله تعالى لهم ولهذا قال (ولعنهم) اى طردهم (الله) تعالى وابعدهم عن رحمته ويجوز للانسان لعن من لعنه الله تعالى كابليس والكافرين والظالمين واما من لم يلعنهم الله تعالى فلا يجوز لعنهم روى الامام النووى فى رياض الصالحين عن ابى زيد ثابت ابن الضحاك الانصارى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بملة غير الاسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال ومن قتل نفسه بشئ عذب به يوم القيمة وليس على رجل نذر فيما لا يملك ولعن المؤمن كقتله متفق عليه وعن ابى هريره رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغى لصديق ان يكون لعانا رواه مسلم وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة رواه مسلم وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن فان كان اهلا والا رجعت الى قائلها رواه ابوداود وهذا كله فى لعن معين لم يرد عن الله لعنه بعينه ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم واما لعن غير المعينين من اصحاب المعاصى فهو جائز قال تعالى * الا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى * فاذن مؤذن بينهم

Marfat.com

ان لعنة الله على الظالمين وثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله الواصلة والمستوصلة وانه قال لعن الله آكل الربا وانه لعن المصورين وانه قال لعن الله من غير منار الارض اى حدود ها وانه قال لعن الله السارق يسرق البيضة وانه قال لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله وانه قال من احدث فيها حدثا اوآوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وانه قال اللهم العن رعلا وزكوان وعصية عصوا الله ورسوله وهذه ثلاث قبائل من العرب وانه قال لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وانه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ فى الصحيح بعضها فى صحيح البخارى ومسلم وبعضها فى احد هما وفى شرح صحيح مسلم للامام النووى رحمه الله تعالى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انما انا بشر فاى المسلمين لعنته اوسببته فاجعله له زكاة واجرا وفى رواية اوجلدته فاجعلها له زكاة ورحمة وفى رواية فاى المؤمنين آذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفى رواية انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن آذيته اوسببته اوجلدته فاجعلها له زكاة وقربة وفى رواية انى اشترطت على ربى فقلت انما انا بشر ارضى كما يرضى البشر واغضب كما يغضب البشر فايما احد دعوت عليه من امتى دعوة ليس لها باهل ان يجعلها له طهورا وزكاة وقربة هذه الاحاديث مبينة ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الشفقة على امته والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم والرغبة فى كل ما ينفعهم وهذه الرواية المذكورة آخرا تبين المراد بباقى الروايات المطلقة وانه انما يكون دعاؤه عليه كفارة ورحمة وزكاة ونحو ذلك اذا لم يكن اهلا للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه وكان مسلما والا فقد دعى صلى الله عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك بهم رحمة فان قيل فكيف يدعو على من ليس هو باهل للدعاء عليه او يسبه او يلعنه فالجواب ما اجاب به العلماء ومختصره وجهان احدهما ان المراد ليس باهل لذلك عند الله تعالى وفى باطن الامر ولكنه فى الظاهر مستوجب له فيظهر له صلى الله عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية ويكون فى باطن الامر ليس اهلا لذلك وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والثانى ان ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب فى فصل كلامها بلا نية كقوله تربت يمينك ولا كبرت سنك * وفى حديث معاوية لا اشبع الله بطنه ونحو ذلك لا يقصدون بشئ من ذلك حقيقة الدعاء فخاف صلى الله عليه وسلم ان يصادف شئ من ذلك اجابة فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب اليه ان يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورا واجرا وانما كان يقع منه هذا فى النادر والشاذ من الازمان القليلة ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا ولا منتقما لنفسه واما قوله صلى الله عليه وسلم اغضب

Marfat.com

كما يغضب البشر فقد يقال ان السب ونحوه كان بسبب الغضب وجوابه ماذكره المازرى رحمه الله تعالى قال يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اراد ان دعاءه وسبه وجلده كان مما تخير فيه بين امرين احدهما هذا الذى فعله والثانى زجره بامر آخر فجعله الغضب لله تعالى على احد الامرين المخير فيهما وهو سبه اولعنه وجلده ونحو ذلك وليس ذلك خارجا عن حكم الشرع والله اعلم (وكل نبى) من انبياء الله تعالى عليهم السلام (مجاب الدعوة) يعنى بعين مادعى من غير تأخير الى الآخرة والا فكل مؤمن مجاب الدعوة كما قال تعالى * ادعونى استجب ولكن اما بعين مادعى او باعلى منه او بادنى منه فى الحال او بعد الحال او فى الآخرة على حسب ماتقتضيه الحكمة الالهية بل دعاء الكافر مجاب ايضا كما قال ابليس اجعلنى من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فاستجاب الله له وجعله من المنظرين واما قوله تعالى *ومادعاء الكافرين الا فى ضلال *فهو اخبار منه تعالى انهم لايدعون فيما هو هدى لهم والله تعالى مجيب لهم ايضا فيما يدعونه فهو يضلهم بدعائهم على حسب مشيئته تعالى فان قلت حيث كان كل نبى مجاب الدعوة فلماذا لم تقع الاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه ان يجعل الله تعالى حساب امته اليه يوم القيمة كما ورد فى حديث الاسيوطى فى الجامع الصغير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان يجعل حساب امتى لى لئلا تفتضح عند الامم فأوحى الله عزوجل الى يامحمد بل أنا احاسبهم فان كان منهم زلة سترتها عنك لئلا يفتضحوا عندك حتى ذكر الشارح المناوى قال ابن العربى وفيه ان المصطفى صلى الله عليه وسلم فى اصل الاجابة كسائر المسلمين فى انه يجوز ان يعطى مادعى فيه وان يعرض عما سأل فالجواب ان الله تعالى اذا جعل حساب امته اليه سبحانه فان كان منهم زلة ستر هالئلا يفتضحوا عند نبيهم صلى الله عليه وسلم ايضا فهذه اجابة لدعاء النبى صلى الله عليه وسلم على ابلغ وجه طلبه من الله تعالى لان مراده صلى الله عليه وسلم بان الله تعالى يجعل حساب امته اليه لئلا يفتضحوا يوم القيمة عند الامم كما علل بذلك سؤاله فاعطاه الله تعالى مراده من سؤاله بابلغ مما سأل ولم يفتضحهم عنده ايضا فان حلم الله تعالى اوسع ورحمته اعم ومغفرته اشمل فقد يضيق صدره صلى الله عليه وسلم لكونه بشرا فلا يحتمل قبائح العصاة اذا عرضت عليه فيشدد فى الحساب عليهم يوم القيمة وان طلب ذلك فى الدنيا من الله تعالى لانه لم يطلع عليهم تفصيلا مثل اطلاع الله تعالى فبقى العموم على اصله فى ان كل نبى مجاب الدعوة كما ذكرنا وكلام ابن العربى معناه جواز الاعراض عما سأل النبى صلى الله عليه وسلم لا وقوع ذلك وجواز الاعراض عن خصوص ماطلب لا عمومه وفى هذا الحديث الاجابة باعلى ماطلب ثم اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم ولعنهم الله يحتمل ارادة الاخبار عن الله تعالى انه لعنهم كما ذكرنا فالواو للعطف ويحتمل انشاء اللعن عليهم من النبى صلى الله عليه وسلم فالواو للاستئناف ويناسبه الاخبار بعده بان كل نبى مجاب الدعوة فمعناه ان دعوتى بلعنهم مستجابة

Marfat.com

ولابد وقوله وكل نبي مجاب الدعوة محتمل ايضا ان تكون الواو للحال من فاعل لعنتهم وان تكون للعطف عليه والمعنى ان كل نبي مجاب الدعوة لعنهم ايضا ويبقى قوله مجاب الدعوة صفة كاشفة لنبي كقوله تعالى *يحكم بها النبيون الذين اسلموا* فان النبيين كلهم اسلموا وليس منهم من لم يسلم ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الستة الذين لعنهم فقال الاول منهم (الزائد) يعني الذي زاد (في كتاب الله) تعالى ما ليس منه عامدا متعمدا بان وضع كلمة مثلا زائدة وعلمها لمن لم يقرأ القرآن بعد او كتب كلمة زائدة في المصحف وادخلها في كلام الله تعالى او اخترع كيفية عمدا وقرأبها آية من كتاب الله تعالى او زاد حكما من احكام الله تعالى بمجرد قياس عقله وطبعه كمن حرم مالم يحرمه الله تعالى في كتابه او اباح مالم ينجه الله تعالى في كتابه ولايدخل في ذلك من حرم او اباح بالسنة او الاجماع او القياس في حق المجتهد فانه حكم بالكتاب ايضا لانها منه كما قدمنا وكذلك من اخترع بعقله ورأيه معنى لآية من كتاب الله تعالى لايليق بالشريعة كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برأيه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالرأي انما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لايخلوا اما ان يكون عن علم او لا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم ان المراد من الاية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوى حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والحوراج وغيرهم من اهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك ان تكون الآية محتملة لوجه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كلما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعى صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان اكثر ما نقل عنه التفسير كذا قاله ابو محمد الخازن في اول تفسيره (و) الثاني (المكذب بقدر الله) اي الذي يقول لاقدر وانما الامر انف اي لم يطرقه احد من قولهم روضة انف بضمتين قال الجوهري روضة انف بالضم اي لم يرعها احد والكلاء الانف الذي لم يرع وفي حواشي شرح السنوسية للعلامة الشيخ احمد المقري رحمه الله تعالى قال الابي القدر بالفتح والسكون مصدر قدرت الشيء اذا احطت بمقداره وهو

Marfat.com

فى عرف المتكلمين عبارة عن تعلق علم الله تعالى وارادته ازلا بالكائنات قبل وجودها فلا حادث الا وقد قدره سبحانه وتعالى ازلاى سبق به علمه وتعلقت به ارادته وزعم كثير ان معنى القدر جبرالله تعالى العبد على ما قدره وقضاه وليس كذلك والقول بالقدر عقيدة اهل الاسلام اجمع الى ان ظهرت هذه الطائفة المسماة بالقدرية آخر زمان الصحابة فقالوا لاقدر وانما الامر انف حتى ان الله تعالى لايعلم الاشياء قبل وجودها وانما الايعلمها بعد ان تقع ومعبد الجهنى هو اول من قال بالقدر وغيلان لدمشق واكثر مذهبهم مبنى على منزع الفلاسفة الاالالهيات لكن لقبحه رجعت جميع طوائفهم عنه مع بقائهم على اصل الاعتزال من اثبات منزلة بين المنزلتين ويسمونه عدلا ونفى لصفات الذى اطبقت طوائفهم عليه واخذوه ايضا من الفلاسفة ويسمونه توحيدا ليدرؤا بذلك عن انفسهم اسم المجوسية التى سماهم بها لشرع فى قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وزعموا ان القدر المذموم المعنى فى الحديث انما هو القدر الاول وليس المعنى فى الحقيقة الاهم فانهم شاركوا المجوس فى الثنوية فى اثبات فاعل غيرالله تعالى حيث قالوا العبد يخلق افعاله والخير من الله والشر من غيره اه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم عنهم ايضا بما يلزمهم معنى المجوسية الوارد فى الحديث المذكور كما اخرج الاسيوطى فى الجامع الصغير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون فى امتى اقوام يكذبون بالقدر فقال الشارح المناوى اى لايصدقون بان الله تعالى خلق افعال عباده كلها من خير وشر وكفر وايمان واخرج الاسيوطى ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى وقال المناوى رحمه الله تعالى فى شرحه لان من قطع بان الخالق لو اجمعوا كلهم على ان ينفعوه لم ينفعوه الا بشئ قدره الله له ولو اجمعوا على ان يضروه لم يضروه الا بشئ قدره عليه وطرح الاسباب فقد استمسك باعظم العرى واستنار قلبه وانشرح صدره وايقن بان العبد لايعلم مصلحته الا ان اعلمه الله اياها ولا يقدر على تحصيلها حتى يقدره الله عليه ولا يريد ذلك حتى يخلق الله فيه ارادة ومشيئة فعاد الامر كله من ابتدئ منه وهو الذى بيده الخير كله واليه يرجع الامر كله قيل وفى التقدير بطلان التدبير والمرء طالب والقضاء غالب والقضاء بعد القريب وقرب البعيد اه وفى مختصر شرح الامام النووى على صحيح مسلم قال اعلم ان مذهب اهل السنة اثبات القدر وهو انه سبحانه وتعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه انها ستقع فى اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها سبحانه ونكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه لم يقدرها فى سابق علمه وانها مستأنفة العلم يعلمها سبحانه بعد وقوعها كذبوا تعالى ربنا وتقدس عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة القدرية لانكارهم القدر وقد انقرضت هذه الفرقة وصارت القدرية فى هذه

Marfat.com

الازمان تعتقدان الخير من الله والشر من غير تعالى الله عن ذلك قال امام الحرمين فى ارشاده
ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر وهذا جهالة
وتواقح فاننا بحمد الله تعالى نفوض امورنا الى الله تعالى ونضيف جميع الامور الى الله تعالى
وهؤلاء الجهلة يضيفو نها الى انفسهم ومضيف الشئ الى نفسه اولى بان ينسب اليه
ممن يعتقده لغيره قال امام الحرمين وقد قال صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه
الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الارادة كما قسمت المجوس الخير الى يزدان
والشر الى اهرمن وهذا الحديث اخرجه ابوداود واخرجه الحاكم فى المستدرك
على شرط الصحيحين وقال الخطابى التشبيه من حيث ان المجوس اضافت الخير الى النور
والشر الى الظلمة ثم قال وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله
تعالى العبد على ماقضاه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى
بما يكون من افعال العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لخيرها وشرها والمقدر اسم
لما صدر مقدرا عن فعل القادر وقدر بتخفيف الدال وتشديدها (و) الثالث
(المتسلط) من التسليط وهو اطلاق القهر والقدرة والسليط الشديد واللسان الطويل
والطويل اللسان وقد سلط ككرم وسمع سلاطة وسلوطة بالضم كذا فى القاموس
والمعنى المطلق قهره وقدرته او المطلق لسانه بالسب والشتم (على امتى) امة الاجابة
والمعاهدين من امة الدعوى (بالجبروت) اى بالتكبر والباطل والغرور (ليذل)
من امتى له اواغيره اومطلق الذلة (من اعزالله) اى جعله الله تعالى عزيزا بعلم اودين
وصلاح اومنصب دنيوى اومال حلال اومعرفة صنعة اوفراسة وحذق اوحسن
خلق اوخلقة اونحو ذلك (ويعز) من الامة ايضا اى يجعل عزيزا عنده اوعند غيره
(من اذل الله) اى جعله الله تعالى ذليلا بسبب الجهل اوفساد الدين اوقلة العمل بالعلم
اوسوء الخلق ويدخل فى ذلك اعوان الظلمة الذين لم يقصدوا بخدمة الحكام نصرتهم
فى تنفيذ الاحكام الشرعية (و) لرابع (المستحل) اى الذى يستحل بمعنى يستبيح (لحرم الله)
بالفتحتين وهو حرم مكة حرم الله ورسوله يعنى الموضع الذى يحترم لاجل الله ورسوله
فلا تهتك فيه حرمة الله ورسوله قال فى شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح الحرم حرم
مكة ومقداره من قبل المشرق ستة اميال ومن الجانب الثانى اثنى عشر ميلا ومن الجانب
الثالث ثمانية عشر ميلا ومن الجانب الرابع اربعة وعشرون ميلا هكذا قال الفقيه ابو جعفر
وذكر ان الحجر الاسود اخرج من الجنة وله ضوء فكل موضع بلغ ضوءه كان حرما
محترما فيعظمه بأبلغ ما يقدر عليه من التعظيم واعلم المواقيت الخمسة التى وقتها
النبى صلى الله عليه وسلم وعينها للاحرام فناء للحرم وهو فناء للبيت شرفه الله تعالى
ومن قصد مكة سواء كان للزيارة اوغيرها لا يحل له التجاوز من هذه الافنية غير محرم
تعظيما له الا اذا كان القاصد من داخل الميقات فيحل له ان يدخل مكة بلا احرام لحاجة

Marfat.com

غير الحج والعمرة وجاء فى الاثر ان الله تعالى ينظر فى كل ليلة الى اهل الارض فاول
من ينظر اليهم اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه
طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه نائما مستقبل القبلة غفر له ولا يحل لاحد
ان يحمل فيه سلاحا للمحاربة مع المسلمين اما حمل السلاح للبيع والمحاربة مع الكفار
فيجوز كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم للفتح ولا يجنى فيه جناية على النفس ومادونها
ولا يؤذى فيه مسلما واذا اراد ان يأكل او يقضى حاجته من البول والتغوط خرج
الى الحل ان استطاع الخروج والا فانى مقدار مايستطيع عليه لما روى فى حق كل منهما
من الاحاديث والآثار حكى ان عمر بن عبد العزيز وامثاله من الامراء كان يضرب
فسطاطين فسطاطا فى الحرم وفسطاطا فى الحل فاذا اراد ان يصلى او يعمل شيئا من الطاعات
دخل فسطاط الحرم رعاية لفضل المسجد الحرام واذا اراد ان يتكلم او يأكل او غير
ذلك خرج الى فسطاط الحل كذا فى الخالصة ولا يطيل بمكة الاقامة فيسأم من مجاورة
الحرم او يقصر فى تعظيمه ولهذا كان عمر الفاروق رضى الله عنه يضرب الحجاج
اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم وتكره
اطالة المجاورة فيها عند ابى حنيفة رضى الله عنه خلافا لهما ولا تظنن ان كراهة ذلك
تناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام
بحق الموضع وفى الاشباه والنظائر فى احكام الحرم لا يدخله احد الا محرما وتكره المجاورة
فيه ولا يقتل ولا يقطع من فعل خارجه والنجأ به ويحرم التعرض لصيده ويجب الجزاء
بقتله ويحرم قطع شجره ورعى حشيشه الا الاذخر ويسن الغسل لدخوله وتضاعف
فيه الصلوات وحسناته كسيئاته ويؤاخذ فيه بالهم ولا يسكن فيه كافر وله الدخول فيه
ولا تمتع ولا قران لمكى وتختص الهدايا به ويكره اخراج حجارته وترابه وهو مساو لغيره
عندنا فى اللقطة والدية على القاتل فيه خطأ ولا حرم للمدينة فلا يثبت له هذه الاحكام
الا اثنان الغسل لدخولها وكراهة المجاورة بها اه وذكر والدى رحمه الله تعالى فى كتابه
الاحكام قال فى الحقائق لا حرم للمدينة عندنا وعند الشافعى رحمه الله تعالى لها حرم
ثم اتفقت اقاويله انه لا يباح قتل صيد حرم المدينة ولا قطع اشجاره واختلفت اقاويله
فى وجوب الجزاء وفى المصفى والاصل ان اثبات الشرع بالرأى لا يجوز فلا يجوز الحاق
حرم المدينة بحرم مكة بالرأى حتى لا يجوز اخذ صيده واما قوله عليه الصلاة والسلام
ان ابراهيم عليه السلام حرم مكة وانا احرم المدينة فمعناه اجعل لها حرمة وذكر بعد
ذلك فى بيان الحرم المكى قال ذهب جماعة من السلف الى ان السيئات تتضاعف بمكة
كما تتضاعف الحسنات منهم ابن عباس وابن مسعود ومجاهد واحمد بن حنبل وغيرهم
لتعظم البلد والعقاب على الهم بالسيئات بها وان لم يفعلها قال تعالى * ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم * ولهذا تعدى فعل الارادة بالباء للاشعار بمعنى هم وهذا مستثنى

Marfat.com

من قاعدة الهم بالسيئة وعدم فعلها كل ذلك تعظيما لحرمته ولذلك اهلك الله صحاب
الفيل قبل الوصول الى بيته وقال احمد بن حنبل رضى الله عنه لوان رجلا هم ان يقتل
فى الحرم اذاقه الله تعالى من العذاب الاليم ثم قرأ الآية وقال ابن مسعود رضى الله عنه
مامن بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهم قبل الفعل الامكة وقرأ الآية وتورع بعضهم
عن قضاء الحاجة بمكة وكان يتأول انها مسجد وهذا التأويل مردود بالاجماع وبفعله
عليه السلام واصحابه والسلف نعم روى الطحاوى فى تهذيب الآثار من حديث ابن عمر
رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة كان اذا اراد حاجة الانسان خرج
الى المغمس وهو على ميلين من مكة رواه الطبرانى فى الاوسط من طريق آخر اه ووجدت
فى كتاب مشارق الانوار القدسية فى العهود المحمدية للشيخ عبد الوهاب الشعرانى
رحمه الله تعالى قال سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لشخص من العلماء
اراد الحج اياك ياأخى ان تجاور فى مكة اوالمدينة فتعجز عن القيام بآدابهما فيصدق عليك
المثل حجت ومعك خرج وزر فرجعت وفوق ظهرك الف خرج اوزارا لان تبعات كل
ممن تستغيبهم تجعل وحدها يوم القيمة فكأنها خرج وحدها فقال له ياسيدى اسمحوالى
بالمجاورة فقال لا اسمح لك الا ان كنت تدخل على الشروط فقال له وما الشروط فقال
الشيخ منها انك لاتدخر قط فيها قوتا ولادراهم مدة اقامتك فيها ومنها ان لا تأكل
قط طعاما وحدك وانت تعلم ان فيها احدا جائعا فى ليل اونهار ومنها ان تلبس الهدم
والخليقات ولاتلبس شيئا قط من الثياب الفاخرة بل تبيعها وتنفقها على الفقراء الجياع
ومنها ان لاتحن مدة اقامتك الى رجوعك الى بلدك ابدا ولاتشتاق الى دار ولا ولد ولا الى
وظيفة ولا الى اخوان فى غير مكة لانك فى حضرة الله الخاصة ولايؤاخذ منك الا قلبك
وقلبك خرج من حضرته فبقيت فى حضرته جسما بلا قلب ومنها ان لايطرقه مدة
اقامته هلع ولارائحة انهام للحق تعالى من امر رزقه ولايخاف ان يضيعه ابدا لان اهل
حضرته تعالى لايجوز لهم ذلك بل ربما مقت صاحب الانهام وطرد من حضرة الله تعالى
لسوء ادبه وضعف يقينه وهو يرى الحق تعالى يطعمه ويسقيه من حين كان فى بطن امه
الى ان شابت لحيته وهذا من اقبح مايكون مع ان تلك الارض تعطى ساكنها بالخاصية
الهلع والانهام للحق فى امر الرزق حتى لايكاد يسلم من ذلك الا الاكابر الاولياء
ومن هنا كره الاكابر الاقامة بمكة ومنها ان لايخطر فى نفسه مدة اقامته هناك معصية
ابدا ولو بعد الوقوع من مثله فكيف بقريب الوقوع ومن هنا سافر الاكابر من الاولياء
بنسائهم وتكلفوا مؤنة حملهم لاجل ذلك وكان الشعبى رضى الله عنه يقول لان اقيم
فى حمام احب الى من ان اقيم بمكة وكان يقول لانا اكون مؤذنا بخراسان احب الى
من ان اقيم بمكة خوفا ان يخطر فى نفسى ارادة ذنب ولولم افعله فيذيقنى الله من عذاب اليم
لقوله تعالى *ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم* وهذا خاص بالحرم المكى

Marfat.com

فهو مستثنى من حديث ان الله تجاوز عن امتى ماحدثت به انفسها مالم تعمل وقد قالوا لابن عباس رضى الله عنهما لماسكن الطائف لم لاتقيم بمكة فقال لااقدر على حفظ خاطرى من ارادة ظلمى للناس اوظلمى لنفسى فكيف لووقعت فى الفعل فان الله تعالى لم يتوعد احدا على بجرد ارادته السوء دون الفعل له الا بمكة فقال الشيخص ياسيدى التوبة عن المجاورة وحج ولم يجاور (و) الخامس (المستحل) اى المستيح بمعنى المنتهك (من عترتى) وهى بالكسر نسل الرجل ورهطه وعشيرته الادنون ممن مضى ومن سيأتى والمعنى من ذريتى ومن اهل بيتى الثابت نسبهم بطريق التواتر او الشهرة اوحكم الحاكم كأن صار واقعة شرعية وثبت بالبينة والافهو مظنون محترم على الظن (ما) اى فعلا اوقولا اوظنا (حرم الله) اى حكم الله تعالى بحرمته كالزانى بهم اوالقاذف لهم اوالشاتم اوالذى ظن بهم سوأ اواغتابهم اوظلمهم اونحو ذلك فان اثمه ابلغ من اثم من فعل ذلك مع غيرهم لهذا الحديث حيث آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم باآذاء ذريته (و) السادس (التارك لسنتى) الفعلية اوالقولية اوالاعتقادية اوالحالية وهى السنن المؤكدات دون الزوائد والمستحبات واخرج البيهقى هذا الحديث ايضا فى المدخل برواية اخرى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبى مجاب الزائد فى كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليذل بذلك من اعز الله و يعز من اذل الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتى ماحرم الله والتارك لسنتى واخرجه ايضا باسناده الى عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب قال سمعت على بن الحسين يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبى مجاب فذكر الحديث بتمامه *الحديث العشرون (خم) يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما (عن انس رضى الله عنه انه قال قال) يعنى النبى (صلى الله عليه وسلم لايؤمن) اى يصدق بالحق الذى جئت به ظاهرا و باطنا ويذعن له و ينقاد اليه (احدكم) ابدا (حتى اكون احب) اى اكثر حبا (اليه) فى الظاهر والباطن (من والديه) اى ابيه وامه الذى تولد هو منهما فهما اصله (و) من (ولده) ايضا الذى تولد منه ذكرا كان اوانثى فهو فرعه (و) من (الناس) اى بقية قرابته والاجانب عنه من اصحابه وغيرهم (اجمعين) تأكيد للكل من والديه وولده والناس فان الوالد والوالدة وان لم يطلقا على الجد والجدة يراد بهما الاب والام فيشملان الاجداد والجدات كما قال تعالى * يابنى آدم * وهو جدهم وقال لشاعر * الناس من جهة التكريم اكفاء * ابوهم آدم والام حواء * معان حواء جدتهم وكذلك الولد شامل للابن وابن الابن وان سفل والبنت و بنت البنت وان سفلت قال الامام القرطبى فى شرح مسلم عند الكلام على حديث لايؤمن عبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين هذا الحديث على ايجازه يتضمن ذكر اصناف المحبة

Marfat.com

فانها ثلاثة محبة اجلال واعظام كمحبة الوالد والعلماء والافضلاء ومحبة رحمة واشفاق كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة غير من ذكرنا وان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد ان تكون راجحة على ذلك كله وانما كان ذلك لان الله تبارك وتعالى قد كمله على جميع جنسه وفضله على سائر نوعه بما جعله عليه من المحاسن الظاهرة والباطنة وبما فضله به من الاخلاق الحسنة والمناقب الجميلة فهو اكمل من وطئ الثرى وافضل من ركب ومشى واكرم من وافى القيمة واعلاهم منزلة فى دار الكرامة قال القاضى ابو الفضل فلا يصح الايمان الا بتحقيق انافة قدر النبى صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن وظاهر هذا القول انه صرف محبة النبى صلى الله عليه وسلم الى اعتقاد تعظيمه واجلاله ولاشك فى كفر من لا يعتقد ذلك غير ان تنزيل هذا الحديث على ذلك المعنى غير صحيح لان اعتقاد الاعظيمة ليس بالمحبة ولا الاحبية ولا مستلزمالها اذ قد يجد الانسان من نفسه اعظام امر اوشخص ولا يجد محبته ولان عمر رضى الله عنه لما سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وولده ووالده والناس اجمعين قال يارسول الله انت احب الى من كل شئ الا نفسى فقال ومن نفسك ياعمر فقال ومن نفسى فقال الآن ياعمر وهذا كله تصريح بان هذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم بل ميل الى المعتقد تعظيمه وتعلق القلب به فتأمل هذا الفرق فانه صحيح ومع ذلك فقد خفى على كثير من الناس وعلى هذا فمعنى الحديث والله اعلم ان من لم يجد من نفسه ذلك الميل وارجحيته للنبى صلى الله عليه وسلم لم يكمل ايمانه على انى اقول ان كل من صدق النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به ايمانا صحيحا لم يخل عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة للنبى صلى الله عليه وسلم غير انهم فى ذلك متفاوتون فمنهم من اخذ من تلك الارجحية بالحظ الاوفى كما قد اتفق لعمر رضى الله عنه حين قال ومن نفسى ولهند امرأة ابى سفيان حين قالت للنبى صلى الله عليه وسلم لقد كان وجهك ابغض الوجوه كلها الى فقد اصبح وجهك احب الوجوه كلها الى الحديث وكما قال عمرو بن العاص لقد رأيتنى وما احد احب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل فى عينى منه وما كنت اطيق ان املأ عينى منه اجلالا له ولو شئت ان اصفه ما اطقت لانى لم اكن املاء عينى منه ولاشك فى ان حظ اصحابه من هذا اعظم لان معرفتهم لقدره اعظم لان المحبة ثمرة المعرفة فتقوى وتضعف بحسبها ومن المؤمنين من يكون مستغرقا بالشهوات محجوبا بالغفلات عن ذلك المعنى فى اكثر الاوقات فهذا باخس الاحوال لكنه اذا ذكر بالنبى صلى الله عليه وسلم او بشئ من فضائله احتاج لذكره واشتاق لرؤيته بحيث يؤثر رؤيته بل رؤية قبره ومواضع آثاره على اهله وماله وولده ونفسه والناس اجمعين فيخطر له هذا ويجده وجدانا لاشك فيه غير انه سريع الزوال وانذهاب لغلبة الشهوات

﴿ وتوالى ﴾

Marfat.com

وتوالى الغفلات ويخاف على من كان هذا حاله ذهاب اصل تلك المحبة حتى لايوجد منها حبة فتسأل الله الكريم ان يمن علينا بدوامها وكمالها ولايحجبنا عنها آمين وفى مختصر شرح النووى على مسلم عند الكلام على هذا الحديث قال الخطابى لم يرد به حب الطبع بل اراد به حب الاختيار اذ حب الطبع لايمكن قلبه فمعناه لاتصدق فى حبى حتى تفنى فى طاعتى نفسك وتؤثر رضاى على هواك وان كان فيه هلاكك ومعنى الحديث ان من استكمل الايمان علم ان حقه صلى الله عليه وسلم آكد من حق ابيه وابنه والناس اجمعين وكيف وقد استنقذنا من النار وهدانا الى الصراط المستقيم ومن محبته نصرة سنته وتأييد شريعته واجلالها وتعظيمه التعظيم اللائق ولايصح الا بتحقيق اعلاء قدر النبى صلى الله عليه وسلم على كل والد وولد ومحسن ومفضل وقال ابن اقبرس فى شرح الشفاء محبته صلى الله عليه وسلم هى الواجب الفرض الثابت الصحيح المرضى اذ لايكون المؤمن مؤمنا دون محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك واجب عقلا وشرعا اما عقلا فان جميع ما كان عليه قولا وفعلا امرا ونهيا مستحسن فى العقول وقد علم ذلك عقلا للكفار كهرقل حيث سأل ابا سفيان فى قوله فماذا يأمركم به الحديث فى اول صحيح البخارى هذا من جهة معناه واما صورة فكما ثبت انه احسن خلق الله صورة فكان كاملا صورة ومعنى ولاشك فى كون ذلك من دواعى المحبة واسبابها من جهة الفعل ولايخالف عاقل فى ذلك فان النفوس مجبولة على حب الصور الحسان والمعانى الجميلة المتصورة فى الاذهان واما شرعا فبالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى * قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها * الآية وفيها دلالة وحجة على الزام المحبة ووجوبها وعظم خطرها واما السنة فبالاحاديث الواردة فى ذلك وقال الشيخ القسطلانى فى المواهب اللدنية روى ابو هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لايؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده رواه البخارى وقدم الوالد لاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس وفى رواية البخارى والنسائى تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد فى رواية عبد العزيز ابن صهيب عن انس ولناس وفى صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل من والده وولده وذكر الوالد والولد ادخل فى المعنى لانهما اعز على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسك ولذا لم يذكر النفس فى حديث ابى هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص (الفصل الثانى) من الفصول الثلاثة من الباب الاول (فى) بيان اقسام (البدع) وذكر احكامها وهى جمع بدعة خلاف السنة اسم للاعتقاد المخالف والعمل المخالف والقول المخالف والاصل فيه ان الله تعالى لم يخلق المكلفين الا لعبادته كما قال تعالى * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * والعبادة هى الذل للمعبود وذلك بترك الدخول تحت احكام العقول ومقتضيات الطباع من التحسينات والتقبيحات

Marfat.com

واسلام النفس بالكلية لربها تستحسن ما استحسنه لها ربها وتستقبح ما استقبحه منها وقد آمنت برسوله الصادق وكتابه المنزل بالحق فلزمها ان تدخل تحت تصرفات احكام الكتاب والسنة فمتى اخترعت امرا مطلقا فقد خرجت عن العبودية لله تعالى وانفصلت عن مقتضى الاسلام وبرئت من حب الكتاب والسنة فان كان ذلك الامر فى الاعتقاد فان اوجب جحود مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كانت بدعة مكفرة وان لم يكن فى الاعتقاد بل فى مجرد القول او العمل فهو الفسق ان اوجب فعل محرم او ترك فرض وسيأتى لهذا زيادة بيان ان شاء الله تعالى فى هذا الفصل والدليل على قبح البدع والنهى عنها (الاخبار) الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهى ستة احاديث

* الحديث الاول (خم) يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما (عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احدث) اى ابتدأ واخترع (فى امرنا) اى شأننا وهو شرع محمد صلى الله عليه وسلم (هذا) اشار اليه من كمال استحضاره وشرف منزلته عنده وشدة ظهوره له ومنه بحيث صار كأنه امر محسوس يشار اليه (ما) اى اعتقاد او قول او فعل او حال او زيادة فيما شرع من ذلك او نقصان منه ومعنى الاحداث فيه ادراجه فى جملة احكامه ورجاء الثواب عليه (ليس منه) اى من امرنا المذكور بان كان ليس من مقصود الشرع ولم يكن فيه داعية الى اقامة مقصود الشرع (فهو) اى ما احدثه مما ذكرنا (رد) اى صرف منه لامرنا وعدم ايمان به وتخطئة له او هو مصدر بمعنى اسم المفعول مبالغة اى مردود عليه غير مقبول منه وفيه اشارة الى ان البدع اذا لم تكن فى الدين والعبادة بان كانت فى العادة لم تكن ردا نحو البدع فى المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن مما لم يقصد بها فاعلها التقرب الى الله تعالى بل مراده مجرد الاستعمال مالم يترتب عليها ترك طاعة شرعية او فعل امر منهى عنه كما اذا دى لبس العمامة الكبيرة الى عدم التمكن من السجود فى لصلاة او اقتضى نفى الخشوع فيها وكذلك اذا اشتغل الخاطر عن الطاعة بلبس الثياب الجميلة او ادى الى رياء وعجب ونحو هذا فيكره حينئذ فعل ذلك (وفى رواية) اخرى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عمل عملا) بقلبه او بجوارحه او بلسانه او بكله بان اعتقد او فعل او قال او تخلق بامر (ليس عليه امرنا) اى شاننا يعنى شرعنا المحمدى (فهو رد) علينا او عليه كما ذكرنا* الحديث الثانى (خ) يعنى روى البخارى باسناده (عن الزهرى رضى الله عنه قال دخلت على انس) بن مالك رضى الله عنه (وهو) الواو للحال اى والحال ان انسا رضى الله عنه (يبكى فقلت ما) يعنى اى شئ (يبكيك) يا انس (قال لا اعرف) يعنى الان (شيئا مما) اى من الاشياء العظيمة التى (ادركت) اى ادركتها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدير الكلام فبقى من غير تغيير عما كنت ادركته (الا هذه

Marfat.com

الصلاة) اى جنسها فيشمل الفرض والواجب والنفل اشار اليها لاستحضارها فى
ذهنه اوتعظيم امرها عنده لانها ثانية الايمان (و) الحال ان (هذه الصلاة قدضيعت)
بالضم والتشديد اى ضيعها الناس فلم يأتوابها على الوجه الاكمل من اتمام شروطها
واركانها وواجباتها وسننها ومستحباتها وآدابها وترك مفسداتها ومكروهاتها
ومراعات خشوعها والحضور فيها وجمع القلب عليها من غير التفات فيها الى غيرها
كما قال تعالى * فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف
يلقون غيا * قال العز بن عبد السلام فى تفسيره خلف اولادسوء وبالفتح للمدح قيل هم
من هذه الامة من بنى المشيد وركب الذلول ولبس المشهور واضاعوا الصلاة اخروا
اوتركوا اوحدودها اوشروطها وهواسم الجنس وقرأ الحسن بالجمع وغيا جزاء اوخسرانا
اوعذابا وشرا اوضلالا اوخيبة وقيل واد فى جهنم وقال الخازن اضاعوا الصلاة اى تركوا
الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وهوان لايصلى الظهر حتى يأتى العصر
ولا العصر حتى تغرب الشمس وقال ابوعبد الرحمن السلمى قال محمد بن حامد اولئك
قوم حرموا تعظيم الانبياء والاولياء والصديقين فحجبهم الله تعالى عن معرفته واصابتهم
شقاوة تلك الحال فاضاعوا الصلاة التى هى محل الوصلة للعبد مع سيده ترسموا بها
ولم يتحققوا واتبعوا آراءهم واهواءهم فاصابهم الخذلان وحرموا بذلك السعادة
وثمرة الشقاوة على العبد هو حرمان الخدمة وتعظيم من عظم الله حرمته اه
وخلاصة المعنى فى هذا الحديث هو بكاء انس رضى الله عنه على اضاعة الصلاة بالزيادة
فيها والنقصان منها مما هو خلاف السنة التى كان يعهده فى زمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومخالفة السنة هو البدعة وفيه الحث على اظهار الاسف والحزن عند انتهاك
حرمات الشرع وعدم رضاء المؤمن بذلك وفيه عدم تعيين احد فى انكار المنكر وتعميم
الانكار وسترقبايح المسلمين المعينين فان انسا رضى الله عنه ما بكى من ذلك الا بعد
رؤيته فى انسان معين اوجماعة معينين ولم يذكرهم ولم يعينهم وانما انكر منكرهم
على مقتضى مايعرفه من كيفية انكار المنكر على وجه السنة لا البدعة لمخترعة من جهال
العلماء فى هذا الزمان وقدم غير مرة التنبيه على ذلك * الحديث الثالث (ظب)
يعنى روى الطبرانى باسناده (عن غضيف بن الحارث رضى الله عنه ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال ما من امة)اى جماعة من المسلمين (ابتدعت) واستحدثت (بعد)
ذهاب (نبيها) عنها وتباعد عهد سنته حتى يمكنها ذلك (فى دينها) الذين تدين
الله تعالى به اى تطيعه فيه وهو شريعتها وملتها احتراز عن الابتداع فى امور الدنيا
كالبدع فى العادة وهى التى لايقصد بها صاحبها اذ فعلها اجرا وتأثوابا من الله تعالى
يوم القيمة وانما مراده مجرد عملها لنفع دنيوى اودفع ضرر عنه فى الدنيا اولالنفع
ولالضرر كالاشياء المباحة فى انواع المآكل والمشارب والملابس والمساكن ونحو ذلك

Marfat.com

(بدعة) اى فعلة لست معروفة فى السنة النبوية من ى نوع كانت فى الاعتقاد او العمل اوالقول اوالإخلاق ولهذا نكرها والنكرة فى الاثبات وان لم تعم عندنا لكنها مطلقة دالة على فرد غير معين فلا يختص بها نوع دون نوع وعند الشافعى رحمه الله تعالى تعم كما هو مبسوط فى الوصول وهذا الحكم فى البدعة الواحدة وكذلك البدع الكثيرة وهى البدعة غير المكفرة اذ المكفرة تزيل الاسلام فضلا عن اضاعة السنة (الا اضاعت) تلك الامة ى تركت واهملت (مثلها) اى مثل تلك البدعة يعنى من جنسها اعتقادا اوقولا اوعملا اوتخلقا (من السنة) النبوية الاعتقادية اوالعملية اوالقولية اوالاخلاقية والمعنى ان الناس كلما ابتدعوا بدعة فى الدين تركوا من جنسها سنة نبوية مثل ابتداع الفرق الضالة فى الاعتقاد كاعتقاد المعتزلة انهم يخلقون افعال انفسهم مثلا على معنى ان لهم تأثيرا فى ذلك بخلق الله تعالى فيهم قدرة على ذلك فان هذه بدعة فى الدين اعتقادية لما ظهرت ذهبت سنة الاعتقاد بان الله تعالى خالق افعال العباد كلها من الخير والشر والنفع والضر منسوبة الى الانسان ولا تأثير للانسان فيها اصلا كما انه تعالى خلق للانسان يدين ورجلين منسوبات له ولا تأثير للانسان فى خلق ذلك له ابدا ومع هذا فيقال يد الانسان ورجل الانسان مع انه ليس بخالق لذلك ولا يقال يد الله ولا رجل الله مع انه تعالى خالق ذلك فكذلك جميع افعال الانسان خالقها هو الله تعالى وحده ولا تنسب اليه تعالى ولكنها تنسب الى الانسان كلها والانسان ليس بخالق لها وقد صنفت رسالة فى هذه المسئلة سميتها تحريك سلسلة الوداد فى مسئلة خلق افعال العباد جعلتها مكتوبا ارسلت بها الى بعض علماء المدينة المنورة فهذه سنة فى الاعتقاد ضاعت وتركت عند المعتزلة ومن تابعهم لما ابتدعوا ما ينافيها من بدعتهم المذكورة وكذلك اذا ابتدع الناس بدعة فى العمل ولو كانت تلك البدعة فى العادة لا فى الدين حيث لا يرجون الثواب عليها من الله تعالى ولا هى عندهم معصية يخافون العقاب منها ولكن بسبب فعلها ضاعت سنة مثلها ايضا فى العمل كالصلاة مع الغفلة وعدم حضور القلب فيها بل يبقى القلب مشتغلا بامور الدنيا وهم فى الصلاة ولا يمكنهم الخشوع فيها فان هذه بدعة ابتدعها الناس فى العادة لم تكن فى الزمان الاول ولما ظهرت ذهبت سنة الخشوع فى الصلاة والحضور فيها والمراقبة وترك البيع والشراء من فكر القلب ايضا كما قال تعالى عن الصدر الاول *رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة* وقال تعالى *يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع* وقال تعالى * قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون* وقال تعالى فى اصحاب البدعة المذكورة فى الصلاة *فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون* وقال تعالى * يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون *وقال تعالى *واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يرآؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا* فهذه بدعة فى العمل

Marfat.com

عادية لما ظهرت تركت مثلها سنة فى العمل ونسيت ومثل ذلك اذا ابتدع الناس بدعة فى القول مثل الكلام فى وقت تشييع الجنازة فانه لما فشى فى الناس خصوصا المحدث فى امر الدنيا وكثرة اللغط وان كانت بدعة فى العادة ايضا فقد ذهبت بها سنة السكوت والصمت والاعتبار والتفكر فى امر الموت والقبر فى تلك الحالة وكذلك البدعة فى الاخلاق كما اعتادت الناس ان يتبعوا بعضهم بعضا فى كل امر كانوا عليه كما سمعتهم يقولون يا ايها الناس كونوا مع الناس فان هذه البدعة فى العادة لما ظهرت ذهبت سنة اتباع النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وائمة الهدى رضى الله عنهم فصار الناس يبحثون عن عادات بعضهم بعضا فى الدين والدنيا ليتابعوا ذلك ويعملوا عليه ولا يبحثون عن سنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسيرة الصحابة والصالحين ليسيروا عليها وهكذا سائر البدع فى العادة وفى العبادة الا البعض من البدع فى العادة لما ظهرت تركت ونسيت جميع السنن التى تماثلها وتقابلها وانمحت آثارها بالكلية واندرست حتى صار الجاهل اذا فعلت عنده يقطع بأنها بدع لا سنن كما نقل الشيخ المناوى فى شرح الجامع الصغير عن بعض الحكماء انه قال معروف زماننا منكر زمان مضى ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت انتهى وما من زمان الا وما بعده شر منه وفى روح القدس للشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره قال روينا عن ابى حامد وغيره وعن ابى مغيث فى كتاب المنقطعين له من حديث ابن المهلب قال مررت بالساحل فرأيت شابا قد احتفر لنفسه حفرة فى الرمل فسألته فتأوه ثم قال يذم اهل زمانه توعرت السبل وقل السالكون فيها قد افترشوا الرخص وتمهدوا الزلل واعتلوا بزلل الماضين الى مثل هذا الكلام ثم قام فمشى على الماء حتى غاب عنى * الحديث الرابع (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله) سبحانه وتعالى بمحض عدله (حجب) اى منع وستر (التوبة) مصدر تاب الى الله توبا وتوبة ومتابا وتابة وتنوبة رجع عن المعصية وهو تائب وتواب وتاب الله عليه وفقه للتوبة اورجع به من التشديد الى التخفيف اورجع عليه بفضله وقبوله وهو تواب على عباده كذا فى القاموس فالتوبة من العبد والتوبة من الرب ايضا فحجب الرب توبته عدم التوفيق لها اومنع الرجوع بالفضل والقبول وحجب الرب توبة العبد عدم تيسيرها له كلما أرادها العبد وفى رياض الصالحين قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم ان لا يعود اليها ابدا فان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة وان يبرأ من حق صاحبها فان كانت مالا ونحوه رده اليه وان كان حد قذف ونحوه مكنه منه اوطلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها (عن كل صاحب) اى فاعل سواء كان هو الذى ابتدع

Marfat.com

تلك البدعة اوفعلها فقط ولم يبتدعها (بدعة) فى الدين اعتقادية اوفعلية اوقولية
اواخلاقية وهوفى بدعة واحدة فابالك باكثر من ذلك لانه يرجو الثواب عليها. فكيف
يتوب منها واهذا كلما اراد المبتدع ان يتوب من بدعته منع منها مانع من نفسه فلا يتيسر له
ما راه لاحتجاب التوبة من تلك البدعة عنه ويحتمل مطلق التوبة من تلك البدعة
وغيره من الذنوب اما التوبة من تلك البدعة فظاهر لان شرط صحة التوبة ترك المعصية
والاقلاع عنها فى الحال كما قدمناه فالتوبة محجوبة عنه حتى يقلع عن بدعته واما مطلق
التوبة واؤيدها الحديث الآتى بعده فلعله لزيادة قبح البدعة وشؤم ارتكابها وكونها
مكفرة فلا تأتى معها التوبة من ذنب غيرها والافان التوبة من ذنب مع الاصرار على ذنب
آخر صحيحة قال النووى رحمه الله تعالى فى رياضه ويجب ان يتوب من جميع الذنوب فان تاب
من بعضها صحت توبته عند اهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى (حتى يدع)
اى يترك ذلك المبتدع (بدعته) ويقلع عنها التصح توبته منها ومن غيرها من الذنوب
ايضا* لحديث الخامس (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن ابن عباس رضى الله
عنهما) اى عنه وعن ابيه العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم (انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابى) اى كره والاباءة الكراهة (الله) تعالى بحكمه العدل من كثرة
قبح البدعة لانها شرع النفوس الامارة بالسوء وحكم الشيطان المستولى على لقلب
الغافل (ان يقبل عمل صاحب بدعة) فى الدين اى مصر على فعل بدعة من البدع
الاعتقادية اوالعملية اوالقولية اوالتخلقية وهذا فى بدعة واحدة غير مكفرة فكيف
ببدع كثيرة غير مكفرة لاعتقاده انها طاعة مثاب عليها وعمله الذى لايقبله الله تعالى
قد يكون اعتقادا اوفعلا اوقولا اوتخلقا وقد يكون صحيحا من جهة استيفاء شروطه
ولكنه غير مقبول عند الله تعالى لتدنسه بشؤم البدعة وقبح عملها وذلك مدة ارتكابه
لتلك البدعة مادام مصرا على فعلها (حتى يدع) اى يترك (بدعته) لاجل الله
تعالى اماخوفا منه تعالى اوطمعا فى ثوابه اوابتغاء وجهه الكريم لاخوفا من الناس
اولعدم قدرته على ذلك اومحافظة على صلاحه وتقواه ان يزول من اعين الغير فيزول
احترامه عندهم وينقص من اعينهم فان هذا تقوى الناس لاتقوى الله تعالى وهو
غير مانع من الاصرار فى الباطن على المعصية وصاحبه عابد للناس باطنا وان كان
يزعم انه عابد لله تعالى فى الظاهر كما قال تعالى* فلا تخشوهم واخشونى* وقال تعالى
يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ذ يبيتون ما لا يرضى
من القول* الحديث السادس (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناد (عن حذيفه رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله) سبحانه وتعالى وان حكم
بالصحة بمقتضى شرعه المحمدى اذليس كل عمل صحيح بمقبول كما قال تعالى* انما يتقبل الله
من المتقين* وغير المتقين من المسلمين وان صح عملهم فهو غير مقبول والقبول رفعة شان

Marfat.com

العمل عنده وان كان قليلا واعطاؤه عليه الجزء الوافى ومباهاة الملائكة به ورفع الدرجات به فى الدنيا باحساس العبد بمقامات الكشف الالهى والقرب الاقدس وفى الآخرة بمقامات الرؤية الربانية فى دار النعيم الابدى (لصاحب البدعة) اى المصر عليها يعنى بدعة فى العبادة غير مكفرة اذ المكفرة تنافى صحة العمل فضلا عن قبوله وهذا فى بدعة واحدة فكيف باكثر من ذلك (صوما) فرضا اونفلا ولم يذكر الصلاة لانها مفهومة بالاولى حيث انها اعظم من الصوم وكذلك الزكاة تالية الصلاة وهما تاليتا الايمان فهو كذلك (ولاحجا ولاعمرة) وان فعل ذلك على وجه السنة فهو صحيح تام لكنه غير مقبول (ولاجهادا) فى سبيل الله تعالى (ولاصرفا) اى انصرافا عن المعصية بمعنى التوبة (ولاعدلا) اى استقامة فى الامر اوضد الجور قال الجوهرى الصرف التوبة يقال لايقبل منه صرف ولاعدل قال يونس فالصرف الحيلة ومنه قولهم انه ليتصرف فى الامور وقوله تعالى* فمايستطيعون صرفا ولانصرا* وقال فى القاموس الصرف فى الحديث التوبة والعدل الفدية اوهو النافلة والعدل الفريضة اوبالعكس اوهو الوزن والعدل الكيل اوهو الاكتساب والعدل الجزاء اوالحيلة انتهى وحاصل المعنى هنا ان الله تعالى لايقبل لصاحب البدعة فى لدين عملا من اعمال الطاعات مطلقا وان صحت تلك الاعمال منه لاستيفاء شروطها الشرعية مادام مصرا على فعل تلك البدعة حتى يتوب منها وانما ورد التصريح هنا من الاعمال بالصوم والحج والعمرة والجهاد فقط ثم عمم بالصرف والعدل لان هذه العبادات الاربعة المخصوصات بالذكر لها صعوبات على النفوس اكثر من غيرها فالصوم حبس النفس عن شهوتى البطن والفرج والحج والعمرة اتعاب النفس بانفاق القوة والمال مع حبسها عن شهوات الجماع والطيب ولبس المخيط وقتل صيد البر ونحو ذلك والجهاد ابلغ من ذلك للمخاطرة بالنفس فيه والمال فوقع التصريح بذلك ليفهم ماعداه بالطريق الاولى فانه حيث بذل نفسه فى هذه الطاعات المشقة عليه ولم تقبل منه لاصراره على بدعته فكيف تقبل منه الاعمال التى مشقته فيها دون ذلك (يخرج) يعنى صاحب البدعة فى الدين حيث يعدها طاعة بسبب دخوله تحت حكم نفسه وشيطانه وخروجه بظاهره عن حكم نبيه ورحمانه (من الاسلام) الظاهر فقط الذى هو التسليم والانقياد لحكم الله تعالى وعدم المحاربة له كما تخرج العصاة من التسليم والانقياد لحكم الله تعالى عليهم الى التسليم والانقياد لحكم النفس والشيطان مع التصديق بقبح ذلك الفعل والايمان بكونه معصية وهو الفارق بين العاصى والمبتدع لاعتقاده بدعته طاعة ودليل صحة اطلاق الاسلام على ماذكرنا قوله تعالى*قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم*قال البيضاوى اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب والاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة وقال الخازن فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف

Marfat.com

يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لايحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولايكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان فى العموم متحدان فى الوجود فذلك المؤمن والمسلم انتهى وحاصله ان الايمان وهو التصديق بالقلب لايفارق صاحب البدعة غير المكفرة ابدا كما قدمناه واما الاسلام فنوعان اسلام بالقلب وهو التسليم والانقياد لحكم الله تعالى وهو لا يفارق صاحب البدعة المذكورة ايضا فهو مؤمن مسلم والايمان والاسلام واحد عند اهل السنة واسلام بظاهر اللسان والجوارح وهو الذى يفارق صاحب البدعة المذكورة مع وجود الايمان والاسلام فى قلبه (كما يخرج الشعر) قال فى القاموس الشعر ويحرك ينبته الجسم مما ليس بصوف ولاوبر والجمع اشعار وشعور وشعار الواحدة شعرة (من العجين) مثال لكمال تخليص صاحب البدعة فى الدين مما كان فيه قبل ذلك من اظهار التسليم ولاانقياد باللسان والجوارح ايضا لحكم الله تعالى على طريقة الردع له والزجر فان الشعرة اذا جذبت من العجين لايعلق عليها من العجين شئ فتخرج وليس فيها اثر من ذلك اصلا فان قلت كيف خرج صاحب البدعة فى الدين غير المكفرة من الاسلام الظاهر وله صوم وحج وعمرة وجهاد قلت لما كان مصرا على بدعته فى الدين فاعلالها لامحالة طالبا الثواب عليها من الله تعالى خرج عن التسليم الظاهر لحكم الله الذى كلفه بالصوم والحج والعمرة والجهاد بالنسبة الى فعله تلك البدعة حيث هو مداوم عليها داخل تحت حكم من حكم عليه بتلك البدعة من النفس والشيطان فان قلت جميع المعاصى والمخالفات بدع فالمرتكب لشئ منها مذنب عاص فهل مبتدع حتى لايقبل عمله مدة اصراره على ذنبه ذلك ومعصيته قلت ليس المذنب العاصى بمبتدع ولا المعاصى والمخالفات بدع فى الدين بل البدع فى الدين معاص ومخالفات وشرط البدعة فى الدين كما قدمناه ان يدين الله تعالى بها ويطيعه فيها فيقصد بفعلها الثواب والاجر من الله تعالى واما المعاصى والمخالفات فلا يدين الله تعالى بها فاعلها ولايطلب الثواب عليها والاجر من الله تعالى والا لكفر باستحلالها بل انما يحمله على فعلها الشهوة والغرض النفسانى فليست بدعا فى الدين ولا فاعلها بمبتدع لايقبل عمله بل اذا خلا من فعل البدعة فى الدين قبل عمله ولايمنع من قبول عمله ارتكاب المعصية (وقد سبق) فى نوع الاعتصام بالسنة عند ذكر الاخبار النبوية (حديث العرباض بن سارية) المشتمل على قوله صلى الله عليه وسلم فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وتقدم منا الكلام على ذلك (و) سبق حديث (جابر) ايضا (رضى الله عنهما) اى عن العرباض وجابر المشتمل على قوله صلى الله عليه وسلم اما بعد فان خير الحديث

Marfat.com

كتاب الله وخير الهدى هدى محمد عليه السلام وشر الامور محدثاتها وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وتقدم منا الكلام ايضا عليه بالتمام ثم لما كان هذان الحديثان يشتملان على قوله صلى الله عليه وسلم كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة نشأ منهما اشكال اورده بقوله (فان قيل) اى قال لك قائل من الناس (كيف التطبيق) اى المطابقة والمزاحقة وزوال المنافاة والمناقضة (بين قوله عليه الصلاة والسلام) فى هذين الحديثين المذكورين (كل بدعة ضلالة و بين قول الفقهاء) اصحاب المذاهب الشرعية لما قسموا البدع الى اقسام كما سيبينه قريبا (ان البدعة قد تكون) بدعة (مباحة) لا يثاب بفعلها ولا يعاقب على تركها (كاستعمال المنخل) بضم الخاء المعجمة ويجوز ان تفتح خاؤه ما ينخل به كذا فى القاموس وكان السلف لا يكثرون نخل الدقيق بل يأكلون الخبز غير منخول وانما كثر النخل بعد ذلك فى الخلف (والمواظبة على اكل لب الحنطة) بعد ازالة قشرها وكدرها بالمنخل وان كان فى السلف اكل لب الحنطة ايضا كما قدمناه عن احياء الغزالى فى خبر عثمان رضى الله عنه لكنه نادر من غير مواظبة عليه (والشبع منه) اى من اكل لب الحنطة قال فى شرعة الاسلام اول بدعة حدثت فى الاسلام الشبع وهذه المناخل ولم ير نبينا عليه السلام نقيا اى ما نقى دقيقه من النخالة ولا منخلا وقال فى شرحها وعن سهل بن سعد ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى ولا رأى منخلا حين بعثه الله تعالى حتى قبضه كذا فى المصابيح (وقد تكون) يعنى البدعة (مستحبة) يثاب بفعلها ولا يعاقب على تركها (كبناء المنارة) والاصل منورة موضع النور كالمنار والمسرجة والمأذنة والجمع مناور ومنابر كذا فى القاموس والمراد هنا المأذنة موضع الاذان وفى القاموس المأذنة بالكسر موضع الاذان او المنارة والصومعة انتهى وذكر والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام انه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم مئذنة وروى ابو داود من حديث عروة بن الزبير عن امرأة من بنى النجار قالت كان بيتى من اطول بيت حول المسجد وكان بلال يأتى بسحر فيجلس عليه ينظر الى الفجر فاذا رآه اذن ذكره فى البحر شرح الكنز وفى وسائل السيوطى ان اول من رقى منارة مصر للاذان شرحبيل بن عامر المرادى وقال ابن سعد بالسند الى ام زيد ابن ثابت كان بيتى اطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من اول ما اذن الى ان بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده فكان يؤذن بعد ذلك على ظهر المسجد وقد رفع له شئ فوق ظهره (و) بناء (المدارس) جمع مدرسة موضع الدراسة وهى القراءة قال فى القاموس درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة قرأه كأدرسه والمدارس المواضع يقرأ فيها القرآن ومنه مدارس اليهود انتهى والمراد هنا الموضع الذى بنى لدراسة العلم مع الطلبة او دراسة القرآن (وتصنيف الكتب) اى فى جميع العلوم اى جعلها صنوفا وابوابا وفصولا لنشر العلم وبيانه (بل قد تكون) اى البدعة

Marfat.com

(واجبة) يثاب بفعلها ويأثم على تركها للقادر عليها (كنظم) اى جمع وترتيب (الدلائل) جمع دليل وهو مايستدل به من المقدمات اليقينية او الظنية (لرد) اى ابطال (شبه) جمع شبهة وهى مايشبه الدليل فى العقائد وليس بدليل (الملاحدة) جمع ملحد من الالحاد وهو الميل والعدول عن طريقة اهل السنة والجماعة (ونحوهم) كالمعتزلة والفلاسفة وسائر فرق الضلال (قلنا) فى الجواب عن هذا الاشكال المذكور (للبدعة) بالكسر من حيث هى فعلة حادثة بعد ان لم تكن (معنيان) الاول (معنى لغوى) منسوب الى اللغة وهى لغة العرب (عام) يشمل جميع اقسام البدعة وذلك (هو المحدث) بصيغة اسم المفعول من حدث يحدث حدوثا وحدثة نقيض قدم (مطلقا) اى حدوثا مطلقا عن القيد بشئ ثم بينه فقال (عادة كان) ذلك المحدث (اوعبادة) والمراد بالعادة مالا يطلب فاعله عليه ثوابا من الله تعالى يوم القيامة بل مقصوده مجرد تحصيل غرضه الدنيوى والعبادة بخلاف ذلك وهى مايطلب فاعله عليه من الله تعالى ثوابا يوم القيامة (لانها) اى البدعة (اسم) مشتق (من الابتداع) مصدر ابتدع (بمعنى الاحداث) والاختراع (كالرفعة) بالكسر للشرف والعلو اسم (من الارتفاع والخلفة) اسم (من الاختلاف) قال فى القاموس الخلفة بالكسر اسم من الاختلاف اى التردد جعل الليل والنهار خلفة اى هذا خلف من هذا وهذا يأتى خلف هذا ومعناه من فاته امر بالليل ادركه بالنهار وبالعكس يعنى ومن فاته امر بالنهار ادركه بالليل (وهذه) اى البدعة اللغوية العامة (هى المقسم) اى وضع القسمة الى الاقسام الآتية (فى عبارة الفقهاء) الحنفية وغيرهم (يعنون) اى يقصدون (بها) اى بالبدعة اللغوية العامة المذكورة (ما) اى الامر الذى وامرا (احدث) بابناء للمفعول اى احدثه محدث من اهل الاسلام وغيرهم (بعد) ذهاب (الصدر) وهو اعلى مقدم كل شئ واوله كذا فى القاموس (الاول) نعت للصدر وهم السلف المتقدمون فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم اجمعين لقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فاحدث منهم فى زمانهم فليس ببدعة والبدعة ما حدث بعد زمان التابعين وتابعيهم قال فى شرعة الاسلام فى بيان السنة التى يجب التمسك بها هى ما كان عليه القرن المشهود لهم وهم الخلفاء الراشدون ومن عاصر سيد الخلائق ثم الذين من بعدهم من التابعين ثم من بعدهم فاحدث بعد ذلك من امر على خلاف مناهجهم فهو من البدعة (مطلقا) يعنى سواء كان فى العبادة والدين اوغير ذلك (و) الثانى (معنى شرعى) اى منسوب الى الشرع وهو شرع محمد صلى الله عليه وسلم (خاص) بالعبادة والدين (هو الزيادة) على ما ورد (فى الدين) زيادة مستقلة كابتداع طاعة مالها اصل فى دين الله تعالى اوغير مستقلة كزيادة فى طاعة شرعية

Marfat.com

(اونقصان منه) اى من الدين نقصانا مستقلا كترك طاعة شرعية اعتقد تاركها ذلك الترك طاعة اوغير مستقل كترك بعض طاعة شرعية اعتقد التارك ترك ذلك البعض طاعة (الحادثان) نعت للزيادة والنقصان (بعد) انقراض زمان (الصحابة) وكذا زمان التابعين وتابعيهم رضى الله عنهم وهم الصدر الاول كما قدمنا (بغير اذن) فى تلك الزيادة والنقصان (من الشارع) ى المبين للشرع فينا ابتداء وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لا قولا) اى بالقول (ولا فعلا) اى بالفعل (ولا صريحا) اى بالصريح (ولا اشارة) اى بالاشارة والمعنى انه يكتفى فى ورود الاذن باحد هذه الطرق الاربعة لو وجد احتراز عما ورد الاذن فيه بالزيادة والنقصان كقوله صلى الله عليه وسلم من قال فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه وذلك ادناه ومن قال فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثلاثا فقد تم سجوده وذلك ادناه ذكره فى شرح الدرر وروى عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى اربعا كتب من العابدين ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين ومن صلى ثنتى عشرة ركعة بنى الله تعالى له بيتا فى الجنة من ذهب رواه البيهقى فى السنن الصغير فقد ورد التخيير فى هذه الزيادة والنقصان فليس شئ من ذلك ببدعة (فلا تتناول) البدعة من حيث معناها الشرعى شيئا من انواع (العادات اصلا) جمع عادة وهو كل امر يقصد به حصول غرض دنيوى كالملابس المخترعة فى هذا الزمان والمساكن والمآكل والمشارب مما اتخذه الناس انواعا منوعة فلا يسمى فى الشرع بدعة لانه ليس فى الدين بل فى الدنيا وشرط البدعة فى الشرع ان تكون فى الدين بان يتخذها فاعلها طاعة يعبد الله تعالى بها (بل تقتصر) اى البدعة فى الشرع اليوم (على بعض الاعتقادات) كاعتقادات الفرق الضالة ومن تابعهم (وبعض صور العبادات) الواردة فى الشرع بان يزاد فى صورتها او ينقص منها مع اعتقاد ان تلك الزيادة والنقصان طاعة بمجرد الرأى لتخرج من البدع هذه الزيادة والنقصان الواقعة فى العبادات على حسب اختلاف المذاهب الاربعة اليوم كتثنية الاقامة عند ابى حنيفة رضى الله عنه بالنظر الى مذهب الامام الشافعى رحمه الله تعالى وافرادها عند الشافعى بالنظر الى مذهب ابى حنيفة رضى الله عنه وصلاة الكسوف بركوعين وسجودين وفاتحتين فى كل ركعة عند الشافعى لا عند ابى حنيفة رضى الله عنهما فان هذا وما اشبهه ليس ببدعة فى الدين لانه مأخوذ من الادلة الشرعية لا من مجرد الرأى وانما المأخوذ من مجرد الرأى الزيادة على الوضوء الشرعى والغسل الشرعى بكثرة صب الماء اذا اعتقده فاعله عبادة كان بدعة واذا اعتقد انه وسوسة مكروهة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فهو معصية وليس ببدعة وكذلك تكرار التكبير فى افتتاح الصلاة وتكرار النطق فى الصلاة

Marfat.com

بكل كلمة من القراءة والتشهد وغسل الثياب الجدد لاحتمال النجاسة فيها وغسل الفم من اكل الخبز لاحتمال نجاسة الخنطة ببول الثيران عليها فى وقت الدياس ونحو ذلك مما هو منصوص فى كلام العلماء على كونه خارجا عن قانون الشرع وهو محض وسوسة فمتى فعل ذلك احد قاصدا بانه طاعة كان بدعة وان لم يقصد انه طاعة كان معصية وليس ببدعة لاعتراف فاعله بقبحه وكونه يخالف الشرع وهكذا كل امر يضارع ماذكرنا (فهذه) البدعة فى الشرع دون العادة (هى مراده عليه الصلاة والسلام) حيث قال فى الحديثين السابقين كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة يعنى كل محدث فى الشرع بدعة وكل بدعة فى الشرع ضلالة والمراد كل بدعة فى الشرع ليس فيها اعانة على الطاعة الشرعية بان كانت بدعة سيئة واما البدعة فى الشرع اذا كان فيها اعانة على طاعة شرعية فانها تكون باذن من الشارع ولو بطريق الاشارة كما تقدم فهى بدعة حسنة فلا تدخل تحت كل بدعة فى الشرع ضلالة (بدليل) متعلق بقوله فلا تتناول العادات يعنى ان البدعة فى الشرع غير شاملة للبدع فى العادات والدليل على ذلك مقتضى (قوله عليه الصلاة والسلام) فى الحديث السابق (فعليكم) يا معشر المكلفين يعنى الزموا العمل (بسنتى) وهى ما شرعه صلى الله عليه وسلم لهم فى دينهم دون ما شرعوه هم لانفسهم من الدين وهى البدع ولم يشرع لهم صلى الله عليه وسلم شيئا فى العادات لانه جاء ليعلمهم دينهم لا دنياهم فلا تدخل فى ذلك البدع فى العادات (وسنة الخلفاء) جمع خليفة (الراشدين) اى اهل الرشد ضد الغى (المهديين) وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين يعنى الزموا ما شرعه لكم خلفائى (من بعدى) يعنى فى الدين اذ لم تشرع الخلفاء شيئا الا فى الدين فلا يشمل امر العادة (وقوله عليه الصلاة والسلام) فى صدر الحديث المتقدم (انتم اعلم بامر دنياكم) يعنى لا تحتاجون ان اشرعه لكم اى ابينه وانما حاجتكم لامر دينكم ان اشرعه لكم فلا تشرعوا انتم امر دينكم لانكم لا تعلمون ماذا يريد الله تعالى من الحكم عليكم فلا تدخل العادات فى ذلك (وقوله عليه الصلاة والسلام من احدث) اى اخترع (فى امرنا) اى شرعنا ودينا (هذا ما ليس منه) من الاعتقاد او العمل او القول او التخلق واعتقد ان ذلك شرع ودين (فهو رد) منه علينا اذ الشارع نحن بوحى الله تعالى ونبوته لا غيرنا اورد منا عليه فلا يقبل منه ذلك كما سبق بيانه فهذا تصريح بان البدعة الشرعية التى هى ضلالة هى ما ابتدعت فى الشرع والدين دون العادات وكذلك ما تقدم من حديث غضيف بن الحارث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من امة ابتدعت بعد نبيها فى دينها بدعة الا اضاعت مثلها من السنة فقد خص البدعة بكونها فى الدين فخرجت البدعة فى العادات فانها ليست ببدعة فى الشرع ولا هى ضلالة وفى شرح الشرعة وكل بدعة قبيحة ضلالة فلا يجوز التمسك بها قال النبى صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اى ما احدثه مردود جدا والمراد ان كل بدعة

Marfat.com

فى الدين كانت على خلاف مناهجهم وطرقهم يعنى الصحابة والتابعين وتابعى التابعين رضى الله عنهم اجمعين بحيث لو اطلعوا عليها لانكروها وكرهوها فهى ضلالة والاعتقد حققوا ان من البدعة ماهى حسنة مقبولة كالاشتغال بالعلوم الشرعية وتدوينها وبناء المنارة وغيرها مما رأوا فيه مصلحة (والبدعة) الشرعية (فى الاعتقاد) كاعتقادات القدرية والجبرية وبقية الفرق الضالة واتباعهم (هى المتبادرة) فى السبق الى الذهن (من اطلاق) اسم (البدعة) الشرعية (و) اطلاق اسم (المبتدع) فى الشرع على فاعلها (و) اطلاق اسم (الهوى) اى الميل النفسانى بمجرد العقل الحيوانى (و) اطلاق اسم (اهل الاهواء) على فاعل ذلك كما هو مذكور فى كتب علم الكلام وغيره فيقال اهل البدع والمبتدعة واهل الهوى واهل الاهواء والمراد بذلك البدعة الشرعية فى الاعتقاد لاغير (فبعضها) اى بعض البدعة الشرعية فى الاعتقاد (كفر) كجحود اى نكران حشر الاجساد ونفى الصفات الالهية والحكم بقدم العالم (وبعضها) اى بعض تلك البدعة (ليست به) اى بالكفر كجحود سؤال القبر وخبر المعراج (ولكنها) اى هذه البدعة التى ليست بكفر (اكبر من كل كبيرة) كائنة (فى العمل) اى من كبائر العمل فدونها كل كبيرة لتضمنها تكذيب الشارع فيما اخبر عنه دون صريح التكذيب لثبوت ذلك بالدليل الظنى وهو خبر الآحاد لا بطريق التواتر ولا الشهرة ولهذا لم تكن كفرا (حتى) انها اكبر من كبيرة (القتل) اى قتل المؤمن المعصوم الدم عمدا (و) اكبر من كبيرة (الزنا) ايضا لان صاحبها يعتقدها حقا ويدين الله تعالى بها وهى بدعة قبيحة واما القتل والزنا فاذا صدرا من المؤمن لايستحلهما ويعتقد حرمتهما فهما اخف من البدعة مع تساويهما معها فى عدم المشروعية (وليس فوقها) اى فوق البدعة المذكورة فى الاعتقاد (الا الكفر) سيما وصاحبها تحجب عنه التوبة حتى يدعها كما سبق فى لفظ الحديث ولا يقبل الله له عملا مطلقا مع ان صاحب الكبائر يقبل عمله وهو والكافر لاتحجب عنهما التوبة لان صاحب الكبائر معترف بانه صاحب معاص ومخالفات والكافر غير ملتزم شرائع الاسلام ولا مدعى الملة المحمدية بخلاف المبتدع فى الدين فانه يدعى الاسلام ويزعم ان بدعته طاعة من طاعات الله تعالى وقالوا فى كتب علم الكلام ولا نكفر احدا من اهل القبلة قال العلامة حسن چلبى فى حاشيته على شرح المواقف معناه ان الذين اتفقوا على ماهو من ضروريات الاسلام كحدوث العالم وحشر الاجساد وما اشبه ذلك واختلفوا فى اصول سواه كمسئلة الصفات وخلق الاعمال وعموم الارادة وقدم الكلام وجواز الرؤية ونحو ذلك مما لانزاع ان الحق فيه واحد لايكفر المخالف للحق فى ذلك والا فلانزاع فى كفر اهل القبلة المواظب طول العمر على الطاعات باعتقاد قدم العالم ونفى الحشر ونفى العلم بالجزئيات ونحو ذلك وكذا الصدور شئ من موجبات الكفر عنه كذا فى شرح المقاصد

Marfat.com

ولعله ارادان اعتقاد قدمه مع نفى الحشر كفر والافقد ذهب كثير من حكماء الاسلام الى قدم بعض الاجسام والفحول من ارباب المكاشفة قدس الله اسرارهم ذهبوا الى قدم العرش والكرسى دون سائر الافلاك فلا وجه للتكفير اذلا تكذيب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم انتهى فلعل مرادهم بقدم العرش والكرسى قدمهما بالنسبة الى ايجاد الله لهما فانه تعالى موجدهما من الازل حيث لا بداية للزمان الذى ابتدأ وجودهما فيه لانه تعالى لا يمر عليه الزمان ولا على صفاته فقبل حضور الزمان الذى ابتدأ وجودهما فيه لا وجود لهما بالنسبة الينا ولهذا كانا حادثين عندنا ولا وجود لهما ايضا بالنسبة الى الله تعالى واما فى الزمان الذى ابتدأ وجودهما فيه فهما موجودان فيه عندنا بطريق الحدوث والابتداء لهما لتقيدنا بالزمان وموجودان فيه ايضا عند الله تعالى لكن لا بطريق الحدوث والابتداء بل من الازل والله تعالى ليس متقيدا بالزمان اذهو من جملة محدثاته فى مرتبته من الازل ولا فعله تعالى حادثا بل الحادث مفعوله بالنظر الينا لا بالنظر اليه تعالى لحضور الازمان كلها عنده تعالى من غير زمان يكون هو متقيدا به وعدم حضور الازمان كلها بالنظر الينا لتقيدنا بزمان دون زمان وهذا القائل بالقدم فى العرش والكرسى من فحول ارباب المكاشفة قدس الله اسرارهم يقول بحدوثهما من جهة التقيد بالزمان ايضا كقول علماء الكلام ولهذا قال دون سائر الافلاك فان سائر الافلاك فيها خصوص فى عموم لوجود الزمان بالنظر الى سائر الافلاك دونهما والحدوث منشاؤه الزمان ولكن ينفرد بالمعرفة الالهية فى صدور العالم عن الله تعالى ما لا يعرفه غيره و يريد بالعرش والكرسى العالمين الكليين وما اشتملا عليه من جميع النفوس والاجسام وذلك مجموع العالم كله واما الحكم بقدم شئ من العالم بالنظر الى التقييدين بالزمان كقول الفلاسفة ومن تابعهم فلا خلاف فى انه كفر (والخطاء فى الاجتهاد) وهو بذل المجهود لنيل المقصود يعنى بذل تمام الطاقة بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد عليه (فيه) اى فى الاعتقاد (ليس بعذر) شرعى (بخلاف) الخطاء فى (الاجتهاد فى الاعمال) البدنية فانه عذر بالاتفاق قال فى التلويح للسعد التفتازانى فلا يجرى الاجتهاد فى القطعيات وفيما يجب فيه الاعتقاد الجازم من اصول الدين ثم قال بعد ذلك والمخطئ فى الاجتهاد يعنى فى فروع الدين لا يعاتب ولا ينسب الى الضلال بل يكون معذورا ومأجورا اذ ليس عليه الا بذل الوسع وقد فعل فلم ينل الحق لخفاء دليله الان يكون الدليل الموصل الى الصواب بينا فاخطأ المجهد بتقصير منه وترك مبالغة فى الاجتهاد فانه يعاتب وما نقل من طعن السلف بعضهم على بعض فى مسائلهم الاجتهادية كان مبنيا على ان طريق الصواب بين فى زعم الطاعن وانما قال المخطئ فى الاجتهاد لان المخطئ فى الاصول والعقائد يعاتب بل يضلل او يكفر لان الحق فيها واحد اجماعا والمطلوب هو اليقين الحاصل

Marfat.com

بالادلة القطعية اذلا يعقل حدوث العالم وقدمه وجواز رؤية الصانع وعدمها فالمخطئ فيها مخطئ ابتداء وانتهاء و مانقل عن بعضهم من تصويب كل مجتهد فى المسائل الكلامية اذالم يوجب تكفير المخالف كمسئله خلق القرآن ومسئله الرؤية ومسئلة خلق الافعال فمعناه نفى الاثم وتحقق الخروج من عهدة التكليف لاحقية كل من القولين وفى مرقاة الاصول والاجتهاد فى الشرعيات لا العقليات كمباحث تتعلق بالذات والصفات والافعال من الالهيات والنبوات فان الملليين اجمعوا على وحدة المصيب فى العقليات الاعند بعضهم اى بعض المعتزلة وهو ابوالحسن العنبرى والجاحظ فانهما قالا ان كل مجتهد مصيب فى مسائل الكلام وهو باطل لان المطلوب فيها هوالیقین الحاصل بالادلة القطعية ولايعقل حدوث العالم وقدمه وجواز رؤية الصانع وامتناعها ونحوذلك انتهى وسبق نظيرهذا (وضد هذه البدعة) التى فى الاعتقاد اى ما يضادها فيمتنع وجوده معها (اعتقاد اهل السنة) النبوية المحمدية (والجماعة) الاسلامية الايمانية من الاشاعرة والماتريدية (والبدعة فى العبادة) اى الاعمال الظاهرة فى مقابلة البدعة فى الاعتقاد كالزيادة والنقصان فى صورة بعض العبادات واشار بقوله فى العبادة دون قوله فى العمل الى ان صاحبها يطلب عليها الثواب من الله تعالى مثل سائر العبادات مع انها مبتدعة لا اصل لها فلهذا كانت البدعة اقبح من جميع المعاصى (وان كانت) هذه البدعة (دونها) اى دون البدعة فى الاعتقاد يعنى اقل منها قبحا وشناعة واثما وذلك لان البدعة فى الاعتقاد تنجيس موضع نظر الرب سبحانه وتعالى وهو القلب والبدعة فى الاعمال تنجيس موضع نظر الخلق وهوظاهر العبد كما ورد ان الله لاينظر الى اجسادكم ولاالى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (لكنها) اى البدعة فى العبادة ايضا (منكر) فى دين الله تعالى (وضلالة) يجب تركها والاجتناب عنها اكثر من جميع المعاصى (لاسيما اذا صادمت) اى دافعت وزاحمت (سنة) من سنن النبى صلى الله عليه وسلم (مؤكدة) اى كان فعل تلك البدعة مانعا من فعل سنة مؤكدة مشغلا للعبد عن الاشتغال بالسنة فانه يشتد حينئذ قبح البدعة ويكثر الاثم على فعلها (ومقابل هذه البدعة) التى فى العبادة اى مضاد لها بحيث لووجد هوامتنع وجودها (سنة الهدى) بضم الهاء وفتح الدال الرشاد والدلالة كذا فى القاموس يعنى التى فعلها رشاد لفاعلها ودلالة من فاعلها لغيره على الرشاد (وهى ما) اى فعل (واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم من جنس العبادة) ليخرج ماواظب عليه من العادات من غيران يقصد عبادة الله تعالى به فانه ليس بسنة هدى بل هو من الزوائد كالمشى والقعود (مع الترك) اذلك الفعل (احيانا) جمع حين يعنى اوقاتا او بلاترك اصلا ولايفهم الوجوب من عدم الترك مالم يقترن به النهى عن الترك والتوعد عليه ولهذا قال (و)مع (عدم الانكار) من النبى عليه السلام (على تاركه) اى تارك ذلك الفعل لانه لوا قترن بالمواظبة انكار على الترك كان واجبا لا سنة

Marfat.com

(كالاعتكاف) وهولغة اللبث والدوام على الشئ وشرعا لبث رجل فى مسجد جماعة اوامرأة بنيته اى الاعتكاف وهوواجب فى المنذور وسنة مؤكدة فى العشر الاخيرمن رمضان ومستحب فيماسواه اى العشر الاخير كذا فى شرح الدرر قال فى مرقاة الاصول والسنة نوعان الاول سنة الهدى مكملة للدين وتاركها مسئ مستحق اللوم كصلاة العيد والاذان والاقامة والصلاة بالجماعة والسنن الرواتب ولذا لوتركها قوم عوقبوا اواهل بلدة واصروا قوتلوا والثانى سنة الزوائد وتاركها لايستحق اللوم كتطويل اركان الصلاة وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى لباسه كالبيض وقيامه وقعوده انتهى وقال والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام والحاصل ان الذى يظهران القول اوالفعل يعنى قول النبى عليه السلام اوفعله ان قارنه انكار على الترك فواجب والافان كان مع صيغة امر اونهى ولامواظبة فمستحب والا فسنة مؤكدة والسنة نوعان سنة هدى وتركها يستوجب اساءة كالجهاد والاذان وزوائد وتاركها لايستوجب ذلك كالسنن فى القيام والقعود واللباس كما فى المنار ان ما كانت على سبيل العبادة فسنن الهدى وعلى سبيل العادة فسنن الزوائد كلبس الثياب والاكل باليمين وتقديم اليمين فى الدخول (واما البدعة فى العادة) اى من غير ان يقصد بها عبادة الله تعالى ولايطلب عليها ثواب (كالمنخل) للدقيق وكذلك الملعقة للاكل ونحو ذلك لعدم قصد مخترعها ومستعملها عبادة الله تعالى بها والثواب عليها (فليس فعلها ضلالة) ولاوعيد البدعة شامل لها (بل) فعلها (ترك اولى) عند اهل الورع والاحتياط (فتركها) اى البدعة فى العادة (اولى) من فعلها لماتورث الطمانينة على نعيم الدنيا وتوصل راحة القلب بالغفلة والغرور قال فى الكشاف وقد شدد العلماء من اهل التقوى فى وجوب غض البصر عن ابنيه الظلمة وعدد الفسقة فى اللباس والمراكب وغيرذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظار فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها ذكره الشيخ المناوى فى شرح الجامع الصغيرفهى من البدع العادية وعن ذلك البنيان زيادة على مقدار الحاجة كما روى الشيخ النووى فى رياض الصالحين عن قيس بن ابى حازم قال دخلنا على خباب رضى الله عنه نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال ان اصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا وانا اصبنا مالا لانجد له موضعا الا التراب ولولا ان النبى صلى الله عليه وسلم نهانا ان ندعو بالموت لدعوت به ثم اتيناه مرة آخرى وهو يبنى حائطا له فقال ان المسلم ليؤجر فى كل شئ ينفقه الا فى شئ يجعله فى هذا التراب متفق عليه وهذا لفظ رواية البخارى ومن ذلك ظهور السمن فى الرجال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من اكلة كل يوم سرف وفى شرح الجامع الصغير للمناوى ومن علامات الساعة ظهور السمن فى الرجال انتهى ومن ذلك استعمال التتن والقهوة الشايع ذكرهما

Marfat.com

فى هذا الزمان بين الاسافل والاعيان والصواب انه لاوجه لحرمتهما ولا لكراهتهما
فى الاستعمال بل هما من البدع فى العادة ومن علل حرمتهما بشئ لزمه حرمة البدعة
العادية وهو خلاف ماعليه جمهور العلماء وامر السلطان ونهيه انما يعتبران اذ كانا
على طبق امر الله تعالى ونهيه لاعلى مقتضى نفسه وطبعه كما ان امر النبى صلى الله
عليه وسلم ونهيه على طبق امر الله تعالى ونهيه لاهو من تلقاء نفسه ومقتضى رأيه
وعقله وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك ولو فرضنا ان امر النبى صلى الله عليه
وسلم ونهيه كانا من تلقاء نفسه لامن امر الله تعالى ونهيه لما وجب علينا امتثال
ذلك فكيف يجب علينا امتثال امر السلطان ونهيه الصادر من مجرد رأيه وعقله
مالم يكن موافقا لحكم الله تعالى الا اذا ظلم السلطان وجار وشدد على الناس وضيق عليهم
فى النهى عن استعمال هذين المباحين وخاف الناس على انفسهم من شره خصوصا اذا كان
يستحل دماء المسلمين ويوجب تعذيرهم فى رأيه بسبب ذلك فلا يجوز ان يلقى احد بنفسه الى
التهلكة ويكف المؤمن عن استعمال ذلك بهذا السبب لا متعقدا الحرمة او الكراهة بل حافظا
دمه وعرضه وقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول فى بيتى هذا اللهم من ولى من امر امتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه
ومن ولى من امر امتى شيئا فرفق بهم فارفق به رواه مسلم كما ذكره النووى فى رياض
الصالحين وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى *واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل *اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم
او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة وقيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به
اى نعم شيئا يعظكم به اونعم الشئ الذى يعظكم به من العدل فى الحكومات ان الله
كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولى الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده
ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ان امرهم
بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله
تعالى * واوردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم * الآية فان تنازعتم انتم
واولوا الامر منكم فى شئ من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول يعنى فى ان اولى
الامر هم الخلفاء والامراء لا العلماء اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤس
الا ان يقال الخطاب لاولى الامر يعنى فقط على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه
الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك يعنى الرد المذكور ذلك اى رد خير لكم
واحسن تأويلا عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم انتهى كلام البيضاوى باختصار
لعبارته وسبق مايضارع هذا ولنا فى كتابنا نهاية المراد شرح هدية ابن العماد كلام
فى هذه المسئلة اكثر من هذا وكذلك فى كتابنا المطالب الوفية وغيره (وضدها)

Marfat.com

اى ضد البدعة فى العادة (السنة الزائدة) المقابلة لسنة الهدى كما قدمناه ومعنى زيادتها كونها ليست لتكميل الدين بخلاف سنة الهدى كما ذكرنا فان الدين يتكمل بها (وهى ما) اى فعل (واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم) وهو (من جنس العادة) حيث لم يقصد به العبادة ليكون تكميلا للدين (كالابتداء باليمين) من اليد والرجل وغيرهما (فى الافعال الشريفة) يعنى غير الخسيسة لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب التيامن فى تنعله وترجله وظهوره وفى شأنه كله قال القرطبى فى شرح مسلم كان ذلك منه تبركا باسم اليمين لاضافة الخير اليها كما قال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين ونادياه من جانب الطور الايمن ولما فيه من اليمن والبركة وهو من باب التفاؤل ونقيضه الشمال ويؤخذ من هذا الحديث احترام اليمين واكرامها فلا تستعمل فى ازالة شئ من الاقذار ولا فى شئ من خسيس الاعمال وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء ومس الذكر باليمين وفى رياض الصالحين وعن سلمة ابن الاكوع رضى الله عنه ان رجلا اكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع قال لا استطعت ما منعه الا الكبر فما رفعها الى فيه رواه مسلم وفى شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح وان يأكل ويشرب بيمينه لما روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليأكل احدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطى بشماله ولا بأس بان يستعين بيساره فى الاكل وغيره عند الحاجة وانما البأس فى الاكل بها على الاستقلال بغير حاجة (و) الابتداء (باليسار) من اليد والرجل وغيرهما (فى) الافعال (الخسيسة) كدخول الخلاء والاستنجاء ومس الذكر حتى نقل الامام القرطبى فى شرح مسلم ان من استنجى بيمينه فقد اساء واجزأه وقال اهل الظاهر لا يجزئه لاقتضاء النهى فساد المنهى عنه وعند الجمهور لا يقتضيه وايضا فان الجمهور صرفوا هذا النهى الى عين ذات المنهى عنه وهو احترام اليمين والمطلوب الذى هو الانقاء قد حصل فيجزئ عنه ونهيه فى حديث ابى قتادة رضى الله عنه عن امساك الذكر باليمين وعن التمسح فى الخلاء باليمين يلزم منهما نعذر اختلف فى كيفية التخلص منه فقال المازرى يأخذ ذكره بشماله ثم يمسح به حجرا ليسلم على مقتضى الحديثين وتمامه هناك (فهى) اى هذه السنة الزائدة (مستحبة) اى استحبها النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الماضون قال والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام ثم فى الحاوى القدسى والادب والمستحب والنافلة ما فعله عليه الصلاة والسلام مرة مرة وهى تسمى سنة ايضا وفى شرح درر البحار اعلم ان المستحب ادون من السنة واعلى من الادب ولم يفرق بعض مشايخنا بين الادب والمستحب وقد يطلق المستحب على السنة (فظهر) من هذا (ان البدعة بالمعنى الاعم) وهو ما تقدم من المعنى اللغوى العام

Marfat.com

الذى هو مطلق الابتداع والاختراع سواء كان فى العادة اوفى العبادة (ثلاثة اصناف مرتبة فى القبح)اى اعظمها قبحا الاول وهو البدعة فى الاعتقاد ثم اوسطها قبحا الثانى وهو البدعة فى العبادة ثم ادناها قبحا الثالث وهو البدعة فى العادة قال فى شرح الشرعة وذكر فى شرح المشارق ان العلماء قالوا البدعة خمسة واجبة كنظم الدلائل لردشبه الملاحدة وغيرهم ومندوبة كتصنيف الكتب وبناء المدارس ونحوها ومباحة كالتبسط بالوان الاطعمة عند ضيافة الاخوان وغيرها ومكروهة وحرام وهما طاهران (فاذا علمت هذا) التقسيم الذى تقدم بيانه (فالمنارة) المذكورة فى نوع البدعة المستحبة انما كانت مستحبة مع انها بدعة لانها (عون) اى معينة للمؤذنين فى قصدهم (لاعلام) الناس بدخول (وقت الصلاة) المفروضة كالصلوات الخمس والجمعة (المراد) نعت للاعلام (من) معنى (لاذان) شرعا اذمعناه لغة مطلق الاعلام وفى الشرع هو الاعلام بوقت الصلاة وفى المنارة اعانة فى انتشار ذلك بين المسلمين ماليس فى غيرها (والمدارس) المبنية للعلم وقراءة القرآن (و) كذا (تصنيف الكتب) الشرعية فى علم التوحيد والعقائد والاحكام الفقهية والتفسير والحديث وآلة ذلك كالنحو والصرف واللغة ونحو هذا (عون) اى معينة (للتعليم) بسبب تقرير المسائل وايضاحها وايراد كل شئ فى محله من الابحاث المناسبة والاشكالات والاجوبة وتحرير الادلة وبيان الخلاف حتى يسهل معرفة ذلك على المعلم والمتعلم (و) عون لحصول (التبليغ) ايضا من العلماء الاولين الى الفضلاء المتأخرين اى تبليغ الشرائع والاحكام على اكمل مايكون من الكلام تسهيلا على القرائح والافهام (ورد) مبتدأ اى صرف ومنع الفرق (المبتدعة) من المعتزلة وغيرهم (بنظم) اى جمع وترتيب (الدلائل) العقلية والبراهين القطعية فى تحقيق المسائل الاعتقادية الاصولية (نهى) خبر المبتدأ (عن المنكر) القبيح ممن تقدم لمن تأخر على وجه العموم كما هو الطريقة المسنونة فى ذلك من غير تعيين فاعله على حسب ماقدمناه (وذب) اى طرد ومحاماة وردع وزجر (عن الدين) المحمدى والحاصل ان السادة الأئمة الاولين من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين لما حصلوا على سعادة الجهاد فى اعداء الدين بظواهر الغرائم وقارعوهم بالسماهر والصوارم حتى فتحت البلاد واطمأنت القلوب الاسلامية وبردت الاكباد ولم يبق للمتأخرين حظ من ذلك فجعل الله تعالى لهم مسلكا بافتراق الامة وتشتت الكلمة وظهور الزائغين وكثرة المخالفين فى العقائد والمعاندين فانفتحت لهم ابواب جهاد آخر فى النفوس الجاهلية فلم يفتهم حظهم من سعادة الجهاد فى اهل الضلال فحاربوهم بعزائم المواطن وقارعوهم بسيوف الحجج والبراهين فى جميع المواطن وبنوا حصون الكتب المصنفات الكثيرة المتنوعة واتقنوها جهدهم ونصبوا فيها مجانيق الادلة لهدم حصون الضلال وهلاك وساوس اهل العناد والجدال وبنوا المدارس

Marfat.com

وشيدوها لنشر ذلك واعلانه على حسب حال المعين على الخير من اهل التقوى فى زمانه فجزاهم الله تعالى خير الجزاء يوم القيامة وبلغهم غايات امانيهم فى دار الاقامة (فكل) بالتنوين اى كل واحد مما ذكر من بناء المنارة والمدارس وتصنيف الكتب ونظم الدلائل (مأذون فيه) من قبل الشارع اذ قصده بقاء ماشرعه وتقويته وازالة مايمانعه وهذا المعنى موجود فيما ذكر (بل مأمور به) من قبل الشارع ولو على طريق العموم كما قال تعالى * حافظوا على الصلوات وقال تعالى *ولا تقولوا على الله الا الحق * فبناء المنارة والمدرسة من جملة المحافظة على الصلوات وتصنيف الكتب ونظم الدلائل من جملة قول الحق على الله وعدم قول الباطل وما اشبه ذلك (وعدم وقوعه) اى وقوع كل من ذلك (فى الصدر الاول) زمان الصحابة والتابعين وتابعى التابعين رضى الله عنهم اجمعين (إما لعدم الاحتياج) الى كل واحد من ذلك لاستغنائهم بكثرة الاجتهاد والمجتهدين عن تدوين العلوم وبسهولة مراجعة الثقات من أئمة الدين عن تصنيف الكتب وبقلة المخالفين عن نظم الدلائل (اولعدم القدرة) فيه (بعدم المال) فى الانفاق على بناء المنارة والمدارس وجعل الاوقاف عليها والوظائف (اولعدم التفرغ له) اى لفعل ذلك (بالاشتغال) ليلا ونهارا ظاهرا و باطنا (بالاهم) من ذلك على حسب مايعلمون من قتال الكفار وفتح البلاد وتمهيد القواعد الاسلامية والقوانين الايمانية بين العباد والمحافظة على فعل السنة النبوية والسيرة المحمدية والقيام بها فى الاحوال كلها صونا لها من الضياع والابتذال (ونحو ذلك) من الاعذار المانعة الاوائل عن عمل ذلك بعدم حدوث مايقتضيه فى زمانهم ووجود مايغنى عنه فى ذلك الزمان دون غيره وعدم تنبههم لمثله (ولو تتبعت كل ماقيل فيه) بين العام والخاص (بدعة حسنة) سواء كان اعتقادا اوقولا اوعملا اوتخلقا (من جنس العبادة) اذ جنس العادة ليس ببدعة شرعا كما مر (وجدته مأذونا فيه من) قبل (الشارع) اما لكل احد (اشارة) فى آية اوحديث (اودلالة) من آية اوحديث لايكاد يخرج شئ من ذلك عما ذكر اصلا والقصور فى عدم الاطلاع والفرق بين الاشارة والدلالة ان الاشارة هى ايماء النص الى غير ماسيق له كقوله تعالى *وعلى المولود له الآية سيق الكلام لاثبات النفقة وفيه اشارة الى ان النسب من لاب والدلالة افهام النص لازم معناه كالنهى عن التأفيف يوجب حرمة الضرب بالاولى فى قوله تعالى *ولا تقل لهما اف وقد سئل بعض العلماء عن هذه المقامات المنصوبة حول الكعبة التى يصلون فيها الآن باربعة أئمة على مقتضى المذاهب الاربعة ماكانت السنة على ذلك ولاعصر التابعين ولا تابعيهم ولاعهد الأئمة الاربعة ولا امروا بها ولا طلبوها فاجاب بانها بدعة ولكنها بدعة حسنة لانها تدخل بدليل السنة الصحيحة وتقريرها فى السنة لحسنة لانها لم يحدث منها ضرر ولا حرج فى المسجد ولا فى المصلين من المسلمين لعامة اهل السنة والجماعة بل فيها عميم النفع فى المطر والحر الشديد والبرد وفيها وسيلة للقرب من الامام فى الجمعة وغيرها فهى بدعة حسنة

Marfat.com

ويسمون بفعلهم للسنة الحسنة وان كانت بدعة اهل السنة لا اهل البدعة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة حسنة فسمى المبتدع للحسن مستنا فادخله النبي صلى الله عليه وسلم فى السنة وقرن بذلك الابتداع وان لم يرد فى الفعل فقد ورد فى القول فالسان سنى لابدعى لدخوله بتسمية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما قرره من السنة وضابط السنة ما قرره اوفعله النبي صلى الله عليه وسلم وداوم عليه واظهره ومن جملة فعله ايضا قوله صلى الله عليه وسلم وسكوته على الامر لانه تقرير واذن فى ابتداع السنة الحسنة الى يوم الدين وانه مأذون له بالشرع فيها ومأجور عليها مع العاملين لها بدوامها اخرج الامام احمد بن حنبل ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن جرير عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سن فى الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجرهم شئ ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شئ واخرج البيهقى عن ابى جحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له اجره ومثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل اوزارهم من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا الحديث فيدخل فى السنة تقريره صلى الله عليه وسلم كل بدعة حسنة ومنها الربط والمدارس والمرافق والمصالح حيث كانت للمسلمين بالطرق وغيرها للمنافع وكل حدث مستحسن وقال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم عند الكلام على حديث من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة وحديث من دعى الى هدى ومن دعى الى ضلالة هذان الحديثان صريحان فى الحث على استحباب الامور الحسنة وتحريم سن الامور السيئة وان من سن حسنة كان له مثل اجور من يعمل بها الى يوم القيامة ومن سن سيئة كان عليه مثل وزر من يعمل بها الى يوم القيامة وان من دعى الى هدى كان له مثل اجور تابعيه اوالى ضلالة كان عليه آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى اوالضلالة هو الذى ابتدأه اوكان منسوبا اليه وسواء كان ذلك تعليم علم اوعبادة اوادبا اوغير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فعمل بها بعده معناه بعد ان سنها سواء كان العمل فى حياته ام بعد موته اه والظاهر ان السنة الحسنة والسنة السيئة يترتب عليهما الجزاء لمن ابتدأهما مثل جزاء فاعلهما الى يوم القيامة سواء نوى من ابتدأهما عند ابتدائهما ان يتبعه غيره فيهما اولم ينو ذلك وفعلهما لنفسه فقط ابتداء كما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل متفق عليه وربما يقال لايترتب الجزاء لمن ابتدأهما مثل جزاء فاعلهما مالم يكن نوى عند ابتدائهما ان تتبعه غيره فيهما وان لم ينو فليس له الاجزاؤه على فعلهما فقط لقوله عليه الصلاة

Marfat.com

وا لسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فان لحصر فى هذا الحديث مانع من ترتب ذلك على مجرد الفعل من غير نية الامامة فيه نظير ما صرح به الفقهاء بان الامام اذا لم ينو الامامة فى الصلا بان يتبعه غيره فيها فلا ثواب له عليها وان صح الاقتداء به وصحت متابعته وهو منفرد فيما يصلى فثوابه ثواب المنفرد لعدم النية ويؤيده حديث من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا رواه مسلم كما تقدم وحديث من دل على خير فله مثل اجر فاعله رواه مسلم ايضا وقد صدر الشيخ النووى رحمه الله تعالى باب من سن سنه حسنة او سيئة فى كتابه رياض الصالحين بقوله تعالى * والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما * وقوله تعالى * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا * ومعلوم ان الامام لا يصير اماما مثابا على امامته بعدد المقتدين حتى ينوى ان يتابعه غيره فى عمله والافليس بامام اذ لو كان المراد مطلق الفعل لكان فى الحديث من عمل عملا حسنا من عمل عملا سيئا فان السنة مشعرة بما ذكرنا ويمكن ان يقال فى حديث ابن آدم المذكور ان النبى صلى الله عليه وسلم كشف له عن حال ابن آدم انه نوى بقتله لاخيه لتشفى نفسه منه وان يتبعه غيره فى ذلك ولهذا قال عنه لانه كان اول من سن القتل ولم يقل اول من قتل فان معنى السنة الطريقة المسلوكة ولو لم يكن نوى انها تسلك بعده ما قيل عنه انه سنها كما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسن السنن بنية ان يتابعه فيها غيره فيكون اماما فيها فيترتب له ثواب من عمل بها الى يوم القيامة (ثم اعلم) ايها المكلف (ان فعل البدعة) السيئة فى الدين (اشد ضررا) على الفاعل وغيره (من ترك السنة) معتقدا كراهة ذلك الترك وفيه اشارة الى ان ترك السنة ليس بدعة اذا لم يعتقد الترك طاعة فان اعتقده طاعة كان بدعة سيئة فى الدين ايضا فساوى البدعة الفعلية وانما كان فعل البدعة اضر من ترك السنة لتعدى ضررها الى عمل الغير واعتقاده ما ليس بشرع خصوصا فيمن ظاهره الصلاح بخلاف ترك السنة فانه وان تعدى الى الغير لم يكن متعديا فى الاعتقاد (بدليل) متعلق باشد (ان الفقهاء قالوا اذا تردد) اى المكلف (فى) فعل (شئ) من الاعمال اوالاقوال اوالعقائد اوالاحوال (بين كونه) اى ذلك الشئ (سنة) من سنن النبى صلى الله عليه وسلم فيثاب على فعلها (وبدعة) فى الدين سيئة فيعاقب بفعلها وشك فى ذلك ولم يظهر له دليل يرجح عنده احد الطرفين (فتركه) اى ذلك الشئ المتردد فيه (لازم) عليه اى واجب قال فى محيط السرخسى من كتاب السجدات ان ما تردد فيه بين الواجب والبدعة يأتى به احتياطا وما تردد بين البدعة والسنة تركه لان ترك البدعة لازم واداء السنة غير لازم اه وقال ابن نجيم الحنفى رحمه الله تعالى فى كتابه الاشباه والنظائر فى قاعدة درء المفاسد اولى من جلب المصالح فاذا تعارضت مفسدة

﴿ ومصلحة ﴾

Marfat.com

ومصلحة قدم دفع المفسدة غالبا الان اعتناء الشرع بالمنهيات اشد من اعتنائه بالمأمورات
ولذا قال عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم
عن شئ فاجتنبوه ورؤى فى الكشف حديثا لترك ذرة مما نهى الله عنه افضل
من عبادة الثقلين ومن ثمة جاز ترك الواجب دفعا للمشقة ولم يسامح فى الاقدام
على المنهيات خصوصا الكبائر ومن ذلك ماذكره البزازى فى فتاواه ومن لم يجد
سترة ترك الاستنجاء ولو على شط نهر لان النهى راجح على الامر حتى استوعب النهى
الازمان ولم يقتض الامر التكرار اه والمرأة اذا وجب عليها الغسل ولم تجد سترة من الرجال
تؤخر، والرجل اذا لم يجد سترة من الرجال لا يؤخره ويغتسل وفى الاستنجاء اذا لم يجد سترة
يتركه والفرق ان النجاسة الحكمية اقوى والمرأة بين النساء كالرجل بين الرجال كذا فى شرح
النقاية ومن فروع ذلك المبالغة فى المضمضة والاستنشاق مسنونة وتكره للصائم وتخليل
الشعر سنة فى الطهارة ويكره للمحرم وقد تراعى المصلحة لغلبتها على المفسدة فمن ذلك
الصلاة مع اختلال شرط من شروطها من الطهارة او الستر او الاستقبال فان فى ذلك
مفسدة لما فيه من الاخلال بجلال الله تعالى بان لا يناجى الا على اكمل الاحوال ومتى
تعذر شئ من ذلك جازت الصلاة بدونه تقديما لمصلحة الصلاة على هذه المفسدة
ومنه الكذب مفسدة محرمة ومتى تضمن جلب مصلحة تربو عليه جاز كالكذب للاصلاح
بين الناس وعلى الزوجة لاصلاحها وهذا النوع راجع الى ارتكاب اخف المفسدتين
فى الحقيقة (واما ترك الواجب هل هو اشد) قبحا واثما (من فعل البدعة) السيئة
فى الدين لفوات امتثال الامر بالكلية فى ترك الواجب وفواته من وجه فى فعل البدعة
(او) القضية (على العكس) من ذلك وهو ان فعل البدعة اشد من ترك الواجب
لاعتقاد انها طاعة بخلاف ترك الواجب فانه معلوم عندتاركه بانه معصية (ففيه)
اى فى ترك الواجب المتردد بين الامرين المذكورين (اشتباه) اى التباس عندنا لم يرتفع
من ابتداء الامر حتى يظهر وجه الصواب فيه وبيانه ان الفقهاء (حيث صرحوا فيمن
يتردد فى شئ) مطلقا (بين كونه بدعة) سيئة (و) كونه (واجبا) ولم يدر ما حكم
فعله بان تعارض فيه ما يقتضى وجوبه وما يقتضى عدم مشروعيته اصلا (انه يفعله)
ترجيحا لما يقتضى وجوبه احتياطا فى امتثال الامر فقالوا اذا ضاق الوقت عن الاتيان
بالسنن فى الصلاة يتركها ويأتى بالصلاة الواجبة عليه وان لزمت البدعة من ترك السنن
ولهذا قال فى شرح الدرر من أمن فوت الوقت يتطوع قبل الفرض الا اذا ضاق
الوقت وقال الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه لان صلاة التطوع عند ضيق الوقت
حرام لتفويتها الفرض كما فى البحر اه وقال فى الاشباه والنظائر لو ضاق الوقت او الماء
عن سنن الطهارة حرم فعلها وذكر فى تنوير الابصار ما لو نذر ركعتين بغير طهارة انهما
يلزمانه بالطهارة عند ابى حنيفة رضى الله عنه وهو ترجيح لجانب فعل الواجب على ترك

Marfat.com

المنهى عنه وفى الاشباه والنظائر مسئلة مالواستشهد الجنب فانه يغسل عندابى حنيفة رضى الله عنه مع ان تغسيل الشهيد بدعة ترجيحا لوجوب غسل الجنابة وهناك فروع كثيرة يعرفها من تتبعها فى مواضعها (وفى) كتاب (الخلاصة) فى فقه الحنفية (مسئلة تدل على خلافه) اى خلاف ماذكر من ان فعل الواجب مقدم على ترك البدعة فمقتضاها ان ترك البدعة مقدم على فعل الواجب (حيث قال) فى الكتاب المذكور فى مسائل الشك فى الصلاة (اذا شك) المصلى (فى صلاته) المفروضة عليه (انه) اى الشان (هل صلا هاام لا) ولم يغلب على ظنه شئ منهما (ان كان) ذلك وقع منه (فى الوقت فعليه) اى يلزمه (ان يعيدها) ليخرج من عهدتها بيقين كما وجبت عليه بيقين (وان خرج الوقت ثم شك) هل اداها فيه ام لا (لاشئ فيه) اى فى الشك المذكور والاصل براءة ذمته من بقائها عليه قال فى الاشباه والنظائر فى قاعدة الاصل براءة الذمة ولذا لم يقبل فى شغلها شاهد واحد ولذا كان القول قول المدعى عليه لموافقته الاصل والبينة على المدعى لدعواه ماخالف الاصل فاذا اختلفا فى قيمة المتلف والمغصوب فالقول قول الغارم لان الاصل البراءة عما زاد ولو اقر بشئ اوحق قبل تفسيره بماله قيمة والقول للمقر مع يمينه ومن شك هل فعل شيئا اولا فالاصل انه لم يفعل ويدخل فيها قاعدة اخرى من تيقن الفعل وشك فى القليل والكثير حمل على القليل لانه المتيقن الان يشتغل الذمة بالاصل فلا تبرأ الا باليقين وهذا الاستثناء راجع الى قاعدة ثالثة وهى ماثبت بيقين لايرتفع الا بيقين والمراد به غالب الظن ولذا قال فى الملتقط ولو لم يفته من الصلاة شئ واحب ان يقضى صلاة عمره منذ أدرك لايستحب ذلك الا اذا كان اكبر ظنه فسادها بسبب الطهارة اوترك شرط فحينئذ يقضى ماغلب على ظنه ومازاد عليه يكره لورود النهى عنه شك فى صلاة هل صلاها اعاد فى الوقت شك فى ركوع اوسجود وهو فيها اعاد وان كان بعدها فلا وان شك انه كم صلى فان كان اول مرة استأنف وان كثر تحرى والاخذ بالاقل وهذا اذا شك فيها قبل الفراغ فان كان بعده فلاشئ عليه الا اذا تذكر بعد الفراغ انه ترك فرضا وشك فى تعيينه قالوا يسجد سجدة واحدة ثم يقعد ثم يقوم فيصلى ركعة بسجدتين ثم يقعد ثم يسجد للسهو كذا فى فتح القدير ولو اخبره عدل بعد الصلاة والسلام انك صليت الظهر ثلاثا وشك فى صدقه وكذبه فانه يعيد احتياطا لان الشك فى صدقه شك فى الصلاة ولو وقع الاختلاف بين الامام والقوم فان كان الامام على يقين لايعيد والا اعاد بقولهم وقال والدى رحمه الله تعالى نقلا عن الخلاصة لو اخبره رجل عدل بعد السلام انك صليت الظهر ثلاث ركعات قالوا ان كان عند المصلى انه صلى اربع ركعات لايلتفت الى قول المخبر وان شك المصلى فى الخبر انه صادق ام كاذب عن محمد انه يعيد صلاته احتياطا وان شك فى قول عدلين يعيد صلاته وان لم يكن المخبر عدلا لايقبل قوله وكذا لو قع الاختلاف بين الامام والقوم

Marfat.com

ان كان الامام على يقين لايعيد والاعاد بقولهم ولواختلف القوم فقال بعضهم صلى ثلاثا وقال بعضهم صلى اربعا والامام مع احد الفريقين يؤخذ بقول الامام وان كان معه واحد فان اعاد الامام الصلاة واعاد القوم معه مقتدين به صح اقتداؤهم لانه ان كان صادقا يكون هذا اقتداء المتنفل بالمتنفل وان كان كاذبا يكون اقتداء المفترض بالمفترض ولواستيقن واحد من القوم انه صلى ثلاثا وواحد انه صلى اربعا والامام والقوم فى شك ليس على الامام والقوم شئ وعلى المستيقن بالنقصان الاعادة ولوان الامام استيقن انه صلى ثلاثا كان عليه ان يعيد بالقوم ولااعادة على الذى يتيقن بالتمام ولواستيقن واحد من القوم بالنقصان وشك الامام والقوم فان كان ذلك فى الوقت اعادوها احتياطا وان لم يعيدوا لاشئ عليهم الااذا استيقن عدلان بالنقصان واخبرا بذلك وقيد فى الظهيرية الاعادة بقول العدل بان كان فى الوقت والمسئلة فى المحيط مذكورة بنحوما فى الخلاصة وفى الظهيرية قال محمد بن الحسن اما انا فاعيد بقول عدل واحد بكل حال ثم فى واقعات الناطفى امام صلى بقوم وذهب فقال بعضهم هى الظهر وقال بعضهم هى العصر فان كان فى وقت الظهر فهى الظهر وان كان فى وقت العصر فهى العصر لان الظاهر شاهد لمن يدعى مايوافقه الوقت فان كان مشكلا قال فى العتابية بان كان غيما قال فى المحيط جاز للفريقين مايزعم فى القياس بمنزلة قطرة الدم وقعت من خلف الامام ولايدرى ممن هى لان الشك فى وجوب الاعادة والاعادة لاتجب بالشك اه وتمام هذه الفروع فى المطولات (ولوكان الشك) من المصلى (فى صلاة العصر) حيث يكره النفل بعدها فانه يحترز ان تقع اعادته نفلا صحيحا تباعدا من الكراهة بان (يقرأ فى الركعة الاولى) من هذه الاربع المعادة فاتحة وسورة او آية طويلة او ثلاث آيات قصار (و) كذلك يقرأ فى الركعة (الثالثة ولا يقرأ) شيئا اصلا (فى) الركعة (الثانية و) لا فى الركعة (الرابعة) كيلا يصح النفل بعد العصر على احتمال صحة صلاة العصر فان القراءة فرض فى جميع ركعات النفل متى تركها فى ركعة بطل ذلك الشفع منه وفى ركعتين غير معينتين من الفرض فقط وعلى احتمال عدم صحة صلاة العصر تقع هذه الاربع ركعات فرض صلاة العصر (انتهى) يعنى فرغ كلام الخلاصة ثم قال المص رحمه الله تعالى (وتعيين) الركعتين (الاوليين للقرآءة فى) صلاة (الفرض واجب) يعنى دون الفرض فتركه سهوا يوجب سجود السهو وعمدا يقتضى نقصان الصلاة لابطلانها فتجب اعادتها فى الوقت و يستحب اعادتها اذا خرج الوقت كما هو مقرر فى موضعه من كتب الفقه (وقدامر) اى امره الشارع على مقتضى اجتهاد المجتهد القائل بذلك (بتركه) اى بترك ذلك الواجب (حذرا) اى لاجل الحذر والاحتراز (عن احتمال وقوع النفل) من الصلاة (بعد) اداء صلاة (العصر) على تقدير كونه صلى العصر واما على تقدير كونه ما صلى العصر يقع النفل قبل اداء صلاة العصر وهو جائز ولهذا

Marfat.com

يستحب تأخير صلاة العصر مالم تصفر الشمس تكثير اللنوافل (وهو) اى وقوع لنفل بعد العصر (بدعة مكروهة) لحديث الصحيحين لاصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولاصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس وهذه الكراهة باقية الى اداء صلاة المغرب فدخل فى لنفل المكروه فى هذين الوقتين الصلاة المنذورة وركعتا الطوف ومابدأ به فافسده لا قضاء فأئتة واووترا وصلاة جنازة وسجدة تلاوة وفى شرح الدرر فى مسئلة مالواتى بالقعود الاخيرثم قام فلم يتذكر حتى سجد فى الخامسة ضم اليها سادسة وقدتم فرضه قال ولوعصرا اشارة الى ضعف ماقيل لايضم فى العصر لكراهة النفل بعدها وقيل يضم لان هذا ليس بمقصود والنهى عن النفل بعد العصر يتناول المقصود فلايكره بدونه وهو الاصح كذا قال الزيلعى وفى غرر الاذكار والاصح انه اذا اتى بالفجر والعصر بعد القعود الاخير بركعة ساهيا يضم اليها ركعة اخرى لان المنهى بعدهما هوالتنفل قصدا وفى شرح ابن ملك قالوا اذاصلى فى الفجر والعصر بعد القعدة الاخيرة ركعة ساهيا لايضم اليها اخرى لكراهة النفل بعدها والاصح انه يضم اليها لان المنهى عنه هو النفل المقصود وهذالم يشرع فيه بالقصد اه وهو يقتضى انه لاحاجة الى ماسبق ذكره فى مسئلة الخلاصة من ترك القراءة فى صلاة العصر فى الثانية والرابعة اذاشك فى ادائها حذرا من كراهة النفل بعد العصر حيث كان الاصح انه لايكره الااذا كان مقصودا وهنا فى مسئلة الشك غير مقصود فلايكره ولكن لم يذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه المسئلة لخصوص بيان الحكم فيها بل لترجيحهم فيها ترك واجب القراءة حذرا من الوقوع فى بدعة التنفل بعد صلاة العصر حيث عارض هذا لقول منهم لقولهم بترجيح فعل الواجب على ترك البدعة المكروهة اذا وقع التردد بينهما وقداجاب عنه بقوله (فالتطبيق) اى المطابقة بين قول الفقهاء بترجيح فعل الواجب على ترك البدعة المكروهة وبين عبارة الخلاصة المقتضية ترجيح ترك البدعة المكروهة على فعل الواجب (امايحمل البدعة) المكروهة فى كلام الفقهاء حيث حكموابترجيح فعل الواجب على تركها كما مر (على ما) اى فعل بدعة مكروهة (لم ينه) اى لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى (عنه) اى عن فعل تلك البدعة المكروهة (بخصوصه) اى خصوص فعل ذلك بل كان داخلا فى عموم النهى ومسئلة الخلاصة لاترد حينئذ لان البدعة فيها ورد النهى عنها بخصوصه وهو ماسبق من حديث الصحيحين (اويحمل الواجب) الواقع فى قول الفقهاء بترجيح فعله على ترك البدعة (على معنى الفرض) الاعتقادى اوالعملى وهو مرجح على ترك البدعة المكروهة ولهذا قالوا لم يكره قضاء الفوائت بعد العصر والفجر لانها فرائض (او) يحمل (الواجب) فى قولهم على الواجب الذى هو دون الفرض (المستقل) كالوتر فى رواية وصلاة العيدين (لا) الواجب (الضمنى) الذى يكون فى ضمن غيره كتعيين القراءة

Marfat.com

فى الاولين من الفرض اذ التابع لغيره اسهل من المستقل فى نفسه حيث يجبر الاول بسجود السهو دون الثانى (او بالحمل على) ورود (الراويتين) عن المجتهد فى مسألة الخلاصة والاصح منهما ماذكرناه مما يقتضى عدم كراهتها لان النفل فيها بعد صلاة العصر غير مقصود فلا كراهة فيه (والله تعالى اعلم) بما هو الحق والصواب فى ذلك والمشاركة فى العلم بيننا وبينه المستفادة من افعل التفضيل باعتبار ان علمنا اثر صادر عنه سبحانه فهو من علمه كنسبة لا شئ الى شئ لا يتناهى قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر اى يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الآية ومقتضاها انه يطلع من ارتضى من رسول والرسول يطلع امته فيكون علم الامة من علم الله تعالى فقد وجد افعل التفضيل بالمشاركة والزيادة واستعمله بعضهم بالالف واللام ولا يفيد غير حصر الاعلمية فيه سبحانه ومعنى المشاركة باق (فان قيل) اى قال قائل (ماسبق) اى فى فصل الاعتصام بالكتاب والسنة وفى اوائل هذا الفصل (قد دل) مجموع ذلك كله جملة وتفصيلا (على ان الكتاب) العزيز القرآنى (والسنة) النبوية المحمدية (كافيان) لكل مكلف (فى امر الدين) الحق لا يحتاج من يريد القيام به فى الظاهر والباطن الى متابعة غيرهما والاستضاءة بغير انوارهما (و) دل ذلك ايضا على (ان ما) اى الذى اوامر (لم يثبت باحدهما) اى الكتاب والسنة فهو (بدعة) مكروهة (وضلالة فكيف يستقيم) مع هذا (قول الفقهاء) فى اصول الفقه (الادلة الشرعية اربعة) قال الامام النسفى فى المنار اصول الشرع ثلاثة الكتاب والسنة واجماع الامة والاصل الرابع القياس وزاد فى اصول فخر اسلام والاصل الرابع القياس المستنبط من هذه الاصول وفى شرح مرقاة الوصول الادلة اربعة وهى الكتاب والسنة والاجماع والقياس وجه الضبط ان الدليل اما وحى اوغيره والوحى اما متلو فالكتاب اولا فالسنة وغير الوحى ان كان قول كل مجتهد فى عصر فالاجماع والا فالقياس (قلنا) فى الجواب عن ذلك نعم ادلة الشرع اربعة ولكنها ترجع الى اثنين الكتاب والسنة اذ (لابد للاجماع من سند) اى دليل يستند قول اهل الاجماع اليه قال فى شرح مرقاة الوصول ولابد له اى للاجماع من سند اى دليل اوامارة يستند الاجماع اليه لاستحالة الاتفاق بلا داع عادة ولان الحكم الذى ينعقد به الاجماع ان لم يكن عن دليل سمعى كان عن عقل وقد ثبت ان لا حكم له عندنا وفى شرح المنار لابن ملك وقيل ينعقد الاجماع لا عن دليل بل بالهام وتوفيق بان يخلق الله تعالى فيهم علما ضروريا وبوفقهم لاختيار الصواب كبيع التعاطى واجرة الحمام ولكن نقول ذلك فاسد لان العدول لا يتصور منهم الاجماع على حكم من احكام الله تعالى جزافا بل بناء على حديث او معنى من النصوص رواه مؤثر وماذكره من بيع التعاطى واجرة الحمام فالاجماع فيهما واقع عن دليل الا انه لم ينقل الينا اكتفاء بالاجماع كذا فى جامع الاسرار وقال التفتازانى

Marfat.com

فى التلويح والجمهور على انه لايجوز الاجماع الاعن سند وامارة لان عدم السند يستلزم الخطأ اذالحكم فى الدين بلادليل خطأ ويمتنع اجماع الامة على الخطأ وايضا اتفاق الكل من غيرداع مستحيل عادة كالاجتماع على اكل طعام واحد وفائدة الاجماع بعد وجود السند سقوط البحث وحرمة المخالفة وصيرورة الحكم قطعيا ثم اختلفوا فى السند فذهب الجمهور الى انه يجوز ان يكون قياسا وانه واقع كالاجماع على خلافة ابى بكر رضى الله عنه قياسا على امامته فى الصلاة حتى قيل رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر ديننا افلا نرضاه لامر دنيانا وذهب الشيعة وداوود الظاهرى ومحمد بن جرير الطبرى الى المنع من ذلك واما جواز كون السند خبر واحد فمتفق عليه كذا فى عامة الكتب وقد وقع فى الميزان واصول الامام السرخسى ان المذكورين خالفوا فى الظنى قياسا كان اوخبر واحد ولم يجوزوا الاجماع الاعن قطعى لانه قطعى فلا يبتنى الاعلى قطعى لان الظن لا يفيد القطع وجوابه ان كون الاجماع حجة ليس مبنيا على دليله اى سنده بل هو حجة لذاته كرامة لهذه الامة واستدامة لاحكام الشرع والدليل على بطلان مذهبهم انه لو اشترط كون السند قطعيا لوقع الاجماع لغوا ضرورة ثبوت الحكم قطعيا بالدليل القطعى (من احدهما) اى من الكتاب اوالسنة (حالا) بان كان صريح آية او حديث واوخبر واحد (اوما لا) اى مرجعا يرجع الى كتاب اوسنة وهو القياس كما قدمناه (على) القول (الصحيح) اذفى اشتراط السند للاجماع خلاف ذكرناه وكذا فى كون القياس وخبر الواحد سندا للخلاف الذى مر (و) لابد (للقياس) ايضا (من اصل ثابت باحدهما) اى بالكتاب اوالسنة (فانه) اى القياس (مظهر) للحكم الثابت به (لامثبت) له قال فى شرح مرقاة الوصول القياس مظهر لامثبت والمثبت ظاهرا دليل الاصل وحقيقة هو الله تعالى ثم قال فى شروط القياس وان يكون المعدى حكما شرعيا ثابتا باحد الادلة الثلاثة الكتاب والسنة والاجماع اذاوكان حسيا اولغويا لم يجز لان المطلوب اثبات حكم شرعى للمساواة فى علته ولايتصور الابذلك وكتب التفتازانى فى التلويح على القول بان مثبت الحكم هو الله تعالى انه غير واف بالمقصود لانه ينبغى على هذا التقدير ان لا يجعل شئ من الادلة مثبتا للحكم بل يجعل مظهرا على ماذهب اليه المحققون من ان مرجع الكل الى الكلام النفسى والاوجه ان حكم الفرع يثبت بالنص اوالاجماع الوارد فى الاصل والقياس بيان لعموم الحكم فى الفرع وعدم اختصاصه بالاصل وهذا واضح وفى شرح المنار لابن ملك قدم الكتاب لانه حجة من كل وجه واعقبه بالسنة لان حجيتها ثابتة بالكتاب واخرا الاجماع لتوقف حجيته عليهما ثم قال والقياس اصل بالنسبة الى حكمه فرع بالنسبة الى الثلاثة انتهى وكون حجية السنة موقوفة على الكتاب لقوله تعالى * وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا * وتوقف الاجماع عليهما بسبب اشتراط

Marfat.com

السندله وهومن احدهما حالا اوما لا كما مر فالكتاب اصل من وجه والسنة والاجماع
والقياس اصول من وجه وفروع من وجه (فرجع) اى موضع رجوع (الاحكام)
الشرعية كلها (ومثبتها) اى الحاكم باثباتها وتحققها (اثنان) فقط (فى الحقيقة)
وهما الكتاب والسنة والادلة الباقية راجعة اليهما كما من قال فى شرح مرقاة الوصول
واما شرائع من قبلنا فملحقة بالكتاب والسنة والعرف والتعامل ملحق بالاجماع والاستصحاب
والتحرى عمل باحد الاربعة والعمل بالظاهر والاظهر عمل بالاستصحاب والاخذ بالاحتياط
عمل بقوله عليه السلام دع ما يريبك الى مالا يريبك والقرعة لتطييب القلب بالسنة
اوالاجماع وآثار الصحابة وكبار التابعين بشبهة الحديث اوبقوله عليه السلام اصحابى
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقوله عليه السلام خير القرون قرنى الذين انا فيهم
ثم الذين يلونهم الحديث وفى شرح ابن ملك على المنار فان قلت قد ثبت الحكم بشرائع
من قبلنا ويتعامل الناس بالاخذ بالاحتياط وبالتحرى وبآثار الصحابة فكيف حصرت
الاصول فى الاربعة قلنا هذه الاحكام غير خارجة عنها اما شرائع من قبلنا فقد صارت
شريعة لنا لان نبينا صلى الله عليه وسلم قصها علينا ولم ينكرها والتعامل ملحق بالاجماع
العملى والاخذ بالاحتياط عمل باقوى الدلائل كما فى الاصول الثلاثة والعمل بالتحرى
عمل بالسنة لانها وردت فى جوازه عند الحاجة والعمل بالآثار عمل بقوله صلى الله عليه وسلم
اصحابى كالنجوم انتهى والحاصل ان كل ماذكر راجع الى الاصول الاربعة والاصول
الاربعة راجعة الى الكتاب والسنة والسنة شرح الكتاب وبيانه فهى راجعة اليه قال
البيهقى فى اول المدخل ووضع يعنى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى دينه موضع
الابانة عنه ماراد بكتابه عاما وخاصا وفرضا وندبا واباحة وارشادا ووقتا وعددا
فقال جل ثناؤه *وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون *انتهى
فالاصل الحقيقى هوكتاب الله تعالى لاغير (فظهر) لك ايها المنصف فى الدين السالك
طريق المتقين (من هذا) الكلام كله الذى تقدم فى بيان الاعتصام بالكتاب والسنة
والاحتراز من البدعة وان اصول الشريعة اربعة ترجع الى اثنين هما الكتاب والسنة
(ان ما) اى القول الذى (يدعيه بعض المتصوفة) اى المنتسبين الى التصوف وليسوا
من اهله حيث لم يقل بعض الصوفية تطهيرا للسادة الصوفيه خلاصة اهل السنة
والجماعة ان ينسب اليهم مثل هذه المقالات الشنيعة (فى زماننا) هذا الذى نحن فيه
وهوعصر التسعماة وذكر امور الزمان وذم وقائعه شئ مشى عليه السلف والخلف
من غير تعيين احد بذم ولا تخصيص شخص بنقيصة لقصد تحذير الغير ونصيحته قال
الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس لما قرأت بالحرم
الشريف على الناس ماذكرته فى حق المنتسبين الى الصوفية وذمى احوالهم ثقل ذلك
على شخص فقال مادعاه الى هذا والاعراض عن هذا كان احسن وما اشبه هذا الكلام

Marfat.com

فزادعندى اعتراضه تقوية ان هذا هوالحق لكونه ثقل عليه ولقدعمى هذا القائل عن الاصول التى استندت اليها فى فعلى هذا وهو يسلمها وقد قرعت سمعه غير مرة ولم يعتب عليهم بل استحسن ذلك فلما وقع ذلك فى اهل زمانه رأى ان ذلك فضول لكونه فى ذلك الزمان فيخاف ان يتطرق اليه الذم فى نفسه فحزن ولوانصف لبحث عن نفسه اما الاصول التى استند اليها فى ذلك فكثيرة جدا روينا عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال يوم فتح مكة فى القرن الفاضل لما فقد عقدا من عنق بعض اهله تأوه وقال ارتفعت اليوم الامانة من الناس وحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان ذكره فى السير فى غزوة فتح مكة والاصل الآخر بنته رضى الله عنها لما نظرت الى زمانها واهله وما هم فيه من البخل والمذام تأوهت وقالت يرحم الله لبيدا حيث يقول * ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب * ثم قالت كيف به لوادرك زماننا هذا فذمت زمانها واهله وروينا عن غير واحد عن ابن القشيرى وعن الغانمى كلاهما عن القشيرى انه قال فى رسالته بذم اهل زمانه وقد سمعها هذا المعترض على واستحسن ذلك منه انه قال لم يبق فى زماننا من اهل هذه الطريقة الا آثارهم اما الخيام فانها كخيامهم وارأى نساء الحى غير نسائها حصلت الفترة فى الطريقة لا بل قد اندرست الطريقة بالحقيقة وذمهم باشد الذم فى اول الرسالة له ولتد اولها بين ايدى الناس اضربنا عن حكاية قوله وروينا عن غير واحد من حديث عبد الرحمن بن الحسين عن هارون عن ابى معونة عن الاعمش عن ابى صالح قال لما قدم اهل اليمن زمان ابى بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال ابو بكر هكذا كنا * ثم قست القلوب * وتقريع النبى صلى الله عليه وسلم المعذبين بمكة على اسلامهم ومنهم خباب وقاسى بلاء شديدا من اجل اسلامه قال خباب شكونا الى النبى صلى الله عليه وسلم ما نلقاه من البلاء وقلنا الا تدعو الله الا تستنصر الله لنا فجلس محمرا وجهه ثم قال والله ان من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين مايصرفه عن دينه شئ او يمشط بامشاط الحديد مابين عصب ولحم مايصرفه عن دينه شئ اه ثم بسط الكلام باكثر من ذلك ولازال كل زمان يشتمل على مايذم ومايمدح فى طبقات جميع الناس والخير والشر باق الى يوم القيامة ومن ذم نوعا من انواع الناس مراده اهل الشر منهم وهم موجودون وكذلك من مدح نوعا مراده اهل الخير من ذلك النوع وهم موجودون ايضا وان زاد كل فريق على مايقابله او نقص فى كل زمان فالفريقان لا يزولان البتة ولا يجوز تعميم الذم فى زمان من الازمان بجميع اهل ذلك الزمان لما روى مسلم باسناده فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الرجل هلك الناس فهو اهلكهم قال النووى رحمه الله تعالى فى شرحه روى اهلكهم على وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها والرفع اشهر ومعناه * اشدهم هلاكا واما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين لانهم هلكوا فى الحقيقة واتفق العلماء

Marfat.com

على ان هذا الذم انما هو فيمن قاله على سبيل الازراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح احوالهم لانه لايعلم اسرار الله تعالى فى خلقه قالوا فاما من قال ذلك تحزنا لما يرى فى نفسه وفى الناس من التقصير فى امر الدين فلا بأس عليه كما لا اعرف من امة النبى صلى الله عليه وسلم الا انهم يصلون جميعا هكذا فسره الامام مالك وتابعه الناس عليه قال الخطابى معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك فاذا فعل ذلك فهو اهلكهم اى اسوء حالا منهم لما يلحقه من الاثم فى غيبتهم والوقيعة فيهم وربما اداه ذلك الى التعجب بنفسه ورؤيته انه خير منهم (اذا انكر) بالبناء للمفعول اى انكر (عليهم) احد من الناس (بعض امورهم) التى هم موصوفون بها فى ظواهرهم او بواطنهم اذا اظهروها (المخالف) ذلك البعض من امورهم (للشرع الشريف) والمراد لما هو المجمع عليه بين المجتهدين كالزنا وشرب الخمر والسرقة وترك الصلاة وما اشبه ذلك واما ما لم يكن كذلك فليس بمنكر قال الامام الغزالى فى الاحياء فى شروط المنكر ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو فى محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفى ان ينكر على الشافعى اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعى ان ينكر على الحنفى شربه للنبيذ الذى ليس بمسكر الى آخر ما بسطه من الكلام فى هذا المقام وقال الشيخ اللاقانى فى شرح جوهرة التوحيد قال الكافة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثلاثة شروط الشرط الاول ان يعلم ما يأمر به وينهى عنه فالجاهل بالحكم لا يحل له النهى عما يراه ولا الامر به قال السعد قال امام الحرمين ان الحكم الشرعى اذا استوى فى ادراكه الخاص والعام ففيه للعالم وغير العالم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واذا اختص مدركه بالاجتهاد فليس للعوام فيه امر ولا نهى بل الامر فيه موكول الى اهل الاجتهاد ثم ليس لمجتهد ان يعترض بالرد والزجر على مجتهد آخر فى موضع الاجتهاد اذ كل مجتهد مصيب فى الفروع عندنا ومن قال ان المصيب واحد فهو غير متعين عنده الشرط الثانى ان يأمن من ان يؤدى انكاره الى منكر اكبر منه والثالث ان يغلب على ظنه ان انكاره المنكر مزيل له كما سيأتى (ان حرمة ذلك) الامر المنكر المذكور ثابتة (فى العلم الظاهر) فقط فهو حرام على اهل الظاهر وحدهم (وانا) معشر المتصوفة (اصحاب العلم الباطن) وهو علم القلب ومعرفة احواله وجريان الامور على مقتضاه (وانه) اى ذلك الامر المنكر (حلال فيه) اى فى العلم الباطن فهو حلال لنا وليس بحرام علينا وهذا كفر صريح من قائله والراضى به اذ فيه انكار ما علم حكمه من الدين بالضرورة واجمعت عليه المجتهدون قال فى شرح الدرر ومن اعتقد الحلال حراما او بالعكس يكفر اذا كان حراما لعينه وان كان حراما لغيره لا يكفر وان اعتقده وانما يكفر اذا كانت حرمته ثابتة بدليل قطعى واما لو كان باخبار الآحاد فلا يكفر وقال فى جامع الفتاوى اتفق العلماء

Marfat.com

من المتكلمين والفقهاء انه اذا انكر الحكم الشرعى الثابت بالقرآن اوالحديث المتواتر اوالاجماع القطعى مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج والغسل من الجنابة اومن الحيض اوالوضوء بعد الحدث يكفر ويقتل ان دام على ذلك ولايقبل تأويله ولايكون جهله عذرا الان فرض العين يكون شائعا بين المسلمين فجهله لايكون عذرا الااذا دق بحيث لايعلم الا بنظر دقيق وتأمل صادق فجهله حينئذ يكون عذرا وسيأتى بقية هذا (وانكم) معشر اهل العلم الظاهر (تأخذون) جميع احكامكم العملية والاعتقادية (من الكتاب) العزيز (وانا) معشر اهل العلم الباطن (نأخذ) جميع احكامنا (من صاحبه) اى صاحب الكتاب الذى انزله الله تعالى عليه (محمد) بدل من صاحبه (صلى الله عليه وسلم فاذا اشكل علينا مسئلة) فى الاعتقاد اوفى العمل (استفتيناها منه) اى طلبنا منه الفتيا فيها قال الجوهرى استفتيت الفقيه فى مسئلة فأفتانى والاسم الفتيا والفتوى وتفاتوا الى الفقيه اى ارتفعوا اليه فى الفتيا (فان حصل لنا) بفتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قناعة) اى اكتفاء (فبها) اى فقد رضينا بها (والا) اى وان لم يحصل انا قناعة بذلك (رجعنا) فى تلك المسئلة (الى الله تعالى بالذات) تأكيد لاسم الجلالة وال عوض عن المضاف اليه والباء زائدة يعنى الى الله تعالى ذاته دون غيره لانا نعرفه تعالى فنعرف كيفية الرجوع اليه لانه اقرب الينا من حبل الوريد (فنأخذ) حكم تلك المسئلة التى اشكلت علينا (منه) سبحانه بلا واسطة احد وهذا القول كفر ايضا لامحالة بالاجماع من وجوه الاول التصريح بعدم الدخول تحت احكام الكتاب والسنة مع وجود شروط التكليف بذلك من العقل والبلوغ ووصول الدعوة والكون فى دار الاسلام ومنها التصريح بعدم قبول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتاه فى حكم من الاحكام وانه مخير فيه ان شاء قبله وان شاء رده ومنها دعوى تلقى الاحكام الشرعية من الله تعالى بلا واسطة نبى وذلك دعوى نبوة قال السعد التفتازانى فى شرح العقائد عند قول النسفى ولايصل العبد مادام عاقلا بالغا الى حيث يسقط عنه الامر والنهى لعموم الخطابات الواردة فى التكاليف واجماع المجتهدين على ذلك وذهب بعض الاباحيين الى ان العبد اذا بلغ غاية المحبة وصفاء القلب واختار الايمان على الكفر من غير نفاق سقط عنه الامر والنهى ولا يدخله الله تعالى النار بارتكاب الكبائر وبعضهم الى انه تسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكر وهذا كفر وضلالة فان اكمل الناس فى المحبة والايمان هم الانبياء عليهم السلام خصوصا حبيب الله تعالى مع ان التكاليف فى حقهم تم واكمل واما قوله عليه السلام اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب فمعناه انه عصمه من الذنوب فلم يلحقه ضررها اه يعنى تتيسر التوبة له ظاهرا وباطنا فى كل حال حتى يصير يستغفر الله ويتوب اليه من وجوده ومن هفوات خاطره فضلا عن افعاله الظاهرة بلا صعوبة عليه فى ذلك ولا مشقة

Marfat.com

(وانا) معشر اهل العلم الباطن (بالخلوة) وهى الانفراد عن الخلق (وهمة شيخنا) وهوالذى عاهدوه على الدخول تحت امره ونهيه يربيهم باقواله وافعاله على حسب حالته التى هوفيها وهمته خاظره المتوجه دائما من غير فتور الى مراتب الكمال بمقتضى مايظهرله على زعمه (نصل الى) معرفة (الله تعالى) ونحظى بكمال قربه والفوز لديه (فتنكشف لنا العلوم) كلها فنأ خذ منها مانريد (فلا نحتاج) مع ذلك (الى) قراءة (الكتاب) اى القران اوكتاب العلم (ولا) نحتاج الى (المطالعة) فى الكتب مطلقا (و) لاالى (القراءة على الاستاذ) اى المعلم للقرآن وللعلم وهذا القول منهم كذب محض وافتراء على الله تعالى واجتراء عليه سبحانه حيث زعموا انه يوصلهم الى معرفته مع قولهم الاول الذى هوكفر صريح ان الله لايهدى القوم الكافرين نعم الخلوة وهمة الشيخ الصادق العارف الكامل فى مرتبتى العلم والعمل الجامع بين علمى الظاهر والباطن كافية للمريدين ومغنية لهم عن قراءة الكتاب والمطالعة والاشتغال فى العلوم اذهمته وحدها وغيرته الالهية لاتتركهم على جهل فى حكم من الاحكام مطلقا وحيث دخلوا تحت تربيته فهوكتاب لهم وزيادة لان عنده جميع مايحتاجون اليه ممافى الكتاب وربما كانت قراءتهم ومطالعتهم ودراستهم على استاذ غيره مانعة لهم من الدخول تحت امره ونهيه فيما يعلمه من صلاح احوالهم على مقتضى الشريعة المحمدية فهو ينهاهم عن طلب العلم لئلا تألف قلوبهم الاكثار من العلم مع ترك العمل به فيكون علمهم حجة عليه ويعلمهم مايضعهم شيئا فشيئا لانه اعرف بمصالحهم منهم واما اذا كان شيخهم قاصرا جاهلا لايعلم حكم الله تعالى عليه ولاعليهم وقدامرهم بذلك فهو ضال مضل (وان الوصول الى) معرفة (الله تعالى) والتحقق بوجوده سبحانه (لايكون) اى لايوجد فى احد (الا برفض) اى ترك الالتفات الى (العلم الظاهر) بالكلية وهوالعلم المستفاد من معانى الكتاب والسنة فيما يتعلق بالاعتقاد ومايتعلق بالعمل (و)رفض اى ترك (الشرع) وهوالبيان الالهى الوارد على السنة الوسائط من الملائكة والانبياء عليهم السلام خطابا بالجميع المكلفين وهذا القائل ان اراد بترك العلم الظاهر وترك الشرع عدم تعلم ذلك وعدم الاعتناء به والالتفات اليه لان العلم الظاهر والشرع لاحاجة اليه فقد سفه الخطاب الالهى وسفه الانبياء ونسب العبث والبطلان الى ارسال الرسل وانزال الكتب فلاشك فى كفره اشد الكفر وان اراد بترك العلم الظاهر وترك الشرع ترك الاشتغال بذلك عن شهود الله تعالى وحده ومراقبته سبحانه فى جميع الاحوال فهو لعمرى طريق الوصول الى الله تعالى ان لم ينضم اليه ماتقدم من المقالات لانه لايصل اليه سبحانه من اشتغل عنه بسواه ولاشك ان العلم الظاهر والشرع سواه تعالى فمن اشتغل بشئ من ذلك وظنه مقصودا بالذات فقد انحجب عن الوصول اليه تعالى وغايته الوصول الى الحرمان والغرور فى جميع الامور فان من اشتغل بالطهارة ليلا

Marfat.com

ونهار اوانهمك فيها ظانا انها مقصودة بالذات وانه ماطلب منه غيرها فقد انقلب فعلها عليه ضلالا وخسرانا كما نقل الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى رحمه الله تعالى فى كتابه لطائف المنن عن الشيخ ابى الحسن الشاذلى قدس الله سره انه كان يقول لن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله وكان يقول لن يصل الولى الى الله ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته قال ومعنى كلام الشيخ رضى الله عنه لن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله اى انقطاع ادب لا انقطاع ملل يغلب عليه التفويض الى الله وشهود حسن الاختيار عنه فيلقى انقياد اليه ويترك نفسه سلما بين يديه فلا يختار مع مولاه شيئا لعلمه بما فى الاختيار مع الله من الافات ونقل عن الشيخ ابى الحسن ايضا انه قال كنت انا وصاحب لى قداوينا الى مغارة نطلب الوصول الى الله فكنا نقول غدا يفتح لنا بعد غد يفتح لنا فدخل علينا رجل له هيبة فقلنا له من انت فقال عبد الملك فعلمنا انه من اولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حالك كيف حالك كيف حال من يقول غدا يفتح لى بعد غد يفتح لى فلا ولاية ولا فلاح يا نفس لم لم تعبدين الله قال فتفطنا من اين دخل علينا فتبنا واستغفرنا ففتح لنا ونقل عن الشيخ ابى الحسن ايضا انه قال الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه واحل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم فى عموم اوقاتهم وسائر احوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الامر فهم مجموعون فى عين الجمع لا يتفرقون فيما هو اعلى ولا فيما هو ادنى واما ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا او مصروف بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدالة على الله بعلمه فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم (وانا لو كنا على الباطل) فى اعتقاد او عمل كما تزعمون انتم (لما حصل لنا) من الله تعالى (تلك الحالات) جمع حالة (السنية) اى المضيئة الرفيعة التى تقدم ذكرها وهى انا نأخذ الدين من محمد صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فاذا اشكل علينا مسئلة استفتينا هامنه فان حصل لنا قناعة بذلك والا رجعنا الى الله تعالى بالذات فنأخذ منه سبحانه وانا بالخلوة والشيخ نصل الى الله تعالى فتنكشف لنا العلوم كلها فلا نحتاج الى قراءة ولا مطالعة ولا استاذ (والكرامات) جمع كرامة

Marfat.com

وهى مايكرم الله تعالى به العبد فى الدنيا من الامور الخارقة للعادة من غير تحد (العلية) اى المرتفعة عن قدرة الغير (من مشاهدة) بيان للكرامات (الانوار) الملكوتية المتنزلة بالحضرات الرحمانية (ورؤية الانبياء الكبار) بالبصائر والابصار مناما بالليل ويقظة بالنهار وقائل هذا الكلام كاذب مفتر على الله وعلى الانبياء عليهم السلام وعلى نفسه اذمن كان قائلا بهاتيك المقالات المتقدمة الباطلة فهو كافر بالله تعالى والكافر فى الوساوس والاباطل فكيف يكرمه الله تعالى فى الدنيا والآخرة وكيف يهديه تعالى الى شهود الانوار ويتحفه سبحانه برؤية الانبياء الاخيار ان الله لايهدى القوم الكافرين وانما يتركه يتخبط فى بحار الغرور والمكر والاستدراج يرتوى من الشراب بالسراب ويكتفى عن العذب بالاجاج كماذكر الامام الغزالى فى كتاب ذم الغرور من احياء علوم الدين فى بيان غرور المتصوفة وقسمهم الى فرق قال* وفرقة ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومحاورة المقامات والاحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول الى القرب ولايعرف هذه الامورا لابالاسامى والالفاظ الا انه تلقف من الالفاظ الطامات كلمات فهو يردد ها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم الكلمات المزيغة فهو يردد ها كأنه يتكلم عن الوحى ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد انهم اجراء متعبون ويقول فى العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه * وفرقة منهم وقعت فى الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملى فلم اتعب نفسى وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا مالايمكن وانما يغتره من لم يجرب واما نحن فقد جربنا فادركنا ان ذلك محال ولايعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والارب من اصلهما بل تأديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لاوزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذكان يصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور اهل العبادة من المتشبهين بالصوفية لاتحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن

Marfat.com

فى الدين والعلم صالح للاقتداء وذكر الامام المحاسبى فى كتاب الغرة من الرعاية قال ان الغرة بالله عزوجل تكون من الكافرين ومن العصيين من المسلمين ومن الديانين النساك ومن العلماء وغيرهم فكل قد اغتر بشئ من الاشياء حتى ضيع امر الله عزوجل وقل حذره منه وخوفه فالغرة بالله عز وجل انما هى خدعة من النفس بصنيع الله عزوجل بالعبد وباسم رجاء الله عز اسمه او ببعض العبادة اوالعلم فيغتر كثير من العباد ببعض ذلك حتى يعصى الله عزوجل وهو يرى انه من المحسنين او يكفر بالله عزوجل وهو يرى انه من المهتدين اويغتر فيعصى على علم وهو يرى انه مغفورله ناج لايعذب فاما الغرة من الكافرين فهى خدعة من انفسهم وعدوهم بظاهر الدنيا عن الآخرة اه وقد اكثر علماء اهل السنة فى تصانيفهم من الكلام على اقسام هؤلاء المغرورين وبينوا زيغهم لئلا يغتر بهم احد من المسلمين فيفسد عليه امره كما فسدت امورهم ولم يعين العلماء احدا منهم بعينه ولا طائفة مخصوصين فلا يجوز لاحد من الناس ان يأخذ هذا الكلام الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى وذكرناه نحن فى حق اهل الزيغ والضلال على وجه العموم فيحمله على طائفة مخصوصين تفرس فيهم انهم على هذا الوصف المذكور فيظن فيهم سوء ويؤذيهم بسبب ذلك بل كل من اشكل عليه حاله من امة محمد صلى الله عليه وسلم يحسن الظن به ويصرف كل ما يلقيه الشيطان فى قلبه من النقائص عن اخيه المسلم فان الشيطان للانسان عدو مبين ويحمل جميع ما يسمعه من ذلك على ما يعلمه الله تعالى من احوال عباده ويحترز فى نفسه من وجود شئ من ذلك فيها ويعظ به غيره على وجه العموم متقيا وقوع قلبه فى تهمة احد معين ويجتنب التجسس والظن السوء ولا يفترى على هذا المصنف اوغيره بانه يحكم على طائفة مخصوصين بما يذكر فى كتابه فينكر هو على اهل زمانه بسوء ظنه وتجسسه ويتعلل بكلام غيره من العلماء فان النهى عن المنكر فى الدين من اصله وارد على العموم والتخصيص من فهم المتفقه القاصر لقبح نيته وخبث طويته والله على ما يقول وكيل (وانا) معشر اهل العلم الباطن (اذا صدر منا) فعل (مكروه اوحرام) فى ظاهرنا او باطننا (نبهنا) بالبناء للمفعول اى نبهنا الله تعالى على ذلك الفعل المكروه اوالحرام (بالنوم بالرؤيا) التى يرينا الله تعالى اياها اعتناء بنا وتسديد لامرنا وتقوية لشأننا (فنعرف بها) اى بالرؤيا التى نراها فى المنام (الحلال والحرام) من الاحكام الشرعية (وانما) اى الفعل الذى (فعلنا) مخالفا للشرع (مما قلتم) انتم يامعشر علماء الظاهر (انه حرام) علينا (لم ننه) اى لم ينهنا الله تعالى (عنه فى المنام) بالرؤيا كما عودنا ذلك (فعلمنا) من عدم نهينا عنه فى المنام (انه حلال) لنا فعله وهذا القول من غلبة الجهل عليهم وفساد عقولهم لانهم فى احكام شريعتهم يتكلون على ما يرونه فى مناماتهم من الخيالات الشيطانية والوساوس النفسانية لعدم اعتنائهم بالحلال والحرام ورفضهم بالكلية

Marfat.com

لشرايع الاسلام نعم ان الله تعالى يجوز ان ينبه بعض اهل خصوصه ممن هو سالك على طريقة اهل السنة والجماعة فيريه فى منامه ما يسوغ له فعله وما لا يسوغ فى خصوص بعض القضايا حيث كان ذلك السالك مؤمنا كاملا على يقظة وسنة فيزل ويهفو والله تعالى يأخذ بيده وينبهه عناية به لكونه من خاصة اهل الاسلام كما كان يعرض للحارث المحاسبى رضى الله عنه فى اليقظة انه اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك فيه اصبعه وكان بعض مشايخنا ينبه للأكل الحرام برائحة كريهة كان يشمها منه ونحو هذا مما يقع للعلماء العاملين يقظة ومناما وبعيد من هذا احوال الكفرة الطغاة اعداء الشرائع والاحكام المصرين على ما تقدم من قبيح الكلام (ونحوهذا) من المقالات الشنيعة التى تهدم قواعد الشريعة وترفع احكام الاسلام (من الترهات) المبنية على زخارف الاوهام وفى القاموس الترهة كقبرة الباطل والجمع ترهات وتاريه وتره كسمع وقع فيها (كله) اى كل ماذكر (الحاد) يقال الحد مال وعدل ومارى وحاول وفى الحرم ترك القصد فى امره واشرك به اوظلم كذا فى القاموس وهذا معناه فى اللغة وفى الشرع هو العدول عن ظواهر الكتاب والسنة لغير ضرورة دعت الى ذلك (وضلال) وهو ضد الهدى ومعناه الحيرة فى الدين والاعراض عن سبيل المؤمنين (اذ) تعليلية (فيه) اى فى كل ماذكر من المقالات القبيحة (ازدراء) اى تحقير قال الجوهرى ازدريته اى حقرته (للشريعة الحنيفية) اى المائلة عن الباطل الى الحق قال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة قال فى شرح الكرمانى الملة السمحة التى لاحرج فيها ولاضيق على الناس وفى المغرب الحنيف المائل من كل دين باطل الى الدين الحق وفى القاموس الحنف محركة الاستقامة والحنيف كأمير الصحيح الميل الى الاسلام الثابت عليه واحتقارهم لذلك باعتبار قولهم انهم لا يأخذون من الكتاب بل من صاحبه محمد عليه السلام واذا اشكل عليهم امر استفتوه منه وان اراد وامن الحق تعالى فان فى هذا تحقيرا للشريعة المحمدية (و) ازدراء ايضا لكل من (الكتاب) العزيز (والسنة) النبوية) المحمدية باعتبار قولهم انا بالخلوة وهمة شيخنا نصل الى الله تعالى فلا نحتاج الى الكتاب والمطالعة والقراءة على الاستاذ فان هذا احتقار للكتاب والسنة (وعدم) معطوف على ازدراء (الاعتماد عليهما) اى على الكتاب والسنة باعتبار قولهم ان الوصول الى الله تعالى لايكون الا برفض العلم الظاهر والشرع فانه صريح فى عدم الاعتماد المذكور (وتجويز الخطأ) فى الالفاظ (والبطلان) فى المعانى او بالعكس (فيهما) اى فى الكتاب والسنة باعتبار قولهم وانا لو كنا على الباطل الى آخره والتقدير كما انكم انتم على الباطل (العياذ) اى الالتجاء والاحتماء (بالله) تعالى من هذه المقالات الفاسدة والاباطيل الكاسدة (فالواجب) اى فرض العين (على كل من سمع) من المكلفين (مثل هذه الاقاويل) جمع اقوال (الباطلة) المضادة لقول الحق (الانكار)

Marfat.com

اى الرد والرد ع (على قائله) اى قائل مثل ذلك لان انكار الباطل حق كما ان انكار الحق باطل (والجزم) اى القطع (ببطلان مقاله) اى قول مثل ذلك فى القاموس جمع القول اقوال وجمع الجمع اقاويل وقال قولا وقيلا و قولة ومقالة ومقالا (بلاشك) فى الحكم ببطلان ذلك (ولاتردد) فيه (ولاتوقف ولاتلبث) اى تصبر عن الحكم بذلك فان الباطل باطل قطعا من غير شبهة (والا) اى وان شك اوتردد اوتوقف اوتلبث (فهو) محسوب (من جملتهم) اى جملة هؤلاء الكافرين القائلين بالمقالات المذكورة حيث تحقق من قائلها وتابعهم عليها وصدقهم فيها فهو منهم (فيحكم) بالبناء للمفعول اى يحكم الشرع المحمدى (بالزندقة عليهم) كلهم جملة القائلين بذلك والموافقين لهم فيه ولو بالشك والتردد والتوقف والتلبث فى امرهم بعد تحقق قولهم ذلك ومعاينته منهم لا اذا لم يتحققه ولم يعاينه بأن اخبره بذلك عنهم مخبر من الناس ولم يثبت الثبوت الشرعى و بعد الثبوت الشرعى ايضا يحتمل كون الشهود زورا فأن حكم الحاكم مستندا الى الشهادة ان صدقت وان كذبت فلا قطع فى ذلك باطنا كما اشار اليه الشيخ عبد الوهاب الشعراوى فى خاتمة كتابه ميزان الذرية فى عقائد الطائفة العلية وفى شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح قال ابو الليث الزنديق معروف وزندقته انه لايؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق وعن ثعلب ليس زنديق من كلام العرب و معناه على ما يقوله العامة الملحد ودهرى وعن ابن دريد انه فارسى معرب واصله زنده اى من يقول بدوام الدهر اه وفى القاموس الزنديق بالكسر من الثنوية اوالقائل بالنور والظلمة اومن لايؤمن بالآخرة وبالربوبية اومن يبطن الكفر و يظهر الايمان اوهو معرب زندين اى دين المرأة وجمعه زنادقة اوزناديق وقد تزندق والاسم الزندقة (وقد صرح العلماء) من الاصوليين وغيرهم (بان الالهام) يقال الهمه الله خيرا لقنه اياه كذا فى القاموس و يكون فى الخير والشر كما قال تعالى * فالهمها فجورها وتقواها * قال الواحدى جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار الزجاج هذا القول فى حمل الالهام على التوفيق والخذلان وهذا هو الوجه فى تفسير الالهام فان التبيين والتعليم والتعريف دون الالهام والالهام ان يوقع فى قلبه ويجعل فيه اذا وقع الله فى قلب عبد شيئا فقد الزمه ذلك الشئ كما ذكره سعيد بن جبير وهذا صريح فى ان الله تعالى خلق فى المؤمن تقواه وفى الكافر فجوره (ليس من اسباب المعرفة بالاحكام) الشرعية التكليفية فان فى شرح مرقاة الوصول ان الهام النبى وحى بان يريه الله تعالى بنوره كما قال تعالى * لتحكم بين الناس بما اراك الله * وهو حجة منه لامته يجب عليهم اتباعه بخلاف الهام الاولياء فانه لايكون حجة على غيره و فى شرح العقائد للتفتازانى والالهام المفسر بالقاء معنى فى القلب بطريق الفيض ليس من اسباب المعرفة بصحة الشئ عند اهل الحق وكان الاولى ان يقول ليس من اسباب العلم بالشئ الا انه حاول

Marfat.com

التنبيه على ان مرادنا بالعلم والمعرفة واحد لاكما اصطلح عليه البعض من تخصيص العلم بالمركبات او بالكليات والمعرفة بالبسائط او بالجزئيات الان تخصيص الصحة بالذكر مما لاوجه له ثم الظاهر انه ارادان الالهام ليس سببا يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للالزام على الغير والافلا شك انه قديحصل به العلم وقدورد القول به فى الخبر وقدحكى عن كثير من السلف اه وطائفة المحققين من اهل الله تعالى جميع علومهم التى يعتمدون عليها فى دينهم الهامية وهبية واما العلوم الاكتسابية فهى آلة عندهم لتحصيل مقام الالهام كما نقل المناوى فى شرح الجامع الصغير قال الامام مالك علم الباطن لايعرفه الامن عرف علم الظاهر فمتى علم علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن ولايكون ذلك الامع فتح قلبه وتنويره وقال ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذفه الله فى القلب يشير الى علم الباطن وقال التونسى اجتمع العارف على وفا والامام البلقينى فتكلم على معه بعلوم بهرت عقله فقال البلقينى من اين لك هذا ياعلى قال من قوله تعالى * واتقوا الله ويعلمكم الله * فامسك وقال العارف سهل التسترى خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الاقلوب الصديقين والشهداء ولولاان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطنى حاكم على علم الظاهر لماقال المصطفى صلى الله عليه وسلم استفت قلبك فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر وتخلو عنها زبرا لتفاسير ولايطلع عليها افاضل المفسرين ولامحقق الفقهاء المعتبرين وفى طبقات الشعراوى فى ترجمة الشيخ على الخواص رضى الله عنه انه كان يقول لايسمى العالم عالما عندنا الااذا كان علمه غير مستفاد من نقل اوصدر بان يكون خضرى المقام اماغير هذا فانما هوحامل لعلم غيره فقط فله اجر من حمل العلم حتى اداه لااجر العالم والله لايضيع اجر المحسنين ثم قال ومن اراد ان يعرف مرتبته فى العلم يقينا لاشك فيه فليرد كل قول حفظه الى قائله وينظر بعد ذلك الى علمه فاوجده معه فهو علمه واظن لايبقى معه الاشئ يسير لايسمى به عالما اذاعلمت هذافاعلم ان الالهام ليس حجة عند علماء الظاهر والباطن بحيث تثبت به الاحكام الشرعية فيستغنون بذلك عن النقل من الكتاب والسنة بل هوطريق صحيح لفهم معانى الكتاب والسنة عند المحققين من علماء الباطن بعد تصحيح العمل على مقتضى مافهم بالاجتهاد من معانى الكتاب والسنة والاكان وسوسة شيطانية لايجوز العمل به كما قال الامام القسطلانى فى مواهبه لا يظهر على احد شئ من نور الايمان الاباتباع السنة ومجانبة البدعة واما من اعرض عن الكتاب والسنة ولم يتعلق بالعلم من مشكاة الرسول صلى الله عليه وسلم بدعواه علما لدنيا اوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا موافقته لماجاء به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدنى نوعان لدنى روحانى ولدنى شيطانى فالروحانى

Marfat.com

هوالوحى ولاوحى بعدالرسول صلى الله عليه وسلم واما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها فى تجويز الاستغناء عن الوحى بالعلم اللدنى الحاد وكفر مخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولوكان مأمورا بها لوجب عليه ان يهاجر الى موسى و يكون معه ولهذا قال له انت موسى بنى اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته عامة للانس والجن فى كل زمان ولوكان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه فمن ادعى انه مع محمد صلى الله عليه وسلم كالخضر مع موسى عليهما السلام اوجوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه وليشهد بشهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اولياء الله تعالى وانما هو من اولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدنى الروحانى هو ثمرة العبودية و لمتابعة لهذا النبى الكريم عليه ازكى الصلاة واتم التسليم وبه يحصل الفهم من الكتاب والسنة بامر يختص به صاحبه كما قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ دون الناس فقال لا الا فيما يؤتيه الله عبدا فى كتابه فهذا هو العلم اللدنى الحقيقى واتباع هذا النبى الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وانس المستوحشين ودليل المتحيرين (وكذلك) اى كالالهام ليس من اسباب المعرفة بالاحكام الشرعية (الرؤيا) التى يراها الانسان (فى المنام) قال فى شرح المواقف واما الرؤيا فخيال باطل عند المتكلمين وفى حاشية حسن چلبى فيه بحث لانه ثبت بالاحاديث الصحيحة ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل الرؤيا الصالحة جزأ من ستة وار بعين جزأ من النبوة وعمل بها قبل الوحى ستة اشهر فكيف تكون خيالا باطلا اللهم الان يقال الباطل مطلقا عند المعتزلة هو كون ما يتخيله النائم ادراكا بالبصر رؤية ومايتخيله ادراكا بالسمع سمعا وهكذا واما كون العلم الحاصل فى النوم خيالا باطلا وكون النوم مضادا للعلم فانما هو بالنسبة الى عامة الخلق واما عند الاصحاب فالظاهر ان الكل بالنسبة الى عامة الخلق ويؤيده تعليلهم ذلك لعدم جريان العادة بخلق الادراك فى الشخص وهو نائم لدلالته على جواز ذلك بطريق خرق العادة كسائر المعجزات والكرامات وفى شرح المناوى على الجامع الصغير ذكر الحكيم الترمذى ان سبب الرؤيا ان الانسان اذا نام سطع نور النفس حتى يجول فى الدنيا ويصعد الى الملكوت فيعاين الاشياء ثم يرجع الى معدنه فان وجد مهلة عرض على العقل والعقل يستودع لحفظ ذلك وقال بعضهم الرؤيا الصالحة من اقسام الوحى فيطلع الله النائم على ما جهله من معرفة الله والكون فى يقظته ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم اذا اصبح سأل هل رأى احد منكم رؤيا هذه الليلة وذلك لانها

Marfat.com

آثار نبوة فى الجملة فكان يجب ان يشهدها فى امته قال والناس فى غاية من الجهل بهذه المرتبة التى كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يعتنى بها ويسأل عنها كل يوم واكثرهم يهزأ بالرائى اذا رآه يعتمد الرؤيا وفى شرح مسلم للامام النووى عند قوله صلى الله عليه وسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب قال الخطابى وغيره قيل المراد اذا قارب الزمان ان يعتدل ليله ونهاره وقيل المراد اذا قارب القيامة والاول اشهر عند عبر الرؤيا وجاء فى حديث مايؤيد الثانى وقوله صلى الله عليه وسلم اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ظاهره انه على اطلاقه وحكى القاضى عن بعض العلماء ان هذا يكون فى آخر الزمان عند انقطاع العلم وموت العلماء والصالحين ومن يستضاء بقوله وعمله فجعله الله تعالى جابرا وعوضا ومنبها لهم والاول اظهر لان غير الصادق فى حديثه يتطرق الخلل الى روايته وحكايته اياها وقوله صلى الله عليه وسلم ورؤيا المؤمن جزء من خمسة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزأ من النبوة فحصل ثلاث روايات المشهورة ستة واربعين والثانية خمسة واربعين والثالثة سبعين جزأ وفى غير مسلم من رواية ابن عباس اربعين جزأ وفى رواية من تسعة واربعين وفى رواية العباس من خمسين وفى رواية ابن عمر من ستة وعشرين وفى رواية عبادة من اربع واربعين قال القاضى اشار الطبرى الى ان هذا الاختلاف راجع الى اختلاف حال الرائى فالمؤمن الصالح تكون رؤياه جزأ من ستة واربعين جزأ * والفاسق جزء من سبعين جزأ وقيل المراد ان الخفى منها جزء من سبعين جزأ والجلى جزء من ستة واربعين قال الخطابى وغيره قال بعض العلماء اقام صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ثلاثا وعشرين سنة منها عشر سنين بالمدينة وثلاث عشرة بمكة وكان قبل ذلك ستة اشهر يرى فى المنام الوحى وهى جزء من ستة واربعين جزأ قال المأزرى وقيل المراد ان للمنامات شبها مما حصل له ومزية من النبوة بجزء من ستة واربعين قال وقد قدح بعضهم فى الاول بانه لم يثبت ان امد رؤياه صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ستة اشهر وبانه رأى بعد النبوة منامات كثيرة فلتضم الى الاشهر الستة وحينئذ تتغير النسبة قال المأزرى هذا الاعتراض الثانى باطل لان المنامات الموجودة بعد الوحى بارسال الملك منغمرة فى الوحى فلم تحسب قال ويحتمل ان يكون المراد ان المنام فيه اخبار بالغيب وهو احدى ثمرات النبوة وهو يسير فى جنب النبوة لانه يجوز ان يبعث الله نبيا ليشرع الشرايع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب ابدا ولا يقدح ذلك فى نبوته ولا يؤثر فى مقصودها وهذا الجزء من النبوة وهو الاخبار بالغيب اذا وقع لا يكون الا صدقا قال الخطابى هذا الحديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق منزلتها قال وانما

Marfat.com

كانت جزأ من اجزاء النبوة فى حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم يوحى اليهم فى منامهم كما يوحى اليهم فى اليقظة قال الخطابى وقال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتى على موافقة النبوة لانها جزء باق من النبوة اه والحاصل ان الرؤيا المنامية بمنزلة الالهام الروحانى ليس من اسباب المعرفة بالاحكام الشرعية وان كان كل واحد منهما جزأ من اجزاء النبوة ووجها من وجوه الوحى النبوى فى اهل الدين والصلاح يعتمد عليهما اصحاب التقوى فتنكشف بهما لهم ماخفى عنهم من دقائق المعارف والحكم الربانية ولطائف الاسرار والحقائق الرحمانية بعد اعتمادهم فى اصلاح ظواهرهم وبواطنهم على طبق الكتاب والسنة وترك البدعة والمعصية دون تقليد شئ منهما فى ثبوت حكم من الاحكام العملية اوالاعتقادية بخلاف مايزعمه اهل الزندقة والالحاد من الاكتفاء بهما عن الكتاب والسنة فى استفادة احكام الله تعالى منهما فان ذلك دعوى نبوة اذ الالهام والرؤيا المنامية قسمان من اقسام الوحى النبوى يأخذ النبى منهما احكام الشرايع التى كلف الله تعالى بها نفسه وامته فلو كان الولى كذلك لكان نبيا وغاية ما للولى من الوراثة فى ذلك الهام الاحكام التى جاء بها اليه نبيه فقبلها منه فى اليقظة وتعرض عليه فى المنام ايضا فيقبلها فالهامه ورؤياه مظهران له ماخفى عليه لامثبتان عنده ماجحده والله الموفق للصواب (خصوصا اذا خالفا) اى الالهام والرؤيا فى المنام مقتضى (كتاب) الله (العليم العلام او) مقتضى (سنة محمد) نبى الله (عليه الصلاة والسلام) فانهما حينئذ ليسا من اسباب المعرفة بالاحكام بالطريق الاولى اذ لايصلح ذلك فى الولى مثبتا لشرع جديد ولا ناسخا لشئ من احكام الشرع المحمدى لانقطاع الوحى وختم النبوة والشرع لايثبته الا النبوة ولاينسخه الا شرع مثله (وقد قال سيد الطائفة الصوفية) من التصوف قال القشيرى فى رسالته هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفى وللجماعة الصوفية ولمن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفون وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والاظهر فيه انه كاللقب فاما قول من قال انه من الصوف وتصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال انهم منسوبون الى صفة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لاتجئ على نحو الصوفى ومن قال انه من الصفا فاشتقاق الصوفى من الصفا بعيد فى مقتضى اللغة وقول من قال انه مشتق من الصف فكأنهم فى الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لاتقتضى هذه النسبة من الصف ثم هذه الطائفة اشهر من ان يحتاج فى تعيينهم الى قياس لفظ واستبيان اشتقاق وتكلم الناس فى التصوف ما معناه وفى الصوفى من هو وكل عبر بما وقع له ثم استقصى جملة من كلام القوم فى التصوف

Marfat.com

والصوفى يطول ذكرها (وامام ارباب) اى اصحاب (الطريقة) وهى معرفة اخلاق النفس وصفات القلب وكيفية قطع المنازل فى السير الى الله تعالى ودخل فيها الشريعة التى هى معرفة كيفية الاعتقاد الصحيح اجمالا وكيفية العمل الصالح اجمالا لانها قبل الطريقة فلا طريقة لمن لا شريعة له (والحقيقة) وهى مشاهدة الربوبية فى حالة القيام بالعبودية والانباء عن تصريف الحق فيما ورد من تكليف الخلق ابو القاسم (الجنيد) بن محمد (البغدادى) نسبة الى بغداد المدينة المعروفة اصله من نهاوند ومنشاؤه ومولده العراق وابوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له القوارىرى وكان فقيها على مذهب ابى ثور صحب السرى السقطى والحارث بن اسد المحاسبى ومحمد بن على القصاب مات سنة سبع وتسعين ومأتين (عليه رحمة الله الهادى) لمن يشاء الى صراط مستقيم (الطرق) جمع طريق وهو المسلك الموصل الى الله تعالى (كلها) تأكيد للطرق (مسدودة) اى لا يمكن السلوك منها الى الله تعالى لعدم ايصالها اليه بسبب رد السالك فيها وصده عن بلوغ غايتها والمراد بها جميع الشرايع والاديان والمذاهب المخالفة فان اهلها الآن ما سلكوا فيها الا ليصلوا منها الى الله تعالى فهى طرق الى الله تعالى باعتبار زعم اهلها لا فى حقيقة الامر ولهذا اخبر عنها انها مسدودة والمسدود ليس بطريق الا بمجرد الزعم لمن لم يعرف ذلك فان الجاهل اذا سلك طريقا فانتهى فيه الى حدوراؤه مسدود تبين له حينئذ انه ليس بطريق فيرجع من حيث سلك وقد زعم فى الاول بانه طريق ثم تبين له خلاف ذلك (الا على من) اى الذى اورجل (اقتفى) اى اتبع (اثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) بان سار كسيره فى تلك الطرق المذكورة كلها فانها حينئذ ليست بمسدودة عنه بل مفتوحة له يدخل منها الى حضرة الله تعالى بسبب سيره فيها السير المخصوص الذى لا تعرفه اهلها السالكون فيها وهم على الباطل منها والى هذا المعنى يشير شيخنا الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه من ابيات له مطلعها قوله

مافى المناهل منهل مستعذب * الا ولى فيه الالذ الاطيب

وقول الشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره من ابيات له ايضا * عقد الخلائق فى الاله عقايدا * وانا اعتقدت جميع ما اعتقدوه * فان جميع العقائد الباطلة واقعة من معتقديها على مظاهر تجليات الحق تعالى من حيث حضرات افعاله سبحانه وكفر اهلها باعتبار دعواهم ان بعض مظاهر تجليات تلك الحضرات الافعالية هى ذات الحق سبحانه على ماهى عليه فى الغيب المطلق وهو خطأ محض وجهل وكفر وهذا المعنى هو الذى سدت به تلك الطرق كلها وما انفتحت الا للمحمديين من ورثة الاولياء فاخذوا منها الالذ الاطيب وهو شهود تجليات حضرات الافعال الالهية وتركوا ما انسدت به هذه الطرق من دعاوى ما فوق ذلك من تجليات الذات الالهية المطلقة

Marfat.com

مع بقاء شهود آثار افعالها الكونية فانظر قول الجنيد رضى الله عنه ذلك فانه لولا اقتفاء اثر الرسول صلى الله عليه وسلم لما انفتحت تلك الطرق للسالك فى الوصول الى الله تعالى وفيه اشارة الى ان طريق الحق ليس طريقا معينا منفردا عن تلك الطرق كلها ولا واحدا منها بل هو طريق منفتح يوصل من سلك فيه الى الله تعالى وجميع تلك الطرق اذا انفتح شئ منها كان هو طريق الحق واذا انسد فهو طريق الباطل وانفتاحه بعدم الوقوف فيه عند شئ مطلقا دون من ليس كمثله شئ وهو السميع البصير والوقوف عند شئ هو الانسداد (وقال) الجنيد البغدادى ايضا رضى الله عنه (من لم يحفظ القرآن) بكلماته ومعانيه وحدوده واحكامه وظاهره وباطنه ومعارفه وحقائقه واسراره (ولم يكتب) اى يجمع فى طرسه اونفسه (الحديث) النبوى بلفظه ومعناه وظاهره وباطنه واسراره وانواره (لا يقتدى) بالبناء للمفعول اى لا يجوز لاحد من السالكين ان يقتدى (به) اى بمن خلا عن ذلك وهو الجاهل المغرور بالغفلة والقصور (فى هذا الامر) العظيم الذى هو السلوك والوصول الى الله تعالى وفيه اشارة الى انه اذا لم يقتد به لا يلزم ان يكون هو على باطل فى نفسه اذ يجوز ان يفتح الله تعالى على قلب احد من الناس وهو امى لا يقرء ولا يكتب ولا يعرف قرآنا ولا حديثا فيصير عارفا بالتجليات الالهية والحقايق الربانية واذا قرئ عليه القرآن او الحديث تكلم فى معانى ذلك بما يبهر العقول من الفتح لا من النقل وقد وجد كثير على هذه الصفة لكن لا يصلح للاقتداء به وجعله اماما فى الارشاد والتسليك وان كان هو وليا فانه ليس بمرشد كما قال تعالى * ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اذ الارشاد يحتاج الى معرفة احكام الكتاب والسنة واساليبهما فى المحاولة للامور بالترغيب والترهيب والامر والنهى وغير ذلك كمن شدت عيناه بخرقة وادخل الى دار فانه لا يعرف من اين دخل اليها هو حتى يرشد غيره الى طريق الدخول فيها بخلاف من دخلها مفتوح البصر فانه يعرف طريقها الموصل اليها فيهتدى السالك بدلالته الى الوصول اليها (لان علمنا) هذا الذى هو علم الحقايق الالهية والمعارف الربانية (ومذهبنا هذا) الذى هو مذهب اسلاف الصالحين وخلف المتقين (مقيد بالكتاب والسنة) لا يخرج شئ من ذلك عن مقتضاهما اصلا وان كان متلقى من الفيض والفتح لا من الكتب ولا من افواه المشايخ لكنه مطابق لمقتضى ذلك اذا حققه العارف وجده كذلك ولا يجهله وينكره على اهله لعدم قدرته على المطابقة بينه وبين الحق النقلى الا الشقى الهالك قال الشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى الباب الرابع عشر وثلاثمائة من كتاب الفتوحات المكية ثم اعلم انه اذا رقت الاولياء فى معارج الهمم فغاية وصولها الى الاسماء الالهية التى تصلبها فاذا وصلت اليها فى معارجها افاضت عليها من العلوم وانوارها على قدر الاستعداد

Marfat.com

الذى جاءت به فلا تقبل منها الا على قدر استعدادها ولا يفتقر فى ذلك الى ملك ولا رسول فانها ليست علوم تشريع وانما هى انوار فهو فيما اتى به هذا الرسول فى وحيه او فى الكتاب الذى انزل عليه او الصحيفة لا غير وسواء علم ذلك الكتاب اولم يعلمه ولا سمع بما فيه من التفاصيل ولا يخرج علم هذا الولى عما جاء به ذلك الرسول من الوحى عن الله تعالى وكتابه وصحيفته لا بد من ذلك لكل ولى صديق برسوله الى هذه الامة فان لهم من حيث صديقيتهم بكل رسول ونبى العلم والفتح والفيض الالهى بكل ما يقتضيه وحى كل نبى وصفته وكتابه وصحيفته وبهذا فضلت هذه الامة على كل امة من الاولياء فلا يتعدى كشف الولى فى العلوم الالهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه قال الجنيد رحمه الله تعالى فى هذا المقام علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال الآخر كل فتح لا يشهد له الكتاب والسنة فليس بشئ فلا يفتح اولى قط الا فى الفهم فى الكتاب العزيز فلهذا قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقال سبحانه فى الواح موسى عليه السلام وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فلا يخرج علم الولى جملة واحدة عن الكتاب والسنة فان خرج واحد عن ذلك فليس بعلم ولا علم ولا اية معابل اذا حققته وجدته جهلا والجهل عدم والعدم ماله وجود محقق وفى الباب الثانى والتسعين وما ئتين قال رضى الله عنه فى علم الافصاح الالهى عن درجات القرب الالهى من حضرة اللسن اعلم ان ذلك معرفة علم الشارع المترجم عن الله تعالى الذى امرنا بالايمان بمحكمه ومتشابهه ولنقبل جميع ما جاء به فان تأولنا شيئا من ذلك على انه مراد المتكلم فى نفس الامر زال عنا درجة الايمان فان الدليل حكم على الخبر فتعطل حكم الايمان وجاء العلم الصحيح من المؤمن يقول لصاحب هذا الدليل اما الاقطع منك بان هذا اعطاك نظرك هو مقصود المفصح بما افصح به فهو عين الجهل وفقد العلم الصحيح وقد زال عنك الايمان والسعادة مرتبطة بالايمان وبالعلم الصحيح والعلم الصحيح هو الذى يبقى معه الايمان فعلى العارف ان يبين طريق السعادة نيابة عن الله تعالى فى خلقه كنيابة القمر عن الشمس فى اتصال النور فالانبياء عليهم السلام هم التراجمة عن الحق والورثة على مدرجتهم بما يعطيهم الله تعالى من الفهم فيما جاءت به الرسل من كتاب وسنة اه وذكر الشيخ محيى الدين ايضا فى شرح الوصية اليوسفية قال ومريد التربية ما عنده ميزان الشرع انما ذلك للشيخ الذى يربيه فحقه ان يعرض غرضه او خياله على الشيخ خاصة والشيخ ينظر فى ذلك بما يعلمه من الله فيه والميزان هنا ما اراده الجنيد بقوله علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة والمعنى فى ذلك ان الذى وجدوه من العلم فى بواطنهم والعزم وغير ذلك انما هو نتيجة عن العمل بالكتاب والسنة وسبب ذلك ان الامور المفتوح بها على النفوس من جانب الارواح العلوية المسمين فى الشرع ملائكة وعند القدماء عقولا فعالة قد تردد بهذه الامور

Marfat.com

على النفوس عند تركها شهوات الطبيعة وخلوصها من اسرها وصفائها برياضة ومجاهدة وصقالة مرآتها ينتقش بها فيها جميع مافى العالم فينطق بالغيوب ويعلم ماهو لامر عليه وسواء كانت هذه النفوس مقيدة بالشرع الخاص على طريق الايمان به اولم تكن فان صفائها يعطى ذلك اى يعطى لحوقها بالاصل الذى صدرت منه فاخبرت الاعما اعطاه مقامها ومحلها فقال الجنيد هذا الحاصل لنا ولاهل الله لم يكن طريقنا فيه طريق القدماء يعنى بالنظر الفكرى فى اصل خلقة النفوس وما اهلت له وانما سلكنا بما قال لنا الشارع وآمنا به واخذنا عنه سلوكنا وان وقعت المشاركة فى الفتح والنتيجة فان اصحاب الاذواق يجدون فرقا بين الادراكين بينا ذوقا ثم ان اهل الله العاملين على الايمان يكون لهم من الله القاء خاص لايناله ابدا من لم يكن طريقه الايمان وبهذا ايضا يفترق الصنفان وهذا قول الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة اى انه لم يحصل لنا الاعلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله اه فاذا علمت هذا ظهر لك ان علم الولى مأخوذ من الله تعالى بطريق الالهام والفتح والفيض لابطريق التعلم والقراءة والدراسة على المشايخ ومطالعة الكتب ولكن شرطه ان يكون مطابقا لعلم الكتاب والسنة الذى عند المجتهدين فيما اجمعوا عليه من الحق وقد يخالف ما اختلفوا فيه لعدم تعين الحق عندهم فى موضع الاختلاف وهو معنى قول الجنيد رضى الله عنه علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة لان معناه ان الولاية مشروطة بقراءة الكتاب والسنة على المشايخ وتعلم العلوم الظاهرة التى هى مادة الفهم فى ذلك عند المحجوبين من اهل الغفلة كما يظنه كثير ممن يطالع هذا الكتاب وغيره فينكر الكمال على اهل الفتح والفيض من الامين الذين لايقرؤن ولايكتبون ونحوهم ممن يقرأ ويكتب ولكن لم يشتغل فى طلب العلم الظاهر وان كان ذلك شرطا فى الارشاد واقتداء المريدين به ليتيقن المطابقة ويصير على بصيرة فى امره فانها حالة الداعى الى الله كما قال تعالى * قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى * واما بقية الاولياء ممن لم يفهمهم الله تعالى فى مقام الدعوة اليه وان اجتمعت عليهم الناس واتخذوهم مشايخ لاباذنهم بل للناس فى ذلك اغراض ومقاصد فلا يشترط فى كونهم اولياء حفظهم لكلمات القرآن ولا كتابتهم للحديث النبوى بل يكفى موافقة علومهم الكشفية لذلك عندهم وعند من يعرف الموافقة بينهما ولايضر انكار الجاهل والقاصر لان المقصود من الكتاب والسنة العمل بمقتضى مافيهما لامجرد علمهما فاذا وجد المقصود بتعليم الله تعالى حصل المراد الالهى ولهذا لما ظن المغرورون بعلم الكتاب والسنة على فرض اتقانهم معرفة ذلك انهم ممتثلون امر الله تعالى ونهيه بمجرد علمهم بذلك ومباشرتهم وعظ غيرهم به من غير عمل بشئ منه فى انفسهم وان عملوا بالبعض ابتدعوا بالزيادة والنقصان ومهدوا لانفسهم الرخص فى تسليك

Marfat.com

اغراضهم عند الظلمة انكروا على المتقيدين بالاعمال الصالحة بتوفيق الله تعالى لهم ذلك والهامه لهم وفتحه على قلوبهم ماهو الحق والصواب عنده من غير اشتغال بتلك العلوم القولية واستحالوا وجود ذلك الا بتعلم علمهم واخذه عنهم والسير على سيرتهم وعلموا لفظ التوفيق وانكروا معناه فى المكلفين الذى هو خلق الطاعة فى العباد وجعل العباد موافقين لماهو الحق والصواب عناية من الله تعالى بهم كما وقع لسيد التابعين اويس القرنى رضى الله عنه وغيره ممن لايعرف القراءة ولا الكتابة اتخذهم الله تعالى اولياء ووفقهم للاعمال الصالحة على طبق الكتاب والسنة من غير تعلم ولااخذ عن شيخ اصلا وهؤلاء المنكرون تجسسوا على عباد الله وقد ورد فى علمهم حرمة التجسس وكشفوا عورات اهل الاسلام وفى علمهم حرمة ذلك ولم يأولوا ماظهر لهم من احتمال الخطأ فى اقوال المؤمنين وافعالهم وهم مأمورون بذلك فى علمهم الذى يتكبرون به على عباد الله ويقطعون بسببه لانفسهم بالنجاة من الله يوم القيامة وهلاك غيرهم ممن لايعلم علمهم المذكور ويسيؤن الظنون بكلام المصنف رحمه الله تعالى هنا وكلام غيره من اهل التصانيف المصرحين بالانكار على من خالف الشريعة ونابذ احكامها على العموم فى كل من خالف ونابذ فتراهم يخصصونهم فى انكارهم فيقذفون قوما مخصوصين ويلعنونهم ويشتمونهم وينسبون ذلك الصنيع الى الكتب فيقولون قال فلان فى كتابه كذا وقال فلان فى كتابه كذا وفلان انما قال فيمن هو موصوف بذلك وجميع العالم باعيانهم عنده بريئون مما قال وان قال مما هو موجود فى زماننا فان مالم يعلم بعينه لااثم فيه والكتاب والسنة على انكار المنكر بوجه العموم لا الخصوص لان الخصوص فضيحة وهتك وسوء ظن وتجسس وكل هذا حرام فى علمهم الذى هم يزعمون القيام به (وقال) ابو الحسن (السرى) ابن المفلس (السقطى) خال الجنيد واستاذه وكان تلميذ معروف الكرخى كان اوحد زمانه فى الورع والاحوال السنية وعلوم التوحيد (التصوف) عند السادة الصوفية (اسم لثلاثة معان) هى اصول فى طريق القوم رضى الله عنهم المعنى الاول (وهو) اى الصوفى المفهوم من ذكر التصوف (الذى لايطفئ نور معرفته) بالله تعالى (نور ورعه) اى امتثاله لاوامر الله تعالى واجتنابه عن نواهيه على اكمل الوجوه وقال القشيرى فى رسالته الورع ترك الشبهات وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل اه وانما كان الصوفى قائما بالنورين لان نور المعرفة فى القلب يكشف به عن حقايق الموجودات الجسمانية والعرضية ويطلع على حضرات الذات وتجليات الاسماء والصفات ونور الورع فى الجسد يعمل به جميع ما امره الله تعالى ان يعمله به على وجه الكمال ويكف به عن كل مانهاه الله تعالى عنه بأتم مايكون فمتى اشكل مراعاة النورين واشغل عن الآخر الالتفات لاحد الشيئين يكون قد فقد معنى التصوف وزالت حقيقته من التعرف وقال الغزالى فى مشكاة الانوار القلب بيت هو منزل الملائكة والصفات

Marfat.com

الردية كالغضب والشهوة والحسد والكبر كلاب نابحة فكيف تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب قال عليه الصلاة والسلام ان الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب ولاصورة قال ولست اقول المراد بلفظ البيت القلب وبالكلب الغضب والصفات المذمومة بل اقول هو تنبيه عليه ودخول من الظواهر الى البواطن مع تقرير الظواهر فبهذه القضية فارقنا الباطنية فان هذا طريق الاعتبار ومسلك الائمة الابرار ومعنى الاعتبار ان تعبر مما ذكر الى غيره فلاتقتصر على ماذكر ولاتظنن ان هذا الانموذج بطريق ضرب الامثال رخصة منى فى دفع الظواهر واعتقادى ابطالها حتى اقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك وحاشالله فان ابطال الظواهر رأى الباطنية كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فان الذى يجرد الظاهر حشوى والذى يجرد الباطن بالمعنى والذى يجمع بينهما كامل ولهذا ورد للقرآن ظاهر وباطن وحد وسقطع بل اقول فهم موسى عليه السلام من الامر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا بطرح العالمين فهذا هو الاعتبار اى العبور من الظاهر الى السر وفرق بين من يسمع قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب فيقتنى الكلب فى البيت ويقول ليس الظاهر مرادا بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التى هى من انوار الملائكة اذ الغضب غول العقل وبين من يمتثل الامر فى الظاهر ثم يقول الكلب ليس كلبا لصورته بل لمعناه وهو السبعية والضرارة واذا كان حفظ البيت الذى هو مقر الشخص والبدن واجبا عن صورة الكلب فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقى الخاص عن سر الكلبية اولى فانا اجمع بين الظاهر والسر فهذا هو الكمال وهو المعنى بقولهم الكامل من لايطفئ نور معرفته نور ورعه اه والحاصل ان الكمال هو الجمع بين ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة وهو معنى التصوف فى قول السرى المذكور (و) المعنى الثانى الصوفى هو الذى (لا يتكلم بباطن) اى بحقيقة (فى علم) من علومه النورانية (ينقضه) اى ينقض ذلك الباطن بمعنى يبطله ويظهر فساده (عليه ظاهر الكتاب) العزيز اى مايظهر من معانى القرآن لكل مكلف فاذا لم ينقضه ظاهر الكتاب فهو تصوف صحيح وان نقضه كان فاسدا والذى يتأتى منه نقضه هو صاحب التحقيق فى العلم الظاهر والعلم الباطن لاكل احد من الناس فان نقض القاصر فى درجة الكمال لايعتبر لعدم معرفته بانطباق بين بواطن الحقايق وظواهر الشرايع خصوصا اذا كان لايعرف اصطلاحات الصوفية فى خطاباتهم ومواقع كلامهم فان قول ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه سبحانى ما اعظم شانى مثلا عند من لم يعرف اصطلاح القوم ولم يكن صاحب تحقيق فى علمى الظاهر والباطن منقوض بظاهر القرآن العظيم فان ذلك دعوى ربوبية منه عند القاصر مع ان ابايزيد رضى الله عنه عارف ربانى وكامل صمداني فلابد من عالم محقق فى العلمين يعرف اصطلاح الفريقين يشرح معنى ذلك على وجه لايخالف ظاهر القرآن ويكون معنى عظم الشان

Marfat.com

والمفهوم من كلام الشيخ محى الدين بن العربى رضى الله عنه فى بعض كتبه ان معنى ذلك كمال التنزيه للحق تعالى وهو تنزيه التنزيه فانه لما رأى تنزيهه لله تعالى وتسبيحه له عما لا يليق به مخلوقا فيه لله تعالى ورآ ظاهرا منه على حسب استعداده والحق تعالى اعظم واجل تحقق ان الحق تعالى ظهر له على حسب استعداده بل استعداده ظهر له فى حضرة تجلى الحق المطلق فعلم ان تسبيحه لله تعالى وتنزيهه راجع الى غاية استعداده الظاهر له فى مرآة التجلى المطلق فارجعه الى استعداده فى نفسه وقنع بالعجز عن التنزيه والتسبيح فى تنزيه الله تعالى وتسبيحه فقال سبحانى ثم لما رأى جميع المنزهين والمسبحين متوجهين بالتنزيه والتسبيح الى غاية استعداداتهم فى التجلى المطلق واستعداده اتم الاستعدادات فقال ما اعظم شانى وهو موافق لما فى القرآن لا مناقض له وهذا مقدار ما يليق بهذا الموضع من معنى كلامه فاذا تكلم احد من العارفين فى هذا الزمان بكلام نظير هذا الكلام ينبغى ان يعرض كلامه على اهل المعرفة الجامعين بين علمى الظاهر والباطن فانهم يعرفون معناه من غير ان ينقضه ظاهر الكتاب واما القاصرون من علماء الرسوم الذين لا يعرفون الا ظواهر العلوم فلا عبرة بكونه مناقضا عندهم لظاهر القرآن لانهم لا يعلمون اشارات الصوفية ولا موا جيد اهل الكمالات العرفانية فغايتهم انهم يستنطقون الكلمات بحسب اعرابها ومعانيها اللغوية ويفوتهم الوضع الخاص المسمى بالاصطلاح فيقعوا فى سب اهل الكمال وهم قاصرون ويحكموا بتخطئة المصيب وهم لا يشعرون فان لكل ميدان مجالا ولكل مجال رجالا ونظير هذا ما وقع للشيخ ابى الغيث ابن جميل قدس الله سره انه جاء اليه جماعة من الفقهاء فقال لهم مرحبا بعبيد عبدى فاشتد انكارهم عليه فذكروا ذلك للشيخ اسماعيل الحضرمى رضى الله عنه وكان من اهل العلم الظاهر والباطن فقال صدق انتم عبيد الهوى والهوى عبده (و) المعنى الثالث الصوفى هو الذى (لا تحمله الكرامات) جمع كرامة وهى الامور الخارقة للعادة بلا دعوى نبوة (على هتك) اى عدم احترام (محارم الله تعالى) اى محرماته التى حرمها تعالى على عباده المكلفين القطعية والظنية وهذا شرط لكونها كرامات فلو انتهك بها محرما من المحرمات الشرعية كانت مكرا من الله تعالى واستدراجا لا كرامات وكونها تقتضى انتهاك محرم من المحرمات يحتاج الى نظر دقيق من صاحب تحقيق ولا عبرة بنظر القاصرين عن مقاصد الواصلين فان لله تعالى تلبيسات على الجاهلين بافعال الكاملين ولا دخل للكاملين فى قصد ذلك ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء

(وقال ابو يزيد) طيفور بن عيسى (البسطامى) كان جده مجوسيا اسلم كانوا ثلاثة اخوة آدم وطيفور وعلى وكلهم كانوا زهادا وابو يزيد كان اجلهم حالا قيل مات سنة احدى وستين ومأتين وقيل اربع وثلاثين ومأتين (رحمه الله تعالى لبعض اصحابه) من اهل بسطام (قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه

Marfat.com

بالولاية) وشهرة النفس بهما كناية عن الدعوة الى الله بتربية قلوب المريدين فان كانت بحق كانت محمودة وان كانت بباطل كانت مذمومة ولما احتملت الامرين لم يكن هذا الكلام ذما من ابى يزيد لذلك الرجل لعدم قصده الذم ولكن لما غلب عليه حب الخفا كان ذلك عنده على خلاف مشربه فخرج كلامه كذلك وليس فيه تجسس ايضا منهى عنه لانه فى قصد ظهور الكمال له من ذلك الرجل لينتفع بصحبته ولقياه لا بقصد الاستكشاف عن معايبه (وكان) ذلك (رجلا مقصودا) اى تقصده الناس من كل جهة من جهات الارض يتبركون به (مشهورا بالزهد) والتقوى والدين بين الخاص والعام (فمضينا اليه) بقصد زيارته والتماس بركته (فلما خرج من بيته ودخل المسجد) ونحن ننظر اليه قبل ان نكلمه (رمى ببزاقه) من فمه (تجاه القبلة) اى جهتها (فانصرف ابو يزيد) فى الحال حين رآه فعل كذلك (ولم يسلم عليه) ولم يكلمه (وقال) لمن كان معه (هذا رجل غير مأمون) اى لم يؤمنه الله تعالى (على ادب) واحد (من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وذلك لانه استهان بالقبلة التى جعل الله تعالى استقبالها شرطا فى صحة الصلاة وورد النهى عن استقبالها بول وغائط وكره العلماء مد الرجلين اليها فى نوم وغيره واوجب الله تعالى الطواف بها والطهارة لذلك الطواف وحكم بانها بيته تعالى تعظيما لها وتشريفا وآداب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله تعالى احترام ما احترمه الله تعالى وانتقاص ما انتقصه واستهان به سبحانه كالكفر والكافرين ومواضع عباداتهم الباطلة ونحو ذلك وفى شرح اليوسفية للشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه اذا رأينا من يدعى فى هذه الامة مقام الدعاء الى الله على بصيرة ويخل بباب من آداب الشريعة ولو ظهر عليه من خرق العوائد ما يبهر العقول ويقول ان ذلك ادب يخصه لا يلتفت اليه وليس بشيخ ولا بمحق فانه لا يؤمن على اسرار الله تعالى الا من يحفظ عليه آداب الشريعة ولكن شرطه ان يبقى عليه عقل التكليف فان طرأ عليه ما يخرجه عن عقل التكليف فيسلم اليه حاله ولا يقتدى به وهو سعيد وهو فى الوقت الذى سلب عنه عقل التكليف بمنزلة الشيخ عند ما يموت فكما تقبض روحه على ما كان عليه كذلك يؤخذ عن هذا المولة عقله على ما كان عليه فتبقى سعادته سعادة الميت ولا تدبير لنفسه النا طقة فى هيكله لفقد آلامها فيبقى مثل سائر الحيوانات يدبره روحه الحيوانى ولا يعترض عليه فان الله ما كلفه كما انه لم يكلف الموتى وان كانوا سعداء فافهم ما ذكرناه لك تسعد فان هذه الحال جهلها اكثر اهل الطريق فكيف عامة الفقهاء فاذا عرفوا ما قلناه لم يقدروا على انكاره وانما يحجبهم عن ذلك ما يرونه منه من حركاته الطبيعية فى اكل وشرب ونكاح وشبه ذلك فيقولون كما نه ينكح ويأكل ويشرب فليصل وتحجبهم الصورة الانسانية الظاهرة وما يعلمون انه حيوان فى صورة انسان وان نفسه الناطقة انتقلت الى ابرزخ

Marfat.com

انتقال الموتى وان كان لها التفات الى هذا الهيكل فمن اجل بلوغ الاجل المسمى الذى
للروح الحيوانى فى كل حيوان يموت فان الموت انما هو للحيوان لا للانسان الا من كونه
حيوانا فافهم فيعتقد فى مجانين اهل الله ولا يقتدى بهم بخلاف عقلائهم (فكيف يكون)
ذلك الرجل (مأمونا) من قبل الله تعالى (على ما) اى الذى اوشئ (يدعيه) من الولاية
والزهد فان الله تعالى لا يؤمن على اسراره وانواره الا من آمنه اولا على الاخلاق
المرضية والآداب المحمدية الله اعلم حيث يجعل رسالته والحكمة وضع الشئ فى موضعه
وهى الملازمة لافعال الله تعالى لا ينفك عنها فعل من افعاله تعالى البتة وليس من
الحكمة وضع الولاية والكمال فى المنتهك للحرمة والتارك للادب بل الحكمة تقتضى
عقابه لا ثوابه او العفو عنه لا المدح منه فان قلت يمكن ان يكون ذلك لرجل رمى ببزاقه
تجاه القبلة خطأ وغفلة من غير تعمد فكيف انكر عليه ابو يزيد رضى الله عنه حاله ولم يحمله
على محمل حسن والخطأ مرفوع الاثم كما تقرر فى الشرع قلت وقد فعل ابو يزيد
رضى الله عنه كذلك فانه ما حكم بانه ولا نسب اليه فسقا ولا قال عنه انه فعل مكروها
لاحتمال ان يكون فعل ذلك خطأ منه والخطأ لا مؤاخذة فيه والمسلم محمول على الكمال
فى كل حال ولكنه نفى عنه ما يدعيه بلسان حاله حيث دعى الناس الى الله من الولاية
ومقام القرب فان ذلك قد رزائد على مجرد الصلاح والتقوى والديانة ولا يثبت الزائد
الا بعلامة تدل عليه ولم توجد العلامة عند ابى يزيد فلم ينسب اليه ما اشتهر عنه من الولاية
من غير طعن فيه ولا انتقاص له وقوله غير مأمون على ادب من آداب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخبار عن الواقع لا احتقار واستنقاص له وحاشا مثل ابى يزيد رضى الله عنه
من احتقار احد من اهل اسلام (وقال) ابو يزيد البسطامى ايضا رحمه الله تعالى
فى غير واقعته المذكور كما يشير اليه كلام القشيرى فى رسالته (لو نظرتم) ايها الناس
وهو ابلغ من سمعتم او ظننتم لكمال الانكشاف (الى رجل) يدعى الولاية وقد
(اعطى) اى اعطاه الله تعالى (من الكرامات) اى الخوارق للعادة من المشى
على الماء واحياء الموتى وطى المسافة البعيدة فى زمان القليل ونحو ذلك (حتى ربع
فى الهواء) بين السماء والارض ابلغ من مشى على الهواء لما فى المشى من وضع القدمين
الموهمين احتمال التمسك بهما (فلا تغتروا به) اى لا تستدلوا على ولايته ورفيع جاهه
عند الله تعالى بما رأيتموه من ذلك لاحتمال ان يكون مكرا من الله تعالى به من حيث لا يعلم
هو ولا تعلمون انتم ايضا واستدراجا له من الله تعالى كما قال تعالى * سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون * واستهزاء به من الحق تعالى وسخرية كما قال تعالى * الله يستهزئ بهم
وقال * سخر الله منهم (حتى تنظروا) بتحقق ايضا وكمال معرفة ولو تمسكا بالاصل وهو
الصلاح لانه يقين وحق مبين من دون تشكيك ولا وسوسة فان المؤمن مؤمن حقا
والكافر كافر حقا وكذلك الفاسق فاسق حقا والصالح صالح حقا ولا شك ولا تردد

Marfat.com

الاعند اهل القلوب الضعيفة والبصائر المطموسة ولزيغ المبين والقصور المهين فان من لم تظهر مخالفته الموجبة لفسقه ظهور اتاما لايحتمل التأويل اصلا من غير تجسس عليه فليس بفاسق وهو ملتحق باهل العافية اوالتهمة من الصالحين (كيف تجدونه) بنفوسكم وانتم تاركون التجسس عنه والوساوس الشيطانية التى يلقيها الشيطان اليكم فى حقه ومن غير سماعكم ذلك من الغير الااذا حضرتم ثبوته على الوجه الشرعى عند حاكم شرعى فتكونوا وجدتموه ظاهرا لاحقيقة الوجدان فانكروه حينئذ ظاهرا لا حقيقة الانكار (عند الامر) الالهى القطعى والظنى (والنهى) الالهى كذلك (وحفظ الحدود) التى حدها الله تعالى لعباده المكلفين فى مقدار ماء الطهارة واعضائها واعداد حركات الصلوات واوقاتها ومقادير جميع العبادات واوقاتها ومقادير المعاملات ومايجوز منها وما لايجوز وكيفيات العقائد والقصص الواردة والمواعظ من غير زيادة فى شئ من ذلك ولانقصان منه (واداء) اى تسليم جميع ماهو المطلوب منه فى (الشريعة) المحمدية علما وعملا امرا ونهيا وتخييرا على وجه العدل فيه والمراد ان يجد ذلك من يعلمه على حسب ماأجمعت عليه الامة اواختلفت فيه فيعلم المجمع عليه والمختلف فيه كله من المذاهب الاربعة الموجودة الآن فى الارض وغيرها ايضا من مذاهب جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم اذيحتمل ان ذلك الولى قلد فى عمله ذلك مذهبا ثبتت عنده تلك المسئلة فيه بشروطها فعمل بها فلايجوز انكارها عليه قال الشيخ عبدالرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير وقدنقل الامام الرازى اجماع المحققين على منع العوام من تقليد اعيان الصحابة واكابرهم نعم يجوز لغير عامى من الفقهاء تقليد غير الاربعة فى العمل لنفسه ان علم نسبة لمن يجوز تقليده وجمع شروطه عنه اه ويحتمل ايضا ان يكون ذلك الولى مجتهدا علم من الادلة مالم يعلمه غيره والاجتهاد باق الى يوم القيامة فمن اجتمعت فيه شرائطه ولايلزمه بيانها وشروط الاجتهاد عند العارفين من اهل الله تعالى غير شروطه عند اهل الاصول من علماء الظاهر كمانقلته فى كتابى لمعات البرق النجدى شرح تجليات محمود افندى فلايكاد احد يجد المخالفة من الولى على وجه اليقين وانما يهلك الجاهل بجهله مالم يفعله الولى فيأثم الجاهل لدخوله فيما لايعرفه ولانكاره حكم المجتهد الذى اقره عليه الله ورسوله ويثاب الولى وترفع درجته قال الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى رضى الله عنه فى كتابه شرح الوصية اليوسفية التى تكلم بها الشيخ على الكردى على لسان يوسف ابن ابراهيم الشافعى ويقصد جهده ان يدفع عن نفسه الخيالات الردية يعنى فى حق شيخه كيلا يحرم المنفعة به فان الشيطان لايزال يلقى الى نفس المريد فى شيخه مايكرهه اليه ولهذا بعض المريدين المحرومين يعترضون على شيوخهم بما يرونه من حركاتهم ولاسيما ان كان لظاهر الشريعة التى عليها فقهاء الزمان على تلك الحركة حكم مقرر

Marfat.com

عندهم ولاسيما عند صاحب المذاهب الاربعة وما علم ان الشيخ من المحال ان يحلل ما حرم الله او يحكم بما لم يحكم الله به فيما يفتى فيه او يدل عليه مريده او يفعله الشيخ على طريق الحل وهو محرم فى حكم الله تعالى على لسان النبى صلى الله عليه وسلم الواصل الينا بشرع الله فانهم رضى الله عنهم قد يصح عندهم من طريق الكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة منه اليهم او الهاما من الله عزوجل او القاء فى قلوبهم على الطريقة المعهودة التى لاولياء الله مع الله فى تلقياتهم ان حكم الرسول عن الله فى ذلك الامر هو هكذا لاما حكمت به المذاهب الاربعة او مذهبا وان كان الله قد قرر ذلك الحكم بالنظر الى ذلك المجتهد ومن قلده وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فى المطلقة بالثلاث فى المجلس الواحد كيف حكمه عندك يارسول الله فقال هى ثلاث كما قال لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فقلت له فان جماعة من اهل الظاهر حكموا انها واحدة فقال هؤلاء حكموا بما وصل اليهم واصابوا وحكمى انا فى المسئلة ماذكرته لك فى رؤيا طويلة فمن ذلك الوقت صرت اقول بهذا الحكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يلزم الشيخ مع هذا الكشف تقليد امام فى اجتهاده كما لا يلزم المجتهد تقليد مجتهد آخر فى مسئلة مع اجتهاده ولا يحل لمجتهد ان يحكم فى نازلة باجتهاده على طريق فرض الوقوع حتى تنزل فاذا نزلت تعين الحكم منه فيها بما يؤديه اليه اجتهاده فان نزلت مرة ثانية ويسأل فيها استأنف الاجتهاد ايضا فى الحكم فان وافق الاول كان وافق به عن هذا الاجتهاد وان لم يوافق وحكم بامر آخر فى تلك النازلة حرم عليه ان يحكم فيها الا بما ظهر له الآن مع صحة الاول فى وقته لا فى هذا الوقت ولذلك كان يقول مالك ابن انس اذا سئل فى مسئلة هل نزلت فان قيل له نعم نظر وافتى وان قيل له لم تنزل ولكن فرضنا نزولها كان لا يفتى فيها بشئ الا ان تنزل فانظر الى تحرى هذا الامام رضى الله عنه فى رأيت المريد من الشيخ وحركاته بميزان الشرع المقرر عنده من اجتهاده او من تقليده لامام فاعلم ان المريد فى ادبار لا يفلح ابدا فلذلك قال الشيخ يعنى على الكردى على لسان يوسف بن ابراهيم الشافعى فى وصيته هذه المقالة فى الخواطر الردية هذا فى تحليل محرم او تحريم محلل واما ان لا يعصى الشيخ فذلك لا يمكن ان يقطع به فى حق احد لا شيخ ولا غيره فان ابا يزيد قيل له ايعصى العارف قال * وكان امر الله قدرا مقدورا * فينبغى للمريد ان لا يحب شيخا على طريق العصمة وانما يحبه على طريق العلم بطريق الله وليتنظر فى اقواله وفتياه لا فى افعاله ولذلك قال الله تعالى * فاسئلوا اهل الذكر * وما امرنا ان نتاسى بافعالهم لعدم فرض العصمة فيهم وقال فى حق الانبياء لما عصمهم الله تعالى * لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة * وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فاتتبع الرسول فى جميع افعاله الا ما نص علينا

Marfat.com

من افعاله التى يختص بها ولايجوز لنا فعلها واعلم ان هذا من اعظم الادوية لهذه العلة التى تطرأ على المريد من الشيطان ولاشك ان النفس الخبيثة تقبل على الفور مثل هذا لالقاء بما تراه من حكم الشيخ عليها وهى بالطبع لاتريد ان تكون محكومة لاحد فاذا اخطرلها ابليس فى الشيخ خاطرا رديا قبلته من حينها الاان يوفقها الله ولقد خدم صادق شيخا فرآه قد زنى بامرأة وعلم الشيخ ان المريد قد رآه ثم رآى المريد يبالغ فى خدمته كما كان وما تغير عليه من حاله شئ فقال له الشيخ يافلان انت قد رأيتنى قد وقع منى ماوقع وثبت على طريقك فى خدمتى فقال ياسيدى ماصحبتك على انك معصوم عن المعاصى وانما صحبتك انك عالم بطريق الله الذى فيه رشدى وانت مع نفسك بحسب ماقدر الله عليك فقال الشيخ مثلك من يدعى انه خديم قلت ذكر شيخنا ان بعض من روى هذه الحكاية قال ان ماوقع من الشيخ المذكور كان اختبارا للمريد ولم يكن ماوقع منه زناء فى نفس الامر وقد جرى لنا مثل هذا مع بعض شيوخنا وكان معه مثل هذا المريد ووالله ماتغير لى باطن ولا قلب على شيخ من اجل حركته وسكونه وانى ماصحبته الا انه ينصحنى فيما يلقى الى وان اقتدى بكلامه لا بفعله وكل مريد خرج عن هذه القضية فانه لايجئ منه رجل ابدا ثم لتعلم ان لله عبادا قد قيل لهم افعلوا ماشئتم فقد غفرت لهم فايدريك ان هذا الشيخ منهم وباب المريد حسن الظن لاسوء الظن واعلم ان الله عزوجل اذا قبح على عبد فى باطنه بسوء ظن باحد من خلق الله فان ذلك من مقت الله به ومن عمى بصيرته ومن فرض العصمة لاحد فذلك غاية الجهل بالله والمعاصى لاتغير مسلما ولا يتغير لها وان كره فيكره الفعل لا الفاعل فان سلطان الايمان اقوى فانه يكفيه فى المعصية من الطاعة اعتقاده انها معصية فالناصح نفسه ينبغى له ان يحمى باطنه من الخواطر الردية فى حق المؤمنين والكافرين فى اى وقت لانه لايدرى بماذا يختم لهذا الكافر المعين بالكفر فى الوقت وانما يكره الكفر من حيث هو كفر لا هذا الكافر فكيف المؤمن وكل من اساء الظن باحد من خلق الله بلا خلاف انه ممقوت من الله وذلك بدو الحرمان وطريق الخسران وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس واى عيب اعظم من سوء الظن بالناس وهل يكون ذلك الا من مراقبة هذا المحروم لحركات الناس فلو اشتغل بنفسه ماتفرغ الى النظر فى غيره كما قال بعض شيوخنا * وفى النفس لى شغل عن الغير شاغل * فرحم الله هذا الشيخ بما وصى به ولقد وصى بخير كثير (وقال ابو سليمان) عبد الرحمن بن عطية (الدارانى) نسبة الى دارايا قرية من قرى دمشق مات بها سنة خمس عشرة ومائتين رحمه الله تعالى ورضى عنه (ربما) لافادة التقليل اشارة الى ان الغالب انه يجد فى الوقت شاهدين من الكتاب والسنة على مايقع فى قلبه اوفى ثانى الوقت دون المدة المذكورة (تقع فى قلبى) بطريق الفيض من حضرة ربى (النكتة) مشتقة من النكت بالتاء المثناة الفوقية

Marfat.com

وهوان ينكت فى الارض بقضيب اى يضرب فيؤثر فيها والنكتة كالنقطة قال له الجوهرى وفى القاموس النكتة بالضم النقطة والجمع نكات كبرام اه وكأنها سميت بذلك لانها تنكت فى القلب اى تؤثر فيه بلطف بلاغتها (من نكت) جمع نكتة (لقوم) وهم اهل التحقيق من السادة الصوفية والمراد ما يفتح الله تعالى على قلوبهم بطريق الفيض والالهام من المعارف والاسرار الالهية (اياما) اقلها ثلاثة فيتردد فى قبول ذلك الواقع فى قلبه اوعدم قبوله والمبادرة الى رده حرصا على المحافظة على الاتباع واحترازا من الوقوع فى الابتداع (فلا اقبل) ذلك الواقع فى قلبى (منه) اى من قلبى (الا بشاهدين) اى دليلين مثبتين معنى النكتة (عدلين) اى موثقين ليس مطعونا فيها الاول (من الكتاب) اى القرآن العظيم وهو متواتر لا ضعف فى سنده الا من حيث القرا آت الشاذة والتفسير الغريب (و) الثانى من (السنة) النبوية المحمدية ومنها الصحيح وغير الصحيح وفى العقد النضيد فى تحقيق كلمة التوحيد لابن الهايم رحمه الله تعالى قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم يجوز ويستحب العمل فى الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف مالم يكن موضوعا اه ومعنى كونه لا يقبل ذلك الا بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة على حسب ما يفتح له فى معانى الكتاب والسنة ولا يلزم ان يذكر ذلك الدليل الذى فتح عليه فيه حتى يعلمه غيره ولا ان يفتح لغيره ما فتح له فيعلمه به والمقصود بيان ان علمه مقيد بالكتاب والسنة كما سبق عن الجنيد البغدادى رضى الله عنه واهل الفتح والالهام يجدون فى الكتاب والسنة من المعانى الصحيحة والاحكام الرجيحة ما لا يجده غيرهم من علماء الرسوم المتحكمين فيما يجدونه بالفهوم فان صفاء البصائر وسلامة السرائر يكشف الاسرار الخفية ويورد على القلب المعارف الالهية فلا يتأتى نقد احوالهم الا امثالهم باعتبار نظرهم فى الوقايع بالله واتكالهم فى الاطلاع على الله كما قال عليه السلام احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ونظر علماء الغفلة والحجاب بأنفسهم المغموسة وبصائرهم المصموسة فان ايمانهم قاصر وعقلهم حاصر فكشفهم انوار الشمس والقمر والنجوم من اعظم المنن عليهم فلا يطمعون مع نقصانهم الذى هم فيه فى كشف حقائق العلوم وهو من عدل الحى القيوم حيث تسلطوا بسوء الظن وبذاءة اللسان على من يعلمهم الله تعالى من اهل ولايته الذين لحومهم سموم والله يفصل بين الظالم والمظلوم (وقال) ابو الفيض (ذوالنون المصرى) واسمه ثوبان بن ابراهيم وقيل الفيض ابن ابراهيم وكان ابوه نوبيا توفى سنة خمس واربعين ومأتين (رحمه الله تعالى ومن علامات المحبة) من الانسان (لله تعالى متابعة حبيب الله محمد عليه الصلاة والسلام) ظاهرا وباطنا (فى اخلاقه) اى طبايعه وعاداته صلى الله عليه وسلم فانها من اعظم الاخلاق كما قال له الله تعالى * وانك لعلى خلق عظيم (وافعاله) التى كان يفعلها من القيام بحقوق الله تعالى عليه وحقوق الخلق والنصرة لدين الله تعالى

Marfat.com

(واوامره) من قبل الله تعالى بالفعل قطعا اوظنا وبالكف كذلك فتدخل الفروض والواجبات والمحرمات والمكروهات (وسننه) جمع سنة وهى طريقته وسيرته صلى الله تعالى عليه وسلم التى كان عليها من تلقاء نفسه فيما لم يأمره الله تعالى به واوحى به تعالى اليه باطنا قال الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية اعلم ان محبة الله تعالى على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التى تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصى والرضاء بما يقدره فمن وقع فى معصية من فعل محرم اوترك واجب فلتقصير فى محبة الله تعالى حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات والاستكثار منها فبورث الغفلة المقتضيه للتوسع فى الرجاء فيقدم على المعصية والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع فى الشبهات والمتصف بذلك فى عموم الاوقات والاحوال نادر وفى البخارى من حديث ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى انه قال ماتقرب الىّ عبدى بمثل اداء ماافترضته عليه وفى رواية بشئ احب الى من اداء ماافترضت عليه ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وماترددت عن شئ انا فاعله تردى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته واستفيد من قوله وماتقرب الى عبدى بشئ احب الى ان اداء الفرائض احب الاعمال الى الله تعالى وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولاتنتجها الفرائض واجيب بان المراد من النوافل اذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده ان فى رواية ابى امامة بن آدم انك لن تدرك ماعندى الابداء ماافترضته عليك او يجاب بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لالخوف العقاب على الترك بخلاف الفرائض وقال الفاكهانى معنى الحديث انه اذا ادى الفرائض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل ايضا كيف يكون البارى جل وعلا سمع العبد وبصره الى آخره واجيب باجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره فى اتيان امرى فهو يحب طاعتى ويؤثر خدمتى كما يحب هذه الجوارح ومنها ان المعنى ان كليته مشغولة بى فلايصغى بسمعه الاالى مايرضينى ولايرى ببصره الا ماامرته به ومنها ان المعنى كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله فى المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلايسمع الامايحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى آخره قاله الفاكهانى قال ويحتمل معنى آخر ارق من الذى قبله وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان املى بمعنى مأمولى والمعنى انه لايسمع الا ذكرى ولايلتذ الا بتلاوة كتابى

﴿ ولا ﴾

Marfat.com

ولا يأتمن الابتناجاتى ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى ولا يمديده الا بما فيه رضائى ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلماء ممن يقتدى بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التى يستعين بها ولهذا وقع فى رواية فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى وقال الخطابى عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح فى الطلب وذلك ان مساعى الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن ابى عثمان الحيرى احد أئمة الطريق قال معناه كنت اسرع الى قضاء حوايجه من سمعه فى الاستماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى كذا اسنده عنه البيهقى فى الزهد اه واحسن ما رأيت فى قريب من معنى ذلك ما قرأته بخط ابى الطيب الغزى رحمه الله تعالى وهو فان قيل كيف يجوز ان يتصف المخلوق بصفات الخالق ولا حلول بينهما ولا اتصال الجواب انظر كيف تكسو النار صفتها الماء بواسطة الحجاب فيعود الماء فى الصورة ماء وفى المعنى نارا فيفعل فعل النار فى احراقها من غير ان تحيز النار فى ذات الماء ولا اتصلت به ولا مازجته ولا جانسته فهى متصلة بالصفات منفصلة بالذات وما ذلك الا انه بواسطة قرب الماء من النار كسته صفتها فصار محرقا فكذلك لطف الله سبحانه وتعالى بواسطة قرب عبده منه واقباله عليه كساه الله تعالى صفته الباقية من غير تحيز ولا اتصال ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون وانشد فى المعنى

سلم اذا ذكر اتحادا عاشق * وافطن فطور المرء ليس يزيد
فالنار يدخلها الحديد فيغتدى * نارا وذاك معاين مشهود
فاذا تخلى عن مقام وصالها * فالنار نار والحديد حديد

وفى المواهب اللدنية تضمن هذا الحديث الشريف الالهى الذى حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته تعالى فى امرين اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله تعالى فاذا صار محبوبا لله تعالى اوجبت محبة الله له محبة اخرى فيه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر والاهتمام لغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البته فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى ما الكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق فى محبته الذى قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وانيسه وصاحبه والباء هنا للمصاحبة وهى مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالسئلة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه فى محابه حصلت موافقة الرب لعبده فى حوايجه ومطالبه فقال ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه اى كما وافقنى

Marfat.com

فى مراعى فى امتثال اوامرى والتقرب الى محبى فانا اوافقه فى رغبته ورغبته فيما يسألنى ان افعله به ويستعيذنى ان يناله وقوى امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه فى اماتته عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره مايكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضى ان لايميته ولكن مصلحته فى اماتته فانه ماامانه الاليحييه ولامرضه الاليصحه ولافقره الاليغنيه ولامنعه الاليعطيه ولم يخرجه من الجنة فى صلب ابيه الاليعيده اليها على احسن احواله فهذا هوالحبيب فى الحقيقة لاسواه وقال الخطابى التردد فى حق الله تعالى غيرجائز والبدأ عليه فى الامور غيرسائغ ولكن له تأويلان احدهما ان العبد قديشرف على الهلاك فى ايام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعوا الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدوله فيه فيتركه ويعرض عنه ولابدله من لقائه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قدكتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه والثانى ان يكون معناه مارددت رسلى فى شئ انافاعله كترددى اياهم فى نفس المؤمن كماروى فى قصة موسى عليه السلام وماكان من لطمه عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذى ماحاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعنى باعتبار متعلقها اى عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته فى الحياة الى محبته الموت فيقبض على ذلك قال وقديحدث الله فى قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه مايشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه وبالجملة فلاحياة للقلب الابمحبة الله ومحبة رسوله ولاعيش الاعيش المحبين الذين قرت اعينهم بمحبوبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت قلوبهم واستأنسوا لقربه وتنعموا بمحبته ففى القلب طاقة لايسدها الامحبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدى اليه بطريق توصله اليه ويخرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد فى التعلقات الفانية ويرغب فى تصحيح التوبة والقيام بالأمورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولابخطرة فضول لاتنفعه فيصفولذلك قلبه بذكربه ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره فحينئذ يجمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق فى ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه واستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كماجعله الله نبيه ورسوله وهاديه

﴿ فيطالع ﴾

Marfat.com

فيطالع سيرته ومبادى اموره وكيفية نزول الوحى اليه ويعرف صفاته واخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعباداته ومعاشرته لاهله واصحابه الى غير ذلك مما منحه الله تعالى حتى يصير كأنه معه من بعض اصحابه فاذا رسخ فى قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحى المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا نزلت فيه وماذا اريد بها وحظه المختص به منها من الصفاء فى الاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد فى التخلص منها كما يجتهد فى الشفاء من المرض المخوف ولمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم علامات كثيرة من اتصف بها فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه السلام للذى حده فى الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاخبر انه يحب الله ورسوله نفى وجود ما صدر منه وفيه رد على من زعم ان مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهى عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له وفيه انه لا تنافى بين ارتكاب النهى وثبوت محبة الله ورسوله فى قلب المرتكب وان من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله اه وذكر فى فتح الصفا شرح الشفا لابن اقبرس فى لزوم محبة الله تعالى ورسوله الاقتداء بالسنة النبوية والاتباع لجميع الاحكام الشرعية قال والمراد باللزوم ههنا اللزوم عند اهل المحبة التى ينتهى الحال فيها عندهم الى مقام الفناء فيها وسلب الاختيار مع المحبوب فهذه هى المحبة التى يلزمها ذلك وهذه محبة الخواص واما محبة العوام فهى الواقع فيها التفاوت بالشدة والضعف الى ان ينتهى الحال فيها الى الذرة المشار اليها بقوله عليه السلام يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد دل عليه حديث الرجل الذى حده النبى صلى الله عليه وسلم فى الخمر حيث نهى عن لعنه واخبر بكونه يحب الله ورسوله فاثبت له المحبة مع المعصية فان قلت فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن قلت هو محمول على كمال الايمان لاسيما على مذهب من يطلق الايمان على الاعمال (وقال) ابو نصر (بشر) بن الحارث (الحافى) اصله من مرو فسكن بغداد ومات بها سنة سبع وعشرين ومائتين (رحمه الله تعالى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا بشر هل تدرى بم رفعك الله تعالى) فى الدنيا والآخرة (من بين اقرانك) اى المماثلين لك فى زمانك (قلت لا يا رسول الله) يعنى لا اعرف السبب فى ذلك (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعك الله (باتباعك لسنتى) ظاهرا وباطنا على وجه اليقين والاخلاص (وخدمتك) باعتقاد قلبك وعمل جوارحك وثناء لسانك ومحاماته وتأويل ما يحتمل الخطاء (للصالحين) من اهل الخصوص والعموم والصالح كل من لم يتحقق فسقه وعصيانه ولا عبرة بالشك والظان السوء من اول وهلة فاسق وكذا المتجسس والقاصد فضيحة

Marfat.com

اخيه والذى يحب ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ولا عبرة بافوالهم وشهاداتهم شرعا
وقال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس ولم ازل
ابدا الحمد لله اجاهد الفقها فى حق الفقراء السادة حق الجهاد واذب عنهم واحمى وبهذا
فتح لى ومن تعرض لذمهم ولاخذ فيهم على التعيين فانه لاخفاء بجهله ولايفلح ابدا
اه وقد احترز بقوله على التعيين من الاخذ فيهم على طريقة العموم من غير تخصيص
احد منهم بعينه تنبيها على النوع الفاسد منهم من غير خصوصه ليعلم المكلف ان فيهم
الدخيل فيتحذر ويكون على يقظة كما هو عادة غالب الفقهاء المتقدمين ومنهم المصنف
لهذا الكتاب رحمه الله تعالى بخلاف فقهاء زماننا الذين يأخذون الكلام العام الصادر
من الاولين ويخصصون به فقراء زمانهم ويحكمون فيهم بظنونهم السيئة ولهذا قال
فيمن يفعل كذلك فانه لاخفاء بجهله ولايفلح ابدا اه (ونصيحتك لاخوانك)
المسلمين بتبيين ما يصلح عقائدهم واقوالهم وافعالهم واحوالهم على طبق السنة من غير
تخصيص احد بعينه مخافة احتمال فهمه انه بخلاف ذلك فيأذى واقتفاء لاثر الكتاب
والسنة فى كيفية ذلك البيان (ومحبتك لاصحابى) كلهم من غير طعن فى احد منهم
مع السكوت عما وقع بينهم من الحروب والمخاصمات والقطع بان ذلك كله اجتهاد منهم
فى الدين مثابون عليه وان اخطأ بعضهم فيه (و) محبتك (لاهل بيتى) اى ذريتى
واقربائى من اولاد فاطمة وعلى وجعفر وعقيل واولاد العباس وحمزة رضى الله عنهم
وقد سبق بيانهم (هو) اى مجموع ماذكر من الامور الاربعة اتباع السنة وخدمة
الصالحين ونصيحة الاخوان ومحبة الاصحاب واهل البيت (الذى بلغك) اى اوصلك
(منازل) جمع منزل وهو موضع النزول وهى الاحوال والمقامات التى تنزلها فى القرب
الالهى جملة (الابرار) جمع بر وهو الصادق فى معاملة الحق والخلق (وقال ابو سعيد)
احمد بن عيسى (الخراز) من اهل بغداد مات سنة سبع وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى
(كل) امر (باطن) اى من علم الباطن وهو علم الحقائق الالهية والمعارف الربانية
(يخالفه) امر (ظاهر) اى من الظاهر وهو علم الشرايع النبوية والاحكام المحمدية
(فهو) اى ذلك الامر الباطن شئ (باطل) لاعتبار له لانه وسوسة شيطانية وزخرفة
نفسانية حيث خالف الظاهر وهذه المخالفة لايعرفها غير اهل التحقيق فى علمى الظاهر
والباطن ولااعتبار بعلم القاصرين لها فانهم ربما ينكرون المعروف زعما منهم بانه مخالفة
خصوصا من لم يعرف اصطلاح الصوفية فى مواجيدهم واذواقهم (وقال) ابو عبد الله
(محمد بن الفضل البلخى) ساكن سمرقند بلخى الاصل اخرج منها فسكن سمرقند
ومات بها سنة تسع عشرة وثلاثمائة (ذهاب الاسلام) اى اضمحلال رسومه
واستتار انواره عن قلوب العاملين بحيث يبقى له اسم بلا رسم ويصير طبيعة بعد ان كان
شريعة فلا يحكم الرجل الا بما يستحسنه برأيه وعقله وينزك ما علمه من الشرع قائما

Marfat.com

بجهله وذلك عند تقهقر الزمان وانكار العلم الدافع على اهل الايمان (من اربعة امور) الاول انهم (لايعملون بمايعلمون) لانهم تعلموا العلم ليتميزوا به عن العوام ويحصلوا به الدنيا من حلال وحرام لالیعملوا به فهم جارون على مقتضى قصدهم فى ذلك والاسم علماء وافعالهم افعال الجهلاء بل افعال المستهزئين بربهم كأنهم علموا دينه ليحتجوا به عليه فتراهم يقعون فى الكبائر عمدا وهم معتقدون انه غفور رحيم وانه يسامحهم قطعا بسبب ماعلموه من دينه فيزدادون مقتا على مقت وغضبا على غضب وهم لايشعرون الاباتهم محسنون (و) الثانى انهم (يعملون) فى اعتقاداتهم وعباداتهم ومعاملاتهم اوفى بعضها (بمالايعلمون) من احكام الله تعالى فيها فيتبعون عقولهم وماادى اليه رأيهم واستحسنته نفوسهم ويأمرون بذلك غيرهم ويحاربون عليه من خالفهم وهم يعتقدون ان ماهم فيه هوالصواب ويرجون من الله تعالى عليه غاية الثواب (و) الثالث انهم (لايتعلمون) من المشايخ اوالكتب (مايعملون) به من الاعتقادات والاقوال والافعال والاحوال وليس لهم خلوص سريرة ولاصفاء بصيرة حتى يتولى الله تعالى تعليمهم ويوفقهم لما يحبه منهم ويرضاه لهم ولايحوجهم الى الشيخ ولا الكتاب كما قال تعالى *الرحمن علم القرآن وقال الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقال واتقوا الله ويعلمكم الله*ولكن بواطنهم مملوءة من الاخباث والادناس وظواهرهم مزخرفة بانواع اللباس لايقدر المؤمن ان ينظر فى وجوههم من قبح نياتهم وسوء طوياتهم يتقلب الواحد منهم فى اليوم والليلة الف مرة ليس لاحدهم صديق يثق به لاغتيابه له فى غيابه ولاعدو يحذر منه لمداهنته له فى حضوره (و) الرابع ان (الناس) المضمر ذكرهم فى الثلاثة الاول (من التعلم) للعلم النافع فى الدنيا بمعرفة كيفية العمل الصالح الخالى من البدعة وفى الآخرة بالنجاة من النيران والخلود فى دار الجنان ورؤية الرب تعالى بالمشاهدة والعيان مع الذين انعم الله عليهم من اهل الايمان (يمنعون) كل من قدروا على منعه بتخويفه من العلم النافع اوممن يعلمه ذلك او بتزيين العلم المضر فى الدنيا والآخرة ترويجا لسلعتهم الكاسدة فى الدنيا وتلبيسا لطريق المتقين حب العاجلة ورغبة فى الحاضرة الحاصلة فيحتقرون العلوم الشرعية ويعظمون الفشارات العقلية وهم غالب اهل زماننا هذا من غير تعيين والله اعلم بالظالمين ثم قال المصنف رحمه الله تعالى (كل ماذكر) اى ذكره هو (من) ابتداء (كلام سيد الطائفة) الصوفية الجنيد البغدادى رضى الله عنه على حسب ماتقدم (الى هنا نقول) كله بحروفه من رسالة الشيخ الامام العارف بالله تعالى عبد الكريم بن هوازن (القشيرى) رحمه الله تعالى وهى رسالة كتبها الى جماعة الصوفية ببلدان الاسلام فى سنة سبع وثلاثين واربعمائة (انظر) بعين الانصاف واترك التعصب والاعتساف يا (ايها العاقل الطالب للحق) ليعرفه ويعمل به (ان هؤلاء) السادة المذكورين وهم الجنيد والسرى وابو يزيد وابو سليمان الدارانى

Marfat.com

وذوالنون المصرى وبشرالحافى وابوسعيد الخراز ومحمد بن الفضل كلهم (عظماء) جمع عظيم مضاف الى (مشايخ) جمع شيخ مضاف الى (علماء) جمع عالم مضاف الى (الطريقة) وهى طريقة السادة الصوفية اهل العلم والعمل المؤسسة على الكتاب والسنة (وكبراء) جمع كبير مضاف الى (ارباب) جمع رب بمعنى صاحب (السلوك الى الله تعالى) على الكشف والعيان فى مقام الاحسان (و) ارباب (الحقيقة) وهى مشاهدة الربوبية فى افعال العبودية وارتفاع الحجاب مع القيام فى الاسباب (وكلهم يعظمون الشريعة المحمدية) والطريقة المصطفوية بظواهرهم وبواطنهم وكيف وهم ماوصلوا الى مقاماتهم العالية ودرجاتهم السامية الا بذلك التعظيم والسلوك على هذا المسلك المستقيم ولم ينقل عن احد منهم ولاعن غيرهم من السادة الصوفية الكاملين انه احتقر شيئا من احكام الشريعة المطهرة ولا امتنع من قبوله بل كلهم مسلمون له مؤمنون به عالمون له عاملون به ومن طعن فى احد منهم فانما طعن لقصور باعه فى العلم عن معرفة مقام القوم والقاصر معذور بالجهل والقصور والله عليم بذات الصدور (ويبنون علومهم الباطنة) المفاضة عليهم بالفتح الربانى والالهام الرحمانى فى معانى القرآن العظيم والسنة النبوية مما هو مذكور فى كتبهم النافعة ومصنفاتهم الرافعة (على السيرة) اى الطريقة (الاحمدية) المنسوبة الى نبينا احمد صلى الله عليه وسلم (والملة الحنيفية) اى المائلة عن الباطل الى الحق وهى ملة الاسلام وحاشاهم ان تخالف علومهم المذكورة لشئ من ذلك عند كل عارف وسالك بخلاف مايدعيه الجاهل المغرور فيقتحم به المالك من المخالفة لعدم العلم والذوق والسلوك على هذه المسالك (فلا يغرنك) حيث علمت تمسك القوم بالشرايع وتقربهم الى الله تعالى باقرب الذرايع (طامات) جمع طامة من طم الماء طما وطموما غمر والاناء ملأه والشئ كثر حتى علا وغلب والطامة الداهية تغلب ماسواها كذا فى القاموس والمراد هنا الامور المضرة فى الدين من افعال (الجهال المتنسكين) اى المتعبدين بلاعلم ولا معرفة (وشطحهم) اى تجاوزتهم الحدود الشرعية عن قصد منهم (الفاسدين) نعت للجهال وفسادهم باعتبار اعتقادهم ماليس بحق من امور الدين جهلا منهم بعقائد اهل السنة وقولهم مايخالف الشريعة وعملهم الاعمال الباطلة من جهلهم المركب وتخيلهم فى انفسهم انهم على هدى ورشاد (المفسدين) لمن تابعهم من العوام على غير بصيرة (الضالين) اى المتحيرين فى معرفة الحق المبين (المضلين) المحيرين فى معرفة ذلك (لغيرهم) من الناس (بعد) متعلق بالمضلين (ان كانوا) قبل ان يضلوا غيرهم (زائغين) اى مائلين (عن الشرع القويم) الى الدين الباطل والمذهب العاطل (ومائلين عن الصراط) اى الطريق الواضح (المستقيم) الى صراط الجحيم (خارجين) بظواهرهم وبواطنهم (عن مناهج) جمع منهج وهو الطريق الواضح (علماء الشريعة) المحمدية

﴿ لتمسكهم ﴾

Marfat.com

لتمسكهم باحكام عقولهم الضعيفة وآرائهم السخيفة و علماء الشريعة يتمسكون باحكام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة المهديين وتعميم الدليل بحكم القياس. فى الثابت باليقين (ومارقين) اى متجاوزين (عن مسالك) اى طرق (مشايخ الطريقة) النبوية والسيرة الاحمدية لاعراضهم عن التأدب بآداب الشريعة وتركهم الدخول فى حصونها المنيعة فهم كافرون بانكارها مدعون الاستنارة بانوارها ومشايخ الطريقة قائمون بالآداب الشرعية معتقدون تعظيم احكام الله تعالى على كافة البرية ولهذا تحفهم الله تعالى بالكمالات القدسية فى المقامات الانسية وهؤلاء لمغرورون بالفشار اللابسون حلة العار الذين هم مسلمون فى الظاهر واذا حققتهم فهم كفار لم يزالوا معتكفين على اصنام الاوهام مفتونين بما يلقى لهم الشيطان من الوساوس فى الافهام (فالويل) وهو حلول الشر وكلمة عذاب وواد فى جهنم كذا فى القاموس (كل الويل لهم) حيث كانوا فى هذه المثابة مصرين على هذه الحالة لايعلمون انها سوء ليرجعوا عنها ولا يخطر لهم انهم جاهلون ليقبلوا تعليم الغير لهم ماينفرهم منها (و) الويل كل الويل ايضا (لمن تبعهم) فى حالتهم القبيحة وسيرتهم التى هى فى الدنيا والآخرة فضيحة (او حسن) بالتشديد اى حكم بانه حسن اغترارا بهم وافتتانا بحالهم (امرهم) اى شأنهم الذى هم عليه مما تقدم بيانه (فهم) اى هؤلاء المذكورون واتباعهم ولذين حسنوا امرهم كلهم (قطاع طريق الله تعالى على العابدين) لله تعالى بحيث يمنعون من اراد سلوك طريق العبادة والطاعة والاخلاص والورع باقوالهم المزخرفة واعمالهم المتعجرفة واحوالهم المنكوسة وآرائهم المعكوسة (يلبسون) اى يخلطون من لبس عليه الامر يلبسه خلطه كذا فى القاموس (الحق) فى كل امر من امور الاسلام (بالباطل) لانكارهم شرايع الاحكام وجحودهم ما اشتمل عليه الدين من الحلال والحرام (ويكتمون الحق) الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى الى كافة المكلفين (وهم يعلمون) انه الحق المبين غير انهم قصدوا تسهيل الامر عليهم والفوا نسبة الكمال اليهم مع ماهم فيه من سخافة العقول واضاعة الفروع و لاصول واعلم ان هؤلاء المذكورين هنا لم يعينهم المصنف رحمه الله تعالى فى طائفة مخصوصين باعيانهم وانما نبه على من هذا وصفهم فلا يلزم ان يكونوا موجودين بالنسبة الى زماننا هذا وبلادنا هذه ولا يلزم عدم وجودهم ايضا فالواجب علينا ان لانسئ الظن باحد من الناس بعينه ونؤول الاقوال والاعمال لاخواننا المسلمين سترا عليهم ولا نتجسس عن عوراتهم ونتصحهم على العموم من غير ان نظن فيهم ماذكره لهم فضلا عن التصريح لهم بانه فيهم ونتبع فى ذلك طريقة الله ورسوله فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والله يعلم المفسد من المصلح ونخالف ما اصطلح عليه علماء هذا الزمان ووعاظهم من تخصيص الناس بالقاعد فى الكلام وتقريعهم

Marfat.com

وتوبيخهم وفضيحتهم على رؤس الانام مع التجسس والظنون السيئة فى الخاص والعام واعتقادهم كل ذلك طاعة وهو من اقبح الآثام ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وهو بكل شئ عليم وفى شرح اليوسفية للشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه قال ولقد رأيت والله اعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم او بعض المعصومين فقال لى اتدرى بم نلت ما نلت من الله قلت له لا قال باحترامك لمن يدعى انه من اهل الله سواء كان ذلك فى نفس الامر كما ادعاه ام لا فراعى الله لك ذلك وشكره منك فاعطاك ماقد علمت وذكر ايضا قال ولله رجال ونساء جبلهم الله على الخير المحض فلا يرون احدا الا ويحسنون الظن به بل ما يخطر لهم فيه خاطر ردئ وهذه قلوب قد خبأها الله للخير المحض فهم ينتفعون بكل احد فمن وجد ذلك من نفسه فليشكر الله على ما منحه جعلنا الله واخواننا ممن سلم من الوقوع فى اولیائه بل من الوقوع فى عامة المسلمين بمنه وكرمه ﴿ الفصل الثالث ﴾ تمام الفصول الثلاثة التى اشتمل عليها الباب الاول من ابواب الكتاب الثلاثة (فى) بيان (الاقتصاد) وهو ضد الافراط ومعناه التوسط من غير تكثير ولا تقصير (فى العمل) بالجوارح والاعضاء لانواع العبادات وعليه ادلة من الكتاب والسنة اما من الكتاب فهو (الآيات) جمع آية والمذكور منها هنا سبع آيات *الآية الاولى من سورة البقرة وهى قوله تعالى (يريد الله بكم) يامعشر المكلفين (اليسر) وهو السهولة يقال تيسر هذا الامر اذا سهل ولان ذكره الواحدى وقال الخازن اى التسهيل فى هذه العبادة وهى اباحة الفطر للمسافر والمريض وفى تفسير البغوى قال الشعبى ما خير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احبهما الى الله عزوجل (ولا يريد بكم العسر) اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر قاله البيضاوى وقال الواحدى لانه لم يشد. ولم يضيق عليكم قال الشعبى اذا اختلف عليك امران فأن ايسرهما اقربهما الى الحق لان الله تعالى يقول يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان رجلا فى المسجد يطيل الصلاة فاتاه فاخذ بمنكبيه ثم قال ان الله رضى لهذه الامة اليسر وكره لهم العسر قالها ثلاث مرات وان هذا اخذ بالعسر وترك اليسر * الآية الثانية من سورة النساء وهى قوله تعالى (يريد الله ان يخفف عنكم) فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق قاله البيضاوى وقال البغوى يسهل عليكم فى احكام الشرع وقد سهل وقد قال جل ذكره ويضع عنهم اصرهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة وقال الواحدى يخفف عنكم فى احكام الشرع وفى جميع مايسره لنا وسهله علينا ولم يثقل التكليف كما ثقل على بنى اسرائيل وقال الخازن يعنى يسهل عليكم احكام الشرايع فهو عام فى كل احكام الشرع وجميع مايسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا واطفا علينا وقال ابو عبد الرحمن السلمى يخفف

Marfat.com

عنكم اثقال العبودية لعلمه بضعفكم وجهلكم وقيل يريد الله ان يخفف عنكم ما حملتموه بجهلكم من عظيم الامانة (وخلق الانسان) اى جنسه من ذكر وانثى (ضعيفا) قال ابن عباس والاكثرون يضعف عن الصبر عن الجماع ولا يصبر عن النساء ولا يكون الانسان فى شئ اضعف منه فى امر النساء لا يصبر عنهن فلذلك اباح له نكاح الامة اى يستميله هواه وشهوته فهو ضعيف فى ذلك قاله الواحدى وقال الحسن هو انه خلقه من ماء مهين بيانه قوله تعالى * الله الذى خلقكم من ضعف * ذكره البغوى وقال البيضاوى لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمان آيات فى سورة النساء خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث يعنى قوله تعالى قبل هذه الآية يريد الله ليبين لكم وقوله والله يريد ان يتوب عليكم وقوله يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوء ما يفعل الله بعذابكم وقال ابو عبد الرحمن السلمى قيل ضعيف ارأى ضعيف العقل الامن ايد بنور اليقين فقوته باليقين لا بنفسه * الآية الثالثة من سورة المائدة وهى قوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعنى من ضيق فى الدين ولكنه جعله واسعا قاله الواحدى * الآية الرابعة من سورة المائدة ايضا وهى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم) الطيبات اى اللذيذات التى تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب قال المفسرون هم قوم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عزموا ان يرفضوا الدنيا ويحرموا على انفسهم المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وان يصوموا النهار ويقوموا الليل ويخصوا انفسهم فانزل الله تعالى هذه الآية واعلم ان الطيبات لا ينبغى ان تجتنب قاله الواحدى (ولا تعتدوا) يعنى لا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف فى الطيبات قاله الخازن وقال الواحدى وسمى الخصاء اعتداء فقال ولا تعتدوا اى لا تجبوا انفسكم قال ابن عباس كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء فقلنا له الا نستخصى فنهانا عن ذلك ثم قرأ هذه الآية (ان الله لا يحب المعتدين) يعنى المتجاوزين الحلال الى الحرام ذكره الخازن وقال البيضاوى كأنه لما تضمن ما قبله يعنى من آية طعمهم فى الدخول مع القوم الصالحين وغير ذلك من مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهى عن الافراط فى ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم وداعية الى القصد بينهما * الآية الخامسة من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده) يعنى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التى خلقها لعباده ان تتزينوا بها وتلبسوها فى الطواف وغيره ثم فى تفسير الآية قولان

Marfat.com

احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذى يستر العورة والقول الثانى ذكر الرازى انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلى ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخل فى هذا العموم ولكن ورد النص بالتحريم على الرجال دون النساء (والطيبات من الرزق) يعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التى اخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا فى معنى الطيبات فى هذه الآية اقوالا احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذى كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم والقول الثانى وهو قول ابن عباس وقتادة ان المراد بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن عباس ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون اشياء احلها الله من الرزق وغيره وهو قول الله سبحانه *قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا * فانزل الله قل من حرم * الآية والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه كذا قاله الخازن وفى هذا دلالة واضحة على اباحة نحو القهوة والتتن مما تستلذه بعض الطباع وتجد له نفعا وليس هو من المسكرات لها ولیس فى حرمته نص آية ولا حديث ولا قياس على ثابت باحدهما وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم وقال البيضاوى قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التى اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار (قل هى للذين امنوا فى الحياة الدنيا) بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع (خالصة يوم القيامة) لايشاركهم فيها غيرهم وقال الواحدى المعنى قل هى للذين امنوا فى الحياة الدنيا مشتركة وهى لهم فى الآخرة خالصة وهذا قول ابن عباس والمفسرين شارك المسلمين المشركون فى الطيبات فى الحياة الدنيا فاكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نسائها ثم يخلص الله الطيبات فى الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شئ وقرأ نافع خالصة والمعنى قل هى ثابتة للمؤمنين فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال الخازن وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم فى الحياة الدنيا فى تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فاعلمهم انها خالصة لهم فى الآخرة من ذلك كله (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قاله البيضاوى وقال الخازن يعنى كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا انى انا الله وحدى لاشريك لى فاحلوا حلالى وحرموا حرامى * الاية السادسة من اول السورة وهى قوله تعالى (طٰهٰ) اختلف فى تفسيرها

Marfat.com

فقال اهل اللغة هى من فواتح السور نحو حم والم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع رجلا ووضع اخرى فانزل الله تعالى طه اى طأ الارض بقد ميك جميعا وقوله (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) اى لتصلى على احدى رجليك فيشتد عليك وقيل طه لغة بالعجمية معناه يارجل قاله الزجاج وقال الخازن قيل طه قسم اقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى وقيل معناه يارجل والمراد به النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا تكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك يريد به فى التهجد وذلك لما نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله فانزل الله هذه الآية وامره ان يخفف على نفسه فقال *طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى * وقيل لما رأى المشركون اجتهاده فى العبادة قالوا ما انزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعنى وتتعب وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى فى حقائق القرآن طه طأ الارض هديت لبساط القربة والانس وقال الواسطى هو مستخرج من الطاهر الهادى اى انت طاهر بنا هادى الينا وقال محمد بن عيسى الهاشمى طوى عن سر محمد صلى الله عليه وسلم الاكوان كلها بما فيها وهدى الى اه شتغال بمكونها وقال محمد بن على الترمذى اى طوبى لمن اهتدى بك وجعلك السبيل الينا وقال الواسطى سمى القرآن قرآنا لانه مقارن للمتكلم به لا يفارقه تعظيما لشأن القرآن كما وصل الينا شعاع الشمس وحرارتها ولم تبن القرص وقال ابن عطاء ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعب فى خدمتنا فكان جوابه من النبى صلى الله عليه وسلم زيادة تعبد واجتهاد حتى تورمت قدماه كأنه يقول وهل يشقى احد فى خدمتك ويتعب احد وهى محل استرواح العارفين فاما هذه الحركات فهى القيام بشكر ما نالنى من لذيذ قربك ومناجاتك وخدمتك والدنو منك الاتراه عليه السلام لما قيل له اتفعل هذا وقد غفر الله كل ما تقدم من ذنبك وما تأخر قاله افلا اكون عبدا شكورا * لاية السابعة من سورة الحج وهى قوله تعالى (وما جعل) اى الله تعالى (عليكم فى الدين من حرج) اى من ضيق جعل الله تعالى على من لم يستطع الشئ الذى يثقل فى وقت ما هو اخف منه فجعل للصائم الافطار فى السفر وتقصير الصلاة وللمصلى اذا لم يطق القيام ان يصلى قاعدا وان لم يطق القعود ان يومى وجعل للرجل ان يتزوج اربعا وجميع ما ملكته يمينه فوسع الله تعالى ذلك قاله الزجاج وقال الواحدى من حرج قالوا جميعا من ضيق واختلفوا فى وجه رفع الحرج فروى عن ابن عباس انه قال جعل الكفارات محاية من اذنب ذنبا جعل له منه مخرجا اما بالتوبة او بالقصاص او برد المظالمة

Marfat.com

اوبنوع كفارة فلم يبتلى المؤمن بشئ من الذنوب الاجعل له منه مخرج وهذا رواية الزهرى عنه وروى عنه قول آخر قال هذا فى هلال شهر رمضان اذا شك فيه الناس وفى الحج اذا شكوا فى الهلال وفى الفطر واشباهه حتى يتيقنوا وعلى هذا رفع الحرج يعود الى انا امرنا بالاخذ باليقين عند الاشتباه وروى عن ابى هريرة انه قال لابن عباس اما علينا فى الدين من حرج ان نسرق او نزنى قال بلى قوله وماجعل عليكم فى الدين من حرج قال ذلك الامر الذى كان على بنى اسرائيل وضعه الله عنكم وقال مقاتل بن حيان يعنى اباحة الرخص عند الضرورات كالقصر فى الصلاة والتيمم وكل الميتة والافطار عند المرض والسفر وهو قول الكلبى وقال الخازن من حرج اى ضيق وشدة وهو ان المؤمن لايبتلى بشئ من الذنوب الاجعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس فى دين الاسلام مالايجد العبد سبيلا الى الخلاص منه من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما احدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وماجعل عليهم فى الدين من حرج وقال البيضاوى من حرج اى ضيق بتكليف مايشتد به القيام عليكم اشارة الى انه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم فى تركه اوالى الرجعة فى اغفال ماامرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واما الادلة من السنة فهى (الاخبار) جمع خبر وهى عشرة احاديث* الاول (خم) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحهما باسناد هما (عن انس رضى الله عنه انه قال جاء رهط) هم من ثلاثة اوسبعة الى عشرة اومادون العشرة ومافيهم امرأة ولا واحد له من لفظه وجمعه ارهط واراهط وارهاط وارا هيط كذا فى القاموس (الى بيوت ازواج النبى صلى الله عليه وسلم) يعنى زوجاته فالزوج اسم للمرأة وللرجل قال فى القاموس الزوج البعل والزوجة (يسألون) من ازواجه صلى الله عليه وسلم (عن) كيفية (عبادة النبى صلى الله عليه وسلم) الزائدة على مايعلمونه منه عليه السلام مما يفعله فى بيته ليلا اونهارا اذلا يطلع على سر الرجل فى الغالب الا زوجته (فلما اخبروا) بالبناء للمفعول اى اخبرتهم زوجاته عليه السلام عما سألوا (كأنهم تقالوها) اى اشبهت حالتهم حالة من رآها قليلة وقللها بعضهم لبعض وكانوا يعهدون انها كثيرة مبالغ فيها على حسب ماتدعوا اليه عقولهم وتستحسنه* نفوسهم من اعتقاد الكمال فى الاكثار وحسن التشديد على النفوس فى رأيهم ثم بعد ذلك اعتذروا عن قلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث (قالوا) بان قال بعضهم الى بعض (فاين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى لاتقاس نفوسنا الغير المعصومة على نفسه المعصومة ولانعامل ربنا فى عباداته مع قصورنا مقدار مايعامل هو ربه مع كماله وكيف نفعل ذلك (و) الحال انه (قد غفر) بالبناء للمفعول اى غفر الله تعالى بمعنى ستر

Marfat.com

وتجاوز (له) اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ما) اى جميع الذى (تقدم) فى ابتداء عمره صلى الله عليه وسلم (من ذنبه وما) اى الذى (تأخر) منه اى جنس ذنبه الذى صدر منه بالنظر الى رفعة مقامه صلى الله عليه وسلم وانكشاف عظمة الله تعالى له وهو قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين والا فالانبياء كلهم عليهم السلام معصومون من الذنوب قبل النبوة وبعدها كما سيأتى تحقيقه (قال احدهم) اى واحد منهم (اما انا فاصلى) النوافل (الليل) كله (ابدا) اى مدة عمرى (وقال الآخر) منهم (وانا اصوم) الصوم النفل (الدهر كله) اى مدة عمرى (ولا افطر) ولا يوما (وقال الآخر وانا اعتزل النساء) فلا ابيت معهن واحفظ نفسى من اشتهائهن ولميل اليهن (ولا اتزوج) شيئا منهن حرائر واماء (ابدا) اى مدة عمرى (فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال) لهم معاتبا على ما صدر منهم (انتم الذين قلتم كذا وكذا) كناية عما سبق من قولهم ثم لم ينتظر جوابهم مسارعة لبيان الحق فقال مؤكدا بالقسم (اما) بفتح الهمزة وتخفيف الميم (والله انى لاخشاكم) اى اكثركم خشية (لله تعالى) والخشية تبع للعلم كما قال تعالى *انما يخشى الله من عباده العلماء* يعنى العلماء به والنبى صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق بالله فهو اخشاهم له تعالى (واتقاكم) اى اكثركم تقوى (له) سبحانه وتعالى يعنى فكيف تقولون مع ذلك بانى اقل اعمالا وادنى طاعات وتعتذرون عن ذلك بان الله تعالى غفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر فلم احتج الى كثرة ذلك وانتم لم يغفر الله تعالى لكم فتحتاجون الى الكثرة (ولكنى) فى مقابلة ما فهمتم من حالى واخطأتم فيه (اصوم) مرة (وافطر) مرة (وارقد) اى انام عن التهجد فى ليلة (واصلى) بعضا من الليل وارقد البعض الآخر ولا اصلى الليل كله يدل عليه قول عائشة رضى الله عنها كان عليه السلام ينام اول الليل ويقوم آخره فيصلى ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضأ وخرج رواه الشيخان وقالت ايضا كان عليه السلام ربما اغتسل فى اول الليل وربما اغتسل فى آخره وربما اوتر فى اول الليل وربما اوتر فى آخره وربما جهر بالقراءة وربما

Marfat.com

خفض وقالت ام سلمة كان يصلى وينام قدر ماصلى حتى يصبح رواه ابو داود والترمذى والنسائى (واتزوج) اى اعقد وربما يراد الوطئ فيشمل الامة (النساء) وهى النسوة بالكسر والضم والنسوان والنسون بكسرهن جموع المرأة من غير لفظها كذا فى القاموس وكانت نساؤه صلى الله عليه وسلم اللواتى تزوج بهن احدى عشرة امرأة ستا من قريش خديجة بنت خويلد وعائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وام حبيبة بنت ابى سفيان وام سلمة بنت ابى امية وسودة بنت زمعة واربع عربيات زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة الهلالية ام المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية وواحدة غير عربية من بنى اسرائيل هى صفية بنت حيى من بنى النضر ومات عنده اثنتان منهن خديجة وزينب ام المساكين ومات هو صلى الله عليه وسلم عن تسع واما سراريه صلى الله عليه وسلم فاربعة مارية القبطية وريحانة بنت شمعون واخرى وهبتها له زينب بنت جحش واخرى اصابها فى بعض السبى وتمامه مبسوط فى لمواهب اللدنية للقسطلانى (فمن رغب) اى اعرض (عن سنتى) يقال رغب عنه اذا اعرض عنه ولم يرده والسنة السيرة والطريقة (فليس) محسوبا (منى) يعنى انا برئ منه (وزاد) الراوى لهذا الحديث (فى رواية) اخرى عند (النسائى وقال بعضهم) اى بعض الرهط الذين جاؤا الى ازواج النبى صلى الله عليه وسلم يسئلون عن كيفية عبادته عليه السلام اخذا عن فم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا اكل اللحم) اى لحم الحيوانات مطلقا قال المناوى فى شرح الجامع الصغير قال الغزالى وينبغى ان لايواظب على اكل اللحم قال على كرم وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وفى تفسير البغوى عند قوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم * قال اهل التفسير ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الناس ووصف القيامة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان ابن مظعون الجمحى وهم ابو بكر الصديق وعلى بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابوذر الغفارى وسالم مولى ابى حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولايناموا على الفراش ولايأكلوا اللحم والودك ولايقربوا النساء والطيب ويسيحوا فى الارض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته ام حكيم بنت ابى امية واسمها الحولاء وكانت عطارة احق مابلغنى عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدى على زوجها فقالت يارسول الله ان كان اخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عثمان اخبرته بذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم اتفقتم

Marfat.com

على كذا وكذا قالوا بلى يارسول الله وما اردنا الا الخير فقال عليه السلام انى لم اومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم ثم قال مابال اقوام حرموا النسا والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما انى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما اهلك من كان من قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فانزل الله عزوجل هذه الآية وعن سعد ابن مسعود ان عثمان بن مظعون اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ائذن لنا فى الاختصاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصى ولا من اختصى ان خصاء امتى الصيام فقال يارسول الله ائذن لنا فى السياحة فقال ان سياحة امتى الجهاد فى سبيل الله قال يارسول الله ائذن لنا فى الترهب فقال ان ترهب امتى الجلوس فى المساجد انتظار الصلاة وروى عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا قال يارسول الله انى اصبت من اللحم فانتشرت فاخذنى شهوة فحرمت اللحم فانزل الله *يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم *يعنى اللذات التى تشتهيها النفوس مما احل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وقال ابو محمد الخازن فاعلم الله عزوجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ماعزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغى ان تجتنب الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شئ احله الله فقد كفر اما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله تعالى والتفرغ لعباداته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير فضيلة لا منع منها بل مأمور بها *الحديث الثانى (خم) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسنادهما (عن عائشة رضى الله عنها انه) اى الشان (صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا) لعله من المآكل اللذيذة صنع له باذنه اوغير ذلك من انواع المباحات ولم ينص عليه لعدم تعلق حكم بخصوصه اولقصد التعميم فى كل مباح (فرخص فيه) اى حكم بالرخصة وعدم الحرج على احد بتعاطيه (فتنزه) اى تباعد وامتنع (عنه) فلم يرغب فيه (قوم) من الصحابة رضى الله عنهم ايثارا للزهد فى الدنيا وكفا لانفسهم عن تناول شهواتها مخافة ان تبغى عليهم نفوسهم فى الاسترسال مع المباحات فلا يقدرون على منعها فتوقعهم فى المحرمات وعلمهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم محفوظ مغفور له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فلا يضره فعل شئ من ذلك فلا تقاس انفسهم على نفسه (فبلغ ذلك) التنزه الذى صدر منهم (النبى صلى الله عليه وسلم) فغضب غضبا شديدا فجمع الصحابة (فخطب)

Marfat.com

لهم فى لك (فحمدالله تعالى) كما هوعادته صلى الله عليه وسلم فى خطبه (ثم قال بعد ذلك (مابال اقوام) استفهام انكار والبال الحال يعنى اى شئ حال اقوام نكرهم سترا عليهم حتى لا يفتضحوا عند غيرهم فيصيروا مذمومين بذوا تهم والمقصود ذم صفاتهم لاذواتهم (يتنزهون) اى يتباعدون و يمتنعون (عن) معاطاة (الشئ الذى اصنعه) ولايقبلون على سنتى ويرغبون فى اتباعى (فوالله انى لاعلمهم) اى اكثر علما منهم (بالله) سبحانه وتعالى لكماله فى مقام النبوة والرسالة وفقد النبوة منهم اصلا (واشدهم) اى اكثرهم (له) تعالى (خشية) اذا العلم بالله سبب الخشية له فكلما كثرالعلم به كثرت الخشية له كما قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * وقال النووى فى شرح مسلم عند قوله صلى الله عليه وسلم فغضب حتى بان الغضب فى وجهه ثم قال مابال اقوام يرغبون عما رخص لى فيه فوالله لانا اعلمهم بالله و اشدهم له خشية فيه الحث على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم والنهى عن التعمق فى العبادة وذم التنزه عن المباح شكا فى اباحته وفيه الغضب عند انتهاك حرمات الشرع وان كان المنتهك متأولا باطلا وفيه حسن المعاشرة بارسال التعزير والانكار فى الجمع ولايعين فاعله فيقال مابال اقوام ونحوه وفيه ان القرب الى الله تعالى سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته واما قوله صلى الله عليه وسلم فوالله لانا اعلمهم بالله واشدهم له خشية فمعناه انهم يتوهمون ان رغبتهم عما فعلت اقرب لهم عندى وان فعلى خلاف ذلك وليس كما توهموا بل انا اعلمهم بالله واشدهم له خشية وانما يكون القرب اليه سبحانه وتعالى والخشية على حسب ما امر لابخيالات النفوس وتكلف اعمال لم يؤمر بها * الحديث الثالث (خ د) يعنى روى البخارى وابوداود فى صحيحيهما باسنادهما (عن ابى جحيفة انه) اى النبى (صلى الله عليه وسلم آخى) فعل ماض من الاخاء قال فى القاموس ولقد آخوت اخوة وآخيت وتآخيت وآخاه مواخاة واخاء واخاوة ووخاء اتخذته اودعته اخا (بين سلمان) الفارسى (و) بين (ابى الدرداء رضى الله عنهما فزار سلمان اباالدرداء فراى) سلمان (ام الدرداء) زوجة ابى الدرداء (مبتذلة) اى لابسة الثياب الخلقة قال فى القاموس مبذلة كمكنسة مالا يصان من الثياب كالبذلة بالكسر والثوب الخلق والمبتذل لابسه ومن يعمل عمل نفسه كالمتبذل (فقال لها ماشانك) اى لماذا انت لابسة الثياب العتيقة الخلقة ولم تلبسى الثياب الحسنة وتتزينى لابى الدرداء (فقالت) له (اخوك ابوالدرداء ليس له حاجة فى الدنيا) يعنى فلا يرغب فى شئ من الشهوات والزينة الظاهرة (فجاء ابوالدرداء) فوجد اخاه سلمان فى داره (فصنع له طعاما) ليضيفه به وقدمه اليه (فقال) ابوالدرداء (له) اى لسلمان (كل) يعنى من هذا الطعام وحدك (فانى صائم قال) سلمان (ما انا باكل) يعنى وحدى (حتى تأكل) معى (فاكل) ابوالدرداء معه مواساة لضيفه ومراعاة لحقوق الاكرام (فلما كان الليل)

﴿ وقد ﴾

Marfat.com

وقدبات سلمان فى دارابى الدرداء رضى الله عنهما (ذهب ابوالدرداء يقوم) يصلى بالليل متهجدا (فقال)له سلمان (نم فنام) وامتثل قوله ولم يخالفه محافظة على حقوق الاخوة معه (ثم ذهب) ابوالدرداء (يقوم) من الليل ايضا (فقال) له سلمان (نم فلما كان من آخر الليل) عند ثلث الليل الاخير (قال سلمان) لابى الدرداء (قم الآن) للصلاة (فقاما) يعنى سلمان وابا الدرداء رضى الله عنهما (فصليا)ما اقدرهما الله تعالى عليه من الصلاة ولعل اختيار هذا الوقت للقيام لما قال القرطبى فى شرح مسلم الساعة التى فى الليل وهى الساعة التى ينادى فيها المنادى من يسألنى فاعطيه الحديث وهى فى الثلث الاخير من الليل الى ان يطلع الفجر وفيها ينزل ربنا الى السماء الدنيا كذا صحت الرواية هنا وهى ظاهرة فى النزول المعنوى وتمامه هناك يعنى نزول العطف والاحسان والانعام والاكرام (فقال له) اى لابى الدرداء (سلمان ان لربك) الذى خلقك (عليك حقا) لازم الاداء وهو ان تعبده لاتشرك به شيئا على حسب ما امرك به وتكف عما نهاك عنه وقدم حق الله للاهتمام به (وان لنفسك) التى قيامك بسببها وهى مطيتك الحاملة لك الى الآخرة (عليك حقا) يلزمك اداؤه اذ من حق الراكب ان يحتفظ على مطيته التى تبلغه امانيه وحوائجه فى الدنيا والآخرة وقدمها على مابعدها لانها اهم منه اذ هى الاصل بالنسبة اليه وماقبلها اصلها (وان لاهلك) اى زوجاتك واولادك واقربائك اللواتى حسن معيشتك فى الدنيا بهن وانتظام حالك دائر عليهن وتسهيل سيرك الى آخرتك منوط بهن قال فى القاموس اهل الرجل عشيرته وذوو اقربائه وللبيت سكانه وللرجل زوجته كاهلته (عليك حقا) بالمبيت معهن وحسن القيام عليهن بالانفاق والحماية والرعاية وصلة الرحم والشفقة والرأفة (فاعط) وجوبا عليك شرعيا وعرفيا (كل ذى حق) من هذه الثلاثة (حقه) الذى تعين فى ذمتك ولا تظلمه بمنعه حقه فيعاقبك الله تعالى يوم القيامة (فاتى) ابوالدرداء (النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك) اى الذى صنع سلمان وقوله الصادر منه (له) اى للنبى عليه السلام (فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدق سلمان) يعنى فى جميع ماصدر منه فى حقك وفى هذا الحديث حث الاخوان فى الدين على نصح بعضهم بعضا ووجوب اطاعة بعضهم بعضا فى الخير والهدى والانقياد الى الحق حيث كان وان الرجل الكبير اذا عرض عليه كلام من هو دونه وكان حقا فى نفسه يصدقه فيه ويصوبه ولا يابى قبوله ممن هو دونه وفيه الحث على مواخاة الاخوان الصالحين ومخالطتهم وجواز الدخول الى بيوتهم من غير اذنهم مع المحافظة على حرماتهم واموالهم وزوجاتهم واستحقاقهم الضيافة منهم اذا حضروا واجتمعوا بهم * الحديث الرابع (خ س) يعنى روى البخارى والنسائى فى صحيحيهما باسناده (عن انس رضى الله عنه) انه قال (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد) يعنى مسجد المدينة (فاذا حبل ممدود بين السار يتين)

Marfat.com

اى الاسطوانتين المعهودتين هناك فكأنهما معروفتان للمخاطب (فقال) النبى صلى الله عليه وسلم لمن حضر (ماهذا الحبل قالوا) اى الحاضرون (حبل لزينب) بنت جحش زوجة النبى صلى الله عليه وسلم يعنى ربطته بين السارتين فى المسجد لتستعين به على دفع النعاس عنها (فاذافترت) اى ضعفت عن قيام الليل وتراخت اعضاؤها من هجوم النوم عليها (تعلقت به) ساعة ليذهب عنها النعاس فتنشط للصلاة (فقال) النبى (صلى الله عليه وسلم لا) اى لاتفعل زينب هكذا (حلوه) اى ذلك الحبل بمعنى فكوا ربطه واطرحوه (ليصل احدكم) يعنى فى الليل (نشاطه) اى مقدار نشاطه ولا يكلف نفسه العبادة بالمشقة فى التهجد وغيره (فاذافتر) اى ضعف ووجد من نفسه ضد النشاط من العى والكسل (فليقعد) عن العبادة اى يتركها ومنه ذوالقعدة ويكسر شهر كانوا يقعدون فيه عن الاسفار اى يتركون وفى رياض الصالحين للنووى رحمه الله تعالى وعن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذانعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذاصلى وهوناعس لايدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه متفق عليه وعن ابى عبدالله جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال كنت اصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم قوله قصدا اى بين الطول والقصر اه ويناسب الاول ماقاله فقهاء الحنفية من انه اذاغلب عليه النوم تكره له التراويح كذا فى جامع الفتاوى والمجتبى والخانية بل ينصرف حتى يستيقظ لان فى الصلاة مع النوم تهاونا وغفلة وترك التدبر ذكره والدى رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر* الحديث الخامس (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن انس) بن مالك (رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتشددوا) اى تضيقوا الامر يامعشر المكلفين (على انفسكم)بارتكابكم العبادات المشقة المتعبة لكم بحيث توصلكم الى الملالة والكسل (فيشدد) اى يضيق الامر الذى ارتكبتموه والتزمتموه بشروعكم فيه (الله) تعالى (عليكم) لان الشروع فى النوافل ملزم بها وموجب لاتمامها كما قال تعالى ولاتبطلوا اعمالكم والتشديد على النفوس موصل للملالة والكسل وفى ذلك تشبه بالمنافقين كما قال تعالى فيهم* واذاقاموا الى الصلاة قاموا كسالى (فان قوما) من امة عيسى عليه السلام كانوا قبلكم (شددوا) اى ضيقوا امر العبادة (على انفسهم) بتكليفها المشقات والمتاعب (فشدد) بالبناء للمفعول اى شدد الله تعالى (عليهم) فالزمهم بما تكلفوه من ذلك بحيث صار النقصان منه بينهم تهاونا بطاعة الله تعالى وتكاسلا عنها (فتلك) يعنى الطائفة الموجودة الآن من النصارى (بقاياهم) اى بقايا الاولين (فى الصوامع) جمع صومعة قال فى القاموس صومعة كجوهرة بيت للنصارى (والديار) داروهى المحل يجمع البناء والعرصة كذا فى القاموس (رهبانية) هى المبالغة فى العبادة والرياضة

Marfat.com

والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت باضم كانها منسوبة الى الرهبان وهوجمع راهب كراكب وركبان قاله البيضاوى (ابتدعوها) اى اخترعوها قال الخازن والمعنى انهم جاؤا بها من قبل انفسهم وهى ترهبهم فى الجبال والكهوف والغيران والديرة فارين من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق فى العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى المطعم والمشرب والملبس بالتقلل من ذلك (ما كتبناها) اى ما فرضناها (عليهم) روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منهما ثلاث وهلك سائرهن فرقة وزأت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازأة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانهم يدعوهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا فى البلاد ورهبوا وهم الذين قال الله عزوجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤ من بى فاولئك هم لها لكون وعن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى يا بن ام عبد هل تدرى من اين اخذت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصى فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء افنونا ولم يبق احد للذى ندعو اليه فتعالوا نتفرق فى الارض الى ان يبعث الله النبى الذى وعدنا به عيسى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا فى غبران الجبال * واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها فآتينا الذين امنوا منهم يعنى من ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يا بن ام عبد اتدرى ما رهبانية امتى قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروى انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو سمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما يريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسهم فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارقوا ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح فى الارض ونهيم ونشرب كما تشرب الوحش فان قدرتم علينا فى ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا فى الغياض ونحتفر الآبار

Marfat.com

ونجتذب البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبائل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخالف قوم من بعدهم ممن قد غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلان فيتعبد كما تعبد ويسيح كما ساح فلان ويتحدون كما اتحد فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم كذا نقله ابو محمد الخازن وذكر الواحدى فى تفسير هذه الآية بسنده عن الزهرى عن عروة قال دخلت امرأة عثمان بن مظعون على عائشة وهى باذة الهيئة فسألتها ما شأنك قالت زوجى يقوم الليل ويصوم النهار فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عائشة ذلك له فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فقال يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا فمالك فى اسوة فوالله ان اخشاكم لله واحفظكم لحدوده لانا* الحديث السادس (خم) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسنادهما (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين يسر) ضد العسر وهو السهولة يعنى سهلا لا صعوبة فيه ولهذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ابو بكر بن اسحق الكلاباذى فى كتابه بحر الفوائد وشرح الآثار عن ابى التياح قال سمعت انس بن مالك رضى الله عنه يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا فمعنى يسروا اى اصرفوا بوجوه الناس الى الله عز وجل فى الرغبة اليه وردوهم فى طلب الحوايج الى الله وداوهم فى جميع احوالهم على الله فان اليسر كله عند الله قال تعالى *يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال *ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولا تعسروا اى لا تردوهم الى المخلوقين فى طلب الحوايج منهم وقضائها من عندهم فانهم محتاجون الى مثل ما يحتاج اليهم فيه فكأنهم يتجاذبون شيئا بينهم كل يريده لنفسه فيعسر عليكم الوصول الى ما تتجاذبونه بينكم وقوله سكنوا تصديق لما قلنا لان السكون هو الطمأنية وقد قال تعالى *الا بذكر الله تطمئن القلوب *فلا يزال قلب المؤمن فى اضطراب فى نيل ما يرجوه ودرك ما يريده حتى يرده الى الله فهنالك يسكن اضطرابه ضرورة واختيارا وكذلك قوله ولا تنفروا اى لا تفرقوهم فى دلالتهم على غير الله وردهم الى سواه فتتفرق بهم المذاهب وتختلف عليهم المسالك والطرق فى طلب ما يريدونه فالتنافر فرقة والسكون جمع فكان معنى قوله يسروا اى ردوهم الى اليسر ولا تعسروا اى لا تردوهم الى العسر وسكنوا اى اجمعوهم ولا تنفروهم اى لا تفرقوهم قال النبى صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له شمله هذا فيمن اراد الدنيا والآخرة فما ظنك فيمن اراد بهما يدل على صحة هذا التأويل ما روى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار الذى هو ايسر ويجوز ان يكون معناه اختار الذى هو لله فانه اذا اختار ما اراد الله فقد اختار اليسر لان الله عز وجل يريد اليسر (ولن يشاد)

Marfat.com

من المشادة وهى التشدد اى المغالبة والمخاصمة (الدين) المعهود ذكرا (احد) من الامة (الاغلبه) اى قهره فمن شدد على نفسه فيه لم يأخذ منه بحظ وافر طال عليه المدى فرجع الى السهولة فغلبه الدين ولم يقدر هو ان يغلب الدين اصلا (فسددوا) سدده تسديدا قومه وسد الثلمة اصلحها ووثقها واستد استقام كذا فى القاموس فالمعنى قوموا اموركم واصلحوها ووثقوها (وقاربوا) من قارب الخطو دانا ه يعنى اجعلوا سيركم فى طريق الله تعالى وسبيل عبادته مقاربة ومداناة فلا تبالغوا فى ذلك ولا تغلوا فيه (وابشروا) يعنى بالقبول من الله تعالى وبالمنازل العالية عنده ولا تظنوا ان ذلك يحصل لكم بالمبالغة والغلو دون التوسط فى الامور (واستعينوا) على اعمال دينكم ودنياكم (بالغدوة) بالضم البكرة او ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداوة والغدية والجمع غدوات وغديات وغدايا وغدوا ولا يقال غدايا الا مع عشايا وغدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدا بكر وغادا باكره كذا فى القاموس (والروحة) من الرواح وهو العشى او من الزوال الى الليل ورحنا رواحا سرنا فيه او عملنا كذا فى القاموس وفى شرح المناوى على الجامع الصغير الغدوة بالفتح المرة من الغدو وهو الخروج اول النهار الى انتصافه والروحة المرة من الرواح وهو من الزوال الى الغروب (و) استعينوا ايضا (بشئ من الدلجة) بالضم والفتح السير من اول الليل وقد ادلجوا فان ساروا من آخره فادلجوا بالتشديد كذا فى القاموس والمعنى فى الاستعانة بذلك المبادرة الى الاعمال والمسارعة اليها والمسابقة عليها من غير تأخر عنها فى اعمال النهار ودون ذلك فى اعمال الليل ولهذا قال بشئ من الدلجة ولم يقل بالدلجة (وزاد) الراوى لهذا الحديث (فى رواية) اخرى (والقصد القصد) وهو ضد الافراط كالاقتصاد كما فى القاموس ومعناه التوسط فى الامور بين الافراط والتفريط (تبلغوا) اى تصلوا الى مقصودكم ومقصود الله تعالى منكم من قبوله ورضوانه والحلول فى فراديس جنانه وذكر الكلاباذى فى بحر الفوائد قال حدثنا محمد بن احمد القاضى عن عيسى عن جابر بن عبد الله قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على رجل يصلى على صخرة بمكة فاتى ناحية مكة فمكث مليا ثم انصرف فوجد الرجل يصلى على حاله فجمع يديه ثم قال يا ايها الناس عليكم بالقصد ثلاث مرات فان الله لا يمل حتى تملوا الملال تكره يعرض للانسان من عمل يعمله واذى يلحقه منه وتعب يصيبه فيصير عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل استثقالا ويرفضه تضجرا منه وسآمة له وهو شئ يعرض للطبع بعد ايثاره للشئ ورغبته فيه وهذه صفة الانسان المطبوع على طبايع مختلفة واوصاف متباينة واخلاق متغايرة والله جل وعز يجل عن هذه الاوصاف ويتعالى عنها علوا كبيرا فالملال ليس بصفة له ولا يجوز معناه المفهوم عندنا من اوصاف من يلحقه الملال من المحدثين عليه وهو صفة للانسان المطبوع الذى يضعف عن تحمل ما يعرض له وينقل عليه ويؤده الشئ ويؤذيه فمعنى قول

Marfat.com

النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا ليس على الغاية والتوقيت فيوصف تعالى بهذه الصفة في وقت اوعند امر بل هو على النفي عنه والتبرئة له منه فيجوز ان يكون معنى قوله حتى تملوا وتملوا بل تملوا اى لا يمل فتمل ولا يمل بل تملون كأنه يقول الملال لكم صفة وهذه صفة لاحقة بكم اذا تكلفتم الاعمال فاكرهتم عليها نفوسكم وتحملتم مايلحقكم من التعب فيه وصبرتم عليه فيوشك ان تضعف عنها قواكم فتستثقلوها وتضجروا منها فترفضوها استثقالا لها واستعراضا منها وزهدا فيها ورغبة عنها وبغضا لها فلا تعودوا اليها والله تعالى جده لا تصيبه هذه الآفات ولا تعرض له العوارض فلا يصرفكم عما تكلفون ولا ينهاكم عما تعملون ولا يحول بينكم وبينها كراهة لها واستثقالا منه اياها وبغضا لها بل يصيبكم ذلك فتتركون عبادة ربكم وتستثقلون خدمة مولاكم وتبغضون طاعة ربكم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى اى المركب المنبت بمعنى المنقطع من كثرة العدو عليه لا قطع الارض المقصود قطعها لبعد مسافتها ولا ابقى ظهره مستريحا قابلا للسير عليه بعد ذلك وهو مثل مضروب للمبالغ في العبادة لا يصل بكثرة عباداته الى غاية مقصوده ولا يقدر ان يدوم على السير كذلك بل ما آله ان يعجز ويترك من التعب والملل وقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالقصد كره التعمق والغلو في الدين لما علم من جبلة الخلق على الضعف ومافي طباعهم من الملالة ولسآمة خوفا عليهم ان يبغضوا عبادة الله ويستثقلوا طاعته ويملوا خدمته فامرهم بالاستجمام والاستراحة لاسترجاع القوى وزوال الضجر ويكون ذلك ادعى لهم الى حسن الطاعة لله ومحبة الخدمة له والف عبادته كما قال لكني اصوم وافطر واصلي وارقد وآتي النساء لا فمن رغب عن سنتي فليس مني الا وكل قليل في سنة خير من كثير في بدعة وقال عليه السلام لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان لله عليك حقا ولبدنك عليك حقا ولاهلك عليك حقا وكتب سلمان الى ابي الدرداء رضي الله عنهما اني انام واقوم فاحتسب نومتي كما احتسب قومتي فعدوا احتسب نومه طاعة لله وخدمة له كما احتسب قيامه وصلاته لان النوم حق البدن وقد اوجب الله تعالى هذا الحق فيفاؤه اياه طاعة لله ولان في نومته استجلاب القوة لقومته وتشحيذ الطباعه وحثا منه لنفسه على طاعة ربه وتحبيب عبادة الله الى نفسه لان الله جل وعز احب من عباده ان يحبوه ويؤثروه ويقبلوا عليه ولذلك كلفهم الاعمال ليشتغلوا بها عما دونه ويقبلوا بها عليه ويتوجهوا بدائها اليه فاذا تحملوا منها فوق طاقتهم ملوا فتركوها وفي تركها ترك الاقبال عليه والتوجه اليه جل وعز وهو غني عن افعال عباده لا تزيده طاعتهم ولا تنقصه معصيتهم وانما اراد منهم اظهار فقرهم اليه ورؤية اضطرارهم وعجزهم ليعينهم ويقويهم ويجعلهم ملوكا خالدين واغنياء لا يفتقرون واقوياء لا يضعفون سبحان اللطيف بعباده الرؤف

Marfat.com

بهم ويجوز ان يكون معنى قوله ان الله لا يمل حتى تملوا اى لا يترك ثوابكم والاقبال عليكم وقبولا لاعمالكم المدخولين فيها مالم تملوا طاعته وتستثقلوا خدمته وتبغضوا عبادته كأنه يقول الله عزوجل يقبل عليكم وان قصرتم فى عبادته ويقبل يسيرا عما لكم ويثيبكم عليها الجزيل مادمتم فيها راغبين ولها مريدين وبنياتكم اليها قاصدين وان لم تبلغوا ارادتكم فيها ومقاصدكم منها وانما يترك ثوابكم والاقبال عليكم والقبول لكم اذا اعرضتم عنها وملتموها *الحديث السابع (زطب حب) يعنى روى البزار والطبرانى وابن حبان باسنادهم (عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى عنه وعن ابيه العباس عم النبى عليه السلام (انه) اى ابن عباس (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله) سبحانه وتعالى (يحب ان تؤتى رخصه) جمع رخصة بضمه وبضمتين ما رخص الله للعبد فيما يخففه عليه كذا فى القاموس وفى التلويح الرخصة اسم لما بنى على اعذار العباد وهو ما يستباح مع قيام المحرم وذكر ابو اليسران الرخصة ترك المؤاخذة بالفعل مع قيام المحرم وحرمة الفعل وترك المؤاخذة بترك الفعل مع وجود الموجب والوجوب وفى الميزان ان الرخصة اسم لما يغير عن الامر الاصلى الى تخفيف وتيسير ترفيها وتوسعة على اصحاب الاعذار وفى مرآة الاصول شرح مرقاة الوصول قال فى الرخصة وهى لانواع اربعة نوعان من الحقيقة اى رخصة حقيقة لكن احدهما احق بكونه رخصة من الآخر ونوعان من المجاز اى يطلق عليهما اسم الرخصة مجازا لكن احدهما اتم فى المجازية من الآخر اى ابعد من حقيقة الرخصة قال فى المنار وشرحه لابن ملك اما احق نوعى الحقيقة فما استبيح مع قيام السبب المحرم وقيام الحرمة والمراد من الاستباحة ان يعامل معاملة المباح فى سقوط المؤاخذة لانه يصير مباحا فلا يلزم من سقوط المؤاخذة ثبوت الاباحة فان الكبيرة اذا عفيت عن مرتكبها لا تصير مباحة مع عدم المؤاخذة عليها وذلك كترخص من اكره بما يخاف على نفسه او على عضو منه على اجراء كلمة الكفر فانه رخص له الاجراء على اللسان وقلبه مطمئن بالايمان لان حقه فى نفسه يفوت عند الامتناع صورة ومعنى اما صورة فبخراب البنية واما معنى فبزهوق الروح والاقدام عليها لا يفوت حق الله تعالى معنى لان الركن الاصلى هو التصديق وكذلك اذا اكره الصائم على الافطار يباح له الافطار لانه اذا امتنع وقتل يفوت حقه صورة ومعنى واذا اقدم على الفطر يفوت حق الله تعالى صورة لانه يفوت الى بدل وهو القضاء فكان له رخصة فى الفطر رجحانا لحقه وكذلك اذا اكره على اتلاف مال الغير رخص له ذلك لرجحان حق نفسه وحق الغير لا يفوت لانجباره بالضمان وكذلك اذا خاف على نفسه رخص له ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لانه لو اقدم يفوت حقه صورة ومعنى ولو ترك يفوت حق الله تعالى صورة لا معنى لان اعتقاد

Marfat.com

حرمة الترك باق وكذلك جناية المكره المحرم على احرامه وتناول المضطر طعام الغير بان اصابته مخمصة حيث يرخص له ذلك بالضمان وحكم هذا النوع من الرخصة ان الاخذ بالعزيمة اولى لبقاء المحرم والحرمة حتى لو صبر واحتمل ما اكره به وامتنع عما هو الرخصة وقتل كان شهيدا لكونه باذلا نفسه لاقامة حق الله تعالى والنوع الثانى من الرخصة ما استبيح مع قيام السبب المحرم لكن الحكم وهو الحرمة متراخ عنه اى عن السبب الى زمان زوال العذر فمن حيث ان السبب قائم كانت الرخصة حقيقة ومن حيث ان الحكم متراخ غير ثابت فى الحال كان هذا القسم دون الاول وذلك كافطار المسافر مع قيام السبب وهو قوله تعالى *فمن شهد منكم الشهر فليصمه وحكم هذا النوع ان الاخذ بالعزيمة اولى لكمال سببه وهو شهود الشهر حتى كان الصوم فى السفر افضل من الافطار الا ان يضعفه الصوم يعنى اذا اضعفه الصوم كان الفطر اولى واو صبر حتى مات كان آثما لانه لو بذل نفسه لاقامة الصوم كان قاتلا نفسه من غير تحصيل المقصود بالصوم وهو الارتياض بخدمة المولى واما اتم نوعى المجاز فهو ما سقط عنا ولم يشرع فى حقنا من الاصر وهو الاعمال الشاقة كقتل النفس فى التوبة وقطع الاعضا الخاطئة وعدم جواز صلاتهم فى غير مساجدهم وعدم التطهير بغير الماء وحرمة اكل الصائم بعد النوم ومنع الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب احدهم على الباب بالصبح والاغلال وهى المواثيق اللازمة لزوم الغل كما روى ان بنى اسرائيل كانوا اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة فهذه الامور رفعت عن هذه الامة تكريما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسمى ما حط عنا من الاصر والاغلال التى وجبت على من قبلنا رخصة مجازا لان الاصل وهو العزيمة وهى الاصر والاغلال لم يبق مشروعا اى لم يجب علينا وسقط عنا تخفيفا بالنظر الى غيرنا والنوع الرابع من انواع الرخص ما سقط عن العباد باخراج سببه من ان يكون موجبا للحكم فى محل الرخصة مع كون ذلك الساقط مشروعا فى بعض الاوقات فمن حيث انه سقط فى محل الرخصة كان نظير القسم الثالث وكان مجازا اذ ليس فى مقابلته عزيمة ومن حيث انه بقى السبب والحكم مشروعا فى بعض الاوقات اخذ شبها بالحقيقة ولكن جهة المجاز غالبة لان جهة المجاز بالنظر الى محل الرخصة وشبه الحقيقة بالنظر الى غير محلها فكانت جهة المجاز اقوى قال فى شرح مرقاة الوصول كالخمر والميتة للمضطر والمكره فان حرمة تناولهما ساقطة فى حقهما بخوف الهلاك على النفس حتى لم تبق مشروعة عندنا وتبدلت بالاباحة حتى اذا صبر ومات اثم ان علم بالاباحة فى هذه الحالة لان فى انكشاف الحرمة خفاء فيعذر بالجهل كذا ذكره الامام الاسبيجابى وقال فى التلويح فى اكل الميتة وشرب

Marfat.com

الخمر حال الاضطرار فان المختار عند الجمهور انه مباح والحرمة ساقطة لانه حرام رخص فيه بمعنى ترك المؤاخذه ابقاء للمهجة كما فى اجراء كلمة الكفر واكل مال الغير على ماذهب اليه البعض اما فى اكل الميتة فلان النص المحرم لم يتنا ولها حالة الاضطرار لكونها مستثناة فبقيت مباحة بحكم الاصل و بمثل قوله تعالى * خلق لكم ما فى الارض جميعا * بل عند القائلين بان الاستثناء من الاثبات نفى يكون النص دالا على عدم حرمتها حالة الاضطرار ثم بسط الكلام فى ذلك وقال فى شرح مرقاة الوصول وكقصر المسافر فانه رخصة اسقاط عندنا فاتمام المسافر بنية الظهر لايجوز كاتمام الفجر و بنية الظهر والنفل اساءة وترك العقدة الاولى مفسد وكذلك مسح المتخفف فان غسل الرجل الذى هو عزيمة سقط فى مدة المسح رخصة لان استتار القدم بالخف يمنع سراية الحدث الى القدم فثبت ان الغسل ساقط وان المسح شرع لليسر ابتداء لاعلى معنى ان الواجب من غسل الرجل يتأدى بالمسح اذا وكان كذلك لما اشترط كون الرجل طاهرة وقت اللبس ولاكون اول الحدث بعد اللبس طاريا على طهارة كاملة كما فى المسح على الجبيرة لان المسح يصلح رافعا للحدث السارى الى القدم وان الشرع اخرج السبب الموجب للحدث من ان يكون عاملا فى الرجل مادامت مستترة بالخف وجعله مانعا من سراية الحدث الى القدم وحكم هذا القسم من الرخصة ان العزيمة لاتبقى مشروعة فيه مادام متخففا فان رأى المسح ولم يمسح اخذا بالعزيمة يثاب باعتبار النزع والغسل (كما تؤتى عزائمه) جمع عزيمة من عزم على الامر اراد فعله وقطع عليه اوجد فيه وعزمة من عزمات الله حق من حقوقه اى واجب مما اوجبه وعزائم الله فرائضه التى اوجبها كذا فى القاموس وفى شرح مرقاة الوصول والعزيمة ماشرع ابتداء غير مبنى على اعذار العباد وهى فرض وواجب وسنة ونفل وحرام ومكروه ومباح وتمامه مفصل فى كتب الاصول بما ذكره يطول والحاصل ان الرخص احكام الله تعالى كما ان العزائم احكامه ايضا وهو تعالى يحب طاعته بالعمل باحكامه على كل حال ويلزم من هذا ان يبغض مخالفته سبحانه بالعمل باحكام النفس والهوى والشيطان وليست الرخص من احكام النفس ولا الهوى ولا الشيطان حتى يبغضها سبحانه وان كان فيها تسهيل على النفوس وتوسيع عليها فانه تسهيل وتوسيع من قبل الحق تعالى لاهو من قبل النفوس حتى يكون مذموما كما قال تعالى * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لكن نقل الشيخ عبد الرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير انه لايجوز تتبع الرخصة بان يأخذ من كل مذهب الاهون بحيث تنحل ربقة التكليف من عنقه خلافا لابن عبد السلام حيث اطلق جواز تتبعها وقد يحمل كلامه على ما اذا تتبعها على وجه لايصل الى الانحلال المذكور ونقل عن السبكى فى المنتقل من مذهب الى آخر ان قصد الرخصة فيما يحتاجه لحاجة لحقته اوضرورة ارهقته يجوز وان قصد مجرد الترخص فيمتنع لانه متتبع لهواه لا الدين وان اكثر ذلك وجعل اتباع الرخص ديدنه

Marfat.com

يمتنع لماذكر ولزيادة فحشه انتهى ولنا رسالة مستقله فى مسئلة التقليد سميناها خلاصة التحقيق بينا فيها حكم مذهبنا فى جواز التقليد وما يمتنع منه وليس من الرخص التى يجوز فعلها الحيلة اذا وردت على تحليل حرام او تحريم حلال كما ذكر ذلك العلامة ابن العز الحنفى فى رسالة له صنفها فى بيان الاقتداء بالامام المخالف للمذهب قال فيها ومما يجب الاحتراز منه لقصور الفهم عن الأئمة وعدم فهم الادلة الشرعية فيتساهلون فى الحيل فى التحليل وغيره اما القصور فى فهم الادلة فظاهر واما القصور فى الفهم عن الائمة فانهم يسمعون عمن يقول بجواز الحيل فيسترسلون فى الاكثار منها ومجاوزة الحد فيها وقد قال ابو حنيفة رضى الله عنه انه يحجر على المفتى الذى يعلم الناس الحيل لكن قد يشكل على من يسمع هذا عن ابى حنيفة رضى الله عنه ويقول كيف يقال بالحجر على من يعلم الناس الحيل مع القول بجوازها ولا اشكال بحمد الله وان كان قد وقع فى الحيل كثير ممن ينسب الى ابى حنيفة لظنهم انه يقول بجواز تعاطى اسبابها وليس الامر كذلك فان ابا حنيفة انما يقول لو فعل مثل هذا الفعل المحرم لترتب عليه حكمه لانه يقول بجواز فعله ابتداء كما يقول فى البيع الفاسد لو فعل لترتب عليه حكمه بخلاف البيع الباطل لانه يقول بجواز الاقدام على البيع الفاسد وكما قالوا فى البيع عند اذان الجمعة انه لا يجوز فعله ولو فعل لترتب عليه حكمه ونفذ واصل ابى حنيفة فى ذلك معروف وهو انه يفرق بين النهى عن الشئ لمعنى فى عينه والنهى عنه لمعنى فى غيره ومن ذلك العينة وامثالها فان العينة مذمومة قال الشيخ حسام الدين السغناقى فى النهاية شرح الهداية فى كتاب الكفالة وهذا النوع من البيع ذميم اخترعه اكلة الربا وقد ذمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اذا تبايعتم بالعينة واتبعتم اذناب البقر ذللتم وظهر عليكم عدوكم وقيل اياك والعينة فانها لعينة ومصداق هذا الحديث ما دهانا من البلاء ودهمنا من اللاواء واذا الناس فى زماننا اشتغلوا بالعين فابتلوا بهذا اللعن وبعضهم اقبلوا على الجد على الزراعة فقرعوا بقارعة ذات بأس وفظاعة وعلماؤهم اخذوا فى اقتراب ابواب السلطان فأخذوا بانواع الافتتان * ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون * كذا ذكره الامام المرغينانى فى الفوائد خصوصا فى هذا الوقت الذى نحن فيه حيث نزل بيع العينة منزلة البياعات الصحيحة بالنسبة الى بياعات هذا الزمان فلاجرم ابتلوا ببلايا اشد مما كان البلاء فيمن قبلهم هذه عبارة السغناقى رحمه الله تعالى فالحيلة اذا كانت على تحريم حلال او تحليل حرام او ابطال حق او تحقيق باطل فهى حرام بلا خلاف وانما الخلاف فى الحيلة اذا فعلت مع كونها حراما هل يترتب عليها الحكم ام لا فعند ابى حنيفة والشافعى رضى الله عنهما يترتب عليها الحكم خلافا لمالك واحمد رضى الله عنهما واما قول من قال من الاصحاب ان الحيلة على اسقاط الزكاة لا تكره لانه امتناع من الوجوب لا اسقاط بعد الوجوب

Marfat.com

يعنى اذا ملّك المالَ قبل حولان الحول لمن يثق به ثم استرده بعد الحول فالظاهر ان هذا لم يقله ابوحنيفة فان قولهم انه امتناع من الوجوب انما يكون الامتناع من الوجوب اذا ترك الاكتساب اما اذا ملك النصاب ثم ملّكه قبل حولان الحول لمن يثق به فقد سعى فى اسقاط الوجوب بعد انعقاد سببه فان السبب ملك النصاب النامى ولهذا جاز تعجيل الزكاة قبل الحول والمصلحة التى شرعت لاجلها الزكاة تفوت بفتح باب الحيل على اسقاطها وكذلك المفسدة التى حرم لاجلها الربا لم ترتفع بالحيل على تحصيله وكذلك المصلحة التى شرع لاجلها الاستبراء وهى خوف اختلاط المياه واشتباه الانساب تفوت بالحيلة على اسقاطه وكذا قال ابوحنيفة ان القضاء بشهادة الزور فى العقود والفسوخ ينفذ ظاهرا و باطنا حتى لو اقام رجل شاهدى زور انه تزوج امرأة حل له وطؤها مع حرمة تعاطى ذلك السبب الباطل فالاثم فى تعاطى السبب الباطل لكن اذا وجد السبب وجد المسبب واما ما يفعله بعض قضاة زماننا من الحكم بصحة المعاملة وان قصد بها المداينة مع علمه بالخلاف فشئ محدث لا اصل له ولا ينبغى ان يرفع الخلاف بل من اراد ابطال تلك المعاملة ابطلها فان قوله وان قصد بها المداينة معناه وان قصد بها الربا ولا اعتبار للالفاظ بل العبرة بالمعانى واى حكم اقبح من الاعانة على فعل المحرم فانه اذا قال حكمت بصحة هذا الفعل ان قصد به تحليل ما حرم الله وتحقيق ما ابطله الله يكون حكمه على خلاف حكم الله فى هذه القضية واحل الله البيع وحرم الربا فالحاصل ان الحيلة اذا تضمنت تحليل حرام او تحريم حلال او ابطال حق او تحقيق باطل لا يفتى بها المفتى وان كان يترتب عليها حكمها لو فعلت فانه لا يسوغ له الاعانة على فعل المحرم قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب * ويحجر على من يفتى بها من المفتين كما قال ابوحنيفة فاذا رفعت اليه قضية وهو لا يعلم انها حيلة على ابطال حق او تحقيق باطل حكم بها لانه معذور حكم بالظاهر والله يتولى السرائر فمن افتى او حكم وهو يعلم بالحال فليعلم انه موقوف بين يدى الله تعالى ومسؤل فليعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا انتهى كلام ابن العز رحمه الله تعالى وهو كلام حسن عند من تأمله بالانصاف موافق للمذهب بل لاصل الدين من غير خلاف فان الحيلة على استباحة المحرم وانتهاك حرمة الله تعالى فيه امر قبيح جدا عند من لم يسكر بحب الدنيا والاكثار من الاموال قال خاتمة المحدثين الشيخ نجم الدين الغزى الدمشقى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه ومن اعمال بنى اسرائيل يعنى اليهود الحيلة فى اكل ما حرم عليهم قال الله تعالى * واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون * روى الحاكم باسناد صحيح عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وهو يقرأ فى المصحف قبل ان يذهب بصره

Marfat.com

وهو يبكى فقلت ما يبكيك جعلنى الله فداك قال فقال هل تعرف ايلة قلت وما ايلة قال قرية بها ناس من اليهود فحرم الله عليهم الحيتان يوم السبت زاد فى رواية لغير الحاكم وذلك ان اليهود امروا باليوم الذى امرتم فيه يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا فيه وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه ان اطاعوا لم يؤجروا وان عصوا عذبوا قال الحاكم فى روايته وكانت حيتانهم تأتيهم يوم سبتهم شرعا بيض سمان كامثال المخاض فاذا كان فى غير يوم السبت لم يجدوها ولم يدركوها الا فى مشقة ومؤنة شديدة فقال بعضهم لبعض اومن قال ذلك منهم لعلها اواخذناها يوم السبت واكلناها فى غير يوم السبت ففعل ذلك اهل بيت منهم فاخذوا وشووا فوجد جيرانهم ريح الشواء فقالوا ما نرى اصحاب بنى فلان بشى فاخذها آخرون حتى فشى ذلك فيهم وكثر فافترقوا ثلاثا فرقة اكلت وفرقة نهت وفرقة قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم اومعذبهم عذابا شديدا فقالت الفرقة التى نهت انا نحذركم غضب الله وعقابه ان يصيبكم بخسف اوقذف او ببعض ماعنده من العذاب والله لا نساكنكم فى مكان وانتم فيه فخرجوا من السور فغدوا عليه من الغد فضربوا باب السور فلم يجبهم احد فاتوا بسبب فاسندوه الى السور ثم رقى راق منهم الى السور فقال ياعباد الله قردة والله لها اذناب تعاوى ثلاث مرات ثم نزل من السور ففتح السور فدخل الناس عليهم فعرف القردة انسابها من الانس ولم تعرف الانس انسابها من القردة قال فيأتى القرد الى نسيبه وقريبه من الانس فيحك به ويلصق به ويقول الانسان انت فلان فيشير برأسه اى نعم ويبكى وتأتى القردة الى نسيبتها فتقول لها انت فلانة فتشير برأسها اى نعم وتبكى فتقول لهم الانس اما انا حذرناكم غضب الله وعقابه ان يصيبكم بخسف اومسخ او ببعض ماعنده من العذاب قال ابن عباس فاسمع الله تعالى يقول *فانجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون* فلا ادرى ما فعلت الفرقة الثالثة قال ابن عباس وكم قد رأينا من منكر فلم ننه عنه قال عكرمة فقلت ما ترى جعلنى الله فداك اذكر هوا حين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فاعجبه قولى ذلك وامر لى ببردين غليظين فكسانيهما *الحديث الثامن (حد زظط خز) يعنى روى الامام احمد والبزار والطبرانى فى المعجم الاوسط وابن خزيمة باسنادهم (عن ابن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك) اى تقدس وتنزه صفة خاصة بالله كذا فى القاموس (وتعالى) اى ارتفع عن ادراك العقول (يحب) من احب والمحبة فى حق الله تعالى لبعض الاعمال اوالاشخاص كناية عن كمال الرضاء بذلك والاقبال عليه (ان تؤتى) بالبناء للمفعول (رخصه) جمع رخصة وتقدم معناها والمراد انه تعالى يرضى من عبده المكلف ان يفعل ما رخصه له من الاحكام الشرعية اى سهله عليه (كما) اى مثل ما (يكره) سبحانه وتعالى اى لا يحب ولا يرضى (ان تؤتى)

Marfat.com

اى تفعل يعنى بفعلها عبده المكلف (معصيته) التى نهى عنها نهى تحريم اوكراهة وفيه اشارة الى انه تعالى يحب عبده اذا فعل الافعال التى يحبها سبحانه ويكره عبده اذا فعل الافعال التى يكرهها سبحانه وانه تعالى يحب مارخص فى فعله كما يحب ماامر بفعله ويكره مانهى عن فعله فاوجب ترك معصيته من الصغائر والكبائر (زاد) الراوى على قوله ان الله يحب ان تؤتى رخصه (فى رواية ابن خزيمة) اى روى ابن خزيمة فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما (كما يحب ان تترك) بالبناء للمفعول (معصيته) بدل كما يكره ان تؤتى معصيته والحاصل ان الرخص التى سهل الله تعالى على المكلفين فى فعلها لايجد الحرج فى نفسه بفعلها الا الذى ترك الدين الحق وتبع العقل والهوى قال النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه ومن اخلاق الشيطان اللعين كراهية الرخصة والمنع منها وهو خلاف مايحبه الله من العبد ثم اورد نحو ماهنا من الاحاديث ثم قال وروى ابن ابى شيبة عن ابراهيم النخعى قال مسح اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على الخفين فمن ترك ذلك رغبة عنه فانما هو من الشيطان ومن هنا قال العلماء من وجد فى نفسه كراهة الترخص فأخذه بالرخصة افضل من اخذه بالعزيمة ومهما اخذ بالرخصة فلابد ان لا يفضى به الاخذ بها الى تتبع الرخص بان يأخذ بالاهون من كل مذهب فان هذا حرام وهو من خطوات الشيطان اه وقدمنا مافيه من الكلام

الحديث التاسع (ط طك) يعنى روى مالك فى الموطأ والطبرانى فى المعجم الكبير باسنادهما (عن ابى الدرداء و) عن (واثلة بن الاسقع و) عن (ابى امامة) الباهلى (و) عن (انس) بن مالك (رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب) اى يرضى كمال الرضاء (ان تقبل) بالبناء للمفعول (رخصه) اى يقبلها عبده فيعمل بها ولاينفر منها قلب العبد فيتساهل بها ولايعمل الا بما يشق عليه (كما يحب العبد) المذنب (مغفرة ربه) لذنبه حتى لايؤاخذه يوم القيامة الحديث العاشر (خ م) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسنادهما (عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انه قال اخبر) بالبناء للمفعول (رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى اخبره مخبر من الناس (انى اقول والله لاصومن النهار) حسبة لوجه الله تعالى (ولاقومن الليل) كله ابتغاء القرب اليه سبحانه والنجاة منه فى الآخرة (ما عشت) اى مدة عيشى اى بقائى فى الحياة الدنيا وذكر القرطبى فى شرح مسلم قال حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما اشتهر وكثر رواته فكثرا اختلافه حتى ظن من لابصيرة عنده انه مضطرب وليس كذلك فانه اذا تتبع اختلافه وضم بعضه الى بعض انتظمت صورته وتناسب مساقه اذ ليس فيه اختلاف تناقض ولاتهاتر بل يرجع اختلافه الى ان ذكر بعضهم ماسكت عنه غيره وفصل بعض ما اجمله غيره ثم ذكر رواية مسلم الم اخبر انك تصوم ولاتفطر وتصلى ثم قال هذا انما فعله عبدالله رضى الله عنه بعد ان التزمه بقوله لاصومن

Marfat.com

النهار ولاقومن الليل ماعشت كماجاء فى الرواية الاخرى فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فحكى بعض الرواة الفعل وحكى بعضهم القول (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لعبدالله بن عمرو المذكور (انت الذى تقول ذلك) يعنى ماتقدم من قوله لاصومن النهار ولاقومن الليل (فقلت له بابى وامى) اى افديك بهما (قدقلته) اى ذلك الذى اخبرت به (يارسول الله قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فانك لاتستطيع ذلك) اى لاتقدر على فعله لان النفوس تمل بسبب نقصانها خلقة عن كمال الطاعة فلابد من تعهدها بنوع من حظوظها لتستروح اليه ثم ترجع الى الطاعة بنشاط فيها ولهذا شرعت صلاة التراويح وسميت بذلك للاستراحة فيها بين كل اربع واربع بقدرها حتى انه يكره ان لم يفعل ذلك لعدم القيام فى ذلك بالنشاط غالبا وفى رواية مسلم لاتفعل قال القرطبى نهى عن الاستمرار فى فعل ما التزمه لاجل مايؤدى اليه من المفسدة التى نبه عليها بقوله فانك اذا فعلت ذلك هجمت عينك قال المفسرون اى غارتا وتحقيقه هجمت على الضرر دفعة واحدة فان الهجم هو اخذ الشئ بسرعة بغتة ويحتمل ان يكون معناه هجمت العين عليه بغلبة النوم لكثرة السهر السابق فينقطع عما التزمه فيدخل فى ذم من ابتدع رهبانية ولم يدمها وكما قال له ياعبدالله لاتكن مثل فلان يقوم الليل فترك قيام الليل وفى رواية ونفهت نفسك اى اعيت وضعفت عن القيام بذلك كما قال فى لفظ آخر نهكت نفسك (فصم) اى ماعسى ان تصوم من غير تقدير عدد فى نفسك عند شروعك فى الصوم حتى لاتكون داخلا تحت طاعة نفسك بل صم على حسب مايقدر الله تعالى لك لتكون داخلا فى طاعة ربك على كل حال (وافطر) كذلك على حسب مايتيسر لك من غير تقدير عدد بنفسك لتكون ربانيا لانفسانيا وليسهل عليك امر الطاعة لربك فيكثر الخشوع فيها وتوافق السنة كما ذكر القرطبى فى شرح مسلم قال فى سؤال شقيق لعائشة رضى الله عنها عن زمن صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مقداره فاجابت بهما فقالت كان يصوم حتى نقول قدصام قدصام ويفطر حتى نقول قدافطر قدافطر ومعنى هذا انه كان يصوم متطوعا فيكثر ويوالى حتى يتحدث نساؤه وخاصته بصومه ويفطر كذلك ومثل هذا حديث ابن عباس رضى الله عنهما كان يصوم حتى يقول القائل لايفطر ويفطر حتى يقول القائل لايصوم ومثل هذا اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم به عن نفسه فقال بل اصوم وافطر واقوم وانام فمن رغب عن سنتى فليس منى (وم) ماعسى ان تنام ولو فى الليل كله (وقم) كذلك ماعسى ان تقوم ولو فى الليل كله ولاتواظب على كثرة النوم فى جميع الليالى ولا كثرة القيام فى جميع الليالى بل كن مع تيسير ربك لك مايريد ولاتدخل تحت اختيار نفسك لك ماتريد ولاتثقل على نفسك بالكلية ولاتخفف عنها بالكلية واسلك الحالة الوسطى يستقيم امرك وتدوم لك الطاعة وقال النووى

Marfat.com

فى شرح مسلم قال اصحابنا يعنى الشافعية تكره صلاة الليل كله دائما لكل احد وفرقوا بينه وبين صوم الدهر فى حق من لايتضرر به ولايفوت حقا بان صلاة الليل كله الضرر فيها متعين اه وذلك لان هذا الدين يسر لاعسر فيه كما قال الكرمانى فى شرح البخارى عند ذكر الحديث السابق لن يشاد الدين احد الاعليه معناه لايتعمق احد فى الدين و يترك الرفق الاغلب الدين عليه وعجز ذلك المتعمق وانقطع عن عمله كله او بعضه ومعنى هذا الحديث ان الدين اسم يقع على الاعمال اذا التى توصف باليسر والعسر هى العمل والدين والايمان والاسلام بمعنى واحد المراد منه التحضيض على ملازمة الرفق والاقتصاد على مايطيقه العامل ويمكنه الدوام عليه وان من شاد الدين وتعمق انقطع وغلبه الدين وقهره و يصير الدين غالبا وهو مغلوب (وصم من الشهر) اى من كل شهر اردت ان تصوم فيه (ثلاثة ايام) وفى رواية لمسلم من سرة الشهر قال النووى فى شرحه سرة الشئ وسطه واستحبوا ان تكون الايام الثلاثة هى ايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وقيل ابتداؤهما الثانى عشر ولعله صلى الله عليه وسلم يواظب على ثلاثة بعينها لئلا يظن تعينها ونبه بسرة الشهر و بحديث الترمذى فى ايام البيض على فضيلتها وقال القرطبى لم يكن صلى الله عليه وسلم يعين لصوم الثلاثة زمانا مخصوصا من الشهر يدوم عليه وانما كان يصومها مرة فى اوله ومرة فى آخره ومرة فى وسطه ثم بسط الكلام فى ذلك (فان الحسنة بعشر امثالها) يعنى كل يوم صمته من الايام الثلاثة بعشرة ايام فهذه تمام الشهر (وذلك) اى صوم ثلاثة ايام من كل شهر (مثل صيام الدهر) حيث كانت المواظبة على ذلك باعتبار التضعيف المذكور وفى رواية لمسلم صم من كل عشرة ايام يوما قال القرطبى وهذا موافق للرواية التى قال فيها صم من كل شهر ثلاثة ايام وكذلك قوله فى الرواية الاخرى صم يوما ولك اجر مابقى وهذا الاختلاف وشبهه من باب النقل بالمعنى وقال بعضهم اجر مابقى من العشر وهو تسعة وكذلك قال فى قوله صم يومين ولك اجر مابقى من العشرين وكذلك صم ثلاثة ايام ولك اجر مابقى اى من الشهر وهذا الاعتبار حسن جار على قياس تضعيف الحسنة بعشر امثالها (قلت) يعنى قال عبدالله بن عمرو المذكور (انى اطيق) من الاطاقة وهى القدرة على الشئ (افضل) اى اكثر (من ذلك) الذى ذكره له النبى صلى الله عليه وسلم (قال) له النبى صلى الله عليه وسلم (فصم يوما) واحدا (وافطر) بعده (يومين) وفى رواية لمسلم صم يومين وافطر يومين قال القرطبى انه نقله من صيام ثلاثة ايام فى الشهر الى اربعة فيه ومنها الى صوم يومين وافطار يومين ثم منها الى صوم يوم وافطار يوم وهذا محمول على ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم درجه فى هذه المراتب هكذا لكن بعض الرواة سكت عن ذكر بعض المراتب اما نسيانا

Marfat.com

اوافتصارا على قدر مايحتاج اليه فى ذلك الوقت ثم فى وقت آخر ذكر الحديث بكماله (قلت) أى قال عبدالله (فانى اطيق افضل من ذلك) اى اقدر على صوم اكثر من هذا (قال) صلى الله عليه وسلم (فصم يوما وافطر يوما) وذلك لتأخذ قوتك الفائتة منك يوم صومك بيوم فطرك فتنشط بالفطر للصوم (فذلك) اى صوم يوم وافطار يوم (صيام داود) النبى (عليه الصلاة والسلام) وفى رواية لمسلم فانه كان اعبد الناس قال القرطبى انما احاله على صوم داود ووصفه بانه كان اعبد الناس لقوله تعالى فيه * واذكر عبدنا داود ذاالايدانه اواب * قال ابن عباس الايد هنا القوة على العبادة والاواب الرجاع الى الله تعالى والى عبادته وتسبيحه وفى الشرعة وشرحها والمتطوع فى الصوم يختارا فضل الصيام وهو صوم داود عليه السلام كان يصوم يوما و يفطر يوما وانما كان ذلك افضل لكونه ابلغ فى تاثير النفس لعدم الاعتياد لان الاعتياد على الدواء يبطل اثره فاذا مرض لم ينتفع به ولان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا و كنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت وفى الاحياء ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وذلك بان يصوم يوما و يفطر يومين واذا صام ثلاثة من اول الشهر وثلاثة من الاوسط وثلاثة من الاخير فهو ثلث و واقع فى الاوقات الفاصلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث (وهو) اى صوم يوم و افطار يوم الذى هو صوم داود عليه السلام (اعدل الصيام) من العدل خلاف الجور اى اكثر عدلا فى معاملة النفوس من غيره لعدم الجور عليها فيه و قال القرطبى هو اعدل الصيام من حيث حفظ القوة ووجد ان مشقة العبادة واذا كان اعدل فى نفسه فعند الله افضل واحب ولا صوم فوقه فى الفضل كما جاءت هذه الالفاظ وهى كلها متقاربة فى مدلولها وهو بلاشك نقل بالمعنى ومضمون هذه الالفاظ ان هذا الصوم اعدل فى نفسه واكثر فى ثوابه (وفى رواية) اخرى (افضل الصيام) يعنى اكثر فضيلة من المراتب المتقدمة (قلت) اى قال عبدالله (فانى اطيق افضل من ذلك) لشقته بنفسه فى الرغبة فى الطاعات والاكثار منها (فقال) له (رسول الله صلى الله عليه وسلم لا افضل من ذلك) قال النووى فى شرح مسلم اختلف العلماء فيه فقال المتولى من اصحابنا يعنى الشافعية وغيره هو افضل من السرد لظاهر الحديث وغيرهم فضل السرد وحملوا الحديث على ان ذلك فى حق عبدالله بن عمرو ومن فى معناه قالوا لم ينه حمزة عن السرد ولا ارشده الى يوم وبوم ولو كان افضل فى حق الكافة لارشده اليه فان تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز (وزاد فى رواية) اخرى من روايات هذا الحديث (فان لجسدك عليك حقا) يعنى فى تقويته و تهيئه لتقوم به فى اعمال الدنيا والآخرة فانه

Marfat.com

يضعف من كثرة الصوم (وان لزوجك) اى امرأتك قال فى الصحاح زوج المرأة بعلها وزوج الرجل امرأته قال تعالى * اسكن انت وزوجك الجنة (عليك حقا) فى جماعك لها اعفافا لنفسك ونفسها ورجاء حصول ولد صالح بينكما يعينك ويعينها فى المهمات (وان لزورك) اى زائرك وهو الضيف الذى يزورك (عليك حقا) وذلك بخدمته واكرامه وتأنيسه وفى رواية لمسلم فان لعينك عليك حقا ولنفسك عليك حقا وفى رواية حظا قال القرطبى اى من الرفق بهما ومراعات حقهما وقد سمى فى الرواية الاخرى الحظ حقا اذهو بمعناه وزاد فان لزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا وفى لفظ آخر ولاهلك مكان ولزوجك اما حق الزوجة فهو فى الوطئ وذلك انه اذا سرد الصوم ووالى القيام بالليل منعها بذلك حقها منه واما حق الزور وهو الزائر والضيف فهو القيام باكرامه وخدمته وتأنيسه بالاكل معه واما الاهل فيعنى به هنا الاولاد والقرابة وحقهم هو فى الرفق بهم والانفاق عليهم ومواكلتهم وتانيسهم وملازمة ما التزم من سرد الصوم وقيام الليل يؤدى الى امتناع تلك الحقوق كلها ويفيد ان الحقوق اذا تعارضت قدم الاولى (وفى) رواية (اخرى) قال له النبى صلى الله عليه وسلم (الم اخبر) بالبناء للمفعول اى يخبرنى مخبر (انك تصوم الدهر) يعنى كله فلا تفطر الايام الكراهة والمعنى انك عازم على ذلك من قوله فى الرواية السابقة والله لاصومن النهار ولاقومن الليل ماعشت (وتقرأ القرآن) يعنى كله فى (كل ليلة) من جميع الليالى بان تختمه فى الصلاة وغيرها (فقلت) اى قال عبدالله (بلى يانبى الله) والمعنى قلت ذلك وعزمت على فعله (وانى لم ارد) اى اقصد (بذلك) المذكور من صيام الدهر وقراءة القرآن كل ليلة (الا خيرا) وهو التقرب الى الله تعالى ورجاء الثواب فى الآخرة لا الرياء ولا السمعة ولا الاعجاب وحب المحمدة (وفيها) اى فى هذه الرواية (قال) له صلى الله عليه وسلم (وافرأ القرآن) من اوله الى آخره (فى كل شهر) مرة وقال فى شرح الشرعة وفى القنية فيه اقوال والاحسن الختم فى كل شهر مرة وفى زين العرب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعبدالله بن عمرو بن العاص اقرأ القرآن فى كل شهر اه ولعل هذا وجه ما فى القنية وهو المذكور هنا (قال) يعنى عبدالله (قلت يانبى الله انا اطيق افضل من ذلك) اى اقدر على اكثر من ذلك فضيلة (قال) صلى الله عليه وسلم له (فاقرأه) اى القرآن كله (فى سبع) اى سبع ليال والمراد ايام مع لياليهن قال القرطبى قوله اقرأ القرآن فى كل شهر ثم قال بعد ذلك فاقرأه فى كل عشرين ثم قال اقرأه فى كل سبع هكذا فى اكثر روايات مسلم ووقع فى كتاب ابن ابى جعفر وابن عيسى زيادة قال فاقرأه فى عشر وبعد ذلك قال له اقرأه فى سبع ومقصود هذه الرواية بيان تجزية القرآن على لبالى الشهر بالنسبة الى التخفيف والتثقيل فالمخفف يقرأه فى كل شهر لاقل من ذلك والمثقل لايزيد على سبع كما قدنهاه عنه (لاتزد على ذلك) اى على السبع

Marfat.com

قال القرطبي ذهب الى منع الزيادة على سبع كثير من العلماء واختار بعضهم قراءته في ثمان وكان بعضهم يختم في خمس وآخر في ست وبعضهم يختم في كل ليلة وكان من لم يمنع الزيادة على السبع حمل قوله لا تزد على انه من باب الرفق وخوف الانقطاع فان امن ذلك جاز بناء على ان ما كثر من العبادة والخير فهو احب الى الله تعالى والاولى ترك الزيادة اخذا بظاهر المنع واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرو عنه انه ختم القرآن كله في ليلة ولا في اقل من السبع وهو اعلم بالمصالح والاجر فضل الله يؤتيه من يشاء فقد يعطى على القليل ما لا يعطى على الكثير لا سيما وقد بنيت مصلحة القلة والمداومة وآفة الكثرة والانقطاع وقال الاسيوطي في الاتقان وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات فاكثر ما ورد في كثرة القراءة من كان يختم في اليوم والليلة ثماني ختمات اربعا في الليل واربعا في النهار ويليه من كان يختم في اليوم والليلة اربعا ويليه ثلاثا ويليه ختمتين ويليه ختمة وقد روت عائشة ذلك واخرج ابن ابي داود عن مسلم ابن مخراق قال قلت لعائشة ان رجالا يقرأ احدهم القرآن في ليلة مرتين او ثلاثا فقالت قرأ ولم يقرأ كنت اقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها استبشار الا دعا ورغب ولا بآية فيها تخويف الا دعا واستعاذ ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين ويليه من كان يختم في كل ثلاث وهو حسن وكره جماعات الختم في اقل من ذلك لما روى ابو داود والترمذي وصححه في حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا لا يفقه من قرأ القرآن في اقل من ثلاث واخرج ابن ابي داود وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفا قال لا تقرأ القرآن في اقل من ثلاث واخرج ابو عبيد عن معاذ بن جبل انه كان يكره ان يقرأ القرآن في اقل من ثلاث ويليه من ختم في اربع ثم في خمس ثم في ست ثم سبع وهذا اوسط الامور واحسنها وهو فعل الاكثرين من الصحابة وغيرهم اخرج ابو عبيد وغيره من طريق واسع ابن حبان عن قيس أبن ابو صعصعة وليس له غيره انه قال يا رسول الله في كم اقرأ القرآن قال في خمس عشرة قلت اني اجدني اقوى من ذلك قال اقرأه في جمعة ويلي ذلك من ختم في ثمان ثم في عشر ثم في شهر ثم في شهرين واخرج ابن ابي داود عن مكحول قال كان اقوياء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القرآن في سبع وبعضهم في شهر وبعضهم في شهرين وبعضهم في اكثر من ذلك وقال ابو الليث في البستان ينبغي للقارئ ان يختم في السنة مرتين ان لم يقدر على الزيادة وقد روى الحسن بن زياد عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد ادى حقه لان النبي صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين وقال غيره يكره تأخير ختمة اكثر من اربعين يوما بلا عذر نص عليه احمد لان عبد الله بن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم في كم يختم القرآن قال في اربعين يوما رواه ابو داود وقال النووي في الاذكار المختار ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص

Marfat.com

فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ وكذلك من كان مشغولا بنشر العلم او فصل الحكومات او غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه اخلال بما هو مرصد له ولا فوات كمال وان لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما امكنه من غير خروج الى حد الملل او الهدرمة به في القراءة وقال في شرح الشرعة وفي قاضيخان قالوا ينبغي لحامل القرآن ان يختم القرآن في كل اربعين يوما مرة واما سبب الاستحباب في خصوصية الاربعين فقد قيل لان فيه من خاصية الاستكمال ما ليس في غيره من الاعداد الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن الله تعالى خمرت طينة آدم اربعين صباحا وقال عليه السلام ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك الحديث وقال تعالى * وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة * وقال عليه السلام من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولما كان القرآن منبع جميع الحكم ينبغي للقارئ ان يخلص في كل اربعين بترتيل بعض منه في كل يوم من تلك الاربعين لينبع من ينابيع الحكمة الى قلبه والى لسانه واما لاحسنية في كل شهر فلسهولة القراءة وحساب كل يوم بجزء كل شهر يختم فعلى هذا لا يستحب الختم في اقل من شهر وان جاز وكان النبي صلى الله عليه وسلم يختم القرآن في كل عام مرة وختم في العام الذي قبض فيه مرتين وعن المرغيناني من ختم القرآن في السنة مرة لا يكون هاجرا فالختم سنة مؤكدة فاكتفاؤه عليه السلام بمرة ومرتين في السنة مع كمال رسوخه في القرآن وكمال تدبره لا ينافي استحباب الاكثر لغيره على ان قوله عليه السلام تعاهدوا القرآن وقوله استذكروا القرآن وغيرهما يدل على استحباب التكثير (قال) يعني عبد الله بن عمرو بن العاص (فشددت) اي ضيقت على نفسي في كثرة الاعمال (فشدد) بالبناء للمفعول اي شدد الله تعالى (علي) بخلقه تعالى الضعف والعجز لي عن دوام ما فصدت من تلك الاعمال الكثيرة وفي رواية لان اكون قبلت الثلاثة الايام التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي من اهلي ومالي (و) قد كان (قال لي النبي صلى الله عليه وسلم انك لا تدري لعله يطول بك عمرك) يعني فتعجز عن القيام بهذه الاعمال الكثيرة فربما نقص رجاؤك لنقصان عملك فينقص قدرك عند الله تعالى وتسفل منزلتك لديه او تصير الاعمال الكثيرة لسهولتها عندك عادة فلا تثاب عليها ثواب الطاعات لالفتك لها وقلة حضورك فيها (قال) يعني عبد الله (فصرت) اي وصلت (الى) الحال (الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم) بان طال به عمره (فلما كبرت) يقال كبر كفرح طعن في السن وكبر ككرم نقض صغر كذا في القاموس (وددت) اي احببت (اني كنت قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم) التي رخص لي في ابتداء عمري لاعتاده عليها فلا يتغير علي حالي في انتهاء

Marfat.com

العمر قال القرطبي وهذا يدل من عبدالله رضى الله عنه على انه كان قد التزم الافضل مما ندله اليه النبي صلى الله عليه وسلم والاكثر اما بحكم التزامه الاول فقال لاصومن الدهر ولاقومن الليل ماعشت واما بحكم انه هو الحال الذى فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه فكره ينقص ان مزعمل فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه فلم ير ان يرجع عنه وان كان قد ضعف عنه (وزاد فى رواية لاصام) اى لايسمى صائما من جهة انه لاثواب له لفعله المنهى عنه اودعاء بعدم تيسير الصوم (من صام الابد) اى طول عمره ولم يفطر اصلا اوسوى يوم العيدين وايام التشريق وفى المرأة سوى ايام حيضها ونفاسها (ثلاثا) اى ثلاث مرات ليتأكد حكم النهى عند المخاطب ويتبين على انم الوجوه وقال القرطبي فى حديث صوم الابد وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن صيام الابد فقال لاصام ولاافطر يحتمل ان يكون دعاء عليه لانه اخبر عنه ويحتمل ان يكون خبرا عن انه لم يأت بشئ ووجه ذلك ان من سرد الصوم صار له عادة ولم يجد له مشقة فيعود النهار فى حقه كالليل فى حق غيره فكأنه ماصام اذلم يجد مايجده الصائم ولاافطر لصورة الصوم ونكون لابمعنى ما كما قال الله تعالى * فلا صدق ولاصلى * وحمل كثير من العلماء هذا على ما ذا صام الابالمحرمة فاما لو افطرها فكرهه قوم واجازه آخرون وقال ابو الطاهر بن بشير هو مستحب وهذا ابعدها وقال النووى فى شرح مسلم فى احاديث النهى عن صوم الدهر وقد اختلف العلماء فيه فذهب الظاهرية الى منع صيامه وذهب الجمهور الى جوازه اذالم يصم الايام المنهى عنها وهي العيدان وايام التشريق وذهب الشافعي واصحابه ان صومه اذا افطر ايام النهى مستحب اذالم يلحقه ضرر ولا يفوت حقا فان وجد افكروه واستدلوا بحديث حمزة بن عمرو فى الصحيحين انه قال يارسول الله انى اسرد الصوم فاصوم فى السفر فقال ان شئت فصم واو كان مكروها لم يقره لاسيما فى السفر وكان عمر يسرد الصوم وكذلك ابو طلحة وعائشة وخلائق من المسلمين واجابوا عن حديث لاصام من صام الابد باجوبة منها انه محمول على حقيقته بان يصوم معه العيد والتشريق وبه اجابت عائشة رضى الله عنها ومنها انه فى حق من تضرر به اوفوت حقا ومنها انه لم يجد مشقة فهو خبر لادعاء وفى شرح الشرعة ولايصوم احد الدهر كله فانه مكروه لماروى ان عمر الفاروق رضى الله عنه قال يارسول الله كيف من يصوم الدهر كله قال لاصام ولاافطر يعنى كأنه لم يصم لانه لم يكن باذن الشارع فلا يثاب ولم يفطر ايضا وهو ظاهر واما من يفطر الايام المنهية فلابأس عليه لان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يصومه ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال ويكره صوم الدهر لانه يضعفه او يصير طبعاله وعبى العبادة على مخالفة العادة كذا فى فتح القدير (وزاد فى رواية) اخرى (وكان) يعنى عبدالله بن عمرو بن العاص

Marfat.com

رضى الله عنه (يقرأ على بعض اهله) اى زوجته (السبع من القرآن) وهو جزء من سبعة اجزاء منه (بالنهار) يكرره عليها ليحفظه (والذى يقرأه) عليها من السبع المذكور (يعرضه) اى يأتى به (من الليل) يعنى فى صلاة الليل (ليكون) ذلك الذى يقرأه على اهله بالنهار (خف عليه بالليل) فى الصلاة فتسهل قرآته ولا يثقل عليه شئ من ذلك وفى رياض الصالحين للنووى وفى رواية قال يعنى عبدالله المذكور انكحنى ابى امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته اى امرأة ولده فيسألها عن بعلها فتقول نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا ولم يفتش لنا كنفا منذ اتيناه فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال القنى به فلقيته بعد فقال كيف تصوم قلت كل يوم قال وكيف تختم قلت كل ليلة وذكر نحو ما سبق وكان يقرأ على بعض اهله السبع الذى يقرأه يعرضه من النهار ليكون اخف عليه بالليل (واذا اراد) يعنى عبدالله المذكور (ان يتقوى) لضعفه بكثرة الصيام والقيام (افطر اياما) تزيد على يومين (واحصى) اى ضبط مقدار ما افطر من الايام (وصام مثلهن) فى باقى ما يصوم حتى لا يكون افطر فيما مضى له من الايام شيئا لصيامه بدل ذلك فتكون ايام صيامه القضاء مشغولة بصيام عما مضى وان لم يكن له فيها صوم حاضر (كراهة) اى انما كان يفعل ذلك لانه كره (ان يترك شيئا) من العبادة التى (فارق عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى عهد نفسه تفعله ولا تفتر عنه فى زمان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان يقوى عليه (وفى) رواية (اخرى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) لعبدالله المذكور (ان احب الصيام) يعنى الى الله تعالى على ارادة كثرة الثواب منه تعالى عليه ورفع درجة من يأتى به لديه (صيام داود عليه السلام) وهو صوم يوم وفطر يوم كما قدمناه (واحب الصلاة) الى الله تعالى ايضا (صلاة داود عليه السلام) وذلك ان داود عليه السلام (كان ينام نصف الليل) الاول او الثانى (ويقوم ثلثه) من بعد النصف الاول او قبله (وينام سدسه) بقية النصف الآخر من آخر الليل او من اوله فيكون جملة نومه الثلثين من الليل وقيامه الثلث ويحتمل تقديم القيام او تأخيره او تارة وتارة (وكان يصوم يوما ويفطر يوما) وهو بيان لصيام داود عليه السلام المذكور فى هذه الرواية ويضارع حديث عبدالله هذا المذكور هنا ما نقله الامام النووى فى رياض الصالحين قال وعن ابى ربعى حنظلة بن الربيع الاسيدى الكاتب احد كتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقينى ابو بكر رضى الله عنه فقال كيف انت يا حنظلة قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قلت نكون عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا قال ابو بكر رضى الله

Marfat.com

عنه فوالله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت انا وابو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده ان لوتدومون على ماتكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات رواه مسلم واما (اقوال الفقهاء) جمع فقيه وهو العالم بمذهب المجتهد فى الفروع العملية * والمراد فقهاء الحنفية فيما يشيرون اليه من الاقتصاد فى العمل فهو كثير (قال فى) كتاب (الاختيار) شرح المختار (لاتجوز الرياضة) اى تعليم النفس مكارم الاخلاق (بتقليل الاكل) والشرب (حتى) يصل الى حالة (يضعف) معها جسده فتقل قواه الظاهرة والباطنة (عن اداء الفرائض) بحيث لايقدر ان يؤديها قائما مع السهولة وربما لايقدر على ضبط ركعاتها وسجداتها وتسبيحاتها لفساد خياله وفى بعض الكتب ولاتجوز الرياضة بتقليل الاكل حتى يضعف عن اداء العبادة وهى اعم من الفرائض فتشمل النوافل (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم (لمعاذ بن جبل رضى الله عنه) يامعاذ ان نفسك (التى انت) قائم بسببها فى الحياة الدنيا وهى التى تعبر عنها بقولك انا وهى المكلفة المخاطبة بالامر والنهى الحالة فى الجسد حلول ماء الورد فى الورد وبالموت تفارق الجسد فتشرق عليه وعلى اجزائه اذا تفرقت كاشراق الشمس على الارض وهى فى عالمها فى نعيم اوعذاب اليم (مطيتك) والمطية الدابة تمطو فى سيرها اى تسرع وانما كانت نفسه مطيته لقيامه بسببها وبقاء وجوده فى الدنيا مادام جسده محمولا بها وكونها مطيته مع انه ليس غيرها باعتبار انقسامها الى عالم ومعلوم فهى من حيث هى معاومة مطية لها من حيث هى عالمة (فارفق بها) اى تعاهدها بالحفظ عليها بقاءها من الشهوات المباحة مقدار الحاجة (وليس من الرفق) بها (ان تجيعها وتذيبها) حتى تضعف بقلة الامداد فانها مخلوقة على تركيب يقتضى المادة الطبيعية وماهى ملك يقتات بالغذاء المعنوى من التسبيح والخشوع والحضور غاية الامر انك لاتكثر عليها المادة الطبيعية حتى يرجع بهيمته وتوسط فى رعايتها لانك محتاج اليها مدة بقائك فى عالم التكليف وقد اوصاك الله تعالى بحفظها والحذر عليها حيث قال تعالى *ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة* وقال تعالى *قوا انفسكم واهليكم نارا* الآية ومتى تركت رعايتها وحفظها ضعفت فانقطعت عن عبادة الله تعالى بسبب ضعفها ولايمكنك العبادة الابها فيلزمك مراعاة حقوقها كما تقدم فى حديث سلمان رضى الله عنه وان لنفسك عليك حقا (ولان ترك العبادة) المفروضة والواجبة (لايجوز)

Marfat.com

مع القدرة عليها (فكذا) لايجوز فعل (مايفضى) بالفاء اى يوصل (اليه) اى الى ترك العبادة من عدم مراعاة الحقوق النفسانية قال فى الشرعة وشرحها فرض الاكل من اعظم الفرائض لانه قوام الخير كله لان تحصيل الخير انما يكون بسلامة البدن وذلك لايتيسر الابالاكل وعلم الاكل والشرب مقدم على علم العبادة لان العبادة بهما تقوم كقيام الصلاة بالطهارة فى امتناعها بدونها ولكن فيه تنبيه على ان قيام العبادة بهما بحسب جرى عادة الله تعالى لانها تمتنع بدونهما عقلا وعدم تقديم فصل الاكل والشرب على فصول العبادة مع تقدم علمهما عليها لما انها مقصودة بالذات وهما من الوسائط وحكى ان رجلا قال لابن سيرين علمنى العبادة وآدابها قال كيف تأكل الطعام قال آكل حتى اشبع قال لاتأكل اكل البهائم بعد اذهب فتعلم الاكل والشرب اولا ثم تعلم العبادة وآدابها كذا فى الخالصة وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر معزيا الى الاختيار قال بعد ذكر نحو ماتقدم فاما تجويع النفس على وجه لايفضى الى العجز عن اداء العبادات فهو مباح وفيه رياضة النفس وبه يصير الطعام مشتهى بخلاف الاول فانه اهلاك للنفس وكذا الشاب الذى يخاف الشبق لابأس بان يمتنع عن الاكل ليكثر شهوته على وجه لايعجز عن اداء العبادات على ماقال صلى الله عليه وسلم فانه له وجاء (وقال فيه ايضا) اى فى الاختيار شرح المختار (الكسب) اى تحصيل امور المعيشة على الوجه المشروع (انواع) اربعة الاول (فرض) بحيث يثاب على فعله بالنية الصالحة ويعاقب على تركه متى امكنه وتركه (وهو الكسب) اى التحصيل (بقدر الكفاية) اى مقدار مايكفيه ويسد حاجته (لنفسه وعياله) كزوجته واولاده وآبائه ومن تجب عليه نفقته من حيث الاكل والشرب والكسوة والسكنى (وقضاء ديونه) فانه فرض عليه لاصحابها اذا كان قادرا على ادائها ومن عجز فمات وكان من نيته لوقدر لأداها لايأثم كما ذكر فى البزازية اوائل كتاب الزكاة قال مات وعليه ديون ان كان من قصده الاداء لايؤاخذ به يوم القيمة لانه لم يتحقق المطل (ثم قال) يعنى فى الاختيار (فان ترك الاكتساب) مع قدرته عليه (بعد ذلك) اى بعد تحصيل مقدار كفايته منه (وسعه) ذلك اى جازله الترك قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال محمد بن سماعة سمعت محمد بن الحسن يقول طلب الكسب فريضة كما ان طلب العلم فريضة وهذا صحيح لما روى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الكسب فريضة على كل مسلم وقال عليه الصلاة والسلام طلب الكسب بعد الصلاة المفروضة اى الفريضة بعد الفريضة ولانه لايتوصل الى اقامة الفرض الابه فكان فرضا لانه لايمكن من اداء العبادات الابقوة بدنه وقوة بدنه بالقوت عادة وخلقة قال الله تعالى * وماجعلناهم جسدا لايأكلون الطعام * وتحصيل القوت بالكسب ولانه

Marfat.com

يحتاج فى الطهارة الى آلة الاستقاء والآنية و يحتاج فى الصلاة الى مايستر عورته وكل ذلك انما يحصل بالكسب والرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتسبون فآدم زرع الحنطة وسقاها وحصدها وداسها وطحنها وعجنها وخبزها ونوح كان نجارا وابراهيم كان بزازا وداود كان يصنع الدروع وسليمان يصنع المكاتل من الخوص ونبينا صلى الله عليه وسلم رعى الغنم وكانوا يأكلون من كسبهم وكان الصديق رضى الله بزازا وعمر رضى الله عنه يعمل فى الاديم وعثمان رضى الله عنه كان تاجرا يجلب الطعام فيبيعه وعلى رضى الله عنه كان يكتسب فقد صح انه كان يؤاجر نفسه ولا يلتفت الى جماعة انكروا ذلك وقعدوا فى المساجد اعينهم طامحة وايديهم مادة الى مافى ايدى الناس يسمون انفسهم المتوكلة وليسوا كذلك متمسكون بقوله تعالى * وفى السماء رزقكم وماتوعدون * وهم بمعناه وتأويله جاهلون فان المراد به المطر الذى هو سبب انبات الرزق ولو كان الرزق ينزل من السماء لما امرنا بالاكتساب والسعى فى الاسباب قال تعالى * فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه * وقال تعالى * انفقوا من طيبات ما كسبتم * وفى الحديث ان الله تعالى يقول ياعبدى حرك يدك انزل عليك الرزق وقال تعالى * وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * وكان تعالى قادرا ان يرزقها من غير هز منها لكن امرها ليعلم العباد ان لا يتركوا الاسباب فان الله تعالى هو الرزاق ونظير هذا خلق الانسان ضعيفا فان الله تعالى قادر على خلقه لا من سبب ولا فى سبب كآدم عليه السلام و يخلق من سبب لا فى سبب كحواء وقد يخلق فى سبب لا من سبب كعيسى عليه السلام وقد يخلق من سبب فى سبب كسائر بنى آدم فطلب العبد الولد بالنكاح لا ينفى كون الله تعالى هو الخالق فكذلك طلبه الرزق باسبابه لا ينفى كون الرزاق هو الله تعالى والدلائل على ذلك كثيرة والاحاديث الواردة فيه متواترة وكتابنا هذا يضيق عن استيعابها وفى هذا بلاغ النفع كذا فى الاختيار ونحوه فى جامع الفتاوى اه قلت وهذا كلام فى غاية الحسن وهو متوجه على البطالين الفارغين من الاشتغال بالخالق المشتغلين ببواطنهم بالناس و بمراقبة شهواتهم واما من اشتغلت قلوبهم بالله تعالى وتفرغت بواطنهم لمراقبته فى جميع احوالهم العادية بحيث استسلمت قلوبهم له وانطرحت اسرارهم بين يديه فلم يطلبوا منه نعيما فى الآخرة ولم يخافوا عذابا وانما يرجونه هو و يخافونه لا ماسواه فضلا عن الرغبة فى الشهوات العاجلة فليس هذا الكلام فى شأنهم وهم موجودون فى الناس ان شاء الله تعالى الى يوم القيامة ولا يجوز لاحد ان يظن فى احد يراه متوكلا بلا اشتغال بكسب فى مسجد اوغيره انه هو بعينه من القسم الذى اراده الفقهاء فى انه آثم تارك لفرض الاكتساب خصوصا اذا كان له عائلة فقراء محتاجون وهو مشتغل بالعبادة عن الاكتساب فان مثل هذا يحتمل ان يكون من القسم الثانى الذى ذكرناه شغله الله تعالى به عما سواه وسوء الظن حرام والتجسس

Marfat.com

حرام ايضا بل كلام الفقهاء باق على حاله فى حق من كان موصوفا بماذكروه فيما يعلمه الله تعالى وكلامنا ايضا باق فى حق من كان موصوفا بماذكرناه فيما يعلمه الله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح والنوع الثانى من انواع الاكتساب المباح بلاائم فيه ولاثواب عليه وقداشار اليه بقوله (وقال فيه) اى فى كتاب الاختيار شرح المختار (وان اكتسب مايدخره) اى يبقيه الى وقت الحاجة اليه من المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك (لنفسه وعياله) ولو الى سنين مستقبلة (وهو) يومئذ (فى سعة) اى وسعة من العيش (فقد صح) فى الحديث (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ادخر قوة عياله سنة) اى حولا فلو كان ذلك مكروها لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير ان من مذهب ابى ذر الغفارى رضى الله عنه انه يحرم على الانسان ادخار مازاد على حاجته من المال اه ويرد على مذهبه فعله عليه السلام وعن سفيان بن عيينة انه قال ليس شئ فى الحيوان يخبأ قوته الا الانسان والنملة والفارة والعقعق ومن الكسب المباح اكتساب الزيادة على حاجته لاجل التجمل قال فى المبتغى بالغين المعجمة من الكسب ماهو مباح للتجمل والتنعم حتى يبنى البنيان وينقش الحيطان ويشترى السمارى والغلمان لقوله عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح انتهى ومحل ذلك كله اذالم يكن للتكبر والتفاخر والتكاثر والافهو من قسم الحرام والاعمال بالنيات والناس فى ذلك محمولون على المحامل الحسنة مااامكن بلاظن سوء بهم ولاتجسس عليهم (و) النوع الثالث من الكسب (مستحب) يعنى يثاب بفعله ولايأثم بتركه (وهو) كسب (الزيادة على ذلك) اى على قدر الكفاية (ليواسى به) اى بالزائد مما اكتسبه يقال واساه بماله مواساة اناله منه وجعله فيه اسوة ولايكون ذلك الا من كفاف فان كان من فضله فليس بمواساة كذا فى القاموس والكفاف ما كف عن الناس واغنى وهو قدر الكفاية والمراد هنا اعلا مايكفى حتى يواسى بالزائد على الادنى (فقيرا) اى محتاجا الى ذلك من ذكر اوانثى اوخنثى قريب منه اوبعيد (اوليجازى) على قرابته اى يقابل (به قريبا) من اقاربه الادنى اوالاباعد وهى صلة الرحم فانها تكون بالهدية ونحوها وفى عبارة ملتقى الابحر او يصل به قريبا (فانه) اى كسب الزيادة بقصد ماذكر (افضل من التخلى) اى التفرغ (لنفل العبادة) من صلاة تطوع اوقراءة قرآن اونحو ذلك مما لم يفترض عليه (لان منفعة النفل) من العبادة (تخصه) فلا يثاب بهما غير الفاعل لها (ومنفعة الكسب) على الوجه المذكور عامة (له) اى للكاسب (ولغيره) ولاشك ان النفع المتعدى افضل من القاصر (قال صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس) بصدقة بمال اوبكلمة حق اوبمعونة على فعل خير اوترك شر اوبتعليم علم نافع اوبدعاء واستغفار (انتهى) كلام صاحب الاختيار والنوع الرابع من الكسب مكروه وهو بجمع للتفاخر والبطر وان كان من حل فقد قال

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا متفاخرا متكاثرا لقى الله وهو عليه غضبان كذا
فى الاختيار وسماه فى ملتقى الابحر حراما لانه مكره كراهة تحريم والمكروه تحريما يسمى
حراما عند محمد وقال فى شرح الشرعة ومما يجب ان يعتقد ان الكسب غير مؤثر فى الرزق
كما ان الشبع لا يحصل بالطعام بل بخلق الله تعالى ورب اكلة لا تشبع الآكل اذا لم يقدر
الله تعالى الشبع فيها ويقال الناس فى الكسب على خمس مراتب منهم من يرى الرزق
من الكسب فهو كافر ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا ولا يعصى
الله تعالى لاجل الكسب فهو مؤمن مخلص ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى
الله تعالى من اجل الكسب ولا يؤدى حقه فهو فاسق ومنهم من يرى الرزق من الله
ومن الكسب فهو مشرك ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ولا يدرى ايعطيه ام لا فهو
منافق شاك ذكره فى مشكاة الانوار وتنبيه الغافلين وفى الخلاصة المذهب عند جمهور العلماء
والفقهاء ان جميع انواع الكسب فى الاباحة على السواء واختلف المشايخ فى ان الزراعة افضل
او التجارة فقال بعضهم التجارة افضل واكثر مشايخنا على ان الزراعة افضل (وقال فى)
كتاب الفتاوى (التاتارخانية) فى فقه الحنفية (يكره) كراهة تحريم اذ هى المحمل
عند الاطلاق (ان يجتمع قوم) من الناس (فيعتزلون فى موضع) كمسجد ونحوه
ويمتنعون عن استعمال (الطيبات) اى الملذوذات فى المآكل والمشارب والملابس
والمساكن والمناكح والمراكب من الخيل ونحوها (يعبدون الله) تعالى بانواع العبادات
(فيه) اى فى ذلك الموضع (ويفرغون انفسهم لذلك) اى للعبادة فقط ليلا ونهارا
دون الاشتغال بشئ من المباحات فى بعض الاوقات فيتركون الاكتساب من الحلال
والجمعة والجماعات مع اخوانهم المسلمين فان هذا امر منهى عنه كما سبق فى حديث
عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره (وكسب) المال (الحلال) لينفق منه على نفسه
وعياله ويتصدق من فضله (و) كذلك (لزوم) صلاة (الجمعة و) الصلوات الخمس
مع (الجماعات) الراتبة فى المساجد التى (فى الامصار) جمع مصر وهى البلاد (احب)
من ترك ذلك (ولزم) اى اشد لزوما لافتراضه عليه فى الجملة (انتهى) اى فرغ كلام
التاتارخانية وفى شرح الشرعة قال عمر الفاروق رضى الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب
الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وروى ان عيسى
عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع قال اتعبد فقال ومن يقوتك قال اخى قال اخوك
اعبد منك ذكره فى الاحياء (فان قلت) هذا سؤال نشأ من جملة ما تقدم (يعارض
ما ذكرت) هنا من الاحاديث ونقلته عن الفقهاء من منعهم من الرياضة وكثرة المجاهدات
وترك الاكتساب (ما) اى الذى (نقل) بالبناء للمفعول اى نقله العلماء فى كتبهم فى علم
الطريقة (عن السلف) الصالحين (من شدة الرياضات) بتقليل الاكل والشرب
قال فى شرح الشرعة ومن الريدين من رد الرياضة الى طى الايام حتى انتهى بعضهم

Marfat.com

الى ثلاثين يوما واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء ايضا وقالوا من طوى اربعين يوما عن الطعام ظهر له قدرة من الملكوت اى كوشف له بعض الاسرار الالهية وقد وقف بعض من هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع فى اسلامه فكلمه بكلام كثير الى ان قال له اراهب ان المسيح كان يطوى اربعين يوما وانه معجزة لاتكون الالنبي صادق فقال الصوفى فان طويت اناخمسين يوما تترك ماانت عليه وتدخل فى دين الاسلام قال نعم فقعد لايبرح الاحيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال ازيدك ايضا فطوى ستين فتعجب منه الراهب وقال ما كنت اظن احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وذكر القشيرى فى الرسالة ان سهل بن عبدالله كان لايأكل الطعام الا اكاة فى خمسة عشر يوما فاذا دخل رمضان كان لايأكل حتى يرى الهلال وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح ودخل ابوتراب النخشبي من بادية البصرة مكة فسأله احمد بن يحيى بن الجلا عن اكله فقال خرجت من البصرة فاكلت بنباح ثم بذات عرق ومن ذات عرق اليكم فقطع البادية باكلتين وكان ابو عثمان المغربى يقول الربانى يأكل مرة فى اربعين يوما والصمدانى فى ثمانين يوما وذكر النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فيما ورد فى التشبه قال ومن هذا القبيل ماذكره ابو طالب المكى فى القوت وابو حامد الغزالى فى الاحياء عن ابى بكر رضى الله عنه انه كان يطوى ستة ايام وعن عبدالله ابن الزبير انه كان يطوى سبعة ايام وعن الثورى وابن ادهم انهما كانا يطويان ثلاثة ايام وعن محمد بن عمر العرنى وعبدالرحمن بن ابراهيم وحيم وابراهيم التيمى وحجاج بن قرافصة وحفص العابد الصيصى والمسلم بن سعيد وزهير البانى وسليمان الخواص وسهل بن عبدالله وابراهيم بن احمد الخواص ان طيهم وصل الى ثلاثين يوما ومن اعجب مافى هذا الباب ماروى عن سهل بن عبدالله انه اقتات بثلث درهم فى ثلاث سنوات وعن الشيخ محيى الدين بن لعربى انه اقتات من اول المحرم الى عيد الفطر بلوزة واحدة رضى الله تعالى عنه (و) من (كثرة المجاهدات) فى منع نفوسهم من الشهوات فى المآكل وغيره قال القشيرى فى رسالته حكى عن ابراهيم بن سنان انه قال مابت تحت سقف ولافى موضع علوا ربعين سنة وكنت اشتهى فى اوقات ان اتناول شبعة عدس فلم يتفق وعن السرى السقطى انه كان يقول ان نفسى تطالبنى منذ ثلاثين اوار بعين سنة ان اغمس جزرة فى دبس فاطعمتها وقيل ان عصام بن يوسف البلخى وجه شيئا الى حاتم الاصم فقبله فقيل له لم قبلته فقال وجدت فى اخذه ذلى وعزه وفى رده عزى وذله فاخترت عزه على عزى وذلى على ذله وقيل لبعضهم انى اريد ان احج على التجريد فقال جرد اولاقلبك عن السهو ونفسك عن اللهو ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت وقال جعفر بن نصير دفع الى الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزنى فلما افطر اخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف فى قلبى هاتف

Marfat.com

اما تستحيي تركتها من اجله ثم تعود اليها (و) من (الاجتهاد فى) انواع (العبادات) كما روى ان اويس القرنى رضى الله عنه قال والله لاعبدن الله عبادة الملائكة فكان ليلة يقطعها قائما وليلة يقطعها ساجدا وليلة راكعا وفى ذلك اشارة الى ان اولياء الله تعالى من بنى آدم ترجو همهم الى التشبه بالملائكة والاقتداء بهم والتساوى معهم فى الطاعات كذا ذكره النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه وذكر القشيرى انه قيل للجنيد رضى الله عنه ممن استفدت هذا العلم فقال من جلوسى بين يدى الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة واوما الى درجة فى داره ومعلوم ان ذلك كان بكثرة عباداته لله تعالى وقد كان رضى الله عنه يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلى اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ونقل عن ابى الحسين النورى رضى الله عنه انه كان يخرج كل يوم من داره ويحمل الخبز معه ثم يتصدق به فى الطريق ويدخل مسجدا يصلى الى قريب من الظهر ثم يفتح باب حانوته ويصوم فكان اهله يتوهمون انه يأكل فى السوق واهل السوق يتوهمون انه يأكل فى بيته وبقى على هذا فى ابتدائه عشرين سنة وقال يوسف بن الحسين اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لايجئ منه شئ وكان ابو حمزة الخراسانى يقول كنت قد بقيت محرما فى عباء اسافر فى كل سنة الف فرسخ تطلع على الشمس وتغرب كلما احللت احرمت وعن ابى على الثقفى امام الوقت انه كان يقول لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لايبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام او مؤدب ناصح ومن لم يأخذ ادبه من استاذ بريه عيوب اعماله ورعونات نفسه لايجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات وعن ابى عبدالله بن خفيف انه كان يقول ربما كنت اقرأ فى ابتداء امرى فى ركعة واحدة عشرة آلاف مرة قل هو الله احد وربما كنت اقرأ فى ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت اصلى من الغداة الى العصر الف ركعة (كصيام الدهر) اى العمر كله (و) صيام (الوصال) اى المتابعة وايصال اليوم باليوم من غير فطر بينهما (والقيام) بالصلاة (فى كل الليالى) كما نقل عن سهل بن عبدالله التسترى رضى الله عنه انه كان يقول حفظت القرآن وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتى خبز الشعير اثنى عشر سنة ثم عزمت على ان اطوى ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة ومكثت عليه عشرين سنة ثم خرجت اسيح فى الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله ذكره القشيرى فى رسالته وذكر ايضا عن ابى يزيد قال كنت اثنتى عشرة سنة حداد نفسى وكنت خمس سنين مرآة قلبى وسنة نظر فيما بينهما فاذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه اثنتى عشرة سنة ثم نظرت فاذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين نظر كيف اقطع وكشف لى فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم اربع تكبيرات وكان

Marfat.com

بعض المشايخ يصلى فى مسجد، فى الصف الاول سنين كثيرة فعافه يوما عن الابتكار الى المسجد عائق فصلى فى الصف الاخير فلم ير بعد ذلك مدة فسئل عن السبب فقال كنت اقضى صلاة كذا وكذا سنة صليتها وعندى انى مخلص فيها لله فدا خلنى يوم تأخرى عن المسجد من شهود الناس اياى فى الصف الاخير نوع خجل فعلمت ان نشاطى طول عمرى انما كان على رؤيتهم فقضيت صلواتى (والاجتناب) اى التباعد (عن) انواع (المشتهيات) اى ما تشتهيه النفوس (و الطيبات) اى اللذائذ فى المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح والمساكن ونحو ذلك على حسب ما قدمناه عن بعض السادة رضى الله تعالى عنهم (و) كذلك (الختم) للقرآن العظيم من اوله الى آخره (فى كل يوم مرة اومرتين) كما قدمناه (بل مرات) كثيرة كما نقل المناوى فى شرح الجامع الصغير قال القسطلانى واخبرنى شيخ الاسلام البرهان ابن ابى شريف انه كان يقرأ خمسة عشر ختمة فى اليوم والليلة وفى الارشاد ان النجم الاصبهانى رأى رجلا من اليمن ختم فى شوط اواسبوع وهذا لا يتسهل الا بفيض ربانى ومدد رحمانى واخبرنى بعض الثقات ان شيخنا العارف عبد الوهاب الشعراوى ختم بين المغرب والعشاء ختمتين واخبرنا الشيخ على المرصفى انه قرأ فى ايام سلوكه فى يوم وليلة ثلاثمائة الف ختم وستين الف ختم كل درجة الف ختم اه ولا يستبعد هذا على اولياء الله تعالى الذين غلبت روحانياتهم على جسمانياتهم والروح من امر الله وامر الله كلمح بالبصر كما اخبر تعالى وعرض كلمات القرآن كلها مع معانيها فى لسان الولى كلمح بالبصر ما هو ببعيد والله على كل شئ قدير (قلنا) يعنى فى الجواب عن هذا السؤال المذكور من جهة المصنف رحمه الله تعالى ثلاثة اجوبة (اولا) اى جوابا اولا (لا معارضة بين الوحى) القرانى والنبوى المتقدم بيانه فى الآيات والاحاديث المقتضية لطلب الاقتصاد والتوسط من المكلف فى الاعمال (وغيره) مما نقل عن السلف الصالحين مما ذكرنا، من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات اذ الوحى اقوى من كل وجه ولا مناسبة بين الاقوى والاضعف وبين قول المعصوم وغير المعصوم فلا معارضة اذ المعارضة تقتضى التسوية ولا تسوية بينهما (حتى نحتاج الى الجواب) عن صنيع السلف فان ما ورد عن الشارع لا يعارضه ما ورد عن غير الشارع وانما نحن مكلفون باتباع الشارع فيما ورد عنه لا باتباع غيره (فعليك) ايها المكلف اى الزم (الاخذ) اى التمسك (بما ثبت) عندك من الدين المحمدى (بالكتاب والسنة) يعنى بالوحى القرآنى والنبوى فابحث عن ذلك واحفظه واعمل به على حسب ما كلفك الله تعالى لتخرج بذلك من عهدة الخطاب واترك عنك النظر والتفحص عما ورد عن السلف الماضين من الرياضات والمجاهدات فانهم اعلم منك باعمالهم وانت جاهل بما هم مطلعون عليه من احوالهم فلا تقتد بما لا تعلم ارجحيته من الاعمال واسكت عن البحث عنه طاويا عنهم بساط المقال كما قال تعالى *تلك امة قد خلت لها ما كسبت

Marfat.com

ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانو يعملون * واحذر من الطعن على احد منهم واعتقاد مخالفته لما علمت من الكتاب و لسنة فانهم اعلم منك بهما و اكثر فهما منك ومن امثالك لمعانيهما لقرب عهدهم بزمن النبوة وتنو ير عقولهم بمعرفة الله تعالى وزيادة الاتباع للسنة والاخلاص وليقين ولتوحيد والزهد مالا يخطر لك ولا لامثالك ببال ولله در بن الوردى حيث قال فى وصيته لابنه رحمهما الله تعالى * لا تخض فى حق سادات مضوا * انهم ليسوا باهل للزلل * وانما نت يا ايها الفقيه المسكين تعرف حصة من كيفية الاعمال الشرعية استخلصت معرفتها من بين يدى اشغالك بشهوات بطنك وفرجك ليلا ونهارا فانت فرحان بها تظن انك بسببها صرت من العلماء الكبار وساويت المتقدمين اهل العلوم الالهامية الوهبية والاعمال الصالحة المرضية المكتسبة بالارواح الامرية والنفوس الطيبة الزكية والاجسام المتغذية بالحلال المطهرة عن الشبهات وعن الحرام المحمية فاعمل بما ظهر لك ان اردت النصيحة ولا تدخل فى اعمال من هو اعلى منك من اولى الهمم الصحيحة ومن اين للعصفور ان يأكل من مأكل النسور فان حوصلته المعتادة على الحبات الصغار لا تشابه حوصلة النسر التى لا يقيتها غير اللقم الكبار قد علم كل اناس مشربهم يعنى عذوبة واجاجا ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (وثانيا) اى جوابا ثانيا (انا نمنع صحة الرواية عنهم) اى عن السلف الماضين فيما ذكر من التشديدات فى الرياضات والمجاهدات حيث كانت تخالف عندنا ظواهر الكتاب والسنة على حسب ما تقدم (اذ لم يقع عنها) اى عن تلك الامور الواردة عنهم بين العلماء الناقلين لها فى كتبهم (بحث وتفتيش بل اكثرها) اى اكثر تلك الامور (خال عن سند) الى من نقلت عنه وان اشتمل بعضها على السند الصحيح (بخلاف الكتاب العزيز) فانه ثابت الآن بالتواتر (والاخبار النبوية) فانه وقع فيها من اهل الحديث البحث والتفتيش الكثير حتى صححوا اسنادهم فيها (فلا مساواة فى النقل) بين مالم يبحث عنه مالم تتصل سندا كثره وبين ما بحث عنه حتى اتصل سنده وعدلت رواته (فكيف يتصور التعارض) بين ماهذا شأنه حتى يحتج به احد ويترك الاحتجاج بما هو ظاهر الكتاب والسنة وليس هذان الجوابان باقوى من الثالث لان جميع ما ورد عن السلف الماضين رضى الله عنهم من التشديدات المذكورة والرياضات والمجاهدات لا تخالف شيئا من الدين المحمدى اصلا بل هى واردة فيه ايضا فى الكتاب و لسنة فى حق من يقدر عليها ويتفرغ لها من غير ان تكون واجبة عليه لانها نفل زائد على ما كلف به مثاب عليها كما ورد الاقتصاد والتوسط فى الاعمال ايضا فى الكتاب والسنة فى حق من لا قدرة له ممن يخاف عليه الملل وفى الدين تسهيل وتصعيب قال الله تعالى * واتقوا الله حق تقاته وقال فاتقوا الله ما استطعتم وانزل تعالى فى حق وحشى قاتل حمزة قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما فلما قرئت على

Marfat.com

وحشى قال ان فى هذه الآية شروطا واخشى ان لا افى بها ولا اطيق ان اعمل عملا صالحا فهل عندك شئ الين من هذا يا محمد فانزل الله تعالى * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * فقال وحشى وانا لا ادرى لعلى ان لا اكون فى مشيئته ولو كانت الآية ويغفر مادون ذلك ولم يقل لمن يشاء كان ذلك فهل عندك شئ اوسع من ذلك يا محمد فنزل قوله تعالى * قل ياعبادى لذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * فقال وحشى اما هذه فنعم واسلم رضى الله عنه ولا شك ان الآية الاولى والثانية اصعب من الثالثه لوجود الشروط فيهما دون الثالثة والآيات الثلاثة مما السبب فيها خاص والحكم عام فى حق وحشى وغيره من الامة الى يوم القيامة وقال تعالى فى آية التيمم * فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه فصعب سبحانه باشتراط اخذ جزء من الصعيد ووضعه على الوجه واليدين وقال تعالى فى آية اخرى * فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم * ولم يقل منه فسهل سبحانه حيث لم يشترط اخذ جزء من الصعيد كما قرره الفقهاء فى التيمم حيث لم يحملوا فيه المطلق على المقيد كما هو من اصول مذهب الحنفية وصنف الشعراوى رحمه الله تعالى كتاب الميزان فيما شدد فيه الشارع وما سهل بحسب الاحكام فى اختلاف المذاهب وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه عرضت عليه بطحاء مكة ذهبا فاباها فشدد على نفسه ولم يأخذ من ذلك ليستعين به فى نصرة الحق ودفع شر الكافرين مع انه كان ذلك الغرض فى ابتداء الاسلام وقد خطب صلى الله عليه وسلم فى يوم عزمه لغزوة تبوك فقال من جهز جيش العشرة اضمن له الجنة حتى جهزه عثمان رضى الله عنه بماله فسهل على نفسه صلى الله عليه وسلم طلب الدنيا لترتفع بذلك درجة اصحابه وورد عنه صلى الله عليه وسلم صوم الوصال وكثرة الجوع حتى كان يربط الحجر على بطنه عليه السلام وورد ايضا انه عليه السلام قام الليل حتى تورمت قدماه فقيل له فى ذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا كما ورد فى صحيح مسلم وشرحه للنووى فى باب اكثار الاعمال والاجتهاد فى العبادة ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى حتى انتفخت قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وفى رواية حتى تفطرت رجلاه ومعنى تفطرت تشققت اه وكذلك ورد كثرة الصيام والقيام عن ازواجه امهات المؤمنين كما تقدم فى الحبل المربوط بين السار يتين وانه لزينب رضى الله عنها اذا فترت من قيام الليل تعلقت به واو كان ذلك معصية لما فعلته وامر النبى صلى الله عليه وسلم بحله للشفقة عليها رضى الله عنها لانه كان بالمؤمنين رؤف رحيم ولهذا عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنه الذى سبق ذكره لما نهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن كثرة العبادة لم يفهم انقلاب ذلك معصية بل قال لما كبر وددت انى كنت قبلت رخصة النبى

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم فسمى ماامره به النبي صلى الله عليه وسلم رخصة وماعمله هو عزيمة ولم يسم ماامره به عليه السلام هوالدين فقط ومن تأمل ماسبق من الآيات والاحاديث كلها علم ان ذلك كله رحمة من الله تعالى بالامة ومن النبي صلى الله عليه وسلم وترخيص للمؤمنين لايكون عليهم حرج فى الدين فان قوله تعالى * لاتحرموا طيبات مااحل الله لكم * اى لاتعتقدوا حرمتها بانكار الرخصة لكم فيها فاولم يحرموها وتركوا تناولها زهدا فى الشئ الفانى لامعصية فى فعلهم وكذلك قوله * قل من حرم زينة الله وقوله عليه السلام فى آخر الحديث السابق فمن رغب عن سنتى فليس منى اى من لم يعتقد جواز مافعلته ورخصت فيه وفعل اشد منه فى مقابلة قولهم فاين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدغفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر يريدون بذلك يبطلون الترخيص الشرعى فقال لهم عليه السلام ماقال وقوله عليه السلام فى الحديث الذى سبق ذكره ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه صريح فيما قلناه فالحاصل ان السلف الماضين رضى الله عنهم اختاروا ان يفعلوا العزائم فى انفسهم لانهم اهل الهمم والعزائم وكانوا معترفين بصحة الرخص الشرعية يفتون بها للعامة ويحرضونهم على فعلها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل احيانا يأمر بالرخص ويعمل هو العزائم لنفسه كما اخبر فى قضية صوم الوصال لما واصلوا مثله فنهاهم شفقة عليهم ورحمة بهم ثم قال لست كاحدكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وكان فى عامة السلف الماضين والعلماء العاملين رضى الله عنهم انهم يشددون على انفسهم ويسهلون على غيرهم من عباد الله تعالى شفقة على الناس وخوفا على انفسهم من التقصير حتى نقل القشيرى فى رسالته عن رويم بن احمد رضى الله عنه انه كان يقول من حكمة الحكيم ان يوسع على اخوانه فى الاحكام ويضيق على نفسه فيها فان التوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع وذكر ايضا عن النصراباذى رضى الله عنه انه كان يقول اصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الاهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية اعذار الخلق والمداومة على الاوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات وقدورد عن السلف رضى الله عنهم انهم كانوا يتركون من ورعهم سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى باب من الحرام وليس ذلك معصية فى حقهم بل اخذا بالعزيمة وذكر القشيرى فى باب الورع انه قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه كانوا يدعون سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع فى باب من الحرام وقال صلى الله عليه وسلم لابى هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس وللصالحين رضى الله عنهم فى الورع امور كثيرة سلفا وخلفا لاتكاد تحصى وليس شئ منها معصية وماهى اقتصاد ولاتوسط فى العمل فليس الدين محصورا فى ذلك حتى يكون التعارض بل قال تعالى * ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات *

Marfat.com

الآية فجعل تعالى الاقتصاد نوعا من الدين واهله بعضا ممن اصطفى سبحانه وكلام فقهاء الحنفية وغيرهم فى كراهة الرياضة بتقليل الاكل فيمن يوصله ذلك الى الهلاك والسلف رضى الله عنهم عالمون بحرمة القاء النفس الى التهلكة وقوتهم الروحانية التى كانوا يخرقون بها العادات تقدر على اكثر من ذلك وكذلك من كان مثلهم والله يخلق مايشاء وايضا مذهب الحنفية لا يقضى على مذاهب السلف وبالله التوفيق (وثالثا) اى جوابا ثالثا (ان المنع) الوارد فى ظواهر الآيات والاحاديث المتقدم ذكرها وفى قول الفقهاء ايضا (عن التشديد فى العبادة) على حسب ماقدمناه (معلل) فى الشرع المحمدى (بعلتين) موجبتين لذلك المنع عند العلماء العلة الاولى علة (لمية) اى نازلة حاصلة للمكلف فيخاف منها على المكلف ان تقتضى منع ماهو مطلوب منه ولو فى حق البعض دون البعض (هى) اى تلك العلة اللمية (الافضاء) بالفاء والضاد المعجمة اى الايصال (الى اهلاك النفس) وقد نهى الله تعالى عنه بقوله * ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * وذلك فى حق من لم يحتمل مقاساة تلك التشديدات لعدم المتابعة لشيخ مرشد عالم بمزاج المريد وحاله كمن عمل بنفسه الرياضة المفرطة حتى وصل الى حالة لم يمكنه معها الدوام على تلك الرياضة ولا العود الى حالته الاولى لفساد معدته واحتراق امعائه بثوران الحرارة وكثرة الجفاف وربما جفت رطوبة دماغه ففسد خياله وقلت قواه العاقلة وهذه تهلكة التى بيده اليها فهى منهى عنها بحكم الآية المذكورة والشيخ المرشد الكامل لايوصل المريد الى شئ من هذه المضار لانه عارف بالعلاج الشرعى والطبيعى فهو طبيب الاديان والابدان وهو الوارث المحمدى وليس يخلو عنه زمان من الازمان فاذا سلم المريد نفسه اليه وتأدب معه فى الظاهر والباطن اوقفه على ضرورة نفسه وسلك به فى طريق الرياضة الشرعية منزلة منزلة حتى يتحقق بنفسه ويتخلص من وساوس ظنه وحدسه فلا تفضى به تلك التشديدات حينئذ الى اهلاك النفس لانه لم يدخل فيها بنفسه بل بالمرشد الكامل فيكون كصنيع السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين حيث سلكوا فيها على ايدى المرشدين ولهذا لم ينقل عن احد منهم التضرر بشئ من ذلك بل انتفعوا بها فى معالم الدين ولم يزل الامر كذلك عند السالكين على ايدى الكاملين ولكن مراد الفقهاء التحذير فى العموم كما هو دأبهم فى جميع القضايا نفعا لكافة المكلفين (او) الافضاء اى الايصال الى (اضاعة) اى تفويت (الحق الواجب) على ذلك العبد (للغير) اى لنفسه فيما يرجع الى بقائها وبقاء حواسها الظاهرة والباطنة ولعياله واولاده واهله فى القيام عليهم وتربيتهم وخدمتهم وحفظهم والنظر فى مصالحهم فاذا كان له من يقوم بمؤنة ذلك اواستغنى عنه لعدم العيال والاهل ساغ له ذلك على يد المرشد الكامل كما ذكرنا والا امتنع فى حقه وائم به (او) الافضاء الى (ترك العبادة) لضعفه عنها وفساد بنيته

Marfat.com

التى هو قائم بها فيها وماادى الى ترك الفرض فهو حرام (او) الافضاء الى (ترك مداومتها) اى العبادة لضعفه فى المستقبل وفساد نيته فيه ان لم يكن فى الحال وهذا كله يبعد فى السلوك على يد المرشد الكامل وانما معه السلامة فى البدن والدين ان من الله تعالى على العبد بمعرفته والوصول اليه وتميزه من بين امثاله فى الخلقة الآدمية والطبيعية الانسانية (و) العلة الثانية علة (آنية) بالتشديد اى حقيقية محققة منسوبة الى ان المشددة النون المفيدة للتحقيق والتوكيد (هى) اى تلك العلة الانية (ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ارسل) اى ارسله الله تعالى (رحمة للعالمين) كما قال تعالى * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * وقال تعالى * لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم * ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بالعالمين الشفقة عليهم والملاطفة بهم والتخفيف فى كل ما امرهم به ونهاهم عنه ولهذا سأل ربه التخفيف عنهم فى ليلة المعراج وراجع ربه حتى كانت خمسين صلاة فرجعت الى خمس صلوات وكان يغضب من سؤال الصحابة له عن الاحكام التى لم تشرع مخافة ان ينزل الله تعالى فيها حكما يشق عليهم وكان يقول اتركونى ماتركتكم حتى انزل الله تعالى فى ذلك * يا ايها الذين آمنوا لاتسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم * الآية وقال لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة الى غير ذلك فكان نهيه عليه السلام عن التشديدات فى الدين لكمال شفقته على الامة حتى لايكون عليهم حرج فى شئ من ذلك (و) هو (مؤيد) اى مشدد مقوى (من عند الله) تعالى بالعناية والحفظ من التقصير فى الحقوق ومن لحوق الملل والسآمة فى العبادة (فيقوى على ما) اى امر من العبادة والطاعة (لايقوى عليه) اى على ذلك الامر (آحاد الامة) حتى انه صلى الله عليه وسلم فى قضية صوم الوصال بين انه اقوى منهم عليه حين نهاهم عنه فقال لست كاحدكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى كما ورد فى الحديث وله خصوصيات افردت بالتصنيف تدل على قوته عليه السلام الحسية والروحانية مالاتوجد فى غيره (وانه) عليه السلام (اخشى) اى اكثر خشية من (الناس) كلهم (من الله) تعالى (واتقاهم) اى اكثرهم تقوى لربه (واعلمهم بالله) كما ورد ذلك فى الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم وقدم بيانه (فلا يتصور) عند المؤمنين به صلى الله عليه وسلم وبانه ناصح الامة (منه) عليه السلام (البخل) بعدم بيان ماهو الاكمل من العبادات والطاعات وكتمان شئ مما امره الله تعالى ببيانه للامة مما هو الكمال فى حقهم (وترك النصح) لهم فى تقرير مايفعهم عند الله تعالى (ولا التوانى) اى التضاعف والتقاعس فى بيان الانفع (ولا التكاسل) فى ذلك (ولا الجهل) بالانفع لهم فى امر الدين) من حيث العلم والعمل (فلو كان) اى وجد (فى) امر (العبادة والقرب من الله) تعالى (طريق) يوصل الى شئ من ذلك (افضل) لهم (وانفع) عند الله

﴿ تعالى ﴾

Marfat.com

تعالى (غيرها) اى طريق (هو) صلى الله عليه وسلم (فيه) اى فى ذلك الطريق (لفعله) صلى الله عليه وسلم (او بيند) واوضحه الامة (وحث) اى حرض وحض (عليه) عباد الله الذى ارسله الله تعالى اليهم ليهديهم اليه صراطا مستقيما لانه انما ارسل لذلك ولهذا قال تعالى له * يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته (فتجزم) حينئذ (قطعا) من غير شك ولا شبهة (ان) جميع (ما) اى الذى (هو عليه) النبى (صلى الله عليه وسلم) اقوالا وافعالا واحوالا (افضل) عند الله تعالى (وانفع) للناس (واقرب الى) تحصيل (معرفة الله) تعالى (و) تحصيل (رضاه) سبحانه (من كل ماعداه) مما عليه جميع الناس فى جميع الازمان من عصره صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة والذى عليه صلى الله عليه وسلم هو ما تقدم بيانه من امره عليه السلام للامة بالاقتصاد فى الاعمال والتوسط فى الاحوال بين الافراط والتفريط كما هو سيرته فى الملأ صلى الله عليه وسلم لتقتدى به الامة وتنقل عنه اخبار دينها كما قال صلى الله عليه وسلم لما طاف راكبا على ناقته خذوا عنى مناسككم وقال صلوا كما رأيتمونى اصلى وهذا مقدار ما اطلع عليه علماء الظاهر اهل النقل والرواية من سيرته صلى الله عليه وسلم العامة واما سيرته الخاصة وباطنية شريعته صلى الله عليه وسلم مما لم تكن عليه المنافقون فى زمنه عليه السلام وبعده مما لم يعرفوه ليشاركوا فيه المؤمنين فى الظاهر فهى امور اسرها صلى الله عليه وسلم لخواص اصحابه وهم اسروها لخواصهم لانها مما تأخذ وتتلقى بالاحوال الصادقة والاعمال المصحوبة بالاخلاص والتقوى والخشوع والحضور كما قال تعالى * واتقوا الله ويعلمكم الله * وهى العلوم المخزونة والمعارف الالهية اللدنية المكنونة التى اشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه الا العلماء بالله فاذا قالوه لا ينكره الا اهل الغرة بالله و المراد باهل الغرة الذين ينكرونه علماء العلم الظاهر من شريعته صلى الله عليه وسلم مما كان يعرفه المؤمنون والمنافقون فى زمنه صلى الله عليه وسلم و بعده فيتساوى الفريقان فى العمل به ظاهرا ولنا رسالة صنفناها فى اثبات ان العلم الباطن كالعلم الظاهر وعلم الاذواق كعلم الكرار يس والاوراد مأخوذ جميع ذلك من الكتاب والسنة سميناها التنبيه من النوم فى حكم مواجيد القوم وقد قال صلى الله عليه و سلم فى حديث المعراج كما ذكره القسطلانى فى مواهبه وغيره وسألنى ربى فلم استطع ان اجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فاورثنى علم الاولين والاخرين وعلمنى علوما شتى فعلم اخذ على كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيرى وعلم خيرنى فيه وعلمنى القرآن فكان جبريل يذكرنى به وعلم امرنى بتبليغه الى العام والخاص من امتى اه فانظر فانه لم يحصر صلى الله عليه وسلم العلم الحق فى العلم الذى امر الله تعالى بتبليغه الى العام والخاص الذى هو علم الشرايع والاحكام على وجه الاقتصاد والتوسط فى العلم الذى يعلمه علماء الظاهر كما فعل اهل الظاهر القاصرون وانما اخبر الصادق

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم ازهاك عابين آخرين هما حق ايضا بل علوم شتى كما قال عليه السلام واما العلم الذى اخذ عليه كتمانه صلى الله عليه وسلم فهو علم النبوة مما لا يعلمه الا نبى ولهذا قال فيه عليه السلام اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيرى فبين بذلك وجه اخذه عليه كتمانه فانه لا فائدة فى بيانه حيث لا يقدر احد على حمله اى العلم به فانه لا يقدر الا نبى ولا نبى بعده صلى الله عليه وسلم و اما العلم الذى خيره فيه فهو علم الولاية وهو علم باطن الشريعة وحقيقتها واسرارها مما لا يؤخذ الا بالتقوى وصفاء المعاملة مع الله تعالى المشار اليه بقوله تعالى فى الخضر *وعلمناه من لدنا علما* وقوله تعالى *واتقوا الله ويعلمكم الله* وقول النبى صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين و يلهمه رشده وهو العلم الموروث للعلماء بالله من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم باسانيد الالهام ونقلة الكشف التام الى قلبه صلى الله عليه وسلم و باطن حاله كما ان العلم الذى امر الله تعالى بتبليغه موروث عنه ايضا صلى الله عليه وسلم باسانيد الرواة ونقلة المشايخ الموثقين الى فمه صلى الله عليه وسلم وظاهر فعله وهذا ابو هريرة رضى الله عنه يقول احفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين من العلم اما احدهما فبثثته واما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم اى الحلقوم ومراده لقتلونى لحكمهم بكفرى حيث لم يفهموا ما اشير اليه فى كلامى من حقائق المعانى واسرار الشريعة المطهرة فالوعاء من العلم الذى بثه هو علم الظاهر الذى تعرفه الفقهاء من احكام الشريعة المحمدية والوعاء من العلم الذى لم يبثه هو علم الباطن من حقائق الشريعة ومالا يعلمه الا المقربون من الاولياء والصديقين والحاصل ان علم التقوى وهو العلم المأخوذ بالرياضات والمجاهدات وحبس النفوس عن شهواتها بملازمة المراقبة والحضور علم صحيح مأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدلول عليه عند اهله العلماء به بالادلة من الكتاب والسنة واعمال النبى صلى الله عليه وسلم وشارات اقواله واحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين كما ان العلم الظاهر المأخوذ بالقراءة على المشايخ والرواية عنهم والحفظ من الكتب علم صحيح ايضا مدلول عليه عند العلماء به بالادلة من الكتاب والسنة واقوال النبى صلى الله عليه وسلم واعماله واقوال الصحابة والتابعين والسلف الماضين واعمالهم والله تعالى لم يقطع من الارض ولا يقطع ان شاء الله تعالى علماء كلا العلمين القائمين بهما نيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم حجة على المكلفين غير ان كل طائفة من اهل العلمين فيهم القائمون بعلمهم على الوجه المرضى لله تعالى ولعباده وفيهم الفاسدون المفسدون الضالون المضلون المتشبهون بالقسم الصالح وليسوا منهم اللابسون ثوب الزور فكما ان فى الصوفية فاسقون ملحدون جاهلون فى الفقهاء ايضا كذلك فاسقون كافرون خبيثون ولكن لا يفسد بفسادهم ذلك النوع كله و تفسد تلك الطريقة التى يزعمون انهم قائمون بها واذا علمنا هذا فلا يجوز لنا التجسس على اهل السوء من كلا الفريقين والا الظن السيئ باحد فعين منهم ولكن نحذر على العموم من غير تقبيح

﴿ معين ﴾

Marfat.com

معين فى احد ظاهرا ولا باطنا والله يعلم المفسد من المصلح (فتحمل ما) اى الذى (روى عنهم) اى عن السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين من التشديدات والمجاهدات (على انهم انما فعلوا ذلك التشديد) والتضييق على نفوسهم وغيرهم من اهل طريقهم مما يخالف ظاهر الحال الذى كان عليه صلى الله عليه وسلم وامر به وبلغه للخاص والعام من الاقتصاد والتوسط فى الاعمال كما ذكرنا (امامداواة) اى تطبيبا (لامراض القلوب) السقيمة بالغفلات والغرور ليردوها بذلك الى الصحة والعافية فان القلوب تمرض كما تمرض الاجسام قال تعالى فى قلوبهم مرض وهؤلاء المرضى. قلوبهم المحتاجون الى مداواة تلك الامراض هم طائفة من اهل العلم الظاهر غرتهم الحياة الدنيا وتلاعبت بهم الاغراض النفسانية فاعمتهم عن سواء السبيل فلابد لهم من جبهة تلك التشديدات حتى تصح ارواحهم وتنتعش نفوسهم بروايح نسمات القبول فى رياض الرضا بين اشجار الوصول كما ذكر الشيخ عبدالرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير عن ابى طالب المكى صاحب قوت القلوب قال علم الباطن وعلم الظاهر اصلان لايستغنى احدهما عن صاحبه بمنزلة الاسلام والايمان مرتبط كل منهما بالآخر كالجسم والقلب لاينفك احدهما عن صاحبه وقيل علم الباطن يخرج من القلب وعلم الظاهر يخرج من اللسان فلا يجاوز الآذان وهذا لاينصرف اليه اسم العلماء الذين هم ورثة الانبياء اذهم العلماء العاملون الابرار المتقون الذين آل اليهم العلم الموروث بالصفة التى كان عليها عند المورث لامن علم حجة عليه وقد منعه سوء ما لديه من خبث نيته وسوء طويته واتباع شهوته ان يلج نور العلم قلبه ويخالط لبه فاورده النار وبئس الورد المورود قال بعضهم وهذه صفة علماء زماننا تجدهم يجتهدون فى تحسين الهيئة والثياب الفاخرة والمراكب السنية فاذا نظر الى باطن احدهم وجد خوف الرزق على قلبه كالجبال يكاد يموت من همه وخوف الخلق وخوف سقوط المنزلة من قلوبهم والفرح بمدحهم والثناء عليه وحب الرياسة وطلب العلو والتبصبص للظلمة والاغنياء واحتقار الفقراء والانفة من الفقر والاستكبار فى موضع الحق والحقد على اخيه المسلم والعداوة والبغضاء وترك الحق مخافة الذل والقول بالهوى والحسبة والرغبة فى الدنيا والحرص عليها والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل والغش والمباهاة والرياء والسمعة والاشتغال بعيوب الخلق والمداهنة والاعجاب بالنفس والتزين للمخلوق والصلف والتجبر وغرة النفس والقسوة والفظاظة والغلظة وسوء الخلق وضيق الصدر والفرح بالدنيا والحزن على فوتها وترك القنع والمراء والجفاء والطيش والعجلة والحدة وقلة الرحمة والاتكال على الطاعة وامن سلب ما اعطى وفضول الكلام والشهوة الخفية وطلب العز والجاه واتخاذ الاخوان فى العلانية على عداوة فى السر والغضب اذا رد عليه قوله والتماس المبالغة لغير الله والانتصار للنفس والانس بالخلق والوحشة من الحق

Marfat.com

والغيبة والحسد والنميمة والجور والعدوان فهذه كلها من ابل قد انضمت عليها طوية صدورهم وظاهرهم صوم وصلاة وزهد وانواع اعمال البر فاذا انكشف الغطاء بين يدى الله تعالى عن هذه الامور كان كمزبلة فيها انواع الاقذار غشيت بالذبايح فانتنت فهذا عالم مرأى مداهن يتصنع عند شهواته فلم يقدر ان يخلص عمله ونفسه مقيدة بنار الشهوة وقلبه مشحون بهوى نفسه وهذه كلها عيوب والعبد اذا كثرت عيوبه انحطت قيمته (اولكون العبادة) من كثرة تمرين نفوسهم بها صارت (عادة لهم) اعتادوها (وطبعا) انطبعوا عليه فصاروا لا يتكلفون لها (كالغذاء للصحيح) البدن من الناس فانه ينتفع به فى بدنه لبقاء صحته ويأخذ منه حظه بنفس مقبلة مشتهية (فيتلذذون بها) اى بالعبادة كما يتلذذ الصحيح البدن بغذائه كما ذكر الاسيوطى فى كتابه بشرى الكئيب بلقاء الحبيب عن ثابت البنانى رضى الله عنه انه كان يقول اللهم ان كنت اعطيت احدا من خلقك الصلاة فى قبره فاعطنيها وانما قال ذلك من كمال لذته بعبادة الله تعالى حتى اخرج ابونعيم فى الحلية عن سعيد بن جبير قال انا والله الذى لا اله الا هو ادخلت ثابت البنانى لحده ومعه حميد الطويل فلما ساوينا عليه اللبن سقطت لبنة فاذا انا به يصلى فى قبره (بلا اضاعة حق) واجب عليهم لاحد من خلق الله تعالى (ولا ترك مداومة) بل كانوا يقومون على ذلك الى الموت (ولا اعتقاد) من احد منهم (انه) اى ما يفعله من التشديدات على نفسه والمجاهدات فيها (افضل مما) اى من الذى (كان عليه افضل البشر) صلى الله عليه وسلم فعمل به من الاقتصاد والتوسط (او) (افضل من الذى قاله) من ذلك وبينه للناس ولا شك ان من اعتقد رجحان عمله على عمل النبى صلى الله عليه وسلم فهو كافر وحاشا السادة الائمة العارفين من شئ من ذلك بل دائما لا يرون اعمالهم الا مدخولة قاصرة وان بالغوا فيها ما عسى ان يبالغوا ولا يرون انفسهم مع ذلك كله الا مذنبة عاصية كما نقل الشيخ بن علان الصديقى رحمه الله تعالى فى شرحه على حكم ابى مدين رضى الله عنه ان الخواجه بهاء الدين نقشبند قدس الله سره لما سئل عن الكرامات قال اى كرامة اعظم من انى مع هذه الذنوب الكثيرة امشى على وجه الارض (وامانبينا) محمد (صلى الله عليه وسلم فقد بلغ الدرجة العليا من الكمال) يعنى فلا يحتاج مع ذلك الى امثال هذه التشديدات والمجاهدات فى النفوس مع انه فعلها صلى الله عليه وسلم قبل نبوته وبعدها وكان يتحنث فى غار حراء ويتبتل الى الله تبتيلا ويواصل فى صيامه ويتابع فى قيامه ولم يسبقه احد من الامة بكثرة عبادة اصلا فانه صلى الله عليه وسلم هو السابق فى كل خصلة حميدة وانما السابقون مقتدون به على كل حال (وهى) اى تلك الدرجة العليا من الكمال (ان لا يمنع عن توجه القلب) الى جناب الرب (شئ) مطلقا (لا التكلم مع الخلق ولا الاكل ولا الشرب ولا النوم ولا ملامسة النساء) اى جماعهن (وتكون الخلطة) مع الناس (والعزلة) عنهم (سواه) فى عدم اشتغال القلب بسوى حضرة القرب كما ورد عنه

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم انه كان يدبر الجيش وهو فى الصلاة من غير ان يشتغل عنها وورد فى حديث الجامع الصغير عن عقبة بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت وانا فى الصلاة تبرا عندنا فكرهت ان يبيت عندنا فامرت بقسمته ومعلوم انه مع ذلك لم يضيع الخشوع والحضور فى صلاته (فاقتصاره عليه الصلاة والسلام على بعض العبادات الظاهرة) فى بعض الاحيان بحسب ظاهر الحال (لكونها افضل له صلى الله عليه وسلم ولامته) باعتبار كمال اتقانها بالتوجه بالكلية الى حضرة ذى الجلال باعتبار ان العبادة الباطنية اذا كثرت قلت العبادة بالظاهر واذا كثرت بالظاهر قلت بالباطن ولاشك ان العبادة بالباطن افضل من العبادة بالظاهر لان الظاهر تابع والباطن متبوع والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فالسالكون تكثر عباداتهم اولا بالظاهر حتى يصلوا الى معرفة الله تعالى فتقل عباداتهم بالظاهر ويصيرون يقتصرون على الفرائض والسنن وتكثر عباداتهم بالباطن فيواجهون حضرة ذى الجلال والاكرام والنبى صلى الله عليه وسلم من اعظم الواصلين الى معرفة الله تعالى فالغلب فى اعماله الاقتصاد بقوله ويعمل به (وتلذذه صلى الله عليه وسلم دائم) مستمر (لايختص بالعبادات الظاهرة) كتلذذ اهل الباديات من السالكين باعمالهم البدنية ومجاهداتهم النفسانية بل كان له تلذذ بشهود المتجلى الحق سبحانه فى جميع الامور العادية وسائر الاحوال الكونية وقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة وفى رواية مائة مرة باعتبار ترقيه صلى الله عليه وسلم فى مراتب الشهود فالمرتبة العليا اذا كان فيها صلى الله عليه وسلم يجد مادونها غينا اى حجابا وهكذا (وقد بلغ) اى وصل (بعض المشايخ) من الكاملين (الى حيث كان له حظ) اى نصيب (من هذه الدرجة التى هى للنبى صلى الله عليه وسلم بطريق الارث عنه) فان العلماء ورثة الانبياء (حتى قال) ذلك الشيخ المذكور (من رآنى الآن) يعنى وانا واصل الى معرفة الله تعالى ومشغول بلذيذ شهوده فى كل شئ (صار زنديقا) اى اقتدى بى فى حالتى التى يفهما منى وانا غير مقبل على العمل الظاهر ولا منهمك فيه لاشتغال الباطن بما هو اكمل من ذلك وهو شهود الله تعالى ولذيذ مناجاته والاطلاع على لطائف حقائقه واسراره فى صفحات مصنوعاته فيظن انى كذلك بباطنى ايضا غير معتن بالعمل الظاهر فلا يعتنى هو ايضا بالظاهر بظاهره وباطنه فيستخف بدين الله تعالى وشرايعه فيصل الى رتبة الزندقة وهو عدم التدين بدين اصلا وذلك من اكفر الكفر (ومن رآنى قبل) اى قبل الآن وانا منهمك فى العمل الظاهر مشتغل به مكثر منه لاحتجاب الله تعالى عنى بالاغيار وخلو باطنى من لمعات البوارق الالهية والانوار (صار صديقا) لانه يقتدى بى فى هذه الحالة فيجاهد فى نفسه ويكثر من العبادات والطاعات حتى يصل الى مقام الصديقية وهى خلاصة الولاية (حيث كان) ذلك الشيخ المذكور (فى) حال وصوله الى مقام (نهايته)

Marfat.com

بقطعه مسافة نفسه وحصوله فى حضرة ربه (يقتصر من العبادات الظاهرة على الفرائض) من كل نوع من انواع العبادات (والواجبات والسنن) ويترك ماعداذلك من النوافل المستحبات من كل نوع (ويأكل) المشتهيات وغيرها (ويشرب) كذلك (وينام كالعوام) من حيث ظاهره قال النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه كاد ان يكون مجمعا عليه عند المحققين من الصوفية رضى الله عنهم ان العارف لايضره قلة العمل اذيكون سيره قلبيا والا لم يكن متحققا بالمعرفة وقد ظفرت لذلك بدليل من الحديث وهومارواه الطبرانى عن عبدالله بن مسعود قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يابن مسعود اى عرى الايمان اوثق قلت الله ورسوله اعلم قال اوثق عرى الايمان الولاية فى الله والحب فى الله والبغض فى الله ثم قال يابن مسعود قلت لبيك يارسول الله قال اتدرى اى الناس افضل قلت الله ورسوله اعلم قال فان افضل الناس افضلهم عملا اذا فقهوا فى دينهم ثم قال يابن مسعود قلت لبيك يارسول الله قال اتدرى اى الناس اعلم قلت الله ورسوله اعلم قال ان اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقتصرا فى عمله وان كان يزحف على استه زحفا الحديث (و) كان (فى) حال (بدايته يجتهد) فى العبادات والطاعات (ويرتاض) بانواع الرياضات (فمن رأى اجتهاده) فى العبادات ليلا ونهارا (يجتهد كاجتهاده حتى يصير) بسبب ذلك (صديقا ومن رآه فى) حال (نهايته) كما تقدم (ينكر الاجتهاد و) احوال (الطريقة اصلا) اى من الاصل (فيخاف) بالبناء للمجهول (عليه الكفر) بل يكفر ان لم ير الاعمال الظاهرة حقا او استخف بها او باهلها بسببها كما ذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر نقلا عن التتمة قال من اهان الشريعة او المسائل التى لابد منها كفر وفى المحيط من قال لفقيه يذكر شيئا من العلم او يروى حديثا صحيحا هذا ليس بشئ ردا او قال لاى امر يصلح هذا الكلام ينبغى ان يكون الدرهم لان العز والحرمة اليوم للدرهم لا للعلم كفر اى لانه معارضة لقوله تعالى * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين * وقوله سبحانه وكلمة الله هى العليا اه وسيأتى نحو هذا ان شاء الله تعالى (ولو تأملت) ياايها المذعن للحق اذا ظهر (فيما كتبنا) لك (سابقا) فى اوائل فصل الاقتصاد فى العمل من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واقوال الفقهاء الحنفية (و) تأملت ايضا (ما) اى الذى (نقل عنهم) اى عن السلف الماضين من التشديدات فى العبادات وانواع المجاهدات (حق التأمل) بانصاف واذعان (وجدت فى اكثرهما) اى اكثر كل مما فى هذا الكتاب وماورد عن السلف وان لم يكن فى جميع ذلك (اشارة الى هذا) المعنى المذكور هنا فى هذا الجواب الثالث المعلل بالعلتين المذكورتين فان تأملت ماسبق فى اول هذا الفصل وجدت الاشارة الى العلة الاولى. واذا تأملت مانقل عن السلف وجدت الاشارة الى العلة الثانية واذا علمت هذا وتحققته (فلا تخلو) اى لاتنفك جميع

Marfat.com

(ما) اى الذى (نقل عن السلف) الماضين رضى الله عنهم اجمعين (من التشديد) فى العبادات والتضييق على النفوس فى المجاهدات (عن الملتين المذكورتين) اصلا بل لابد ان يكون سببه احدهما او كلاهما معا (وهذا) التحقيق فى هذه المسئلة (هو المحمل) لما نقل عن السلف (الصحيح) لذوى الافهام السالمين من سقم الاوهام (والحق الصريح) الواضح الذى هو لكل شبهة فاضح والذى اجاب به النجم الغزى رحمه الله تعالى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه عن مثل هذا الاشكال الذى اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى هنا والى جوابه غير ما اجيب به هنا فقال فى بحث التخلق باخلاق الملائكة فى الاقتيات بالذكر وهو ابلغ من الصيام وهو حال الصمدانيين الذين كانوا يطوون الاربعينيات فاكثر منها ودونها بحيث يكون خارقا للعادة فيكتفون بالذكر والفكر عن الطعام والشراب وذلك كله من باب خرق العادة والالتحاق بالملائكة عليهم السلام فى هذا الخلق الشريف وعن بعض العلماء العاملين انه قال انى لاقتات بوردى من الذكر كما اقتات بالطعام والشراب وقال الشيخ العارف بالله شهاب الدين السهروردى فى عوارف المعارف قيل لسهل بن عبد الله رضى الله عنه هذا الذى يأكل فى كل اربعين واكثر اكلة اين يذهب لهب الجوع عنه قال يطفئه النور قال وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لى كلاما بعبارة دلت على انه يجد فرحا بزه ينطفئ معه لهب الجوع قال وهذا واقع فى الخلق ان الشخص يطرقه فرح وقد كان جائعا فيذهب عنه الجوع وهكذا فى طرق الخوف يقع ذلك فان قيل قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الوصال فى الصوم فقيل له فانك تواصل فقال لست كاحدكم ان الله يطعمنى ويسقينى فهذا يخالفه ما تقدم فالجواب ان هذا النهى انما هو فى مقام الدعوة العامة والتشريع لكافة الناس ولئلا يتخذ الوصال سنة جارية يتعاطاه القادر والضعيف عنه فيحتاج الى التكليف فاما من كان يقتات بالذكر بحيث يستغنى عن الطعام والشراب فقد يقال فى حقه باباحة الوصال له خاصة وعلى ذلك يخرج احوال من اسلفنا ذكرهم من السلف رضوان الله عليهم اجمعين وقد حكى القاضى عياض رحمه الله تعالى عن ابن وهب واسحق بن راهويه واحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى انهم اجازوا الوصال وحكى ابن حزم ان ابن وضاح من المالكية كان يواصل اربعة ايام واطلق اكثر الشافعية العبارة بكراهية الوصال واختلفوا هل هو كراهة تنزيه او تحريم على وجهين اصحهما الثانى وهو ظاهر كلام الشافعى رضى الله عنه فانه قال بعد ان ذكر حديث النهى عن الوصال وفرق الله بين رسوله وبين خلقه فى امور اباحها له وحظرها عليهم وكذلك مذهب ابى حنيفة ومالك رضى الله عنهما وقال الحافظ العراقى فى شرح الترمذى واصح ما يستدل به على عدم تحريم الوصال ما رواه ابو داود باسناده الصحيح عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال حدثنى رجل من اصحاب النبى

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المحامة والمواصلة ولم يحرمهما ابقاء على اصحابه فقيل له يارسول الله انك تواصل الى السحر فقال انى اواصل الى السحر وربى يطعمنى ويسقينى قلت وهنا اصل اصيل وهو ان ادخال الطعام والشراب الى الجوف انما هو فى الاصل مباح وانما يندب تعاطيه او يلزم اذا احتاج اليه الانسان من حيث ان يتقوت به ويتحفظ على حياته فاذا اخذ الانسان منه حاجته وكفايته لم يحسن فى حقه ان يتناول زيادة عليها بل اذا شبع منه حرم الزيادة عليه حذرا من الهلاك الذى من حذره الجئ الى استعمال الطعام والشراب اذا احتاج اليه فاذ كان فى عباد الله من رزقه الله تعالى حالة شريفة كحالة الشبع بحيث لا يحصل له معها وهن فى بدنه ولا ضعف فى قواه ولا توقان الى الطعام يشغله عن الذكر والطاعة فظاهر هذا القياس انه ما دام غنيا عن الطعام والشراب بهذه الحالة لا نكلفه تناول شئ من المطعومات ولا من المشروبات حتى يحتاج اليه كما انا لا نطالب الشبعان ولا الريان بشئ من ذلك حتى يحتاج اليه بل الدنيا وان كان الاصل فى مطعوماتها ومشروباتها الاباحة فان اشتغال المقبل على الله تعالى بها اشتغال بما لا يعنيه فمقتضى طريقه ان لا يتناول منها شيئا الا ان يحتاج اليه ويضطر الى الاخذ منه فهما اغناه الله عنه فلا يتناوله اصلا فمن رزقه الله تعالى حالة تغنيه عن الطعام والشراب وتدفع عنه المحذور المدفوع بهما كما يدفعانه وزيادة ينبغى ان لا نكلفه بهما ولو واصل الصيام عمره ثم كان بعد الطاوين من اهل الله تعالى اذا طوى يتناول عند الغروب مفطرا ما ولو قطرة ماء عملا بالسنة وخروجا من الخلاف وعلى ذلك فينبغى ان يتناول عند السحر شيئا ما بنية السحور عملا بالسنة ايضا واغتناما لصلاة الله وملائكته كما فى الحديث ان الله وملائكته يصلون على المتسحرين وروى الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال طعام المؤمنين فى زمن الدجال طعام الملائكة التسبيح والتقديس فمن كان منطقه يومئذ التسبيح والتقديس اذهب الله عنه الجوع وفى هذا الحديث دليل لما ذكرناه من ان الله تعالى قد يهب حالة شريفة لبعض عباده تغنيه عن الطعام والشراب وان هذه الحالة تكون فى فتنة الدجال لكافة المؤمنين وانما كانت حينئذ لعموم اهل الايمان لان من فتنة الدجال ان يمر على البلدة فيقول لاهلها اعبدونى واتبعونى فان اتبعوه امر السماء فامطرت والارض فانبتت فكانوا فى ارغد عيش والا امر السماء ان لا تمطر والارض ان لا تنبت وكانوا فى اضيق عيش فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه الفتنه لا تضر المؤمنين اذا نطقوا بالتسبيح والتقديس لانهم يستغنون عما تمطره السماء وتنبته الارض انتهى والحاصل ان عمل الرياضة على وجه التشديد والتضييق لاهل التقوى والورع والزهد والصبر والمراقبة لا يعترض عليهم فيها ولا يقال انها مخالفة للشرع فان غرض الشرع ترك المؤذيات

Marfat.com

والمضرات وليس فيما يفعلونه مؤذ ولا مضر فى حقهم وان كان ذلك مؤذيا ومضرا فى حق
غيرهم ممن ليس على قدمهم فى الاخلاق الفاضلة والاحوال الصادقة (فلا تفرط) ايها العبد
المكلف من افرط اذا زاد (فى حقهم) اى فى حق اهل الرياضات والمجاهدات يعنى فى مدحهم
والثناء عليهم حتى توصلهم الى الرافعة على الانبياء فى كثرة عباداتهم وسمو مقاماتهم
فانه لا يصل ولى الى درجة نبى اصلا كما سيأتى تحقيقه فى محله من هذا الكتاب ان شاء الله
تعالى (ولا تفرط) بالتشديد من التفريط وهو التقصير فى حقهم باحتقارهم واستنقاص
احد منهم كان حيا او ميتا علمت حاله او لم تعلم واتهم نفسك فى القصور عن معرفة
اولياء الله تعالى ولا تسئ الظنون فى احد منهم وقال الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى
قدس الله سره فى كتابه شرح الوصية اليوسفية واحذران يخطر لك خاطر ردى فى احد
من خلق الله تعالى كان ذلك الخلق من كان ممن احسن او اساء فان النبى صلى الله عليه وسلم
يقول طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس والعاقل لا يتفرغ الى غيره حتى يتفرغ
عن نفسه ولا يتفرغ عن نفسه ابدا فانه مراقب لنفسه ما يحدث الله فيها فى كل نفس
مستقبل مشتغل بما القى الله اليه فى وقته فيها من الخير هذا حظ المؤمن فكيف حظ المختص
فى الايمان بالاتباع كان الشيخ ابراهيم بن طريف رحمه الله تعالى يقول لى يا ولدى ما ارى
فى العلم الا ولى الله تعالى بالنظر الى فانه لا يخلو من بعرفنى ان يكون حاسدا لما انا عليه
اوذاما فان حمدنى فاقول هذا ولى ما رآنى الا بصورته مما هو عليه والحمد لله الذى ارانى
وليا من اوليائه وان ذمنى اقول هذا رجل قد كشف الله له عن عيبى ولا يكاشف
الا ولى وهذا رجل يسمينى بما ينسب الى ومذكرلى حتى لتحفظ من هذه
الصفة فاينصح عباد الله الا ولى لله هذا كان اعتقاده فى الخلق كلهم رحمه الله تعالى
فهكذا فليكن المريد مع الناس فكيف مع شيخه ونقل صاحب كتاب تحفة الاكياس
فى تحسين الظن بالناس ومن كلام سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه اسوء المعاصى
سوء الظن وغالب الناس لا يعده ذنبا ولا يستغفر منه وقال سيدى افضل الدين
لو ان انسانا احسن الظن بجميع اولياء الله تعالى الا واحدا منهم بغير عذر مقبول
فى الشرع لم ينفعه حسن الظن عند الله تعالى ولذلك لا تجد وليا حق له قدم الولاية
الا وهو مصدق بجميع اقرانه من الاولياء لم يختلف فى ذلك اثنان كما انه لم يختلف فى الله
تعالى نبيان فمن آذى الاولياء بسوء ظنه فقد خرج من دائرة الشريعة ومن كلام
الشيخ ابى المواهب الشاذلى رضى الله عنه من حرم احترام اصحاب الوقت فقد استوجب
الطرد والمقت وذكر الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى رضى الله عنه ان معاداة
الاولياء والعلماء العاملين كفر عند الجمهور وقال من عادى احدا من الاولياء والعلماء
العاملين او الشرفاء فقد عادى ايمانه وقال سيدى على الخواص رضى الله عنه من عادى
احدا من الاولياء او العلماء خافه ضرورة وفى مخالفة الولى والعالم الضلال والهلاك اه
وقد اطلنا الكلام فى هذا المقام فى كتابنا المطالب الوفية بما يفى بالمرام والحاصل ان الانكار

Marfat.com

بالقلب او باللسان على احد من اولياء الله تعالى الذين هم العلماء العاملون وسواء كانوا احياء اوكانوا موتى وكلهم احياء عند من يعرفهم بحياة الله تعالى لابانفسهم وكلهم موتى من حياتهم بانفسهم سواء عرفهم من ينكر عليهم اولم يعرفهم وانكر مالم يعرف من احوالهم الصحيحة وافعالهم المستقيمة عند الله تعالى فهو كفر صريح والمنكر كافر باجماع المسلمين على مقتضى جميع مذاهب اهل الاسلام لانه انكر دين الاسلام والشريعة المحمدية وهو لايعرف انه انكر ذلك لجهله وغباوته بل يظن انه انما انكر امرا باطلا وفعلا قبيحا تصوره فى نفسه وحكم بانه فعل ذلك الولى اوقوله فحكم بسببه على ذلك الولى بانه ليس بولى وانه فاسق اوكافر اوملحد اوزنديق والولى فى حقيقة امره من حيث مايعلمه الله تعالى منه برئ من جميع مااعتقده فيه ذلك المنكر وعمله ذلك الذى انكره عليه وقوله ذلك الذى انكره عليه ايضا ليس شئ منهما باطلا فى الشريعة ولا كفرا ولا الحادا ولازندقة بل ذلك الفعل طاعة وقربة الى الله تعالى وذلك القول قول حق وصواب وهو محض ايمان وحقيقة معرفة وايقان ولكن سماه ذلك المنكر كفرا والحادا وزندقة لمحض جهله وعناده وعدم اعترافه بالقصور عن علوم الاولياء ومعارف الصديقين وعدم احساسه بطمس بصيرته وعمى قلبه عن ادراك مداركهم والكشف عن حقايق اسرارهم ولمحات انوارهم فالمنكر يتقلب فى اودية الكفر والضلال والالحاد والزندقة وهو معتقد انه يتقلب فى اودية الايمان والطاعة وارشاد الناس الى الاحتراز عن الخطأ والضلال والنصيحة والهدى وهو لايشعر وكفره عند الله تعالى سيظهر له ولامثاله ممن يوافقه على الانكار المذكور يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين فانه الحاكم العادل الذى يعلم المظلوم من الظالم ويعلم المحق من المبطل ولكن الآن فى الدنيا لايحكم المنكر هو بنفسه على نفسه بالكفر ولا امثاله يحكمون عليه بذلك لاصرار المنكرين كلهم على عقيدة وحدة هى الانكار فالحكم عليهم بالاسلام مبنى على مجرد زعمهم ذلك كما ان الحكم عليهم بالكفر مبنى على اعتقاد اهل الاسلام العارفين بكلام الاولياء المطلعين على احوالهم الصحيحة المستقيمة ولا يعذرون المنكرين بالجهل لان لهم مندوحة عن الانكار بايكال الامر الى الله تعالى والتسليم فيما لايعرفه ولااعتراف بان الله تعالى يعلم من احوال الناس مالايعلمه وو الجهل فى الشريعة ليس بعذر فى مثل هذا اذهو مثل جهل اليهود والنصارى والمجوس وعباد الاصنام بماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق والدين الصحيح فانه ليس بعذر عند اهل التصديق بذلك كما انه ليس بعذر عند الله تعالى ايضا وان ما كان عذرا عند اهل هذه الملل الباطلة بل فى زعمهم ان ما انكروه هو الباطل وما انكروا به هو الحق وحيث كان حكم المنكر على اولياء الله هو الكفر فيترتب على ذلك مايترتب على الكفر من احكام الشريعة كفسخ النكاح والاستتابة واهراق الدم ان اصر وكذلك بقية احكام المرتد وهذا كله

Marfat.com

ان تحققنا منه ذلك وقدرنا عليه فان لم نتحقق وغاب عنا نحكم برجوعه عنه نظير ما قال العلماء في المرتد وقالوا بان انكار الردة توبة ولا نحكم بالظن في احد ولا بالتجسس عليه انه منكر على ولي من اولياء الله تعالى اصلا كما انا لا نسئ الظن في احد انه ينكر فرضا من الفروض ولا نتجسس عليه في ذلك ولكنا نحكم بما تحققه فيه فان الظن السوء والتجسس حرمهما الله تعالى وحرمهما رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يترتب عليهما اذا فعلا حكم من احكام الله تعالى كما ان النمام اذا نقل القذف فهو فاسق بنقله ذلك لفعله الحرام فلا يترتب على قوله حكم اقامة الحد على المنقول عنه لعدم عدالة الناقل بفسقه بنفس النقل او عدم وجود نصاب الشهادة فكذا في التجسس وسوء الظن يفسق فاعلهما فلا يقبل قوله في الشريعة ولو قبله من لم يعلم حاله فان العدالة شرط في الديانات

(وابتغ) اى اطلب (بين ذلك) اى بين الافراط في مدح الاولياء والتفريط في ذمهم (سبيلا) اى طريقا تسلكه في ظاهرك وباطنك يكون وسطا بحيث لا تذمهم اصلا ولا تخرجهم عن كونهم عباد الله تعالى مخلوقين لا تأثير لهم في خرق عادة ولا في عادة مطلقا بل هم كغيرهم من خلق الله تعالى في عدم التأثير في شئ من الاشياء ولكن الله تعالى فضلهم على غيرهم من خلقه بما يخلقه سبحانه وينسبه اليهم من خوارق العادات ومن العادات وهم ادنى من الانبياء لان ولايتهم ادنى من النبوة كما ان الايمان ادنى من الولاية فالانبياء ثم الاولياء ثم المؤمنون (وقل) يا ايها المكلف (الحمد لله) بقلبك ولسانك (الذى هدانا) اى دلنا وارشدنا (لهذا) الحق المبين والكلام المتين الذى تقرر في هذا الفصل كله بل في هذا الكتاب جميعه (وما كنا نهتدى) بانفسنا الى ذلك (لولا ان هدانا الله) سبحانه بمحض فضله واحسانه بل كنا نضل كما ضل غيرنا ممن يساوينا في الادراك والتكليف من كل خسيس في الناس وشريف والحمد لله الخبير اللطيف اه *

﴿ الباب الثانى ﴾

من الابواب الثلاثة التى اشتمل عليها هذا الكتاب (فى الامور) جمع امر وهو الشان والحال الذى يخص او يعم (المهمة) التى توقع في لهم والحزن على فواتها او التى تفعل بالهمة والعزيمة (فى الشريعة) الاسلامية وهى ما شرع الله لعباده والظاهر المستقيم من المذاهب كالشرعة بالكسر فيهما كذا في القاموس (المحمدية) اى المنسوبة الى محمد صلى الله عليه وسلم (وهى) اى تلك الامور المهمة (ثلاثة) امور (نبين) اى نشرح ونوضح (كلا) اى كل واحد (منها) اى من تلك الامور الثلاثة (بتوفيق) اى بسبب ذلك والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد (الله) تعالى لنا يعنى لا بحولنا ولا بقوتنا (فى فصل) مستقل (على حدة) غير تابع في بيانه لما قبله ولا لما بعده فتكون الفصول ثلاثة (الفصل الاول) من تلك الفصول الثلاثة (فى تصحيح الاعتقاد) اى ذكر الاعتقاد الصحيح ولا يكون الا بالقلب واما ما يقال باللسان فهو حكاية الاعتقاد

Marfat.com

لاهو الاعتقاد بنفسه فمن حفظه بلسانه وذكره ولم يكن صحيحا فى القلب فليس هو بصاحب اعتقاد صحيح بل حكى الاعتقاد الصحيح فنافق فيه فهو من المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم سواء عرف انه كذلك اولم يعرف ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الايمان ليخلق فى جوف احدكم كما يخلق الثوب فاسئلوا الله تعالى ان يجدد الايمان فى قلوبكم اخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما ذكره الاسيوطى فى الجامع الصغير وقد نقل السنوسى فى شرح الجزائرية عن ابن دهاق شارح الارشاد لامام الحرمين ان النفاق على قسمين نفاق يعلمه صاحبه ونفاق لايعلمه صاحبه كنفاق من جهل العقائد الصحيحة وبين ذلك بيانا شافيا (وتطبيقه) اى الاعتقاد بمعنى موافقته ومساواته (لمذهب) اى لماذهب اليه (اهل السنة) اى الطريقة والسيرة المحمدية وهى عامة شاملة للاقوال والافعال والاحوال (و) اهل (الجماعة) من الاجتماع والجماعة جماعة الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ومن بعدهم من المتبعين للنبى صلى الله عليه وسلم قال النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبه والمراد بطريق اهل السنة والجماعة ماكان عليه النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه الكرام وهو ماعليه السواد الاعظم من المسلمين فى كل زمان وهم الجماعة والطائفة الظاهرون على الحق والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة روى اصحاب السنن وصححه الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفترقت امتى على ثلاث وسبعين فرقة وروى هذا الحديث من طرق اخرى كثيرة منها رواية عبدالله بن عمرو وقال فيها كلهم فى النار الاملة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال ماانا عليه واصحابى حسنه الترمذى ومنها رواية معاوية رضى الله عنه وقال فيها اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة رواه ابوداود وغيره ومنها رواية ابن عباس رضى الله عنهما وقال فيها كلها فى النار الاواحدة فقيل وماهذه الواحدة فقبض على يده وقال الجماعة فاعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا رواه ابن ماجه وغيره وقوله فى الآية والحديث ولاتفرقوا اى فى اصول الديانات والاعتقاد كما روى عن ابن مسعود وغيره وقيل المعنى ولاتفرقوا متباعين للهوى والاغراض المختلفة النفسانية وعليهما فليس فى الآية نهى عن الاختلاف فى الفروع والاحكام اذ المنهى عنه انما هو اختلاف يؤدى الى افساد وتقاطع وليس ذلك الا فى الاختلاف فى العقائد والاصول واما الاختلاف فى مسائل الاجتهاد فانه سبب لاستخراج الحقوق والفرائض وظهور دقائق الشريعة ولم تزل الصحابة مختلفين فى احكام الحوادث وهم مع ذلك متواصلون وفى الحديث اختلاف امتى رحمة كما نقله خلائق من العلماء منهم الشيخ نصر المقدسى والحليمى والبيهقى وامام الحرمين ومن هذا القبيل اختلاف

Marfat.com

الأئمة الاربعة رضى الله عنهم وكلهم على هدى من ربهم ورحمة وهم مثابون مأجورون لهم اجورهم ومثل اجور اتباعهم رضى الله تعالى عنهم ومن هذا القبيل ايضا اختلاف العلماء فى العلوم الشرعية ومايحتاج اليه فيها حيث منهم من مال الى الحديث ومنهم من مال الى التفسير ومنهم من مال الى الفقة ومنهم من مال الى العربية وكذلك اختلاف الصوفية رضى الله عنهم فى رياضات النفوس وتربية المريدين كل واحد منهم سلك هو ومريدوه طريقة فنهم من سلك طريقة المجاهدات ومنهم من سلك طريقة المعاملات وقد قال الشيخ نجم الدين الكبرى رحمه الله تعالى الطرق الى الله عدد انفاس الخلائق اى من حيث السلوك لامن حيث الاعتقاد فان عقائد اولياء الله تعالى متواردة على عقيدة واحدة وهى عقيدة اهل السنة والجماعة وكذلك اختلاف اهل الصنايع والحرف فى صنايعهم وحرفهم كل ذلك داخل فى قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتى رحمة وأما اختلافهم فى الاصول فانه عذاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعة رحمة والفرقة عذاب وذكر الشيخ الامام العارف بالله تعالى احمد بن محمد المدنى المعروف بالقشاشى رحمه الله تعالى فى الجواب الشافى عن السؤال الموافى فى معنى المراد من اهل السنة والجماعة ان المخصوص بالهداية الجماعة المجتمعون على الكتاب والسنة المنتهون عن الاختلاف والفرقة الآخذون بالوارد لا بالعقل المثير للمراء والخصومات فى دين الله فالقائم على ذلك بشهادة من الكتاب والسنة وهو متابعة ماعليه النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم قولا وفعلا بصريح الوارد محكما له ومسلما له تسليما عازلا لهواه وعقله عند ذلك هو من اهل السنة والجماعة ومسمى بذلك بالنص المذكور وان فرط منه شئ من القصور والمخالفة تداركه بالرجوع الى الله تعالى والحكم للغالب من حاله فاذا كان الغالب المحافظة على ذلك فالحكم للغالب ثم بسط الكلام فى بيان ان المراد من اهل السنه والجماعة من تابعوا الوارد فى الكتاب والسنة واعتقدوه ايمانا واذعانا ولم يعتقدوا امرا مستفادا من تحكمات العقول والآراء وان المراد بالفرق الضالة والطوائف المبتدعة من تابعوا عقولهم وآراءهم فى معانى الوارد فى الكتاب والسنة ولم يبقوا ذلك على مراد الله تعالى ورسوله و يعتقدوه كذلك وذكر امثلة لذلك من كلام الفريقين على مقتضى المذهبين (وجملته) اى جملة مذهب اهل السنة والجماعة فى العقائد يعنى محصله وملخصه اذ لايمكن استقصاء ذلك مبسوطا فى هذا الكتاب للخروج عن مقتضى الاختصار (ان الله تعالى واحد) اى موصوف بالوحدانية وهى تقال على خمسة انواع النوع الاول الوحدانية فى الذات والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها الانقسام وفى الارشاد لامام الحرمين الرب تعالى واحد والواجد فى اصطلاح الموحدين الشئ الذى لاينقسم ولو قيل الواحد هو الشئ لوقع الاكتفاء بذلك والرب تعالى موجود فرد متقدس عن قبول التبعيض

Marfat.com

والانقسام وفى بحر الكلام للامام النسفى ومعنى الواحد الموجود الذى لابعض له ولا انقسام لذاته فان الله تعالى واحد لا من جهة العدد يدل عليه انه تعالى لوكان واحدا من جهة العدد لكان ابعاضا فامتنع ان يكون الها واحدا والنوع الثانى الوحدانية فى الصفات والمراد بها انتفاء النظير له تعالى والشبيه والمثيل فى كل صفة من صفاته فيمتنع ان يكون له تعالى علوم وقدرات وارادات متعددة متكثرة بحسب المعلومات والمقدورات والمرادات بل علمه تعالى واحد ومعلوماته كثيرة وقدرته واحدة ومقدوراته كثيرة وارادته واحدة ومراداته كثيرة وعلى هذا جميع صفاته وكذلك يمتنع ان يكون لغيره تعالى صفة من صفاته تعالى او مثل صفة من صفاته تعالى او يتصف تعالى بصفة من صفات خلقه سبحانه او مثل صفة من صفات خلقه سبحانه والنوع الثالث الوحدانية فى الاسماء والمراد بذلك امتناع المشابه والمماثل له تعالى فى كل اسم تسمى به سبحانه من حيث هو مسمى به وان جاز اطلاق بعض اسمائه تعالى على غيره من خلقه والفرق بين الاسم والصفة ان الصفة تقدم على الاسم فالصفة اسم غير ظاهر فاذا ظهر اطلق عليه الاسم فان الرحمة كانت سابقة على الاسم الرحمن فلما رحم تسمى رحمانا والنوع الرابع الوحدانية فى الافعال وذلك وجوب انفراده تعالى باختراع جميع الكائنات عموما وامتناع امتناع التأثير لغيره تعالى فى شئ من الممكنات اصلا فكل ذات من ذوات المخلوقات وكل صفة وكل اسم وكل فعل وكل حكم حادث جميع ذلك مخلوق لله تعالى وحده لايشاركه فى شئ من ذلك مشارك اصلا لا طبيعة ولا كوكب ولا قوة ولا سبب مطلقا والنوع الخامس الوحدانية فى الاحكام كما قال تعالى * والله يحكم لا معقب لحكمه * والحكم هو الامر والنهى وهو واحد ولكنه كثير بالتعلقات من احوال المكلفين وحكمه قديم ولكنه تبين فى الخلق لاحدث وهو الذى انزل الكتب وشرع الشرايع وبعث النبيين يبلغون عنه قوله ويحكمون بحكمه فالاحكام كلها راجعة الى قوله الحق ومستندة الى خبره الصدق وهو الذى ينفذها على يدى من شاء من خلقه فى الدنيا وينفذها فى الآخرة من غير واسطة وهو الذى حكم بسعادة من يسره لطاعته وحكم بشقاوة من يسره لعداوته ومخالفته وهو الذى حكم بترتيب الاسباب وتوجيهها الى المسببات وبترتيب العادة وهو الذى حكم بالكفر على الكفار وبالايمان على المؤمنين وبالفسق على الفاسقين وبالنفاق على المنافقين وبالطاعة على المطيعين وبالاخلاص والتقوى على المخلصين والمتقين له الحكم واليه ترجعون ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين اليس الله باحكم الحاكمين ومن احسن من الله حكما ان ربك يقضى بينهم بحكمه ومن هنا قلنا بوحدانية الحكم لوروده كذلك فى هذه الآيات وان جاز اطلاق تعدده لكثرة انواعه بكثرة متعلقاته وتمام هذا البحث فى كتابنا المطالب الوفية (لايشبهه) سبحانه وتعالى (شئ) اصلا وهو توكيد لصفة الوحدانية كما ذكرنا ثم اكد ذلك ايضا بقوله (ليس) سبحانه وتعالى (بجسم) وهو

Marfat.com

المركب من الجزء الذى لايتجزى وادنى التركيب من جزئين فصاعدا وعند البعض لابد من ثلاثة اجزاء لتحقيق الابعاد الثلاثة اعنى الطول والعرض والعمق وفى شرح الصحايف قال اهل السنة الجسم هو متحيز قابل للقسمة فعلى هذا يكون المركب من جوهرين فردين جسما عندهم اه ومعلوم ان كل مركب حادث والله يستحيل فى حقه الحدوث فليس بجسم سبحانه (ولاعرض) ايضا بالعين المهملة والراء محركة وهو مالا قيام له بذاته والمراد ليس هو تعالى عرضا ولاصفة من صفاته تعالى ايضا عرضا ولااسم من اسمائه ولافعل من افعاله ولاحكم من احكامه لان العرض لايقوم بذاته بل يفتقر الى محل وهو الجسم يقومه اى يجعله قائما فوجود العرض فى نفسه هو وجوده فى الجسم فلو كان الله تعالى عرضا لاحتاج الى محل يقومه فكان ممكنا لاواجبا وهو محال ولان العرض يمتنع بقاؤه والالكان البقاء معنى قائما به فيلزم قيام المعنى بالمعنى وهو محال لان قيام العرض بالشئ معناه ان تحيزه تابع لتحيزه والعرض لاتحيز له بذاته حتى يتحيز غيره بتبعيته وذلك محال على الله تعالى الذى يجب بقاؤه سبحانه (ولاجوهر) وهو الجزء الذى لايتجزى عند اهل السنة والجماعة وعند الحكماء الجوهر اما جرمانى مادى اوروحانى مجرد عن المادة فالجرمانى هو الجسم واجزاؤه الهيولى والصورة والروحانى العقول والنفوس المجردة والله تعالى يستحيل عليه شئ من ذلك كله اما عندنا فلان الجوهر جزء من الجسم والله تعالى متعال ان يكون جزأ واما عندهم فلان الجوهر من اقسام الممكن وهو الماهية الممكنة التى اذا وجدت كانت لافى موضوع وليس الله تعالى بممكن بل هو واجب وايضا لم يرد فى الشرع اطلاق الجوهر على الله تعالى مع تبادر الفهم الى اطلاقه عند النصارى بالمعنى الذى يجب تنزيه الله تعالى عنه (ولامصور) اى ذوصورة لان ذلك من خواص الاجسام يحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات واحاطة الحدود والنهايات والصورة المنفية عنه تعالى سواء كانت فى الظاهر اوفى الذهن وكان الشيخ ابو اسحق الاسفرائنى رحمه الله تعالى يقول جميع ماقاله المتكلمون فى التوحيد قد جمعه اهل الحق فى كلمتين الاولى اعتقاد ان كل ماتصور فى الاوهام فالله تعالى بخلافه والثانية اعتقاد ان ذاته سبحانه ليست كالذوات ولامعطلة عن الصفات (ولامتناه) اى له نهاية فى زمان اومكان لان ذلك من صفات المقادير والاعداد المستحيلة عليه تعالى (ولامنجز) اى له اجزاء يسمى باعتبار تأليفه منها متركبا وباعتبار انحلاله اليها متبعضا ومتجزيا لما فى كل ذلك من الاحتياج المنافى للوجوب (ولايطعم) اى يأكل من طعمه كسمعه طعما وطعاما (ولايشرب) لما فى ذلك من الاستمداد بغيره وهو من مقتضيات الاجسام قال تعالى وهو يطعم ولايطعم * وقالوا فى قوله تعالى * الله الصمد * انه الذى لايحتاج الى الطعام والشراب وقال البيضاوى انه السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذاقصد وهو

Marfat.com

الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ماعداه محتاج اليه فى جميع جهاته * لم يلد * لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله اوليطابق قوله *ولم يولد * وذلك لانه لم يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم *ولم يكن له كفوا احد* اى ولم يكن له احد يكافيه او يماثله من صاحبة وغيرها قاله البيضاوى وفى حقائق السلمى قال ابن عطا قل هو الله احد ظهر لك منه التوحيد الله الصمد ظهر لك منه المعرفة لم يلد ظهر لك منه الايمان ولم يولد ظهر لك منه الاسلام ولم يكن له كفوا احد ظهر لك منه اليقين وقال بعضهم الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد الذى لانظير له فى ذات ولا فعل وقال ابو بكر الرازى سمعت اباعلى الروذبادى يقول وجدنا الشرك على ثمانية انواع على التنقص والتقلب والكثرة والعدد والعلة والمعلول والاشكال والاضداد فنفى عزوجل عن صفته وذاته نوع الكثرة والعدد بقوله قل هو الله احد ونفى التنقص والتقلب بقوله الله الصمد ونفى العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد ونفى الاشكال والاضداد بقوله ولم يكن له كفوا احد وقال ابن عطا لم يلد دليل الفردانية ولم يولد دليل الربوبية وقال جعفر جل ربنا ان تدركه الاوهام والعقول بل هو كما وصف نفسه والكيفية عن وصفه غير معقول فسبحانه ان تصل الفهوم والعقول الى كيفيته كل شئ هالك الا وجهه والبقاء والابدية والسرمدية والوحدانية والمشيئة والقدرة له تبارك وتعالى قال الواسطى نفى الحقايق والاحاطة ثم اكده بقوله لم يكن له كفوا احد فلا يشار الى مالا كفوله بوجه كيف يطلق اللسان بما لا كفوله ولا مثل الا اثبات دون المباينة وكيفية الصفات (ولا يمكن) سبحانه وتعالى اى لا يحل ولا يسكن (بمكان) اى فى مكان وهو ما استقر عليه الجسم والحيز هو ما ملأ الجسم فالمكان والحيز امران نسبيان من لواحق الاجسام وتوابعها حتى لو فرض ان الاجسام لم تخلق لم تخلق المكان ولا الحيز فالمكان تستقر عليه الاجسام لا فيه فان كانت فيه فتلك الاحياز والله تعالى يستحيل عليه ان يكون فى مكان اى مكان كان فى السماء او الارض لان المكان لا يفتقر اليه الاجسم والله تعالى لو افتقر الى مكان لكان جسما ويستحيل عليه تعالى ان يكون جسما فالاستواء فى قوله تعالى * الرحمن على العرش استوى * ليس معناه ان استواء الله تعالى كاستواء الاجسام لانه تعالى ليس بجسم كما تقدم بل استواء يليق به تعالى وبكمال تنزيهه عن مشابهة كل شئ قال النسفى فى بحر الكلام لان الله تعالى كان قبل ان يخلق العرش فلا يجوز ان يقال بانه انتقل الى العرش لان الانتقال من صفات المخلوقين وامارات المحدثين والله تعالى منزه عن ذلك ولان من قال بالاستقرار على العرش فلا يخلو اما ان يقول انه مثل العرش او العرش مثله او العرش اكبر منه او هو اكبر من العرش واى كان فقائله كافر لانه جعل الله تعالى محدودا وعن على بن ابى طالب

Marfat.com

رضى الله عنه انه سئل اين كان ربنا قبل ان يخلق العرش فقال ان السؤال عن المكان وكان الله تعالى ولامكان ولازمان وهو الآن كما كان وقالت الجهمية ان الله تعالى فى كل مكان * وفى شرح العمدة وقول المعتزلة وجمهور النجارية انه تعالى فى كل مكان بالعلم والقدرة والتدبير دون الذات باطل لان من يعلم مكانا لايقال انه فى ذلك المكان بالعلم (ولا يجرى) اى يمر (عليه) سبحانه وتعالى (زمان) ومعنى الزمان عندنا اقتران متجدد بمتجدد آخر فالزمان نسبة بين الشيئين المتجددين متأخرة عنهما والله تعالى ليس بمتجدد بل هو قديم ازلى فليس للموجود الاول المتجدد الحادث اقتران به فلا زمان بينه وبينه وكذلك للموجود الثانى ومابعده الى مالانهاية له من الحوادث المتجددة بل هو تعالى سابق على كل شئ من الاشياء الماضية والحالة والمستقبلة سبقا واحدا لا تفاوت فيه (وليس له) تعالى (جهة من الجهات الست) التى هى فوق وتحت ويمين ويسار وقدام وخلف لانه تعالى ليس بجسم حتى تكون له جهة كما للاجسام والجهة عند المتكلمين هى نفس المكان باعتبار اضافة جسم آخر اليه ومعنى كون الجسم فى جهة كونه مضافا الى جسم آخر حتى لو انعدمت الاجسام كلها لزم من ذلك انعدام الجهات كلها لان الجهات من توابع الاجسام واضافاتها وحيث انتفى عن الله تعالى المكان والزمان انتفت الجهات كلها عنه تعالى ايضا لان جميع ذلك من لوازم الجسمية وهى مستحيلة فى حقه تعالى والاكان تعالى مشابها للحوادث (ولا هو) اى الله تعالى (فى جهة منها) اى من تلك الجهات الست لانه تعالى ليس بجسم ولا يحتاج للجهات الا الجسم وذكر بعضهم ان جملة العالم ليس فى مكان ولا جهة والا تسلسل واذا كان هذا فى جملة العالم الذى هو حادث مخلوق فكيف فى ارب الخالق سبحانه وتعالى يكون له مكان او جهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفى شرح العقائد للسعد واعلم ان ماذكره فى التنزيهات بعضها يغنى عن بعض الا انه حاول التفصيل والتوضيح فى ذلك قضاء لحق الواجب فى باب التنزيه وردا على المشبهة والمجسمة وسائر فرق الضلال والطغيان بابلغ وجه واوكده فلم يبال بتكرير الالفاظ المترادفة والتصريح بما علم بطريق الالتزام (ولا يجب) اى لا يلزم (عليه) تعالى (شئ) لغيره سبحانه من ثواب او عقاب او فعل صلاح او اصلح او فساد او افسد بل هو الفاعل العدل المختار ويخلق الله مايشاء ويختار وفى شرح الطوالع للاصفهانى واما اصحابنا فقالوا الثواب على الطاعة فضل من الله تعالى والعقاب على المعصية عدل منه تعالى وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب وفعل المعصية علامة العقاب ولا يكون الثواب على الطاعة واجبا على الله تعالى ولا العقاب على المعصية لانه لا يجب على الله شئ وكل ميسر لما خلق له فالمطيع موفق ميسر لما خلق له وهو الطاعة والعاصى ميسر لما خلق له وهو المعصية وليس للعبد فى ذلك تأثير وقال السعد فى شرح المقاصد طاعة العبد وان كثرت لا تفى

Marfat.com

بشكر بعض ما انعم الله تعالى به عليه فكيف يتصور استحقاق عوض عليها واو استحق العبد بشكره الواجب عوضا لاستحق الرب على ما يوليه من الثواب عوضا وكذا العبد على خدمته لسيده الذى يقوم بمؤنته وازاحة علله والولد على خدمته لابيه الذى يربيه وعلى مراعاته وتوخى مرضاته وايضا لو وجب الثواب والعقاب بطريق الاستحقاق لزم ان يثاب من واظب طول عمره على الطاعات وارتد والعياذ بالله فى آخر الحياة وان يعاقب من اصر دهرا على كفره واخلص الايمان فى آخر عمره ضرورة تحقق الوجوب والاستحقاق واللازم باطل بالاتفاق وقال الاصفهانى ولا يجب عليه تعالى شئ لان الوجوب حكم والحكم لا يثبت الا بالشرع ولا حاكم على الشارع فلا يجب عليه شئ ولانه اوجب عليه شئ فان لم يستوجب الذم بتركه لم يتحقق الوجوب لان الوجوب هو كون الفعل بحيث يستحق تاركه للذم وان استوجب الذم بتركه الذم كان البارى تعالى ناقصا لذاته مستكملا بفعله فانه حينئذ يخلص بفعله من المذمة وهو محال والمعتزلة لوجبوا على الله تعالى امورا منها اللطف ومنها الثواب على الطاعات ومنها العقاب على الكبائر قبل التوبة ومنها ان يفعل الاصلح لعباده فى الدنيا ومنها ان لا يفعل القبيح عقلا وقد عرفت فساد ذلك فانه لا قبيح بالنسبة الى الله تعالى وفى شرح العقائد للسعد ثم ليت شعرى ما معنى وجوب الشئ على الله تعالى اذ ليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب وهو ظاهر ولا لزوم صدوره عنه بحيث لا يتمكن من الترك بناء على استلزامه محالا من سفه او جهل او عبث او بخل او نحو ذلك لانه رفض لقاعدة الاختيار ومیل الى الفلسفة الظاهرة العوار وقال السنوسى رحمه الله تعالى فى شرح الجزائرية ان الذى اوقع المعتزلة فى الضلالات كايجاب الثواب وفعل الصلاح والاصلح على الله تعالى اعتمادهم فى عقائدهم على التحسين والتقبيح العقليين وقياسهم افعال الله تعالى واحكامه على افعال المخلوقين واحكامهم من غير ان يكون فى ذلك جامع يقتضى التسوية فى الاحكام والذى اجمع عليه اهل الحق ان الافعال كلها مستوية بالنسبة الى تعلق قدرة الله تعالى * وارادته بها وكذا هى ايضا مستوية بالنسبة الى تعلق احكامه تعالى الشرعية بها فلا يتصف شئ منها بالحسن لذاته او صفته كما لا يتصف شئ منها بالقبح لذاته او صفته فلا يجب اذن شئ منها عقلا على الله تعالى ولا يستحيل وكذا لا مجال للعقول فى ادراك حكم شرعى لها فليس الحسن شرعا عند اهل الحق الا ما قيل فيه من جهة مولاه عز وجل افعلوه ولا القبيح شرعا الا ما قول فيه من جهته لا تفعلوه وتخصيص كل واحد من الافعال بما اختص به من الاحكام لا علة له ولا غرض يبعث عليه وللشرع حكم ان يقله نتبعه فى ذلك وان سكت فلا مجال لعقولنا فى ذلك اصلا (ولا يحل) اى يسكن (فيه) سبحانه وتعالى اى فى حضرة ذاته العلية او فى صفة من صفاته او فى اسم من اسمائه او فى فعل من افعاله او فى حكم من احكامه (حادث) من الحوادث اصلا لان جميع الحوادث كائنة

Marfat.com

به تعالى لا بنفسها ولا بغيره سبحانه واذا كانت به كان هو فاعلالها فلا يتصوران يكون
الفاعل محلا للمفعول والالما كان فاعلا وهو محال والحاصل انه يستحيل ان يكون الله تعالى
محلا للحوادث او الحوادث محلاله او متحدة معه او متحدا معها واذا بطل الحلول
فالاتحاد يبطل بالطريق الاولى لانه اذا استحال قيامه تعالى بشئ وحلوله فيه
استحال اتحاده بذلك الشئ بحيث يصيران شيئا واحدا والاتحاد محال مطلقا فى القديم
والحادث كما ذكره المقرى رحمه الله تعالى فى حاشيته على شرح السنوسية والحلول
على ثلاثة انواع حلول النصارى وحلول اليهود وحلول الباطنية ومن الباطنية
الدروز والتيامنة والنصيرية وامثالهم خذلهم الله تعالى فحلول النصارى اعتقادهم
بان الاله سبحانه حال فى عيسى عليه السلام حلول الصفة فى الموصوف على تفصيل
ذكرناه معرده فى كتابنا المطالب الوفية وحلول اليهود اعتقادهم ان الاله تعالى مستقر
على العرش وقد تعب واعيا من خلق السموات والارض وقريب منه اعتقاد المجسمة
والمشبهة الذين يعتقدون ان الله تعالى جسم ويقولون انه فى السماء واما حلول الباطنية
فهو كما قال المقرى رحمه الله تعالى بان الباطنية هم القائلون بان الحق سبحانه يحل
فى الانسان فتنكشف له الحقائق ولا يحل فى الذات الالهى وهم كفار انتسبوا لاهل
التصوف واخذ واذلك من شطحاتهم (حكيم) هو الذى يعلم المناسبة بين الاشياء
فيضع كل شئ فى موضعه ذكره النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبه وفى شرح الاسماء
لليافعى رحمه الله تعالى الحكيم وصف مبالغة من الحكمة التى هى العلم فمعناه العليم
او بمعنى المحكم فهو مشتق من الاحكام وهو الاتقان او بمعنى الحاكم فهو مشتق من الحكم
الذى هو المنع (لا يفعل شيئا) فى الحس او فى العقل فى الدنيا وفى الآخرة (الا بحكمة)
وهى كما قال اليافعى ترجع الى العلم بالاسرار والاحكام والى الاتقان للصنع والاحكام
والى الحكم الحق النافذ على الانام وفى القاموس الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم
والقرآن واحكمه اتقنه ومنعه عن الفساد (وفائدة) اى عاقبة حميدة ترجع الى عباده
لانه الغنى عن العالمين (فعال) صيغة مبالغة اى كثير الفعل (لما يشاء) سبحانه بعباده
من خير او شر او نفع او ضر وقال البيضاوى فى قوله تعالى *فعال لما يريد* ما يمتنع عليه
مراد من افعاله وافعال غيره (بلا ايجاب) لشئ من الافعال عليه تعالى بل كل ذلك
جائز فى حقه اذ لا معنى للايجاب كما قدمنا. (منزه) سبحانه وتعالى ازلا وابدا من التنزه
وهو التباعد والاسم النزهة بالضم ونزه الرجل ككرم وضرب تباعد عن كل مكروه
فهو نزيه واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح كذا
فى القاموس ويمكن ان يكون له وجه بانهم كنوا به عن ذلك ومرادهم التباعد عن الهموم
والاحزان بسبب رؤية ذلك وتفريج الضيق عنهم او باعتبار قصدهم المكان البعيد
فانه انزه عند النفوس من القريب فسمى تنزها لانه تبعد عن الوطن (عن صفات

Marfat.com

النقصان) التي توجب انحطاطا فى مراتب الالوهية كالجهل والعجز والصمم والعمى ونحو ذلك (كلها) ماعلم منها ومالم يعلم (متصف) جل وعلا ازلا وابدا (بصفات الكمال) الواجبة له تعالى كالعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوها (كلها) على حسب ماورد فى لكتاب والسنة (وليس له) سبحانه وتعالى (كمال متوقع) بصيغة اسم المفعول اى منتظر وقوعه وحصوله بعنى كمالا حادثا لانه تعالى قديم ولايوصف القديم بحادث والاكان تعالى حادثا ليماثل ماانصف به وهو محال (قديم) واختلفوا فى معنى القدم فقيل هو صفة سلبية معناه سلب العدم السابق على الوجود يعنى لم يسبق وجوده تعالى عدم اصلا وهذا هو القدم المخصوص بالالوهية واما القدم الزمانى فهو مرور الازمنة على الشئ مع بقائه فيها كالعرجون القديم وقيل هو من الصفات النفسية ورد بانه لوكان كذلك لماعرى عنه موجود اذالصفة النفسية مالاتعقل الذات بدونها فيلزم ان لاتعقل ذات شئ اصلا بدونها واللازم باطل فكذا الملزوم لان ذوات الحوادث معقولة وليست بقديمة وقيل هو صفة معنى ثبوتى موجود زائد على الذات كالقدرة والارادة ورد بانه يلزم عليه التسلسل باتصاف القدم بقدم وهلم جرا وقيام المعنى بالمعنى والراجح الاول (ازلى) منسوب الى الازل وهو بالتحريك القدم وهو ازلى اواصله يزلى منسوب الى لم يزل ثم ابدلت الياء الفا للخفة كما قالوا فى الرمح المنسوب الى ذى يزن ازنى كذا فى القاموس ومعنى الازل عند المحققين حضرة الله تعالى التى هو موجود فيها حيث لا ماضى ولامستقبل ولاحال بالنسبة اليها ولامكان ولاجهة فكما ان شيئا من الحوادث لايمكن ان يوجد فيها لايمكن ان يوجد هو سبحانه وتعالى فى الزمان اوالمكان اوالجهة فالزمان والمكان والجهة حضرة المخلوق وحده والازل حضرة لله تعالى وحده فليس الله تعالى موجودا فى حضرتنا بل فى حضرته الخاصة به وهى الازل وليس شئ منا موجودا فى حضرته تعالى التى هى الازل بل جميع الحوادث موجودة فى حضرتها الخاصة بها التى هى الزمان والمكان والجهة وفى زبدة الحقائق لعين قضاة انهمدانى قدس الله سره من ظن ان الازلية شى ماض فقد اخطأ خطأ فاحشا فحيث الازلية فلاماضى ولا مستقبل وهى محيطة بالزمن المستقبل كاحاطتها بالزمن الماضى من غير فرق فليس زمن آدم عليه السلام اقرب بالازلية من زماننا هذا بل نسبة الازمنة كلها الى الازلية واحدة ولعل نسبة الازلية الى الازمنة كنسبة العلوم مثلا الى الامكنة اذلاتوصف العلوم بكونها قريبة من مكان اوبعيدة من مكان بل نسبتها واحدة الى كل مكان فهى مع كل مكان ومع ذلك فقد خلا عنها كل مكان وكذلك ينبغى ان يعتقد نسبة الازلية الى كل زمان فانها مع كل زمان وفى كل زمن ومع ذلك فانها محيطة بكل زمن وسابقة الوجود على كل زمان ولايسعها زمن كما لا يسع العلم مكان فاذا فهمت هذ المعانى فاعلم انه لامغايرة بين الازلية والابدية فى المعنى اصلا

Marfat.com

بل اذا اعتبر وجود ذلك المعنى مع نسبته الى الماضى من الازمنة استعيرله لفظة الازلية وان اعتبر وجوده مع نسبته الى المستقبل من الازمنة استعيرله لفظة الابدية اه وهذا الكلام فى اعلى طبقات التحقيق ولايشعر به الا اهل العناية والتوفيق (ابدى) اى منسوب الى الابد محركة وهو الدهر وجمعه اباد وابود والدائم والقديم الازلى كذا فى القاموس ويرادف ذلك الباقى من البقاء واختلف فيه كالقدم ايضا فقيل صفة سلبية ومعناه امتناع لحوق العدم لوجوده تعالى وقيل صفة نفسية وقيل صفة معنى ثبوتية وهما مردودان بمامر فى القدم (له) سبحانه وتعالى (صفات) جمع صفة اصلها وصف فحذفت الواو وعوض عنها التاء ثم جمعت هذا الجمع والوصف يجمع على اوصاف وصفاته تعالى على اقسام صفات ذات وصفات افعال وصفات نفسية وصفات سلبية وصفات معانى وصفات معنوية وكلها (قديمة) ازلية يستحيل حدوث شئ منها مع قيامه بذات الله تعالى ولا انفكاك لها عن ذاته تعالى اصلا فيستحيل حدوثها وزعمت الكرامية انه له تعالى صفات حادثة وهو محال (قائمة) اى موجودة ثابته (بذاته) سبحانه ضرورة انه لامعنى لصفة الشئ الا مايقوم به لاكما زعمت المعتزلة انه تعالى متكلم بكلام قائم بغيره تعالى وله ارادات حادثة لافى محل (لا) تلك الصفات (هو) سبحانه وتعالى يعنى عين ذاته (ولاغيره) اى غير ذاته تعالى فلا يلزم قدم الغير ولا تكثر القدماء ورفع النقيضين فى الحقيقة جمع بينهما فهى عين الذات وغير الذات ومعناه كما قال عين القضاه الهمدانى فى زبدة الحقايق الصفات عين الذات اذا نظر اليها من الوجه الذى يلى الذات وعلى هذا لايكون فيها تغاير البتة اصلا وهى غير الذات اذا نظر اليها من الوجه الذى يلى انقسام الوجود الى الاقسام المتعددة وعلى هذا الوجه تكون الصفات متغايرة ومتعددة ولهذا مثال واضح فان العشرة لها فى ذاتها معنى مفهوم وذلك المعنى واحد لاينقسم ويدل عليه لفظ العشرة فاما اذا اعتبر منها نسبة الى الخمسة دل عليها بلفظ النصف واذا اعتبر نسبتها الى العشرين دل عليها بلفظ النصف واذا اعتبر نسبتها الى الثلاثين دل عليها بلفظ الثلث وهكذا يمكن ان يدل عليها بالفاظ اخر عند اختلاف نسبتها الى اعداد اخر وهذه الصفات التى وصفت بها العشرة عند اختلاف تلك النسبة واحدة من وجه وكثيرة من وجه فاذا اعتبر منها الوجه الذى يلى ذات العشرة لم يوجد فيها تعدد واذا اعتبر منها الوجه الذى يلى اقسام الاعداد التى نسبت العشرة اليها تعددت باعتبار تلك النسب لتعدد اعداد نسبت اليها فكذلك ذات واجب الوجود الحق يلزمها الوحدة وكيف لايلزمها الوحدة والاحديه التى هى اخص من الوحدة لازمة لها اذ لايمكن ان يوجد لغيرها من الذوات خاصيتها الموجودة لها فاذا نظرت عين الذات الواجبة الى نفسها صادفتها متحدة غير متكثرة بوجه من الوجوه ولكن لكثرة

Marfat.com

نسب تلك الذات الى الموجودات الاخر التى استحقت الوجود من تلك الذات احتيج
الى تغيير العبارات عنها حتى تتأدى حقائق تلك النسب بواسطتها الى الافهام واعلم
بان الصفات التى هى لاعين الذات ولاغيرها انما هى الصفات الذاتية الثبوتية
والصفات المعنوية وصفات الافعال عندنا واما الصفات السلبية كليس بمركب فانها
غير الذات قطعا واما لصفات النفسية كالوجود فهى عين الذات قطعاكما اوضحنا
فى المطالب الوفية (هى) اى الصفات يعنى صفات المعانى المذكورة انها لاهو ولا
غيره ثمانية الاولى (الحياة) وهى صفة لله تعالى ازلية توجب صحة العلم قاله السعد
وهومعنى قول السنوسى الحياة صفة تصحح لمن قامت به ان يتصف بالادراك والحياة
لاتتعلق بشئ اى لاتقتضى امرا زائدا على قيامها بذات الحق تعالى (و) الثانية
(العلم) وهى صفة تنكشف بها المعلومات عند تعلقها بها سواء كانت المعلومات
موجودة اومعدومة محالة كانت اوممكنة قديمة كانت اوحادثه متناهية كانت اوغير
متناهية جزئية كانت اوكلية وبالجملة جميع مايمكن ان يتعلق به العلم فهو معلوم لله تعالى
لايقال يلزم على هذا التعريف الدور لان المعلومات مشتقة من العلم وقد اخذت فى
تعريفه فيتوقف كل منهما على الآخر لانا نقول يمكن دفعه بان المراد بالمعلوم مايمكن
ان يتعلق به العلم الازلى القديم او بان المراد بالمعلومات المدركات وهى انما تتوقف
على العلم بمعنى الادراك لابمعنى الصفة الازلية القائمة بالذات العلية كما هنا اوهو تعريف
لفظى فان قلت ذكر الانكشاف مشعر بسبق الخفاء وهو محال عليه تعالى قلت غايته
انه تسامح مع ظهور المراد فهو كناية عن احاطة الذات القائمة بها تلك الصفة
بسائر المدركات كما تسامح فى توقيت التعلق بقوله عند الى اخره ذكره اللاقانى فى شرح
جوهرته وليس علم الله تعالى مستفادا بالاكتساب ولابالضرورة قال المقرى فى حاشيته
على شرح السنوسية ويمتنع كون علم الله تعالى بالاعتقاد او النظر اوكونه كسبيا
اوضروريا اوبديهيا اويقينيا لان اليقينى كما قال البيضاوى افتقار العلم لما ينفى عنه
الشبهة نظرا واستدلالا ولذا لايوصف به العلم القديم اه وكذلك يمتنع فى علمه تعالى
ان يكون تصورا اوتصديقا لانه قديم والتصور والتصديق عرضان حادثان ينقسم
اليهما علمنا الحادث فيستحيل ان ينقسم ايضا اليهما او الى احدهما علمه القديم
وهو يتعلق بجميع الموجودات والمعدومات الواجبة والممكنة والمستحيلة ومع ذلك
لاتعدد فيه ولاتكثر وتمام هذا مبسوط فى كتابنا المطالب الوفية (و) الثالثة (القدرة)
وهى صفة توثر فى المقدورات عند تعلقها بها يعنى ان الذات الازلية القائمة بها صفة
القدرة القديمة تؤثر فى الممكنات ايجادا واعداما على وفق ما تعلقت به ارادتها واعلم ان تعلق
الارادة على وفق تعلق العلم وتعلق القدرة على وفق تعلق الارادة ذكره اللاقانى ونقل المقرى
عن القرافى فى شرح الاربعين ان معنى ايجاد القدرة انها بمنزلة القلم للكاتب والموجد

Marfat.com

فى الحقيقة هو الذات وهذا على سبيل التمثيل والتقريب ولله المثل الاعلى اه والقدرة انما تتعلق بالممكن الذى يقبل الوجود والعدم قبولا على السواء بحيث لايلزم من وجوده نقصان صانعه ولا كماله ولايلزم من عدمه ايضا نقصان صانعه ولا كماله وهذا معنى الممكن ويسمى الجائز ولاتتعلق القدرة بالواجب وهوما يلزم من وجوده كمال الحق تعالى ولا بالمستحيل وهومايلزم من وجوده نقصان الحق سبحانه وفصلنا هذا المبحث وغاب مباحث هذا الفصل فى المطالب الوفية (و) الرابعة (السمع) وهو صفة ازلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالمسموعات او بالموجودات فتدرك ادراكا تاما لاعلى سبيل التخيل والتوهم ولاعلى طريق تأثر حاسة ووصول هواء ذكره اللاقانى (و) الخامسة (البصر) وعرفه اللاقانى ايضا بانه صفة ازلية تتعلق بالمبصرات اوبالموجودات فتدرك ادراكا تاما لاعلى سبيل التخيل والتوهم ولاعلى طريق تأثير حاسة ووصول شعاع وقال السنوسى فى شرح الجزائرية والجمهور من اهل الحق يقولون بان السمع والبصر صفتان زائدتان على العلم مباينتان له بالحقيقة وان كانا متشاركين فى انهما صفتان كاشفتان يتعلقان بالشئ على ماهو به وهذا احد قولى الشيخ ابى الحسن الاشعرى والقول الثانى على مانقله عنه ابن التلمسانى فى شرح المعالم انهما من جنس العلم الاانهما لايتعلقان الا بالموجود والعلم يتعلق بالموجود والمعدوم والمطلق والمقيد وقال اللاقانى ليس سمعه تعالى خاصا بالاصوات بل يعم سائر الموجودات ذوات كانت اوصفات فيسمع ذاته العلية وجميع صفاته الازلية كمايسمع ذواتنا وما قام بنا من صفاتنا كعلو منا والواننا وهكذا بصره سبحانه لايختص بالالوان ولا بالاشكال والاكوان فحكمه حكم السمع سوا بسواء فمتعلقهما واحد اه يعنى متعلقهما الموجودات فقط سواء كانت قديمة اوحادثة ولايتعلقان بالمعدومات وكل موجود من الممكنات مقدر بزمان يوجد فيه سواء كان الزمان ماضيا اومستقبلا اوحالا ذلك الممكن موجود فى زمانه المقدر وجوده فيه بالنسبة الى الله تعالى المنزه عن التقيد بالزمان وان كان ذلك الممكن معدوما بالنظر الينا اما لمضيه اولاستقباله بسبب تقيدنا نحن بالزمان الذى وجدنا فيه فيكون المراد بتعلق السمع والبصر بجميع الموجودات تعلقهما بالموجودات التى هى موجودات بالنظر الى صاحب السمع والبصر لابالموجودات بالنظر الينا ولايشترط فى سمعه وبصره سبحانه ان تكون الاشياء موجودة بالنظر الينا واما المعدومات التى ماارادها الله تعالى ولاتعلقت القدرة بايجادها فى ازمنتها المقدرة لها ولاكشف عنها العلم موجودة فى تلك الازمنة فلا يتعلق بها السمع والبصر وكذلك المستحيلات بخلاف العلم فانه يتعلق بالموجود والمعدوم وقد حققنا هذا المبحث فى المطالب الوفية بمايفى بالامنية (و) السادسة (الارادة) وهى صفة قديمة تقتضى تخصيص المكونات بوجه دون وجه

Marfat.com

فى وقت دون وقت وقال السنوسى هى صفة تؤثر فى اختصاص احد طرفى الممكن من وجود وعدم وطول وقصر ونحوهما بالوقوع بدلا عن مقابله فصار تأثير القدرة فرع تأثير الارادة اذلا يوجد مولانا عز وجل من الممكنات او يعدم بقدرته الا ما اراد تعالى وجوده او عدمه وتأثير الارادة عند اهل الحق على وفق العلم فكل ما علم تعالى انه يكون من الممكنات اولا يكون فذلك مراده عز وجل اه والارادة تتعلق بما تتعلق به القدرة من الممكنات فقط دون الواجبات والمستحيلات كما مر (و) السابعة (التكوين) وهو المعنى الذى يعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والايجاد والاحداث والاختراع ونحو ذلك ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود قاله السعد فى شرح العقائد وفى شرحه للمقاصد اسند القول بالتكوين الى الشيخ ابى منصور الماتريدى واتباعه وهم ينسبونه الى قدمائهم الذين كانوا قبل الشيخ ابى الحسن الاشعرى حتى قالوا ان قول ابى حنيفة والطحاوى له الربوبية ولا مربوب والخالقية ولا مخلوق اشارة الى هذا ثم اطبقوا على اثبات ازلية التكوين ومغايرته للقدرة وكونه غير المكون وان ازليته لا تستلزم ازلية المكونات اه وقد حققناه فى المطالب الوفية (و) الثامنة (الكلام) وهو صفة ازلية قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت الذى هو ترك التكلم مع القدرة عليه والآفة التى هى عدم مطاوعة الآلة اما بحسب الفطرة كما فى الخرس او بحسب ضعفها وعدم بلوغها حد القوة كما فى الطفولية ولا خلاف لارباب الملل والمذاهب فى كون البارئ تعالى متكلما وانما الخلاف فى معنى كلامه وقدمه وحدوثه فعندنا كلامه تعالى امر وخالفنا فى ذلك جميع الفرق وزعموا انه لا معنى للكلام الا المنتظم من الحروف المسموعة الدالة على المعنى المقصود وان الكلام النفسى غير معقول لهم ذكره اللاقانى وقال السعد فى شرح العقائد كلام الله صفة واحدة متكثرة الى الامر والنهى والخبر باختلاف التعلقات كالعلم والقدرة وسائر الصفات فان كلا منها واحدة قديمة والتكثر والحدوث انما هو فى التعلقات والاضافات لما ان ذلك الحق بكمال التوحيد ولانه لا دليل على تكثر كل منها فى نفسها (الذى ليس) هو (من جنس الحروف) اللفظية والرقمية (والاصوات) لانها اعراض حادثة وكلامه تعالى قديم فهو منزه عنها ونقل المقرى عن ابن مرزوق انه قال فى بعض اجوبته القرآن يطلق ويراد به القراءة وهى الحروف والاصوات ويطلق ويراد به المقروء وهو كلام الله الذى هو معنى قائم بذاته تعالى وهذا قديم والاول حادث وقال امام الحرمين فى الارشاد القراءة عند اهل الحق اصوات القراء ونغماتهم وهى اكسابهم التى يؤمرون بها فى حال القراءة ايجابا فى بعض العبادات وندبا فى كثير من الاوقات ويزجرون عنها اذا اجنبوا ويثابون عليها ويعاقبون على تركها وهذا مما اجمع عليه المسلمون ونطقت به الآثار ودل عليه المستفيض من الاخبار ولا يتعلق الثواب والعقاب الا بما هو من اكساب العباد

Marfat.com

ويستحيل ارتباط التكليف والترغيب والتعنيف بصفة ازلية خارجة عن الممكنات
وقبيل المقدورات والقراءة هى التى تستطاب من قارئ وتستبشع من اخر وهى الملحونة
والقويمة المستقيمة وتتنزه على كل ماذكرناه الصفة القديمة ولا يخطر لمن لازم الانصاف
ان الاصوات التى يجح لها حلقه وتنتفخ على مستقر العادة منها اوداجه وتقع على حسب
الايثار والاختيار محرفا وقويما وجهوريا وزخيما ليس كلام الله تعالى فهذا القول
فى القراءة واما المقروء بالقراءة فهو المفهوم منها المعلوم وهو الكلام القديم الذى تدل
عليه العبارات وليس منها ثم المقروء لايحل القارى ولايقوم به وسبيل القراءة والمقروء
كسبيل الذاكر والمذكور فالذكر يرجع الى اقوال الذاكر والرب المذكور والمسبح
الممجد غير الذكر والتسبيح والتمجيد والعرب صنفت انواع الدلالات على المدلولات
بالعبارات فسمت انباء الشعرا نشادا والانباء عن الغائبات التى ليست من قبيل الكلام
ذكرا وسمت الدلالة على كلام الله تعالى بالاصوات قراءة وكلام الله تعالى مكتوب
فى المصاحف محفوظ فى الصدور وليس حالا بمصحف ولاقائما بقلب والكتابة قد يعبر بها
عن حركات الكاتب وقد يعبر بها عن الاحرف المرسومة والاسطر المرقومة وكلها
حوادث ومداول الخطوط والمفهوم منها كلام الله تعالى وهذا بمثابة اطلاق القول
بان الله تعالى مكتوب فى المصاحف وليس المعنى بذلك تصاله بالاجسام وقيامه بالاجرام
(والقرآن) العظيم (كلام الله) تعالى (غير مخلوق) ولم يقل القرآن غير مخلوق
بلا قوله كلام الله لئلا يسبق الى الفهم ان المؤلف من الحروف والاصوات قديم كما ذهب
اليه الحنابلة وقرأت بخط بعض المتأخرين نقلا من كتاب السنة للامام ابى عبد الرحمن
عبد الله بن الامام احمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه قال عبد الله سمعت ابى يقول
من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لان القرآن من صفة الله وفيه اسماء الله وحدثنى
ابى حدثنا شريح بن النعمان اخبرنى عبد الله بن نافع قال كان مالك بن انس يقول
من قال القرآن مخلوق يوجع ضربا ويحبس حتى يتوب واخرج عن عبد الله بن المبارك
من قال القرآن مخلوق فهو زنديق واخرج عن سفيان بن عيينة القرآن كلام الله
من قال مخلوق فهو كافر ومن شك فى كفره فهو كافر اه وحدثنى محمد بن ابراهيم الدرقى
حدثنى يحيى بن يوسف قال حضرت عبد الله بن ادريس فقال له رجل يا ابا محمد ان قبلنا
اناس يقولون القرآن مخلوق فقال من اليهود قال لا قال فمن النصارى قال لا قال
فمن المجوس قال لا قال فممن قال من الموحدين قال كذبوا ليس هؤلاء بموحدين هؤلاء زنادقة
من زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم ان الله مخلوق ومن زعم ان الله مخلوق فقد كفر
هولاء زنادقة واخرج عن وكيع بن الجراح من زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم انه محدث
فيستتاب فان تاب والا ضربت عنقه وعنه من قال القرآن مخلوق فهو كافر وعن يزيد
ابن هارون انه حلف والله الذى لااله الا هو ان حمن الرحيم عالم الغيب والشهادة

Marfat.com

من قال القرآن مخلوق فهو زنديق واخرج عن معاذ بن معاذ من قال القرآن مخلوق فهو كافر وعن شبابة بن سوار وعبد العزيز بن ابان القرشي قال القرآن كلام الله ومن زعم انه مخلوق فهو كافر وعن ابن ابي مريم من زعم ان القرآن مخلوق فهو كافر وعن يحيى بن معين من قال القرآن مخلوق فهو كافر اه وذكر ابن الكمال في بعض رسائله ان ابا حنيفة وابا يوسف رضي الله عنهما تناظرا ستة اشهر ثم استقر رأيهما على ان من قال بخلق القرآن فهو كافر وقد ذكر في الاصول ان قول ابي حنيفة ان القائل بخلق القرآن كافر محمول على الشتم لا على الحقيقة فهو دليل على ان القائل به مبتدع ضال لا كافر (ورؤية الله تعالى) في اليقظة (بالابصار) جمع بصر وهو حس العين ومن القلب نظره وخاطره كذا في القاموس والمراد الاول لانه موضع الخلاف بين اهل السنة وغيرهم (جائزة في العقل) على معنى ان العقل اذا خلا ونفسه لم يحكم بامتناع ان تتعلق به تعالى رؤية الرائي اذ لم يرد برهان عن ذلك وهذا لا ينافي وجوب لرؤيته سمعا لورود الكتاب والسنة بها وانعقاد الاجماع قبل ظهور المخالفين عليها قاله الاقاني وفي شرح المقاصد للسعد ذهب اهل السنة الى ان الله تعالى يجوز ان يرى وان المؤمنين في الجنة يرونه منزها عن المقابلة والجهة والمكان وخالفهم في ذلك جميع الفرق فان المشبهة والكرامية اثبتوا له تعالى رؤية في الجهة والمكان لكونه عندهم جسما تعالى عن ذلك ولا نزاع للمخالف في جواز الانكشاف التام العلمي ولا انا في امتناع ارتسام صورة من المرئي في العين واتصال الشعاع الخارجي من العين بالمرئي او حالة ادراكية تستلزم ذلك وانما محل النزاع انا اذا عرفنا الشمس مثلا بحدها ورسمها كان نوعا من المعرفة ثم اذا ابصرناها وغمضنا العين كان نوعا آخر فوق الاول ثم اذا فتحنا العين حصل نوع آخر من الادراك فوق الاولين اسمه الرؤية ولا يتعلق في الدنيا الا بما هو في جهة ومكان فمثل هذه الحالة الادراكية هل تصح ان تقع بدون المقابلة والجهة وان تتعلق بذات الله تعالى منزها عن الجهة والمكان ولم يقتصر الاصحاب على ادلة الوقوع مع انها تفيد الامكان ايضا لانها سمعيات ربما يدفعها الخصم بمنع امكان المطلوب فاحتاجوا الى بيان الامكان اولا والوقوع ثانيا ولم يكتفوا بما يقال الاصل في الشيء سبعا فيما ورد به الشرع هو الامكان ما لم يدفع عنه الضرورة او البرهان فمن ادعى الامتناع فعليه البيان لان هذا انما يحسن في مقام النظر والاستدلال دون المناظرة والاحتجاج وفي شرح الصحائف اتفق اهل السنة على جواز رؤية الله تعالى منزها عن المسامتة والمحاذات والجهة والمكان خلافا لجميع الفرق والمشبهة والكرامية وان جوزوا رؤية الله تعالى لكنهم انما جوزوا لاعتقاد كونه تعالى جسما حاصلا في الجهة واما بتقدير كونه تعالى منزها عن الجسمية والجهة فيحيلون رؤيته فالرؤية المجردة عن الجسمية والمكان انما ذهب اليها اهل السنة فقط والمسامتة هي ان يكون المرئي مقابلا للعين بحيث لو اخرج خط مستقيم من الحدقة قائما على سطحها

Marfat.com

لم على المرئ والمحاذاة اعم من ذلك وهذا البحث مما ليس للعقل استقلال فى اثباته والغاية
فيه بيان الجواز وتقرير قول الصادق وبيان الجواز يبطل قول المنكرين لانهم
يحيلونها او بيان جواز الرؤية على الوجه المعقول ان المشاهدة هى ادراك عين الحاضر
وان الله تعالى كامل العلم لايعزب عنه شئ ويدرك عين الاشياء لان عدم هذا النوع
من الادراك نقص محال فحينئذ يدرك عين ذاته الموجودة فى الخارج فتكون عين ذاته
الموجودة مشاهدة له فجاز على ذاته الموجودة العينة ان تكون مشاهدة فعلم ان ذاته
الموجودة المتنزهة عن الجسمية والجهة قابلة للمشاهدة والقابلية لاتختلف بالقياس
الى الاشياء لانها ذاتية ونسبة الذات فى اقتضاء القابلية الى جميع الابصار واحدة فتكون
قابلة بالنسبة الى ابصارنا والتفاوت او كان فانما يكون من جهة الرائى بان لايكون قويا
على مشاهدته واعيننا رائية للاشياء الممكنة الرؤية فتكون قوية على ذلك او بعد
خلق تلك القوة فى اعيننا والمؤمنون فى الخلد روحانيون كالملائكة فعلم انما جاز ان نرى الله
تعالى اذا تجلى من غير ان وجهة ومسامتة وهذا هو الوجه المعقول فى بيان جواز
رؤية الله تعالى وههنا وجه آخر منقول عن امير المؤمنين على رضى الله عنه واولاده
عليهم الرضوان ان لارواحنا ادراكا آخر ندرك به الاشياء باعيانها بدون توسط الحاسة
انا تجردت الروح بالارتياض والاعراض عن الاغراض البدنية الحيوانية واللذات
الشهوانية وكذا هذا تواتر من مرتاضى الملل المختلفة فى الاوقات المتغايرة انا قد ندرك
بعد التصفية والتجريد الاشياء البعيدة مع حيلولة الجبال الشاهقة والتلال
العائقة ونسمع كلامهم وقد امتحن ما اخبروا فقد اصابوا ومثل هذا
التواتر يفيد اليقين واما الارتياب فى التواتر الذى صدر من امة واحدة اووقت واحد
وهذا مما اتفق عليه العقلاء وايده قوله عليه السلام حكاية عن المعراج رأيت ربى بقلبى
مرتين نص على الرؤية وخص بمرتين فخرج الكشف والعرفان فلعل هذا هو الوجه
فى هذا المطلوب وفى طريق سماع الكلام بالوحى والالهام وهذا الادراك لايمنع
ان تكون العين مع ذلك طامحة وان لم يكن لها مدخل فى هذ الرؤية فيصدق انا نراه
باعيننا على ان الباء بمعنى مع وحينئذ سقطت شبهة المعتزلة واستعجابهم من رؤية مالايكون
فى جهة لان هذا انما يستبعد فى الرؤية التى بسبب العين اذ لابد حينئذ من المقابلة وغيرها
من الشرائط واما اذا سقطت العين عن درجة الاعتبار فى السببية وكان السبب
شيئا آخر غير محتاج اليها والعين مصاحبة له فعلوم ان امثال هذه الشرائط فى حيز
الاسقاط وهذا سر هذا الموضع واما رؤية الله تعالى فى المنام فقد حكى القول بها عن
كثير من السلف وفى شرح الشيبانية لابن قاضى عجلون وقد وقع الخلاف فى رؤية الله
تعالى فى المنام فنهم من منعه لكن معظم المثبتين للرؤية على جوازه من غير كيفية
وجهة وحكى كثير من السلف انهم رأوه عزوجل كذلك (واجبة بالنقل) وهو الكتاب

Marfat.com

والسنة واجماع الامة من السلف الصالحين والخلف المتقين الى يوم الدين (فى الدار الآخرة) وهى غير الدار الدنيا فيشمل ذلك مابعد الموت الى مالانهاية له ومواطن الآخرة ثلاثة عالم القبر وعالم الحشر وعالم القرار فى جنة اونار والثلاثة بعد الموت وقد ورد فى الحديث قال صلى الله عليه وسلم انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا فالموت غاية لنفى الرؤية فى الدنيا فاذا وجد الموت انتهى نفى الرؤية الممنوعة فى الدنيا ومضى حكم الدنيا واتى حكم الآخرة فمن الموتى من ينعم الله عليه بالرؤيه عند موته ومنهم فى عالم البرزخ ومنهم من لايرى ربه الى يوم القيامة فى الموقف ومنهم من يراه بعد دخول الجنة ومنهم من لايراه ابدا كاهل الكفر على ماسنذكره (فيرى) بالبناء للمفعول اى يراه المؤمنون (لافى مكان) لانه تعالى ليس له مكان (ولا) على اعتبار (جهة) من الجهات الست لعدم وجود الجهة فى حقه تعالى كما قدمناه (من مقابلة) بينه تعالى وبين الرائى وهو بيان لاعتبار الجهة (واتصال شعاع) يخرج من بصر الرائى فيقع عليه تعالى (وثبوت مسافة) بينه وبين الرائى لان هذا كله فى رؤية الاجسام والله تعالى ليس بجسم فليست رؤيته كرؤية الاجسام فان الرؤية تابعة للشئ على ماهو عليه فمن كان فى مكان وجهة لايرى الا فى مكان وجهة كما هو كذلك ويرى بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة ومن لم يكن فى مكان ولا جهة وليس بجسم فرؤيته كذلك ليس فى مكان ولا جهة ولا مقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة والالم تكن رؤية له بل لغيره وقال اللاقانى فى شرح جوهرته والمراد انه ينكشف سبحانه انكشافا تاما بحاسة البصر لكل فرد فرد من المؤمنين وهذا مجمع عليه فى الجملة وان اختلف العلماء فى بعض جزئياته وافراده وزمانه ومكانه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ان الملائكة لاترى ربها فى الآخرة. متمسكا بعموم قوله تعالى لاتدركه الابصار فانه عام خص منه مؤمنوا البشر بالنص فبقى على عمومه فيمن عداهم والحق انهم يرونه سبحانه كما نص عليه الاشعرى ووافقه البيهقى والبلقينى وجزم الجلال السيوطى بان الجن تحصل لهم الرؤية فى الموقف مع سائر الخلق قطعا وتحصل لهم فى الجنة فى وقت ما من غير قطع بذلك واما انهم يساوون لانس فى الرؤية فى كل جمعة فالظاهر خلافه وقد اختلف العلماء فى رؤية النساء الله تعالى فى الآخرة على ثلاثة مذاهب احدها لايرينه لقصرهن فى القيام ولعدم تصريح الاحاديث برؤيتهن والثانى يرينه اخذا من عموم النصوص الواردة فى الرؤية والثالث يرينه فى الاعياد فانه تعالى يتجلى فيها تجليا عاما فيرينه فى مثل هذه الحالة دون غيرها وبه جزم السيوطى وفى المؤمنين من الامم السابقة احتمالان لابن ابى جمرة اظهرهما عنده مساواتهم فى الرؤية لمؤمنى هذه الامة واحترز بالمؤمنين عن الكفار والمنافقين فانهم لايرون ربهم يوم القيامة لقوله تعالى *كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون* وقيل انهم يرونه ثم يحجبون فيكون عليهم حسرة والدليل على حصول الرؤية لاهل الجنة

Marfat.com

من القرآن قوله تعالى * وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة * قال فى شرح الصحائف النظر اما الرؤية او تقليب الحدقة نحو المرئى طلبا لرؤيته فان كان الاول فقد حصل المطلوب وان كان الثانى تعذر ههنا حمله على ظاهره لان تقليب الحدقة انما يكون نحو المرئى الذى يكون فى الجهة فلابد من حمله على الرؤية لان النظر بسبب الرؤية واطلاق لفظ السبب وارادة المسبب من اقوى وجوه المجاز فحينئذ يكون المراد بالنظر الرؤية ولزم المطلوب وقوله تعالى * للذين احسنوا الحسنى وزيادة * فسر جمهور ائمة التفسير الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية وقوله تعالى * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * فاخبر تعالى انه حقر شان الكفار وخصهم بكونهم محجوبين فكان المؤمنون غير محجوبين وهو معنى الرؤية قاله اللاقانى وفى شرح المقاصد والنص من السنة قوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته وقوله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة * واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية وفى حديث مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقال القرطبى فى شرح هذا الحديث ومذهب اهل السنة باجمعهم ان الله تعالى ينظر اليه المؤمنون فى الآخرة بابصارهم كما نطق بذلك الكتاب واجمع عليه سلف الامة ورواه بضعة عشر من الصحابة رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم ومنع ذلك فرق من المبتدعة منهم المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة (والعالم) بفتح اللام قال السعد هو ماسوى الله تعالى من الموجودات مما يعلم به الصانع يقال عالم الاجسام وعالم الاعراض وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك فتخرج صفات الله تعالى لانها ليست غير الذات كما انها ليست عينها (بجميع اجزائه) التى هى الجواهر الفردة والاعراض خلافا للفلاسفة فانهم اثبتوا العقول والنفوس المجردة عن المادة والهيولى (و) جميع (صفاته) من التركيب والبساطة وغير ذلك (ولو افعال العباد) المكلفين وغيرهم من الانسان وغيره فانها من اجزاء العالم ايضا (خيرها) اى الخير منها وهو ما وافق الشريعة المحمدية (وشرها) اى الشر منها وهو ما لم يوافق الشريعة المحمدية وكذلك الاختيارى منها والاضطرارى (حادث) بمعنى انه كان معدوما فوجد فان الفلاسفة وان اطلقوا القول بالحدوث لما سوى الله تعالى لكن بمعنى الاحتياج الى الغير لا بمعنى سبق العدم عليه كما ذكره السعد (بخلق) اى ايجاد وتقدير (الله) تعالى قال فى القاموس الخلق التقدير والخالق فى صفاته تعالى المبدع للشئ المخترع على غير مثال سبق (لا خالق) لجميع ما ذكر (غيره) سبحانه وتعالى ولا طبيعية ولا سبب يؤثر فى العالم اصلا (وتقديره) معطوف على بخلق الله تعالى اى

Marfat.com

وحادث بتقدير الله تعالى ايضا ويقال له القدر بالتحريك والقدر بالسكون ايضا وهو مايقدره الله تعالى من القضاء كذا فى الصحاح وقال السعد هو تحديد كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر ومايحويه من زمان ومكان ومايترتب عليه من ثواب وعقاب (وعلمه) اى وبعلمه سبحانه ايضا (وارادته) تعالى لجميع ذلك من الازل وسبق بيان العلم والارادة (وقضائه) جل وعلا لجميع ماذكر وهو حكمه الازلى بكل ماقدره فى الازل فالتقدير يعين المحكوم به والقضاء هو الحكم بذلك المعين فهما رتبتان للوصف الواحد الالهى القديم الذى يستحيل عليه التغير والتبدل فمن جهة انه حكم على الماهيات باوصافها الخاصة بها من مقدار مخصوص وزمان ومكان ونحو ذلك مما هو مفصل فى حضرة العلم القديم الازلى يسمى قضاء ومن جهة انه تحديد وتقييد للماهيات المذكورة ببعض مايجوز عليها مما هو ثابت لها فى حضرة العلم القديم يسمى تقديرا وقدرا (وللعباد) المكلفين بالامر والنهى (اختيارات) جمع اختيار من اختار الشئ اذا انتقاه لانهم ينتقون بنظر عقولهم مايترجح عندهم فعله لغرض دنيوى اواخروى ولاجبر لاحد فى فعله الاختيارى اصلا وان كان الاختيار ليس موجودا فيه بالاختيار لئلا يلزم التسلسل (لافعالهم) التى كلفهم الله تعالى بها وطلب منهم الاتيان بها فى الخير والانكفاف عنها فى الشر (بها) اى بسبب تلك الاختيارات المخلوقة لله تعالى فيهم (يثابون) اى يثيبهم الله تعالى يوم القيامة على ماصدر منهم من الخير مما خلقه الله تعالى منسوبا اليهم بسبب خلق الله تعالى ارادتهم له (وعليها) اى لاجل تلك الاختيارات (يعاقبون) اى يعاقبهم الله تعالى يوم القيامة حيث صدر منهم بها افعالا من الشر خلقها تعالى لهم منسوبة اليهم بسبب خلقه ارادتهم لها وحيث ثبت ان للانسان اختيارا خلقه الله تعالى فيه فقد انتفى مذهب الجبرية القائلين بان الانسان مجبور على فعل الخير والشر ثم ان ذلك الاختيار الذى خلقه الله تعالى فى الانسان بخلق الله تعالى عنده لا به ولا فيه ولا منه افعال الخير والشر فينسبها للانسان فيكون اختيار الانسان المخلوق فيه بمنزلة يده المخلوقة له بحيث لا تأثير لذلك فى شئ مطلقا غير مجرد قبول صحة النسبة بخلق الله تعالى فيه صحة ذلك القبول فانتفى مذهب القدرية القائلين بتأثير قدرة العبد فى الخير والشر قال امام الحرمين فى الارشاد اتفق سلف الامة قبل ظهور البدع والاهواء واضطراب الآراء على ان الخالق المبدع رب العالمين ولا خالق سواه ولا مخترع الا هو وهذا مذهب اهل الحق فالحوادث كلها حدثت بقدرة الله تعالى ولا فرق بين ما انعلقت قدر العباد به وبين ماتفرد الرب تعالى بالاقتدار عليه ويخرج من مضمون هذا الاصل ان كل مقدور لقادر فالله تعالى قادر عليه وهو مخترعه ومنشئه (والحسن منها) اى من افعال العباد وهو الموافق لما اذن الله تعالى به فى الشرع (برضاء الله تعالى) اى يرضى تعالى بفعله من العبد او يرضى عن العبد فيخلق ذلك له والرضاء ترك الاعتراض وفسره

Marfat.com

بعضهم بالارادة من غير اعتراض و يرادفه المحبة وهذا فى المحبة القديمة واما المحبة الحادثة فهى ميل النفس الى الشئ لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على مايقرب اليه ذكره اللاقانى وعلى هذا فيكون قوله بعده (ومحبته) تأكيدا للرضاء بمرادفه اى بمحبته تعالى لذلك النوع من الافعال اوللعبد فيخلق له ذلك النوع من الافعال قال ابن اقبرس فى فتح الصفا شرح الشفا محبة الله تعالى للخلق مؤولة قطعا وقال لانه لايكون عن ميل القلب ولا النفس ولا من رؤية الطاعة له ولا من سبب من جنس الاسباب الموجبة لمحاب الخلق بل كل صفة من اوصاف الله تعالى من العلم و القدرة والارادة وغيرها وان اتفقت فى اسماء صفات خلقه فلا يشبه حقيقتها حقيقة اوصاف الخالق حتى الوجود الذى يعم الخالق والمخلوق جميعا وذلك لان وجود الخلق عن عدم ووجود الخالق واجب لذاته ووجود كل ماسواه مستفاد منه ومن دقق النظر علم انه ليس فى الكون الا الله تعالى وافعاله منه وانه ليس فى الوجود شئ ثابت الا هو وحده لاشريك له وقرأ بعضهم على الشيخ سعيد بن ابى الخير قوله تعالى * يحبهم و يحبونه فقال الحق يحبهم لانه لايحب الا نفسه على معنى انه ليس فى الكون الا هو وماسواه فهو من صنعه والصانع اذا مدح صنعته فقد مدح نفسه فاذا لايتجاوز نفسه لان نفسه قائمة بنفسه وماسواه قائم به فهو لايحب الا نفسه اه فمحبة الله تعالى لبعض الاعمال والاشخاص محبة منه تعالى لمصنوعاته المتقنة المحكمة وجميع مصنوعاته متقنة محكمة فلا باعث حينئذ لمحبته ولاغرض له فيها صلا بل ذلك مجرد فضل منه تعالى على ذلك المصنوع وكذلك بغضه تعالى لبعض الاعمال والاشخاص عدل منه تعالى من غير علة ولاغرض (والقبيح منها) اى من افعال العباد وهو غير الموافق لما اذن الله به (ليس صادرا) من المكلفين (بهما) اى بسبب رضاء الله تعالى ومحبته بل ببغضه سبحانه وكراهته قال ابن اقبرس فى شرح الشفا اعلم ان ههنا قاعدة شريفة ينبغى ان تعلم وهى ان الاعراض النفسانية كالفرح والرحمة والسرور والحياء والمكر والخداع والاستهزاء لها اوائل وغايات فاذا وصف الله بشئ منها كان محمولا على الغايات لاعلى البدايات مثلا الغضب كيفية تعرض للنفس بسببها يغلى الدم وتحرك الروح الى خارج دفعا للمكروه وطلبا للانتقام فابتداؤه الدم وحركة الروح وغايته الانتقام من المغضوب عليه فهو فى حق الله تعالى محمول على ارادة الانتقام اذا طلاقه عليه بحسب الابتداء محال والحياء له اول وهو انكسار يحصل فى النفس وله غرض وهو ترك الفعل فاذا اطلق على الله تعالى حمل على ترك الفعل لاعلى الابتداء لانه محال عليه تعالى وعلى هذا فقس فهى قاعدة كلية وضابط لطيف فاعلمه (والثواب) يوم القيامة للمؤمنين المطيعين (فضل) اى احسان وانعام (من الله تعالى) على عباده (والعقاب) للكافرين ومن يشاء من العاصين (عدل) منه تعالى فى عباده

Marfat.com

اى انصاف وعدم ظلم وجور (من غير ايجاب) من احد عليه تعالى شيئا من ذلك (ولا وجوب عليه) تعالى بمقتضى ربوبيته ومربوبية غيره له (سبحانه ولا استحقاق من العبد) لشئ من ذلك اصلا وذكرنا فيما تقدم انه قال الاصبهانى فى شرح الطوالع واما اصحابنا فقالوا الثواب على الطاعة فضل من الله تعالى والعقاب على المعصية عدل منه وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب وفعل المعصية علامة العقاب ولا يكون الثواب على الطاعة واجبا على الله تعالى ولا العقاب على المعصية لانه لا يجب على الله تعالى شئ وكل ميسر لما خلق له فالمطيع موفق ميسر لما خلق له وهو الطاعة والعاصى ميسر لما خلق له وهو المعصية وليس للعبد فى ذلك تاثير والله مخلد المؤمن الموفق للطاعات فى جنانه وفاء بوعده قال عز من قائل* ن الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا* ويعذب الكافر المعاند المعرض عن الحق فى نيرانه ابدا بمقتضى وعيده فى قوله تعالى * ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها ابدا* وقال السعد فى شرح المقاصد طاعة العبد وان كثرت لا تفى بشكر بعض ما انعم الله تعالى عليه فيكف بتصور استحقاق عوض عليها ولو استحق العبد بشكره الواجب عوضا لاستحق الرب على ما يوليه من الثواب عوضا وكذا العبد على خدمته لسيده الذى يقوم بمؤنته وازاحة علله والولد على خدمته لابيه الذى ربيه وعلى مراعاته وتوخى مرضاته وايضا لو وجب الثواب والعقاب بطريق الاستحقاق لزم ان يثاب من واظب طول عمره على الطاعات وارتد والعياذ بالله فى آخر الحياة وان يعاقب من اصر دهرا على كفره واخلص الايمان فى آخر عمره ضرورة تحقق الوجوب والاستحقاق واللازم باطل بالاتفاق كما مر (والاستطاعة) التى يوجد بها الفعل فى الخارج (مع الفعل) المأمور به او المنهى عنه او المباح اى مقارنة له لا متقدمة عليه ولا متأخرة عنه وهى حقيقة القدرة التى بها يكون الفعل لانها عرض يخلقه الله تعالى فى الحيوان يفعل بها الافعال الاختيارية والجمهور على انها شرط لاداء الفعل شرعا (وتطلق) اى الاستطاعة المذكورة (على سلامة الاسباب) التى بها حصول الامر المكلف به كاسباب العادات واسباب العبادات من حيث ما هو خارج عن ذات المكلف (و) سلامة (الآلات) التى تأتى بها تلك الاسباب كالحواس والجوارح والاعضاء من حيث ذات المكلف والحاصل ان الاستطاعة تطلق بازاء معنيين المعنى الاول القدرة التى يوجد بسببها الفعل ويحصل فى الخارج وهى لا تتصور الا مقارنة له لانها عرض يستحيل بقاؤه فلو كانت قبله انعدمت عنده لامتناع بقاء الاعراض فيلزم ان يحصل بدونها فيلزم الجبر وهو ممتنع وان كانت بعده فكذلك ايضا فلم يبق الا المقارنة ولا يتصور ان تكون شرطا للتكليف الشرعى لانه قبل الفعل وهى مقارنة للفعل فيلزم تكليف غير المستطيع والمعنى الثانى سلامة الاسباب والآلات وهى قبل الفعل وقبل الاستطاعة

﴿ بالمعنى ﴾

Marfat.com

بالمعنى الاول (وصحة التكليف) بالاحكام الشرعية (تعتمد) من جهة الشارع (عليها) اى على الاستطاعة بهذا المعنى الثانى لا الاستطاعة بالمعنى الاول فلا يكلف الله تعالى احدا الا اذا كانت اسباب عاداته وعباداته مهيئة قابلة لاستعمالها والآلة سالمة قابلة للاستعانة بها سواء وجدت فيه القدرة التى يتيسر بها وجود الفعل اولم توجد (ولا يكلف) بالبنا للمفعول اى لا يكلف الله تعالى (العبد) العاقل البالغ (بما ليس فى وسعه) اى طاقته وقدرته واستطاعته والوسع هنا معناه الاستطاعة بالمعنى الثانى وهى سلامة الاسباب والآلات دونها بالمعنى الاول والمراد انه تعالى لا يكلف بالاحكام الا من تهيئت عنده اسبابها وسلمت آلاتها فهو المكلف بها وهذا معنى اقداره عليها وانتفاء الجبر عنه والعجز والقهر كما قال تعالى *لا يكلف الله نفسا الا وسعها* قال السعد فى عدم تكليف العبد بما ليس فى وسعه سواء كان ممتنعا فى نفسه كجمع الضدين اوممكنا كخلق الجسم واما ما يمتنع بناء على ان الله تعالى علم خلافه واراد خلافه كايمان الكافر وطاعة العاصى فلا نزاع فى وقوع التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر الى نفسه ثم عدم التكليف بما ليس فى الوسع متفق عليه لقوله تعالى *لا يكلف الله نفسا الا وسعها* وانما النزاع فى الجواز فمنعه المعتزلة بناء على القبح العقلى وجوزه الاشعرى لانه لا يقبح من الله تعالى شئ (والمقتول ميت باجله) الذى قدره الله تعالى له لان الله تعالى حكم باجال العباد على ما علم من غير تردد قال تعالى *فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون* والاجل قد يكون قتلا اوغيره بمرض اوغيره وكل ذلك بتقدير الله تعالى ووجوب القصاص والضمان على القاتل حكم شرعى لا مدخل للعقل فيه وذلك بسبب ارتكابه المنهى عنه وكسبه الفعل الذى يخلق الله تعالى عقيبه الموت بطريق جرى العادة (والاجل واحد) لا كما زعم الكعبى من المعتزلة ان للمقتول اجلين القتل والموت وانه لو لم يقتل لعاش الى اجله الذى هو الموت ولا كما زعمت الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعيا وهو وقت موته بتحلل رطوبته وانتفاء حرارته الغريزيتين وآجالا اختراميه بحسب الآفات والامراض وفى شرح الجزائرية للسنوسى الاجل عرفا هو منتهى زمن الحياة وسمى اجلا لانه الوقت المقدر للموت كالاوقات المقدرة لقبض الديون ونحوها فمن قتل فاجله عند اهل الحق هو ما علم الله موته فيه وهو وقت قتله واستدل اهل الحق على ذلك بان علم الله تعالى تعلق ازلا بالمعلومات على ما هى عليه فيلزم ان يكون الاجل المقدر لموت كل حى واحدا لا يمكن فيه التبدل اذ تقديره انما هو على وفق علم الله تعالى وعلمه يستحيل عليه التخلف (والحرام) وهو ما نص الله تعالى عليه اورسوله عليه السلام اواجمع المسلمون على امتناع تناوله بعينه اوجنسه اواقتضى القياس الجلى ذلك اوورد فيه حد اوتعزير اووعيد شديد غير مؤول سواء كان تحريمه لمفسدة اومضرة خفية كالزنا ومذكى المجوس اولمفسدة ومضرة واضحة كالسم والخمر فان المنتفع به اما معدن

Marfat.com

اونبات اوحيوان وتوابعه فالمعادن باسرها حلال الاالضار منهـا على انه لايختص بها بل لوضر العسل بعض ارباب الامزجة الحارة حرم عليه اكله والنبات كذلك الاما ازال الحيـاة كالسم اوالعقل كالخمر وسـائر المسكرات قال بعضهم والمخدرات كالحشيشة والافيون والبنج وكذا جوزة الطيب واما الحيوان فكل ماورد النص على اكله فهوحلال كالبقر والغنم والابل وكل ماورد النص على عدم اكله فهو حرام ومالا نص فيه يرجع فيه الى ذوى الطباع السليمة من العرب فما استخبثوه فهو حرام ومالا فحلال كذاذكره اللاقانى فى شرح جوهرته (رزق) بالكسر فى الاصل مصدر سمى به الشئ المرزوق واما بالفتح فهو مصدر (وكل) اى كل واحد من الناس والحيوان وغيرهما (يستوفى) اى يتناول ويستعمل (رزق نفسه) الذى قدره الله تعالى له من الازل (لا) يتصور ان احدا (يأكل رزق غيره) اصلا (ولا) متصور ان يأكل (غيره رزقه) والالتغير مقدور الله تعالى ولم يجر على طبق مراده سبحانه وهومحال والحاصل ان الرزق عند اهل السنة والجماعة كل ما انتفع به الحيوان سواء كان حلالا اوحراما اوشبهة قال امام الحرمين فى الارشاد الرزق يتعلق بمرزوق تعلق النعمة بمنعم عليه والذى صح عندنا فى معنى الرزق ان كل ما انتفع به منتفع فهو رزقه ولافرق بين ان يكون متعديا بانتفاعه وبين ان لايكون متعديا به ثم الرزق ينقسم الى المحظور والمباح ولا فان من اغتذى بالحرام طول عمره وانصرفت انتفاعاته الى الجهات المحظورة من كل وجه يلزم ان يقال لم يدر عليه من الله رزق ومارزقه الله قط وتلك عظيمة لايتحملها متدين (وعذاب) مبتدأ ومابعده معطوفات عليه والخبر قوله فيما سيأتى كله حق (القبر) قيد القبر جرى على الغالب اوقبر كل انسان بحسبه وقال العلماء عذاب القبر هوعذاب البرزخ اضيف الى القبر لانه الغالب والا فكل ميت اراد الله تعالى تعذيبه ناله ماأراد الله به قبرا ولم يقبر ولو صلب اوغرق فى بحر اواكلته الدواب اوحرق حتى صار رمادا وذرى فى الريح ومحله الروح والبدن باتفاق اهل السنة وكذا القول فى النعيم قاله اللاقانى (للكافرين) اى الكائن لهم كلهم (ولبعض عصاة المؤمنين) ممن مات قبل التوبة ولم يشأ الله تعالى ان يغفرله واما من شاء له المغفرة فلا يعذبه كما قال تعالى * ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * وقال اللاقانى ولايختص عذاب القبر بكافر ولامنافق بل قد يكون لعصاة المؤمنين كما لايختص بهذه الامة ايضا وقال القزوينى فى حاشية شرح العضد للجلال الدوانى فى الاستدلال على ذلك لقوله تعالى * النار يعرضون عليها الآية حيث عطف عذاب القيامة على عرض النار غدوا وعشيا اذ منه يعلم انه غيره ولما كان نزول الآية فى شان الموتى علم ان لهم عذابا غير عذاب يوم القيامة وهوليس الاعذاب القبر هذا وانت تعلم انه يدل على عذاب القبر للكافرين دون المؤمنين لان الكلام فيهم لا فى المؤمنين فتأمل وقوله

Marfat.com

تعالى *ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين* على تقدير تمامه دليلا يثبت عذاب القبر فى حق المؤمنين دون الكافرين اه فمجموع الآيتين يثبت بهما عذاب القبر للكافرين والمؤمنين وهو المطلوب والمراد بالاماتتين امانة فى الدنيا قبل القبر واماتة فى القبر بعد السؤال وبالاحيائين احياء فى الدنيا قبل الموت واحياء فى القبر للسؤال وقال تعالى فى قوم نوح عليه السلام *اغرقوا فادخلوا نارا* والفاء للتعقيب فادخال النار عقيب الاغراق قبل البعث فان الادخال فى النار بعد البعث لا يكون عقيب الاغراق وقال النبى صلى الله عليه وسلم استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه (وتنعيم اهل الطاعة) من المؤمنين (فيه) اى القبر يعنى كائن ذلك فيه (بما) اى بالوصف الذى (يعلمه الله تعالى ويريده) للعبد المؤمن كما قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وكما تقدم فى عذاب القبر يقال فى نعيمه سواء قبر العبد اولم يقبر حتى لو صلب اوغرق فى بحر اوكلته الدواب اوحرق وكان مؤمنا مطيعا كان له نعيم القبر لروحه وجسده جميعا وقيل ان التنعيم والتعذيب انما هو على الروح وحده ويجوز ان يكون معه جزء من البدن (وسؤال منكر ونكير) بفتح كاف الاول وهما ضد المعروف سميا به لانهما لا يشبه خلقهما خلق آدمى ولا ملك ولا غيرهما وهما اسودان ازرقان جعلهما الله تعالى نكرة للمؤمنين ليبصره ويثبته وعذابا على غيره ذكره الناوى فى شرح الجامع الصغير وتفصيل الكلام فى سؤال القبر ذكرناه فى المطالب الوفية (والبعث) وهو مشتق من بعثت الشئ من مكانه اذا اثرته وهو اعادة الموتى من قبورهم كما كانوا فى الدنيا ارواحا واجسادا (والوزن) وهو مساواة شئ باخر بآلة مخصوصة قال اللاقانى توزن حقائق الاعمال وذواتها بان يجعل الله سبحانه تلك الاعمال اجساما نورانية فى الحسنات وظلمانية فى السيئات ثم تطرح تلك الاجسام فى الميزان الاولى فى اليمين والثانية فى الشمال وفى شرح الشيبانية للشيخ علوان الحموى ومذهب اهل السنة ان اقوال بنى آدم وافعالهم توزن باعتبار ان الله تعالى يخلق من اعراضها اجراما واجساما وباعتبار الصحف المكتوبة المشتملة على الحسنات والسيئات وقيل توزن الاشخاص وفى بحر الكلام قال بعضهم يوزن العبد مع عمله (والكتاب) الذى كتبته الملائكة الحفظة على المكلف فى الدنيا بجميع ما فعله وقيل الذى كتب فى القبر بناء على حديث رومان الضعيف ولا ينافى هذا ان الملائكة ترفع لكل عبد فى كل يوم وليلة صحيفة اما لوصلها كلها فتصير صحيفة واحدة يعنى كتابا واحدا واما بنسخ ما فى جميعها فى واحدة كما صرح به الغزالى وقال اللاقانى فان قلت دلت الآيات على ان المؤمن الطايع يأخذ كتابه بيمينه والكافر يأخذه بشماله فاحكم المؤمن الفاسق الذى مات على فسقه دون توبة قلت جزم الماوردى بان المشهور انه يأخذ كتابه بيمينه ثم حكى قولا بالوقف قال ولا قائل بانه يأخذه بشماله وقال يوسف ابن عمر اختلف فى عصاة المؤمنين فقيل يأخذون كتبهم بيمينهم وقيل بشمالهم واختلف

Marfat.com

الاولون فقيل يأخذونها قبل الدخول فى النار ويكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها ومن اهل العلم من توقف فيهم لتعارض النصوص (والسؤال) اى سؤال الله تعالى عباده المكلفين يوم القيامة وهو حسابهم وقد اختلف العلماء فى معنى كونه تعالى محاسبا عباده على ثلاثة اقوال احدها انه تعالى يعلمهم مالهم وماعليهم قال الفخر الرازى بان يخلق الله سبحانه فى قلوبهم علوما ضرورية بمقادير اعمالهم من الثواب والعقاب وثانيها ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله يوقف عباده بين يديه ويوتيهم كتب اعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم وثالثها ان يكلم الله تعالى عباده فى شأن اعمالهم وكيفية مالها من الثواب والعقاب قال الفخر اما بان يسمعوا كلامه القديم اويسمعوا صوتا يدل عليه يتولى تعالى حساب خلقه فى اذن كل واحد من المكلفين اوفى محل يقرب من اذنه بحيث لاتبلغ قوة ذلك الصوت منع الغير من سماع ما كلف به ولا شك فى صحة شهادة الآثار الصحيحة له واعلم ان كيفيات الحساب مختلفة واحواله متباينة فمنه اليسير ومنه العسير ومنه السر ومنه الجهر ومنه التكريم ومنه التوبيخ ومنه الفضل ومنه العدل (والحوض) واحد الاحواض والحياض وهو معروف من حاضت المرأة سال دمها لان الماء يسيل اليه اومن حاض الماء جمعه اشار اليه فى القاموس والمراد به هنا جسم مخصوص طوله وعرضه سواء يشعب فيه ميزابان من الجنة ذكره اللاقانى وهو حوض رسول الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يكون يوم القيامة وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال القرطبى لكل نبى حوض الا صالحا عليه السلام فان حوضه ضرع ناقته قال ولم اقف على مايدل عليه اويشهد له لكن هذا الحديث اعنى قوله عليه السلام ان لكل نبى حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة وانى ارجو ان اكون اكثرهم واردة صريح فى ان الحوض ليس من الخصائص المحمدية لكن اشتهر الاختصاص فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذى يصب من مائه فى حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره وقال السنوسى فى شرح الجزائرية ان الحوض ثابت باجماع اهل السنة والاحاديث الصحيحة المستفيضة شاهدة بذلك وهو حوض كما وصفه صلى الله عليه وسلم ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يصب فيه ميزابان من الكوثر عليه من الآوانى عدد نجوم السماء حافاته ورائحته المسك وحصباؤه اللؤلؤ لايظمأ من شرب منه ابدا ويزاد عنه من بدل وغير (والصراط) وهو لغة الطريق الواضح ولغاته الصاد والسين المهملتان والزاى وشرعا كما قال السنوسى فى شرح الجزائرية الصراط جسر ممدود على متن جهنم يرده الاولون والآخرون لا طريق الجنة الا عليه وهو ادق من الشعر واحد من السيف على ماورد به الحديث الصحيح واجمع عليه اهل

Marfat.com

السنة وفى شرح الشيبانية لابن قاضى عجلون واما الصراط فهو جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق والنبى صلى الله عليه وسلم قائم يقول يارب سلم سلم وهو ادق من الشعر واحد من السيف على ماورد فى الحديث الصحيح والناس فى جوازه متفاوتون على حسب ايمانهم واعمالهم والله تعالى يسهل الطريق على من اراد كما جاء فى الخبر ان منهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالجواد ومنهم من يجر رجليه ومنهم من يجر على وجهه وروى ايضا انه يكون على بعض الناس ادق من الشعر وعلى بعض مثل الوادى الواسع (وشفاعة) وهى لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير للغير من الشفع ضد الوتر كأن الشافع ضم سؤاله الى سؤال المشفوع له من شفع يشفع بفتح العين فيما قاله اللاقانى (الرسل) اى رسل الله عليهم الصلاة والسلام من الانبياء والملائكة ايضا فانهم رسل الله (والاخيار) جمع خير بالتشديد وهو ذو الخير وهم العلماء والاولياء والصالحون كما ورد فى الاخبار والاحاديث الصحيحة الدالة على ذلك واجمع عليه اهل السنة وعلماء النقل فعن ابن ماجه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه يشفع يوم القيامة ثلاث الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وفى رواية لابى الزعرا عن عبدالله ثم يأذن الله فى الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم عيسى اوموسى الشك من ابى الزعرا الراوى عن عبدالله ثم يقوم نبيكم رابعا فيشفع لايشفع احد من بعده فى اكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى *عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا* واخرج الترمذى عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من امتى من يشفع للقيام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع لرجل حتى يدخلوا الجنة قال حديث حسن وفى مسند البزار عن ثابت انه سمع انس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الرجل يشفع للرجلين والثلاثة وفى الشفاء عن كعب الاحبار ان لكل رجل من الصحابة شفاعة والحق ان الشفاعة العظمى اول المقام المحمود وربما يحسب من الشفعاء رب العالمين ففى الصحيح ثم ارجع الى ربى فى الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يارب أئذن لى فيمن قال لااله الا الله قال فيقول ليس ذلك لك اوقال ليس ذلك اليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن من قال لااله الاالله والمعنى لاتفضلن عليهم باخراجهم بغير شفاعة احد كما فى حديث شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين ذكره اللاقانى (لاهل الكبائر) من الذنوب (وغيرهم) قال صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وفى الاربعين فى اصول الدين للفخر الرازى قال فى الاحتجاج على ثبوت الشفاعة انه تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للمذنبين فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والفاسق مؤمن

Marfat.com

بدليل قوله تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى امر الله *سماه مؤمنا حال كونه باغيا وقال تعالى * يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى *سماه مؤمنا حال ماقتل النفس بغير الحق فثبت بهذا ان الله تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يستغفر للفاسق ويلزم من ذلك ان الله تعالى يقبل شفاعته عليه السلام فى الفاسق وقال تعالى فى حق الملائكة *ولا يشفعون الا لمن ارتضى *وصاحب الكبيرة مرتضى عند الله لانه مرتضى بحسب ايمانه ومن صدق عليه انه مرتضى فى الصفة الفلانية صدق عليه بانه مرتضى وقال تعالى * فما تنفعهم شفاعة الشافعين * ذكر ذلك فى معرض التهديد للكفار فلو كان حال المسلم كذلك لم يبق فى هذا التهديد فرق بين الكافر والمؤمن وكان تخصيص الكافر به عبثا وقال اللاقانى فى شرح الجوهرة وله صلى الله عليه وسلم شفاعات خمس احديها وهى اعظمها واعمها شفاعة فصل القضاء وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم وثانيتها فى ادخال قوم الجنة بغير حساب وهذه ايضا خاصة به عليه السلام كما قاله القاضى عياض والنووى وتردد ابن دقيق العيد فى الاختصاص وتبعه ابن حجر قائلا لا دليل عليه وثالثتها فى قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يدخلونها وهذه جزم القاضى عياض والسبكى بعدم اختصاصها به عليه السلام وتردد النووى فى ذلك ورابعتها فيمن دخل النار من المؤمنين المذنبين وهذه وقع اطباق القوم على عدم اختصاصها به عليه السلام حيث كان لهم عمل خير زائد على الايمان اذ الشفاعة فى اخراج من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ليخرج من النار خاصة به صلى الله عليه وسلم وخامستها الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة وزاد الاسيوطى فى شرح النقاية شفاعة سادسة وهى الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار كما فى حق ابى طالب وفى الصحيح انا اول شافع واول مشفع وانه ذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى فيجعل فى ضحضاح من نار (والجنة) وهى الحديقة ذات النخل والشجر كذا فى القاموس وقال اللاقانى وهى لغة البستان قاله الجوهرى وقال غيره هى ما تكاثف من الشجر وظلت اغصانه والتف بعضها على بعض وتطلق على دار الثواب فى الآخرة وهى المرادة هنا بجميع انواعها وهل هى سبع جنات متجاورة اوسطها وافضلها الفردوس وهو اعلاها فوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر انهار الجنة كما جاء به الحديث وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن ودار السلام ودار الخلد او اربع ورجحه جماعة اخذا من قوله تعالى * ولمن خاف مقام ربه جنتان * ثم بعد وصفهما قال ومن دونهما جنتان *او واحدة والاسماء والصفات كلها جارية عليها لتحقق معانيها كلها فيها خلاف فى ذلك كله (والنار) وهى جسم لطيف محرق يطلب العلو

Marfat.com

مركزا وهى مشتقة من نار ينورا ذا نفر وثار لان لها حركة واضطرابا وقد تطلق مجازا على النار المعنوية كنار الخوف ونار المحبة كما ان اطلاقها على دار العقاب الاخروى كذلك اطلاقا لاسم الحال على المحل باعتبار اللغة وقد اشتهر بين حملة الشرع اطلاقها عليها وعلى جميع طباقها السبع التى اعلاها جهنم وتحتها لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم وفيها ابو لهب ثم الهاوية وباب كل من داخل اخرى على استواء كما نبه عليه ابن عطيه وغيره ذكره اللاقانى (الموجودتان الآن) اى فى هذا الوقت قال امام الحرمين فى الارشاد الجنة والنار مخلوقتان اذ لا يحيل العقل خلقهما وقد شهد لذلك اى من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى * وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين * والاعداد يصرح بثبوت الشئ وتحققه وقال تعالى * ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * وتواترت الاخبار فى قصة آدم عليه السلام عن الجنة وادخال آدم اياها واخراجه عنها ووعده الرد اليها وكل ذلك ثابت قطعا متلقى من فحوى الآيات والمستفيض من نقل الاثبات والثقات وقال اللاقانى وملخصه ان الجنة والنار موجودتان الآن فى عالم يعلمه الله تعالى الذى احاط بكل شئ علما وفى الحديث ان هرقل كتب الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عليه السلام سبحان الله اين الليل اذا جاء النهار وهو حديث صحيح يشهد له ما اخرجه الحاكم وصححه عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد ارأيت جنة عرضها السموات والارض فاين النار قال ارأيت الليل اذا البس كل شئ فاين جعل النهار فقال السائل الله اعلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذلك الله يفعل ما يشاء (الباقيتان) الى ما لا نهاية له بحيث (لا تفنيان) ولا تزولان ابدا الآبدين (ولا) تفنى (اهلهما) اى اهل الجنة والنار بل هم مخلدون فيهما من غير فناء ولا زوال وقال جدنا ابن جماعة المقدسى النابلسى فى شرح بدء الامالى مذهب اهل السنة ان الجنة والنار وكذا اهلهما لا يعرض لهما الفناء خلافا للجهمية وفى شرح العقائد للسعد اى دائمتان لا يطرأ عليهما عدم مستمر لقوله تعالى فى حق الفريقين * خالدين فيها ابدا * واما ما قيل من انهما يهلكان ولو لحظة تحقيقا لقوله تعالى * كل شئ هالك الا وجهه * فلا ينافى البقاء بهذا المعنى وذهبت الجهمية الى انهما يفنيان ويفنى اهلهما وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والاجماع ليس عليه شبهة فضلا عن حجة ونقل اللاقانى قال القرطبى ذكر بعض من ينتمى الى العلم انه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة وانه جائز فى العقل ان ينقطع الغضب فيعكس عليه بلزوم جواز انقطاع الرحمة عمن دخل الجنة فيخرجون منها ويدخلون النار وهو خلاف نصوص الشرع قال تعالى * وما هم منها بمخرجين * عطاء غير مجذوذ

Marfat.com

وهذا فى حق اهل الجنة وقال فى اهل النار* ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط* وبالجملة هذا قول مخالف للقرآن والسنة والاجماع من الامة (والمعراج) هو السلم والمصعد وعرج عروجا ارتقى كذا فى القاموس والمراد به مطلق الانتقال صعودا حتى يشمل الاسراء فان بيت المقدس اعلى من مكة كما قالوا (لرسول الله) محمد (صلى الله عليه وسلم فى) حال (اليقظة) محركة وهى نقيض النوم وقد يقظ ككرم وفرح يقاظة ويقظا محركة وقد استيقظ كذا فى القاموس (بشخصه) صلى الله عليه وسلم اى بصورته الجسمانية (من المسجد الحرام) الذى بمكة (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس قال ابن جميل التونسى فى التنوير مختصر التفسير الكبير والمراد بالمسجد الحرم الحرام لاحاطته بالمسجد وهو قول الاكثر وقيل من المسجد بعينه وهو الظاهر والمسجد الاقصى هو بيت المقدس وصف بالاقصى لبعده عن مكة (ثم) من المسجد الاقصى (الى السماء) اى جنسها ليشمل السموات السبع (ثم الى ماشاء الله) سبحانه (من العلى) قال شهاب المكى فى شرح همزية الابوصيرى عن بعض الأئمة ان المعاريج ليلة الاسراء عشرة سبعة فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر الى لعرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقى وفى مواهب القسطلانى وقد اختلف العلماء فى الاسراء هل هو اسراء واحد فى ليلة واحدة بقظة اومنا ما اواسرا آن كل واحد فى ليلة ومرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما ويقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم منا ما من المسجد الاقصى الى العرش اوهى اربع اسرا آت ثم قال والحق انه اسراء واحد بروحه وجسده بقظة فى القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغى العدول عن ذلك اذ ليس فى العقل مايحيله (و) جميع (ما) اى الذى (اخبر به) النبى صلى الله عليه وسلم (من اشراط) جمع شرط بالتحريك وهو العلامة كذا فى القاموس (الساعة) وهى الوقت الذى تقوم فيه القيامة وهى ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (من خروج الدجال) من دجل كذب اومن دجل البعير طلاه بالدجيل كزبير القطران وعم جسمه لان الدجال المسيح يعم الارض اومن دجل قطع نواحى الارض سيرا اومن دجل تدجيلا غطى وطلى بالذهب لتمويهه بالباطل اومن الدجال للذهب لان الكنوز تتبعه اومن الدجال لغرند السيف اومن الدجالة للرفقة العظيمة اومن الدجال كسحاب للسرجين لانه ينجس وجه الارض ذكره فى القاموس وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال البسطامى الدجال مهدى اليهود ينتظرونه كما ينتظر المؤمنون المهدى ونقل عن كعب الاحبار انه رجل طويل عريض الصدر مطموس يدعى الربوبية معه جبل من خبز وجبل من اجناس الفواكه وارباب الملاهى جميعا يضربون بين

Marfat.com

بديه بالطبول والعيدان والمعازف والنايات فلايسمعه احد الاتبعه الامن عصمه الله قال
ومن امارات خروجه تهب ريح كريح قوم عاد ويسمعون صيحة عظيمة وذلك عند
ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكثرة الزنا وسفك الدماء وركون العلماء الى الظلمة
والتردد الى ابواب الملوك ويخرج من ناحية المشرق من قرية تسمى سرابادين ومدينة
الاهواز ومدينة اصبهان ويخرج على حمار وهو يتناول السحاب بيده ويخوض
البحر الى كعبيه ويستظل فى اذن حماره خلق كثير ويمكث فى الارض اربعين يوما
ثم تطلع الشمس يوما حمراء ويوما صفراء ويوما سوداء ثم يصل المهدى وعسكره الى الدجال
فيلقاه ويقتل من اصحابه ثلاثين الفا وينهزم الدجال ثم يهبط عيسى عليه السلام
الى الارض وهو متعمم بعمامة خضراء متقلد بسيف راكب على فرس وبيده حربة
فيأتى اليه فيطعنه بها فيقتله (و) خروج (دابة الارض) وتسمى الجساسة قال
النووى فى شرح مسلم قيل سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال وفى تحفة الحبيب
للشيخ محمد بن الشيخ علوان الحموى ومما كتب الله ظهوره من اشراط الساعة واخبرنا
نبينا صلى الله عليه وسلم بوقوعه وخبره صدق لامرية فيه دابة الارض وهى دابة
رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرق ايل وصدرها
صدرا سد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوايمها قوائم
بعير بين كل مفصلين اثنى عشر ذراعا وقيل ان وجهها وجه رجل وسائر خلقها
كخلقة الطير ويقال بان رأسها يمس السحاب ورجلاها فى الارض يكون لها ثلاث
خرجات من الدهر فتخرج خروجا بافصى اليمن ثم يفشو ذكرها فى البادية ولايدخل
ذكرها مكة ثم تخرج قريبا من مكة ثم بين الناس فى المسجد الحرام واذا بها قد خرجت
مابين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم ثم تذهب سائحة فى الارض لايدركها طالب
ولايعجزها هارب ومعها خاتم سليمان وعصى موسى عليهما السلام تسم الرجل فى وجهه
فيعرف الكافر من المؤمن وقيل بانها تخرج من الصفا وتضطرب الارض لخروجها
فاول ماتبدأ منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش ويقال بانها تخرج من شعب جياد
فاذا خرجت تكلمت بكلام عربى فصيح فيقال تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل
تقول قوله تعالى * ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون (و) خروج (يأجوج ومأجوج)
وهما امتان مضرتان مفسدتان كافرتان من نسل يافث بن نوح وخروجهما بعد عيسى
عليه السلام والقول بانهم خلقوا من منى آدم عليه السلام المختلط بالتراب وليسوا
من حواء غريب جدا لادليل عليه وانما يحكيه بعض اهل الكتاب وفى كتاب التيجان
ان امة منهم آمنوا فتركهم ذوالقرنين لما بنى السد بارمنية فسموا لذلك الترك والديلم
ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير وفى تحفة الحبيب ويقال انهم تسعة اعشار
بنى آدم واصلهما من اجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم

Marfat.com

وهم من اولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذوا القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لانهم تركوا خارجين وفى التواريخ ان اولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فابو العرب والعجم والروم سام وابو الحبشة والزنج والنوبة حام ويافث ابو الترك والخزرج والصقالبة ويأجوج ومأجوج وقيل يأجوج امة ومأجوج امة كل امة منهم اربعة آلاف امة لا يموت منهم رجل الا وينظر الف ذكر من صلبه قد حملوا السلاح وهم ثلاثة اصناف منهم مثل الارز وهو شجر معروف فى الشام طوله مائة وعشرون ذراعا ومنهم من طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعا ومنهم من يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا شئ من انواع الوحوش الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه اولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية ويقال ان منهم من هو مفرط فى الطول ومنهم من طوله شبر واحد (ونزول عيسى) بن مريم (عليه السلام من السماء) التى هو فيها الآن وهى السماء الثانية على المنارة البيضاء شرقى دمشق من غير تعيين انها منارة الجامع الاموى اذ ليس فى الحديث ما يدل على ذلك فيقتل الدجال ويبطل الجزية وحواريه يومئذ اصحاب الكهف والرقيم وسيحجون معه فانهم لم يحجوا ولم يموتوا ثم يقرر عيسى عليه السلام امور الشريعة المطهرة ويجدد لهذه الامة امر دينها ويصفو حال الناس فلا يموت احد ولا يمرض اربعين سنة ويقول الرجل لغنمه ولدوابه اذهبوا فارعوا وتمر الماشية بين الزرعين من غير ان تؤذيه ويرتفع فى زمنه اذى المؤذيات من الحشرات والافاعى والسباع ويبذر الزراع مدا من القمح فيجئ منه سبعمائة مد من غير حرث ويتزوج ويولد له ويمكث فى الارض خمسة واربعين سنة ويدفن فى روضة المصطفى صلى الله عليه وسلم (وطلوع الشمس من مغربها) فيمتنع قبول التوبة حينئذ قال العلماء لان الناس حينئذ يخلص الى قلوبهم من الفزع ما يخمد به كل شهوة وتفتر به كل قوة لتيقنهم بالقيامة كحال من حضرته الوفاة واخذ فى النزع وانتهت روحه الى حلقومه ومن هذا حاله لا تقبل له توبة لانه عاين الحق ورأى مقعده من الجنة او النار فالمشاهدة اطلوع الشمس مثله وقيل ان الحكمة فى طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم عليه السلام قال للنمرود * فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت وانقطع وانكر الملاحدة والمنجمون عن آخرهم ذلك وقالوا انه لا يمكن ولا يكون وانه لم تقم لابراهيم عليه السلام بذلك حجة على النمرود فيطلع الله سبحانه الشمس يوما من المغرب ليرى المنكرون قدرته سبحانه على ذلك وان الشمس فى قبضة قهره ان شاء اطلعها من المشرق وان شاء اطلعها من المغرب ذكره اللاقانى (ونحو) اى مثل (ذلك) المذكور من باقى علامات الساعة الكبرى كرفع القرآن

Marfat.com

من الصدور والمصاحف وهدم الكعبة والدخان والخسف الى غير ذلك مما هو مسطر
فى الكتب المصنفة فى هذا الشان (كله) اى كل ما تقدم من قوله وعذاب القبر الى هنا
(حق) اى ضد الباطل او امر مقضى او حقيقة الامر كذا فى القاموس (والكبيرة)
من الذنوب اذا فعلها المكلف والمراد الجنس وكذلك الكبائر الكثيرة اذا فعلها قال
القرطبى فى شرح مسلم وقد اختلف العلماء قديما وحديثا فى الكبائر ما هى وفى الفرق
بينها وبين الصغائر فروى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان الكبائر جميع ما نهى الله
تعالى عنه من اول سورة النساء الى قوله * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم * وعن الحسن انها كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب
وقيل هى كل ما اوعد الله عليه بنار او حد فى الدنيا وروى عن ابن عباس رضى الله
عنهما انها كل ما نهى الله عنه وما اظنه صحيحا لانه مخالف لما فى كتاب الله من التفرقة
بين المنهيات فانه قد فرق بينها فى قوله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم * وقوله * الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فجعل من المنهيات
كبائر وصغائر وفرق بينهما فى الحكم لما جعل تكفير السيئات فى الآية مشروطا باجتناب
الكبائر واستثنى اللمم من الكبائر والفواحش فكيف يخفى هذا الفرق على مثل ابن عباس
رضى الله عنهما وهو حبر القرآن فتلك الرواية عن ابن عباس ضعيفة اولا تصح
وكذلك اكثر ما روى عنه لقد كذب الناس عليه كثيرا انتهى كلام القرطبى ويمكن
الجواب عنه بان القول بان الكبائر كل ما نهى الله عنه نظرا الى عظمة الناهى وهو الله
تعالى حيث عصى عن عمد وقصد مخالفة فان كانت المعصية زلة سقط بها فاعلها
لجهل او غلبة شهوة ونحو ذلك فهى اللمم المغفور مشتق من الم بالمكان اذا نزل فيه
ساعة بقصد الاستراحة ثم الانتقال عنه وكذلك فعل ما نهى الله عنه اذا الم به المكلف
ساعة بقصد الاقلاع والانتقال عنه بالتوبة من غير اصرار عليه فهو اللمم وهو السيئات
التى قال الله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه * يعنى الذنوب كلها مع الاصرار وقصد
المداومة عليها والانهماك فيها نكفر عنكم سيئاتكم يعنى الما لكم بها على وجه الزلة
بقصد الاقلاع عنها فى الحال واستقباحها فيكون الانقسام اعتباريا كما قلنا فتصح
الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما بذلك ويؤيده قول امام الحرمين فى الارشاد
المرضى عندنا ان كل ذنب كبيرة اذ لا تراعى اقدار الذنوب حتى تضاف الى المعصى
بها فرب شئ يعد صغيرة بالاضافة الى الاقران ولو صور فى حق ملك لكان كبيرة
تضرب بها الرقاب والرب تعالى اعظم من عصى واحق من عبد بالعبادة وكل ذنب
بالاضافة الى مخالفته عظيم ولكن الذنوب وان عظمت لما ذكرناه فهى متفاوتة فى رتبها
فبعضها اعظم من بعض فهذا لحكمنا للانبياء عليهم السلام بالفضيلة وعلو المرتبة
وبعضهم اعلى من بعض فهذا ما ترتضيه وقال اللاقانى فى شرح جوهرته اختلف

Marfat.com

السلف والخلف فى حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة فعن ابن عباس رضى الله عنهما كل شئ نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا اخذ الاستاذ ابواسحق الاسفرائنى وحكاه القاضى عياض عن المحققين احتجاجا بان كل مخالفة فهى بالنسبة الى جلال الله تعالى كبيرة وقال الغزالى فى بسيطه والضابط الشامل فى حد الكبيرة انها كل معصية يقدم عليها المؤمن من غير استشعار خوف وحذار ندم كالتهاون بارتكابها والمستجرئ عليها اعتيادا فالاشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة ومايحمل عليه فلتات النفس وفترات مراقبة التقوى ولاينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لايمنع العدالة وليس هو بكبيرة وسيأتى بيان افراد الكبائر والصغائر فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (لاتخرج العبد المؤمن من الايمان) ولو كان مصرا على فعلها لبقاء التصديق الذى هو حقيقة الايمان وقال الكرمانى فى شرح البخارى واما عند الخوارج فالكبيرة موجبة للكفر وعند المعتزلة موجبة للمنزلة بين المنزلتين صاحبها لامؤمن ولاكافر وهذا فى ارتكابها احتراز عن اعتقادها لانه لو اعتقد حل بعض المحرمات المعلومة من الدين ضرورة كالخمر كفر بلاخلاف (ولاتدخله) تلك الكبيرة اذا فعلها وكذلك الكبائر المتعددة (فى الكفر) كما قال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتلوا * الآية فسماهم مؤمنين فعلم ان صاحب الكبيرة لايخرج عن الايمان (ولاتخلده) اى الكبيرة (فى النار) اذا ادخلها للتطهير (ولاتحبط) اى تبطل (طاعته) وقالت الرافضة والاباضية وبعض الخوارج ان المذنبين من المؤمنين يخلدون فى النار بذنوبهم وقد نطق القرآن بتكذيبهم فى مواضع منها قوله عز وجل * ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * ومذهب اهل الحق على ان من مات موحدا لايخلد فى النار وان ارتكب من الكبائر غير الشرك ماارتكب وقد جاءت به الاحاديث الصحيحة منها قوله عليه السلام وان زنا وان سرق كذا فى شرح البخارى للعينى (والله تعالى) بمحض عدله (لايغفر) اى لايعفو ولايسامح (ان يشرك به) ولو كان نبيا بدليل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين والشرك اعتقاد المشاركة بينه تعالى وبين شئ فى وصف اوحكم واذا ذكر مع الكفر افترق معناهما بانه اعتقاد المشاركة والكفر ستر الحق بالجحود والتكذيب ومافى معنى ذلك كالتهاون بالمحترم شرعا والاستهزاء به واما اذا ذكر كل واحد منهما على حدة شمل الآخر فى المعنى فمعنى الشرك هنا ماهو اعم منه ومن الكفر والزيغ والتكذيب فان الله تعالى لايغفر شيئا من ذلك بلاتوبة منه قبل الغرغرة بالايمان والتبرى مما عدا دين الحق من سائر الاديان ولاتقع الشفاعة فى شئ من ذلك يوم القيامة قال اللاقانى فى شرح جوهرته اما الكفر فلايقع منه تعالى العفو عنه للزوم الكذب فى اخباره تعالى بقوله ان الله لايغفر ان يشرك به الآية ولافرق فيه بين الاصلى والارتداد شرعا كان اوغيره وعرف الشيخ ابن عرفة المالكى الكفر بانه عدم

Marfat.com

التصديق الممكن بما علم ضرورة مجئ الرسول به اوفعل يدل عليه غالبا كقتل النبى
والقاء المصحف فى القاذورات وقال العينى فى شرح البخارى والمراد بالشرك فى هذه
الآية الكفر لان من جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان كافرا ولو لم يجعل مع الله
الها آخر والمغفرة منتفية عنه بلاخلاف (ويغفر) اى يعفو ويسامح (مادون ذلك)
اى دون الشرك من جميع الذنوب الكبائر والصغائر (لمن يشاء) المغفرة له قال العينى
فى شرح البخارى والمراد من هذه الآية من مات على الذنوب من غير توبة ولو كان المراد
من تاب قبل الموت لم يكن للتفرقة بين الشرك وغيره معنى اذ التائب من الشرك قبل الموت
مغفور له وقال اللاقانى اختلف فى جواز العفو عن الكبائر بدون التوبة فجوزه اهل السنة
والجماعة بل اثبتوا وقوعه خلافا للمعتزلة تمسك اهل السنة على جواز العفو بان العقاب
حقه سبحانه فيحسن اسقاطه مع ان فيه نفعا للعبد من غير ضرر لاحد وبالآيات والاحاديث
الناطقة بالعفو والغفران كقوله تعالى * وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات اويوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ان الله يغفر الذنوب جميعا ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم * وفى الحديث
ياعبدى لو اتيتنى بقراب الارض ذنوبا لاتيتك بمثلها مغفرة الى مالا ينحصر منها ومعنى العفو
والغفران واحد وهو ترك عقوبة المجرم والستر عليه بعدم المؤاخذة قال والفرق بين المعاصى
يجوز ان تغفر وبين الكفر فلا يجوز ان يغفر ان العاصى قلما ينفك عن خوف عقاب ورجاء
رحمة وغير ذلك من خيرات تقابل ما ارتكب من المعصية اتباعا للهوى بخلاف الكافر
وايضا الكفر مذهب والمذهب يعتقد للابد وحرمته لا تحتمل الارتفاع اصلا فكذلك
عقوبته بخلاف المعصية فانها لوقت الهوى والشهوة وقال الشيخ الاكبر محيى الدين
ابن العربى رضى الله عنه اعلم ان الشرك عدم لا وجود له هذا ما يتيقنه المؤمن بايمانه
واذا كان عدما فلا يغفره الله تعالى اذ الغفر الستر ولا يستر الا ماله وجود واما المعصية
فلها وجود فيمكن ان تتعلق المغفرة بها (ويجوز العقاب) من الله تعالى لعبده
المكلف (على) فعل (الصغيرة) من صغائر الذنوب (ولو) كان فعل تلك الصغيرة
(مع اجتناب) جميع (الكبائر) لان الله تعالى لا يجب عليه شئ ولا يمتنع منه شئ
فمجازاته لعباده دائرة بين فضله وعدله والظلم عليه محال لدخول الصغيرة تحت قوله
تعالى * ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * فعلقت المغفرة بالمشيئة فمن لم يشأ ان يغفر له يجوز
ان يعاقبه على الصغيرة اوعلى الكبيرة وقال تعالى * لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
والاحصاء انما يكون للسؤال والمجازات وقال اللاقانى هذا الحكم مما اختلف فيه فذهب
بعض المعتزلة وجماعة من الفقهاء والمحدثين الى ان المكلف اذا اجتنب الكبائر كفرت
صغائره قطعا ولم يجز تعذيبه عليها بمعنى الامتناع العقلى بل لورود الادلة السمعية به .
وذهب ائمة الكلام الى ان ذلك الحكم ظنى يقوى به الرجاء تمسكا بانا اوقطعنا لمجتنب

Marfat.com

الكبائر بتكفير صغائره بالاجتناب لكانت له فى حكم المباح الذى يقطع بانه لا تباعة فيه وذلك نقض لعرى الشريعة واجابوا عن متمسك الاولين بان الكبيرة فى الآية محمولة على الكفر لاطلاقها والفرد عند اطلاقه يحمل على الكامل من نوعه وقد جمع الكبائر باعتبار تعدد انواع الكفر من تهود وتنصر وتمجس ولو قلنا بأنه ملة واحدة من حيث الحكم ولتعدد افراده القائمة بافراد المكلفين وماذهب اليه المتكلمون هو الذى لا غبار عليه واعلم ان النزاع انما هو فى قطعية التكفير وظنيته لا فى جواز تكفير الصغائر باجتناب الكبائر فانه ليس محل خلاف لاحد ومبنى النزاع هل يجوز العقاب على الصغيرة اولا والحق جوازه والمراد من الاجتناب مايعم التوبة بعد الملابسة وقيد ابن عطية المسئله بمن اتى بالفرائض ولفظ القرطبى فدل القرآن على ان فى الذنوب صغائر وكبائر خلافا لمن قال كلها كبائر وان الصغائر كاللمس والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعا لوعده الصدق وقوله الحق الا انه لا يجب عليه ذلك لكن بضميمة اخرى الى الاجتناب وهى اقامة الفرائض لقوله صلى الله عليه وسلم مامن عبد يؤدى الصلوات الخمس ويصوم رمضان و يجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ثمانية ابواب الجنة يوم القيامة حتى انها لتصفق ثم تلا ان تجتنبوا الكبائر ما تنهون عنه الآية وفى مسلم عن ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وعلى هذا جماعة اهل التأويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح فى الباب واما الكبائر فلا يكفرها الا التوبة منها والاقلاع عنها والوضوء يكفر الصغائر وكذا الحج المبرور (و) يجوز ايضا (العفو) اى المسامحة (عن) فعل (الكبيرة) اى جنسها ليشمل الواحدة والكثيرة (ولو) كان ذلك العفو (بلا توبة) من العبد قال اللاقانى اختلف فى جواز العفو عن الكبائر بدون التوبة فجوزه اهل السنة والجماعة بل اثبتوا وقوعه خلا فا للمعتزلة تمسك اهل السنة على جواز العفو بان العقاب حقه سبحانه فيحسن اسقاطه مع ان فيه نفعا للعبد من غير ضرر لاحد و بالآيات والاحاديث الناطقة بالعفو والغفران كقوله تعالى* وهو الذى يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات اويوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ان الله يغفر الذنوب جميعا* انتهى وقد سبق الكلام على هذا ومحله اذا لم يكن عن استحلال فالاستحلال كفر لما فيه من التكذيب المنافى للتصديق ولهذا تأول النصوص الدالة على تخليد العصاة فى النار او على سلب اسم الايمان عنهم ذكره السعد فى شرح العقائد (والله تعالى يجيب الدعوات) لعباده (و يقضى الحاجات) لهم (تفضلا) منه تعالى على عباده قال الله تعالى* ادعونى استجب لكم* وقال عليه السلام يستجاب للعبد مالم يدع باثم اوقطيعة رحم مالم يستعجل وفى روايه يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول دعوت فلا اوفلم يستجب لى وفى رواية فلا يزال يستجاب للعبد مالم يدع باثم اوقطيعة رحم مالم يستعجل قيل يارسول الله

Marfat.com

ماالاستعجال قال يقول قددعوت وقددعوت فلم اريستجيب لى فيستحسر عندذلك ويدع الدعاء قال اهل اللغة حسر واستحسر اذا اعيي وانقطع عن الشئ والمرادهنا انه ينقطع عن الدعاء ومنه قوله تعالى *لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون * اى لاينقطعون عنهـا ففيه انه ينبغى ادامة الدعاء ولايستبطئ الاجابة ذكره النووى فى شرح مسلم وقال السعد فى شرح العقائد واعلم ان العمدة فى ذلك صدق النية وخلوص الطوية وحضور القلب لقوله عليه السلام ادعوا الله واتتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله تعالى لايستجيب الدعاء من قلب غافل لاه واختلف المشايخ فى انه هل يجوز ان يقال يستجاب دعاء الكافر فمنعه الجمهور لقوله تعالى *ومادعاء الكافرين الافى ضلال *ولانه لايدعوا الله تعالى لانه لايعرفه فانه وان اقر به فلما وصفه بمـالايليق به فقدنقض اقراره و ماروى فى الحديث من ان دعوة المظلوم وان كان كافرا تستجاب فمحمولة على كفران النعمة وجوزه بعضهم لقوله تعالى حكاية عن ابليس رب انظرنى * فقال له الله تعالى *انك من المنظرين هذه اجابة واليه ذهب ابو القاسم الحكيم وابو نصر الدبوسى قال الصدر الشهيد وبه يفتى انتهى والجواب عن الآية ان معنى كون دعائهم فى ضلال انه يستجاب لهم فيظنون انهم على شئ فيزدادون من ضلالهم فتكون اجابة دعائهم اضلالا لهم والله يضل من يشاء و يهدى من يشاء وقال النووى فى شرح مسلم بعد ذكره الاحاديث المشتملة على الادعية وفى هذه دليل لاستحباب الدعاء وهذا هو الصحيح الذى اجمع عليه العلماء واهل الفتاوى فى الامصار فى كل الاعصار وذهبت طائفة من الزهاد واهل المعارف الى ان ترك الدعاء افضل استسلاما للقضاء وقال آخرون منهم ان دعا للمسلمين فحسن وان دعا لنفسه فالاولى تركه وقال آخرون منهم ان وجد فى نفسه باعثا للدعاء استحب والافلا ودليل الفقهاء ظواهر القرآن والسنة فى الامر بالدعاء وفعله والاخبار عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم بفعله (والايمان) بالله تعالى وبانبيائه عليهم السلام وجميع مااخبروا عنه من الحق يعنى التصديق بكل ذلك هو (والاسلام) اى التسليم والانقياد والاذعان لجميع ماذكر (واحد) باعتبار المعنى الشرعى دون المعنى اللغوى قال فى القاموس آمن به ايمانا صدقه والايمان الثقة واظهار الخضوع وقبول الشريعة والاسلام الاسم من التسليم والتسليم الرضاء واسلم انقاد وصار مسلما كاستسلم وقال القرطبى فى شرح مسلم الاسلام فى اللغة هو الاستسلام والانقياد ومنه قوله تعالى *قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اى انقدنا وهو فى الشرع الانقياد بالافعال الظاهرة الشرعية وانذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه انس رضى الله عنه الاسلام علانية والايمان فى القلب ذكره ابن ابى شيبة فى مسنده والايمان لغة هو التصديق مطلقا وفى الشرع التصديق بالقواعد الشرعية كما نبه عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث انس هذا وقدناقش علماء الاصول

Marfat.com

فى هذه الاسماء الشرعية تناقشا لاطائل له اذا حقق الامر فيه وذلك انهم متفقون على انها يستفاد منها فى الشرع زيادة على اصل الوضع وهل ذلك المعنى يصير تلك الاسماء موضوعة كالوضع الابتدائى من قبل الشرع اوهى مبقاة على الوضع اللغوى والشرع انما تصرف فى شروطها واحكامها هذا تناقشهم والامر قريب والحاصل ان الشرع تصرف فى حال هذه الاسماء لافى اصل وضعها فخصص عاما كالحال فى الاسلام والايمان فانهما بحكم الوضع يعمان كل انقياد وكل تصديق لكن قصرهما الشرع على تصديق مخصوص وانقياد مخصوص وكذلك فعلت العرب فى لغتها فى الاسماء العرفية كالدابة فانها فى الاصل اسم لكل مايدب ثم عرفهم خصصها ببعض مايدب فالاسماء الشرعية كالاسماء العرفية فى هذا التصرف وقد استفدنا من هذا البحث ان الايمان والاسلام حقيقتان متباينتان لغة وشرعا كما دل عليه حديث جبريل وغيره وهذا هو الاصل فى الاسماء المختلفة اعنى ان يدل كل واحد منها على خلاف مايدل عليه الآخر غير انه قد توسع الشرع فيهما فاطلق اسم الايمان على حقيقة الاسلام كما فى حديث وفد عبد القيس الوارد فى صحيح مسلم فانه اطلق فيه اسم الايمان على ماجعله فى حديث جبريل اسلاما وكقوله عليه السلام الايمان بضع وسبعون باباافادناها اماطة الاذى عن الطريق وارفعها قول لااله الاالله وقد اطلق الاسلام مريدا به مسمى الاسلام والايمان بمعنى التداخل كقوله تعالى * ان الدين عند الله الاسلام * وقد اطلق الايمان كذلك ايضا كما روى من حديث على رضى الله عنه مرفوعا الايمان اعتقاد بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان وهذه الاطلاقات الثلاث من باب التجوز والتوسع على عادة العرب فى ذلك وهذا اذ تحقق يزيح من كثير من الاشكال الناشى من ذلك الاستعمال (وهو) اى ذلك الواحد الذى هو الايمان والاسلام فى الاستعمال الشرعى (تصديق النبى) محمد (صلى الله عليه وسلم فى جميع ماعلم) بالبناء للمفعول اى علم المكلف (بالضرورة) اى من غير فكر ونظر وفسره السعد فى شرح العقائد بما يحدثه الله تعالى فى نفس العالم من غير كسبه واختياره كالعلم بوجوده وتغير احواله وذكر ايضا ان العلم الثابت بالضرورة كالمحسوسات والبديهيات والمتواترات انتهى فالمراد بما علم بالضرورة اى بطريق التيقن والتثبت من غير شك ولاتردد اما بسماعه من فم الرسول صلى الله عليه وسلم كالحاضرين فى زمانه عليه السلام اوبطريق تواتر الخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بمضمونه (مجيئه) اى مجئ النبى صلى الله عليه وسلم (به) من عند الله تعالى الى الخلق (والاقرار) اى النطق باللسان فى القادر على ذلك متى اراد (به) اى بجميع ماعلم بالضرورة مجئ النبى عليه السلام به وبيان ذلك ماقاله القرطبى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم ان الايمان بالله هو التصديق بوجوده تعالى وانه لايجوز عليه العدم وانه تعالى موصوف بصفات الجلال والكمال

Marfat.com

من العلم والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر والحياة وانه تعالى منزه عن صفات
النقص التى هى اضداد تلك الصفات وعن صفات الاجسام والمتحيزات وانه واحد
حق فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيما يشاء من التصرفات يفعل فى ملكه
مايريد ويحكم فى خلقه مايشاء والايمان بالملائكة هو التصديق بانهم عباد مكرمون
لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لايعصون الله ماامرهم ويفعلون مايؤمرون
يسبحون الليل والنهار لايفترون وانهم سفراء الله تعالى بينه وبين رسله والمتصرفون
كما اذن لهم فى خلقه والايمان بكتب الله هو التصديق بانها كلام الله ومن عنده
وان ماتضمنته حق وان الله تعالى امر خلقه باحكامها وفهم معانيها والايمان
برسل الله هو انهم صادقون فيما اخبروا به عن الله تعالى وان الله تعالى ايدهم بالمعجزات
الدالة على صدقهم وانهم بلّغوا عن الله رسالاته وبيّنوا للمكلفين ماامرهم الله ببيانه
وانه يجب احترامهم وان لايفرق بين احد منهم والايمان باليوم الآخر هو التصديق
بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الاعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان
والصراط والجنة والنار وانهما دارا ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين الى غير ذلك
مما صح نصه وثبت نقله والايمان بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره وحاصله هو ما دل
عليه قوله تعالى *والله خلقكم وما تعملون * وقوله *انا كل شئ خلقناه بقدر * وقوله
*وما تشاءون الا ان يشاء الله *واجماع السلف والخلف على صدق قول القائل ماشاء الله
كان ومالم يشأ لم يكن وقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس
ومذهب السلف وأئمة الفتوى من الخلف ان من صدق بهذه الامور تصديقا جزما
لاريب فيه ولاتردد ولاتوقف كان مؤمنا حقيقة وسواء كان ذلك عن براهين قاطعة
اوعن اعتقادات جازمة على هذا انقرضت الاعصار الكريمة وبه صرحت فتاوى أئمة
الهدى المستقيمة حتى حدثت مذاهب المعتزلة المبتدعة فقالوا انه لايصح الايمان
الشرعى الابعد الاحاطة بالبراهين العقلية والسمعية وحصول العلم بنتايجها ومطالبها
ومن لم يحصل ايمانه كذلك فليس بمؤمن ولايجزئ ايمانه بغير ذلك وتبعهم على ذلك
جماعة من متكلمى اصحابنا كالقاضى ابى بكر وابى اسحاق الاسفرائنى وابى المعالى فى اول قوليه
والاول هو الصحيح اذ المطلوب من المكلفين مايقال عليه ايمان لقوله تعالى * آمنوا بالله
ورسوله ومن لم يؤمن بالله ورسوله* والايمان هو التصديق لغة وشرعا فمن صدق بذلك
كله ولم يجوز نقيض شئ من ذلك فقد عمل بمقتضى ماامر الله به على نحو ماامره الله
تعالى ومن كان كذلك فقد تفصى على عهدة الخطاب اذ قد عمل بمقتضى السنة والكتاب
ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعده حكموا بصحة ايمان كل من آمن وصدق
بما ذكرناه ولم يفرقوا بين من آمن عن برهان اوعن غيره ولانهم لم يأمروا اجلاف العرب
بتزييد النظر ولا سألوهم عن ادلة تصديقهم ولا ارجؤا ايمانهم حتى ينظروا ويحاشوا

Marfat.com

عن اطلاق الكفر على احد منهم بل سموهم المؤمنين والمسلمين واخذوا عليهم احكام الايمان والاسلام ولان البراهين التى حررها المتكلمون ورتبها الجدليون انما احدثها المتأخرون ولم يخض فى شئ من تلك الاساليب السلف الماضون فمن المحال والهذيان ان يشترط فى صحة الايمان مالم يكن معروفا ولامعمولا به لاهل ذلك الزمان وهم من هم فهما عن الله واخذا عن رسول الله وتبليغا لشريعته وبيانا لسنته وطريقته انتهى كلام القرطبى رحمه الله تعالى وهو يقتضى عدم اشتراط النطق ايضا باللسان فى صحة الايمان وهو قول المحققين قال الشيخ العينى فى شرح البخارى ان الايمان عند المحققين واليه ذهب الاشعرى واكثر الائمة كالقاضى عبد الجبار والاستاذ ابى اسحاق الاسفرائنى والحسين بن الفضل وغيرهم هو مجرد التصديق بالقلب اى تصديق الرسول عليه السلام فى كل ماعلم مجيئه به بالضرورة تصديقا جازما مطابقا اى سواء كان بدليل اولا فقولهم مجرد التصديق اشارة الى انه لايعتبر فيه كونه مقرونا بعمل الجوارح والتقييد بالضرورة لاخراج مالم يعلم بالضرورة ان الرسول جاء به كالاجتهاديات كالتصديق بان الله تعالى عالم بالعلم اوعالم بذاته والتصديق بكونه مرئيا اوغير مرئى فان هذين التصديقين وامثالهما غير داخلة فى مسمى الايمان ولهذا لايكفر منكر الاجتهاديات بالاجماع والتقييد بالجازم لاخراج التصديق الظنى فانه غير كاف فى حصول الايمان والتقييد بالاطلاق لدفع وهم خروج اعتقاد القلب فان ايمانه صحيح عند الاكثرين وهو الصحيح وقال السعد فى شرح العقائد هذا الذى ذكره من ان الايمان هو التصديق والاقرار مذهب بعض العلماء وهو اختيار الامام شمس الائمة وفخر الاسلام وذهب جمهور المحققين الى انه التصديق بالقلب وانما الاقرار شرط لاجراء الاحكام فى الدنيا اما ان تصديق القلب امر باطن لابد له من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر باسانه فهو مؤمن عند الله وان لم يكن مؤمنا فى احكام الدنيا ومن اقر باسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس وهذا هو اختيار الشيخ ابى منصور والنصوص معا ضدة لذلك قال الله تعالى * اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وقال تعالى * وقلبه مطمئن بالايمان وقال تعالى * ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم ثبت قلبى على دينك وقال لاسامة حين قتل من قال لااله الا الله هلا شققت عن قلبه (والاعمال) بالجوارح (خارجة عن حقيقته) اى حقيقة الايمان قال فى شرح الصحائف الايمان فى اللغة التصديق وفى الشرع مختلف فيه فقال المحققون هو تصديق الرسول بكل ماعلم بالضرورة مجيئه به ويقرب من هذا ماذهب اليه ابو حنيفة رضى الله عنه ان الايمان هو المعرفة والاقرار اى العلم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم والاقرار به وقالت المعتزلة الايمان هو مجموع الطاعات ونقل عن السلف ان الايمان هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان ونقل عن على رضى الله عنه مثل ذلك وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى هو معرفة بالقلب

Marfat.com

واقرار باللسان وعمل بالاركان وقال الكرماني في شرح البخاري وذكر في الكتب الكلامية له تفاسير فقال المتأخرون هو تصديق الرسول بما علم مجيئه به ضرورة والحنفية التصديق والاقرار والكرامية الاقرار وبعض المعتزلة الاعمال والسلف التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فهذه الاقوال خمسة الثلاثة منها بسيطة وواحد منها مركب ثنائي والخامس مركب ثلاثي ووجه الحصر انه اما بسيط اولا والبسيط اما اعتقادي او قولي او عملي وغير البسيط اما ثنائي واما ثلاثي وهذا كله بالنظر الى ما عند الله تعالى اما عندنا فالايمان هو الكلمة فاذا قالها حكمنا بايمانه اتفاقا بلا خلاف ثم لا تغفل ان النزاع في نفس الايمان واما الكمال فانه لا بد فيه من الثلاث اجماعا واذا تحققت هذه الدقائق انفتح عليك المغالق ان شاء الله تعالى وحيث كانت الاعمال خارجة عن حقيقته (فلا يزيد) بالطاعات (ولا ينقص) بالمعاصي والمخالفات قال الكرماني في شرح البخاري مذهب السلف ان الايمان قول وعمل ونية ويزيد وينقص ومعناه انه يطلق على التصديق بالقلب وعلى النطق باللسان وعلى الاعمال بالجوارح ويزيد بزيادة هذه وينقص بنقصها وانكر اكثر المتكلمين زيادته ونقصه قالوا متى قبل الزيادة والنقص كان شكا وكفرا وقال المحققون منهم نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته ونقصانها وهي الاعمال قال النووي والمختار خلافه وهو ان نفس التصديق ايضا يزيد وينقص بكثرة النظر وتظاهر الادلة ولهذا يكون ايمان الصديق اقوى بحيث لا يتزلزل بعارض ولا يتشكك عاقل في ان نفس تصديق ابي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس انتهى ولا شك ان عدم المساواة في القوة والضعف ليست زيادة في حقيقة الايمان وجوهره وانما هي زيادة في وصفه كالانسان المريض والانسان القوي فان الانسانية فيهما على السواء من غير زيادة في القوي دون الضعيف والمراد بالزيادة المنفية عند القائلين بذلك الزيادة في حقيقته وجوهره دون وصفه فالخلاف لفظي والآيات الدالة على زيادة الايمان محمولة على ما ذكره ابو حنيفة رضي الله عنه انهم كانوا آمنوا بالجملة ثم يأتي فرض بعد فرض وكانوا يؤمنون بكل فرض خاص وحاصله انه كان يزيد بزيادة ما يجب الايمان به وهذا لا يتصور في غير عصر النبي صلى الله عليه وسلم قال السعد في شرح العقائد وفيه نظر لان الاطلاع على تفاصيل الفرائض ممكن في غير عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والايمان واجب اجمالا فيما علم اجمالا وتفصيلا فيما علم تفصيلا ولا خفاء في ان التفصيلي ازيد بل اكمل من الاجمالي وما ذكر من ان الاجمالي لا ينحط عن درجته فانما هو في الاتصاف باصل الايمان انتهى ولا يخفى ان قول ابي حنيفة رضي الله عنه وهذا لا يتصور في غير عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معناه زيادة الايمان في حق من آمن من الصحابة رضي الله عنهم اجمالا بالنبي صلى الله

Marfat.com

تعالى عليه وسلم وبجميع ماجاء به من عندالله تعالى فكان كل ماجاء بعد ذلك بفرض آمنوابه تفصيلا فيزيد ايمانهم بالنسبة الى ايمانهم الاول الاجمالى وبعدانقطاع الوحى بموت النبى صلى الله عليه وسلم مابقى يتصور ذلك واماتصوره فى كل زمان بمن لم يطلع اولاعلى تفاصيل الفرائض وآمن بجميع ماورد عن الله تعالى بطريق الاجمال وكان كلما وصل اليه الخبر بفرض آمن به فيزداد ايمانه بالنظر الى ايمانه الاول الاجمالى فهوامر نادر انما يتصور فيمن نشأ منفردا من غير مخالطة اهل الاسلام فان الفرائض مما يعلم من الدين بالضرورة بحيث يشترك فى علمها الخاص والعام على ان من كان كذلك جاهلا بتفاصيل الفرائض ثم اطلع على تفاصيلها فازداد ايمانه بها مفصلة على ايمانه بها مجملة ليس هو موضع الخلاف فى زيادة الايمان ونقصانه بل الخلاف فى كل ايمان هل يقبل الزيادة ام لا واذا كانت الآيات دالة على زيادة الايمان فى حق الصحابة رضى الله عنهم فقط دون غيرهم لانهم المخاطبون بذلك حيث هم الموجودون وقت نزول الوحى فلا مانع من تصور ذلك فى النادر فيمن جهل ماعلم من الدين بالضرورة من فرائض الاسلام فآمن اجمالا ثم علم بذلك فآمن تفصيلا على ان قول ابى حنيفة رضى الله عنه بعدم تصوره فى غير عصر النبى صلى الله عليه وسلم مخصوص بمن نزل ذلك فى حقهم وهم الصحابة رضى الله عنهم فانه لايتصور وجودهم جاهلين بالفرائض فى غير ذلك العصر ثم يعلمون ذلك بنزوله بالوحى وان تصور فى غيرهم فيمن ذكر فان هذا القول من ابى حنيفة رضى الله عنه صرف الآيات الواردة عليه ببيان سبب نزولها من دون تعرض لامكان تصور نحو تلك الحالة فيما بعد فلانظر فى قوله ولا يراد عليه والحاصل ان زيادة الايمان ونقصانه محمولة اما على الزيادة والنقصان فى وصفه دون ذاته وجوهره واما على ان مراد القائل بذلك الايمان المفسر عند بالاعتقاد والقول والعمل فيزداد بزيادة العمل وينقص بنقصانه واليه يشير كلام المتن هنا حيث فرع بالفاء على كون الاعمال خارجة عنه قوله بعدم الزيادة والنقصان فالخلاف فى ذلك لفظى على كل حال والآيات والاحاديث الوارد فيها ذكر ذلك يخرجها كل قوم بحسب ماذهبوا اليه وهو محتمل وللاجتهاد فى ذلك مجال وليست المسئلة مما يضر الخلاف فيها (ويصح) فى الشرع (ان يقول من وجدا) اى التصديق بقلبه والاقرار بلسانه (فيه انا مؤمن حقا) كما قال تعالى * فاولئك هم المؤمنون حقا * وذلك لان الايمان اما ان يكون موجودا اوغير موجود فان لم يكن موجودا فهو كافر وان كان موجودا فهو مؤمن وان شك فى وجوده فى وقت من الاوقات فهو كافر فيتعين على المؤمن قوله انا مؤمن حقا لتحقق الايمان منه (ولا ينبغى) اى لايحسن ولايليق بالمؤمن (ان يقول انا مؤمن ان شاء الله) تعالى باحالة كونه مؤمنا على مشيئة الله تعالى دون القطع بما هو موجود فيه من الايمان لان هذا القول منه ان كان للشك فهو كفر لامحالة

Marfat.com

وان كان للتأدب واحالة الامور الى مشيئة الله تعالى اوللشك فى العاقبة والمآل لافى الآن والحال اوللتبرك بذكر الله تعالى اوالتبرى عن تزكية نفسه والاعجاب بحاله فالاولى تركه لانه يوهم الشك ولهذا قال ولاينبغى دون ان يقول ولايجوز لانه اذا لم يكن للشك فلامعنى لنفى الجواز كيف وقدذهب اليه كثير من السلف حتى الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين ذكره السعد فى شرح العقائد والحاصل ان الخلاف لفظى ايضا فان من منع من قوله انا مؤمن ان شاء الله تعالى محله اذا قصد الشك اوكان قوله موهما للشك عند من لم يعرف مراده بذلك ومن اجاز قوله انا مؤمن ان شاء الله تعالى استند فى ذلك الى ماورد عن السلف مما لم يثبت عند المانع منه كما وقفت فى ذلك على رسالة من تصنيف الامام البخارى صاحب الصحيح ذكر فيها من ورد عنه القول بذلك من الصحابة والتابعين من أئمة الدين والوارد عن السلف مستفيض من صاحب الشرع ان لم يكن بصريح الحديث فهو بمفهومه عند الصدر الاول مع تعليل جواز ذلك ايضا بماذكر من التأدب مع الله تعالى واحالة الامور الى مشيئته والشك فى العاقبة والتبرك بذكر الله تعالى والتبرى من تزكية النفس والاعجاب بحالها الى غير ذلك مما علل به المجيزون والمسئلة اجتهادية ايضا للرأى فيها مجال (والايمان) المذكور (بهذا المعنى) الذى سبق بيانه وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان (مخلوق) لله تعالى فى العبد المؤمن (كسبى) حاصل باكتسابه (واما) الايمان (بمعنى هداية الرب تعالى لعبده الى معرفته) بلاكيف ولاكيفية (فغير مخلوق) لانه حينئذ من صفات الله تعالى كما ورد فى اسمائه تعالى المؤمن بمعنى انه الهداية من الله تعالى و لاهتداء من العبد فيقال آمن الرب عبده اى هداه للتصديق به وبكل ماورد عنه فاهتدى لذلك فان الايمان بهذا المعنى قديم لانه من صفات الله تعالى المفهومة من اسمه سبحانه المؤمن وصفاته تعالى واسماؤه كلها قديمة قال اليافعى فى شرح اسماء الله الحسنى واما المؤمن فقيل معناه المصدق لان الايمان فى اللغة التصديق يقال آمن يؤمن ايمانا اذاصدق والرب سبحانه مصدق نفسه ورسله بقوله الصدق فالاسم راجع الى الكلام الذى هو من الصفات القديمة وقيل المؤمن معناه انه تعالى سيؤمن عباده الابرار من الفزع الاكبر عند رؤية النار وعظيم الاهوال وعلى هذا يجوز صرفه الى القول فانه تعالى سيؤمن عباده يوم العرض الاكبر ويسمعهم قوله الاتخافوا ولاتحزنوا ويجوز صرفه الى القدرة على خلق الامن والطمانينة فيكون من اسماء الصفات ويجوز صرفه الى نفس خلق الامن فيكون من اسماء الافعال يقال آمنه يؤمنه اذا افاده الامن فاعل مؤمن بكسر الميم الثانية والمفعول مؤمن بفتحها وذكر النجم الغزى فى حسن التنبه قال المؤمن هو المصدق لنفسه ولانبيائه بالمعجزات اوالذى لايتصور الامن والامان الامن قبله ثم قال والمسلم والمؤمن اسمان مشتقان من اسم الله السلام واسمه

Marfat.com

المؤمن وهما من خصائص هذه الامة لقوله صلى الله عليه وسلم تسمى الله باسمين سمى بهما امتى هو السلام وسمى بها امتى المسلمين وهو المؤمن وسمى بها امتى المؤمنين رواه ابن ابى شيبة وذكر الكرمانى فى شرح البخارى ان اشتقاق الايمان من الامن وامنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب وقال التيمى الايمان مشتق من الامن لان العبد اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امن من القتل والعذاب انتهى والحاصل ان الايمان اما معناه التصديق او اعطاء الامان من التكذيب او تحصيل الامن من القتل فى الدنيا والعذاب فى الآخره فيقال امن العبد بارسول اذا صدق بجميع ماجاء به اوامنه من التكذيب اوامن من القتل والعذاب فاحصل للعبد من هذه المعانى الثلاثة مما سمى بسببه مؤمنا فهو مخلوق فيه واما اذا جعل احد هذه المعانى الثلاثة اشتقاقا لاسم الله تعالى المؤمن على تقدير انه تعالى امن اى صدق بنفسه وبرسله وبما جاؤا به من عنده اوامن عباده المحسنين من مقابلتهم بالاساءة اوامن من تكذيبهم له فيما شرع لهم وذلك هو الهداية لهم الى صراطه المستقيم فالايمان حينئذ قديم وليس بمخلوق لانه من صفات الله تعالى (وايمان المقلد) من التقليد بمعنى المتابعة واصله وضع القلادة فى العنق فكأن من قلد غيره فى قول اوفعل وضع التبعة فى عنق ذلك الغير فيبقى خطاؤه منسوبا الى ذلك الغير وكذا اصابته اومن تقليد الولاة الاعمال فكأن التابع قلد المتبوع ولاية الحكم عليه حيث تابعه فى قوله اوفعله اومن قلد بالتخفيف الماء فى الحوض واللبن فى السقاء والشراب فى البطن يقلده بسكون القاف جعله فيه ثم شدد الفعل قصدا للمبالغة لان المقلد غيره يجمع عنده قول الغير اوفعله اومن قلد الشئ على الشئ لواه ثم شدد كذلك لان المقلد يلوى قول غيره اوفعله عليه والتقليد للغير هو اخذ قول ذلك الغير اوفعله مع الجزم به والمطابقة له من غير استدلال عليه فلا تقليد مع الشك والتردد ولا مع عدم المطابقة كمن يزعم انه مقلد لائمة المسلمين وهو يعتقد ان لله تعالى مكانا اوجهة اوجسمية اوان معه مؤثرا فى الوجود فى امر ما فانه ليس بمقلد لائمة المسلمين لانهم لا يعتقدون شيئا من ذلك حتى يقلدهم فيه (صحيح) عند المحققين من اهل السنة وان لم يكن عنده استدلال على ما قلد غيره فيه وحكاه الزركشى عن الائمة الاربعة وعزاه ابن ناجى وابو الحسن الشاذلى من المالكية وغيرهم من الشافعية للجمهور فى اجراء الاحكام الدنيوية عليه اتفاقا والاخروية عند المحققين بدل عليه قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا* الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا ودخل مسجدنا واستقبل قبلتنا فهو مسلم (ولكنه) يعنى المقلد (آثم) اى عاص بترك الاستدلال) على مسائل اعتقاده وقال بعضهم ليس بآثم الا ان كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح وقال بعضهم ليس بآثم اصلا وان كان فيه تلك الاهلية * واعلم ان بعضهم نقل عن الاشعرى والقاضى الباقلانى والاستاذ الاسفرائنى وامام الحرمين

﴿ والجمهور ﴾

Marfat.com

والجمهور عدم صحة ايمان المقلد وانه لا يكفى التقليد فى العقائد الدينية وبالغ بعضهم فيه فحكى عليه الاجماع وعزاه ابن القصار لمالك وقال السنوسى فى شرح مقدمته ثم اختلف الجمهور القائلون بوجوب المعرفة فقال بعضهم المقلد مؤمن الا انه عاص بترك المعرفة التى ينتجها النظر الصحيح وقال بعضهم انه مؤمن ولا يعصى الا اذا كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح وقال بعضهم المقلد ليس بمؤمن اصلا وقد انكر بعضهم وذهب غير الجمهور الى ان النظر ليس بشرط فى صحة الايمان بل وليس بواجب اصلا وانما هو من شروط الكمال فقط وقد اختار هذا القول الشيخ العارف ابن ابى جمرة والقشيرى وابن رشد وابو حامد الغزالى وجماعة انتهى وقدمنا عن القرطبى مايؤيد هذا وفى حاشية المقرى على شرح السنوسية قال ابن عطية فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله تعالى *اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون* وقوة هذه الآية تعطى ابطال التقليد واجتمعت الامة على ابطاله فى العقائد وقال الزمخشرى لا ضال اضل من المقلد وقال الفهرى ناقلا عن القاضى الباقلانى ان التقليد فى اصول الدين ممتنع حيث قال المعرفة بالله تعالى على وجه الاحاطة لا سبيل اليها فالمعتبر اذن الاقرار بالله عزوجل ورسله من مسند جملى قال اصحابنا والذى يصير به مؤمنا وهو التكليف العام ان يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نظير له فى صفاته ولا قسيم له فى افعاله وان محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله ارسله بالهدى ودين الحق وان كل ما اخبر به صدق وهل يكتفى بذلك فى التقليد او لا بد من معرفة الله تعالى على بصيرة اختلف فيه واختار القاضى ان التقليد غير متصور فى التوحيد ثم قال الفهرى فى موضع آخر ويكتفى فى اثبات الايمان بالعلم بالله عزوجل لا من كل وجه بل على الجملة فيعلم انه موجود ازلى غنى واحد فى ذاته وصفاته والهيته وتدبيره ليس كمثله شئ وانه عادل فى افعاله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق وانه صادق فى جميع ما جاء به صلى الله عليه وسلم ويكفى معرفة جميع ذلك بطريق ما وفى الدلائل كثرة وكل ما سوى الله دليل عليه واما التفصيل فمن فروض الكفاية وذكر القرطبى فى شرح مسلم قال وقد اختلف المتكلمون فى اول الواجبات على اقوال كثيرة منها مايشنع ذكره ومنها ماظهر ضعفه والذى عليه ائمة الفتوى وبهم يقتدى كمالك والشافعى وابى حنيفة واحمد بن حنبل وغيرهم من ائمة السلف رضى الله عنهم ان اول الواجبات على كل مكلف الايمان التصديق الجزمى الذى لا ريب معه بالله تعالى ورسله وكتبه وما جاءت به الرسل على ما تقرر فى حديث جبريل عليه السلام كيف ما حصل ذلك الايمان وبأى طريق اليه توصل واما النطق باللسان فظهر لما استقر فى القلب وسبب ظاهر تترتب عليه احكام الاسلام (وفى ارسال) الله تعالى الى عباده المكلفين (الانبياء) جمع نبى (والرسل) بضم السين المهملة وبسكونها ايضا جمع رسول والخلاف فيهما على اربعة اقوال التباين والتوافق

Marfat.com

والعموم والخصوص المطلق ومن وجه وقد فصلنا ذلك فى كتابنا المطالب الوفية والمشهور نسبة العموم والخصوص المطلق فكل رسول نبى ولا كل نبى رسول (بالمعجزات) جمع معجزة وهى امر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة (والكتب) بضم التاء المثناة الفوقية وبسكونها ايضا جمع كتاب بمعنى مكتوب من الكتب وهو الجمع بجمعه الحكم والاخبار والاحكام والمواعظ (المنزلة) بالوحى الالهى مع جبريل عليه السلام (عليهم) اى على الانبياء والرسل وفى الكلام اشارة الى اختيار عدم الفرق بينهما ولهذا نسب الارسال اليهما وهو مذهب المحققين (من البشر) الذين هم انبياء ومرسلون وهو بيان للانبياء والرسل (الى البشر) الذين هم سائر الامم وهو ارسال الجنس الى الجنس (حكمة) بالكسر وهى العدل والعلم واحكمه اتقنه ومنعه عن الفساد كذا فى القاموس (بالغة) اى عظيمة قال تعالى * لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا * قال البيضاوى لتمكنهم من الاجتماع به والتلقى منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس (وهم) اى الانبياء والرسل عليهم السلام كلهم (مبرؤن عن الكفر) بالله تعالى (و) عن (الكذب مطلقا) اى قبل النبوة وبعدها العمد من ذلك والسهو والكذب على الله تعالى وعلى غيره فى الامور الشرعية والعادية (و) مبرؤن (عن الكبائر) من الذنوب (و) عن (الصغائر) منها ايضا (المنفرة) نعت للصغائر اى التى تنفر غيرهم من اتباعهم (كسرقة لقمة) من المأكولات (وتطفيف) اى تنقيص (حبة) من الحبوب التى يبيعونها فان ذلك مما يدل على الخسة والدناءة (و) مبرؤن ايضا من (تعمد الصغائر غيرها) اى غير المنفرة (بعد البعثة) اى ارسالهم الى دعوة الخلق قال التفتازانى فى شرح المقاصد المعجزة تقتضى الصدق فى دعوى النبوة وما يتعلق بها من التبليغ وشرعية الاحكام فاتوهم صدور عن الانبياء عليهم السلام من القبايح اما ان يكون منافيا لما تقتضيه المعجزة كالكذب فيما يتعلق بالتبليغ اولا والثانى اما ان يكون كفرا او معصية وهى اما ان تكون كبيرة كالقتل والزنا او صغيرة منفرة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة او غير منفرة كالكذبة وشتمة وهم بمعصية وكل ذلك اما عمدا او سهوا وبعد البعثة او قبلها والجمهور على وجوب عصمتهم عليهم السلام عما ينافى مقتضى المعجزة وقد جوزه القاضى زعما منه انه لا يخل بالتصديق المقصود بالمعجزة وعن الكفر وكذا عن تعمد الكبائر بعد البعثة فعندنا سمعا وعند المعتزلة عقلا والمذهب عندنا منع الكبائر مطلقا والصغائر عمدا لا سهوا لكن لا يصرون ولا يقرون بل ينبهون وينتهون وذهب امام الحرمين منا وابو هاشم من المعتزلة الى تجويز الصغائر عمدا لنا ان نقول انه لو صدر منهم الذنب لزم امور كلها منتفية الاول حرمة اتباعهم لكنه واجب بالاجماع وبقوله تعالى * ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله

Marfat.com

الثانى ردشهادتهم لقوله تعالى *ان جاءكم فاسق *الآية والاجماع على ذلك لكنه منتف للقطع بان من ترد شهادته فى القليل من متاع الدنيا لايستحق القبول فى امر الدين القائم الى يوم القيامة الثالث وجوب منعهم وزجرهم لعموم ادلة الامر المعروف والنهى عن المنكر لكنه منتف لاستلزام ايذائهم المحرم بالاجماع وبقوله تعالى * والذين يؤذون الله ورسوله *الآية الرابع استحقاقهم العذاب والطعن واللعن واللوم والذم لدخولهم تحت قوله تعالى * ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم *وقوله تعالى * الا لعنة الله تعالى على الظالمين *وقوله تعالى *لم تقولون مالا تفعلون *وقوله تعالى * اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم *لكن ذلك منتف بالاجماع ولكونه من اعظم المنفرات الخامس عدم نيلهم عهد النبوة لقوله تعالى * لاينال عهدى الظالمين *لان كل من صدر عنه ذنب فهو فاسق وكل فاسق ظالم السادس كونهم غير مخلصين لان المذنب قد اغواه الشيطان والمخلص ليس كذلك لقوله تعالى حكاية عن الشيطان * لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين* لكن اللازم منتف بالاجماع وبقوله تعالى فى ابراهيم ويعقوب *انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار *وفى يوسف * انه من عبادنا المخلصين السابع كونهم من حزب الشيطان ومتبعيه واللازم قطعى البطلان الثامن عدم كونهم مسارعين فى الخيرات معدودين عند الله تعالى من المصطفين الاخيار اذ لاخير فى الذنب لكن الذنب منتف لقوله تعالى فى حق بعضهم *انهم كانوا يسارعون فى الخيرات وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار * وقال اللاقانى فى شرح جوهرته واعلم انهم عليهم السلام معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها بالاجماع ثم ذكر عصمتهم من الكبائر والصغائر وقد بسطنا الكلام على ذلك مفصلا فى كتابنا المطالب الوفية وذكرنا الجواب عن جميع ما وقع من الانبياء عليهم السلام مما يشبه المعاصى والمخالفات بما يطول شرحه والحق انا نؤمن بما ورد من ذلك فى الكتاب والسنة مع تنزيه ساحتهم مما توهمه من العصيان فعصيانهم طاعتنا واما طاعتهم فلا يعلم بكيفية وقوعها منهم على الوجه الذى هم فيه من مراتب الاخلاص الخاص بهم الا الله تعالى وكذلك بقية مقاماتهم فى القرب (واولهم) اى اول الانبياء وارسل عليهم السلام (آدم) ابو البشر (وآخرهم) وافضلهم بالاجماع (محمد) نبينا (عليهما) اى عليه وعلى آدم (الصلاة) من الله تعالى (والسلام) قال فى شرح المقاصد واجمع المسلمون على ان افضل الانبياء عليهم السلام محمد صلى الله عليه وسلم لان امته خير الامم بقوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس وكذلك جعلناكم امة وسطا وتفضيل الامة من حيث انها امة تفضيل للرسول الذى هم امته ولانه مبعوث الى الثقلين وخاتم الانبياء والرسل ومعجزاته الظاهرة باقية على وجه الزمان وشريعته ناسخة لجميع الاديان وشهادته قائمة فى القيامة على كافة البشر الى غير ذلك من خصائص لا تعد ولا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر (ولا يعرف) بالبناء للمجهول اى لا يعرف احد (يقينا) اى على وجه القطع (عددهم) اى الانبياء والمرسلين عليهم السلام والحديث الوارد فى ذلك

Marfat.com

آحاد لا يفيد القطع بل الظن وهو انه صلى الله عليه وسلم سئل عن عدد الانبياء فقال مائة الف وفي رواية مائتا الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفي رواية واربعة عشر على ان الحديث متكلم فيه ايضا (ولا تبطل رسالتهم) اى الأنبياء عليهم السلام وكذلك نبوتهم (بموتهم) فهم الآن رسل وانبياء عليهم الصلاة والسلام وان نسخت شرايعهم اذ لا يلزم من النسخ بطلان الرسالة والنبوة فان قلت الى من هم الآن مرسلون وفي حق احكام من هم انبياء قلت هم مرسلون الآن الى امهم الماضين وانبياء في حق احكامهم و قد انتقلوا هم وامهم من دار الدنيا الى البرزخ وانقطعت تكاليف امهم بما جاؤا به لانتهاء احكام شرايعهم في حقهم وحجبهم قائمة على امهم بالحق فاذا كان يوم القيامة ظهر ما هم الآن فيه من الرسالة والنبوة كما قال تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين * ولولا انهم مرسلون حتى في يوم القيامة ما سماهم كذلك وفي عمدة الاعتماد للنسفي قال وكل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما في حال نومه وكذا الرسل والانبياء عليهم السلام بعد وفاتهم رسل وانبياء حقيقة لان المتصف بالنبوة و لايمان الروح هو لا يتغير بالموت اه كلامه ومثل ذلك الولاية ايضا فالاولياء بعد موتهم اولياء كما انهم في حال نومهم كذلك والنوم لا يبطل الولاية والموت كذلك فكرامات الاولياء باقية بعد موتهم ايضا كما انها باقية في حال نومهم ومن زعم خلاف ذلك في الكرامات فهو جاهل متعصب ولنا رسالة في خصوص اثبات الكرامة بعد موت الولي (وهم) اى الرسل والانبياء عليهم السلام (افضل من الملائكة) عليهم السلام قال في شرح المقاصد ذهب جمهور اصحابنا والشيعة الى ان الانبياء افضل من الملائكة خلافا للمعتزلة والقاضي ابي بكر الباقلاني وابي عبد الله الحليمي منا وصرح بعض اصحابنا بان عوام البشر من المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام البشر اى غير الانبياء عليهم السلام وفي شرح الطوالع للاصفهاني ذهب الى تفضيل الانبياء على الملائكة اكثر اصحابنا والشيعة خلافا للحكماء والمعتزلة والقاضي ابي بكر الباقلاني والحليمي من اصحابنا في الملائكة العلوية فانهم ذهبوا الى ان الملائكة العلوية افضل من الانبياء دون الملائكة السفلية (الذين) نعت للملائكة (هم عباد) لله تعالى من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد لله تعالى والآية نزلت في خزاعة قالوا الملائكة بنات الله فقال تعالى * وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه * تنزيه له عن ذلك بل عباد (مكرمون) مقربون (لا يسبقونه) تعالى (بالقول) اى لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو دين العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليد واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله (وهم بامره) سبحانه (يعملون) لا يعملون قط ما لم يأمرهم به قاله البيضاوي (لا يوصفون) اى الملائكة عليهم السلام (بمعصية) صغيرة ولا كبيرة لانهم كالانبياء معصومون واما كفر ابليس فانه ليس من الملائكة وان استثناه الله تعالى منهم لانه كان من الجن ففسق

Marfat.com

عن امر ربه ولكنه لما كان فى صفة الملائكة فى باب العبادة ورفعة الدرجة وكان جنيا
واحدا مغمورا فيما بينهم صح استثناؤه منهم تغليبا واما هاروت وماروت فالاصح
انهما ملكان لم يصدر منهما كفر ولا كبيرة وتعذيبهما انما هو على وجه المعاتبة
كما تعاتب الانبياء على السهو والزلة وكانا يعظان الناس ويقولان انما نحن فتنة فلا تكفر
ولا كفر فى تعليم السحر بل فى اعتقاده والعمل به كذا ذكره السعد فى شرح العقائد وقال
البيضاوى وماروى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال
لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فيحكى
عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوى البصائر (ولا) يوصفون
ايضا (بذكورة ولا انوثة) اذ لم يرد بذلك نقل ولا دل عليه عقل ومازعم عبدة الاصنام
انهم بنات الله محال باطل وافراط فى شانهم فقال تعالى فى الرد عليهم * وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون * قال البيضاوى
احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل
وتهكم بهم (ولا) يوصفون ايضا (باكل ولا بشرب ولوازمهما) من التغوط والبول
والعرق والمخاط والريح كما قال تعالى * فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس
منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط * قال البيضاوى انا ملائكة مرسلة
اليهم بالعذاب وانما لم تمد اليه ايدينا لانا لا نأكل وقال اللاقانى فى شرح جوهرته مذهب
جمهور المسلمين ان الملائكة اجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل باشكال شريفة
مختلفة مستدلين بان الرسل عليهم السلام كانوا يرونهم كذلك اه وانما قوت الملائكة
الذكر والتسبيح لا غير فيكتفون بالذكر والتسبيح عن الطعام والشراب كما قال تعالى
* يسبحون الليل والنهار لا يفترون * وروى الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عمر
رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال طعام المؤمنين فى زمن الدجال طعام
الملائكة التسبيح والتقديس فمن كان منطقه يومئذ التسبيح والتقديس اذهب الله عنه
الجوع (ورسل الملائكة) عليهم السلام اى المرسلون منهم وهم الخامسة (افضل
من عامة البشر) وهم غير الانبياء عليهم السلام (الذين) نعت لعامة البشر (هم افضل
من عامة الملائكة) كالحفظة والموكلين بالارزاق والآجال قال فى شرح الصحائف
ان الانسان مركب من النفس الناطقة والبدن والنفس الناطقة من عالم الملكوت وهى
من الانوار الالهية كالملائكة وافعالها افعال الروحانيات من العلوم والمعارف والتأثير فى العالم
السفلى اذا صفت عن المكدورات الحيوانية كما سمعت من الانبياء والاولياء والبدن آلة
لها فى اكتساب الكمالات من الادراكات والعبادات وممارسة الخيرات فذات الانسان
الذى حصلت لنفسه كمالات غير ممكنة للمجردات بتقدير كون الملائكة مجردات اشرف
والافعال الشريفة الصادرة عنه مع عوق القوى البدنية ومنع الاضداد العنصرية

Marfat.com

افضل من افعال الملائكة الخالية عن هذه الشوائب والانبياء موصوفون بالكمالات الروحانية من العلوم والمعارف وخوارق العادات من التأثيرات فى الاجسام العنصرية والانباء عن الغيوب فكانوا افضل من الملائكة وذهب اكثر اهل السنة الى ان الرسل من بنى آدم افضل من الملائكة الرسل وغير الرسل والرسل من الملائكة افضل من عامة بنى آدم والمتقون من بنى آدم افضل من عامة الملائكة (وكرامات) جمع كرامة وهى امر خارق للعادة غير مقرون بالتحدى يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى من الانبياء عليهم السلام محبوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح فامتازت بعدم الاقتران بالتحدى عن المعجزة وبكونها على يد ظاهر الصلاح عما يسمى معونة وهى الخارق الظاهر على ايدى عوام المسلمين تخليصا لهم من المحن والمكاره وبمقارنة صحيح الاعتقاد والعمل الصالح عن الاستدراك وبمتابعة نبى قبله عن الخوارق المؤكدة لكذب الكاذبين كبصق مسيلمة فى بئر عذبة الماء ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحا اجاجا ذكره اللاقانى (الاولياء) الاحياء والاموات اذالولى لاينعزل عن ولايته بالموت كالنبى لاينعزل عن نبوته بالموت كما قدمناه وهو جمع ولى وهو العارف بالله تعالى وصفاته حسب مايمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات ذكره السعد فى شرح العقائد فبالانهماك خرج تناول اللذات والشهوات من غير انهماك بها وبتحصيلها بان كان لايمنع نفسه من تناولها اذا تيسرت بلا تكلف منه وكانت حلالا له (حق) ثابت بالنص القرآنى من قصة مريم عند ولادة عيسى عليه السلام وانه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله * فقد كانت فى كفالة زكريا عليه السلام وكان لايدخل عليها احد غيره وكان اذا خرج من عندها اغلق عليها سبعة ابواب واذا دخل عليها وجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء فتعجب من ذلك وسألها فاجابته بانه من عند الله وانه يرزق من يشاء بغير حساب * ومن قصة اصحاب الكهف ولبثهم فى الكهف سنين بلا طعام ولاشراب ومن قصة آصف بن برخيا واتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد طرف سليمان عليه السلام اليه وقد تواتر فى المعنى وان كانت التفاصيل آحادا كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى وقتنا هذا من الصالحين قاله اللاقانى وفى شرح مقاصد المقاصد للدلجى قال وليس انكار الكرامة من اهل البدع بعجيب اذ لم يشاهدوا ذلك من انفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم فى العبادات واجتناب السيئات فوقعوا فى اولياء الله تعالى اهل الكرامات يأكلون لحومهم ويمزقون اديمهم جاهلين كون هذا الامر مبنيا على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة بل العجب من قول بعض فقهاء

Marfat.com

اهل السنة فيما روى عن ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه انه رؤى بالبصرة وبمكة يوم التروية ان من اعتقد جوازه كفر والانصاف ما قاله النسفى وقدسئل عما قيل ان الكعبة كانت تزور احد الاولياء هل يجوز القول به فقال نقض العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جائز عند اهل السنة (من قطع المسافة البعيدة فى المدة القليلة) من الزمان وقدرتب على ذلك الفقهاء الحنفية والشافعية كثيرا من المسائل الشرعية قال فى فتح القدير لابن الهمام من باب ثبوت النسب قال بعض المشايخ قيام الفراش كاف ولايعتبر امكان الدخول بل النكاح قائم مقامه كما فى تزوج المشرقى مغربية والحق ان التصور شرط ولذا لوجاءت امرأة الصبى بولد لايثبت نسبه والتصور ثابت فى المغربية لثبوت كرامات الاولياء والاستخدامات فيكون صاحب خطوة اوجنى وذكر ابن حجر الهيثمى الشافعى فى فتاواه انه اذا غربت عليه الشمس فى بلدة وكان صاحب خطوة فحضر مطلعا آخر لم تغرب فيه بعد ماصلى المغرب فى البلد الاول لايلزمه اعادتها (وظهور الطعام والشراب واللباس) من الغيب (عند الحاجة) الى شئ من ذلك كما وقع لكثير من الاولياء (والطيران فى الهواء) كما نقل عن جعفر بن ابى طالب ولقمان السرخسى وغيرهما (والمشى على الماء وكلام الجماد والعجماء) كالبهيمة والطير (وغير ذلك) من انواع الخوارق للعادة الواقعة للاولياء تكريما لهم من الله تعالى (و يكون ذلك) اى ماكرم الله تعالى به الولى (لرسوله) اى رسول ذلك الولى (معجزة) وان كان بعد موت الرسول فالمعجزة على هذا لايشترط لها حياة الرسول بل تكون بعد موته ايضا وكذلك الكرامة تكون بعد موت الولى ايضا كرامة له كما قدمناه (ولايبلغ) اى لايصل الولى (درجة النبى) اصلا فنبى واحد افضل من جميع الاولياء (ولا) يصل الولى ايضا فى مقام القرب من الله تعالى (الى حيث يسقط عنه) اى عن ذلك الولى (الامر والنهى) من الله تعالى (وافضلهم) اى الاولياء (ابو بكر الصديق رضى الله عنه ثم عمر) بن الخطاب (الفاروق) لقب به لانه كان يعبد سرا قبل اسلامه فلما اسلم قال لن يعبد الله سرا بعد هذا اليوم فهو اول من اظهر شعائر الاسلام وفرق بعزمه فى الظاهر بين النور والظلام (ثم عثمان) بن عفان (ذوالنورين) لجمعه بين بنتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رقية ثم ام كلثوم تزوج اولا برقية قبل النبوة فماتت بعد ان ولدت له غلاما سماه عبد الله ثم تزوج ام كلثوم فماتت ولم تلد له فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو كانت عندنا ثالثة لزوجتها عثمان (ثم على المرتضى) بصيغة اسم المفعول لان الله تعالى ارتضاه للخلافة عن رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الخلفاء الثلاثة دون باقى الامة اولان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتضاه خليفة عنه فى المدينة على اهله فى غزوة تبوك وقال له انت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبى بعدى (وخلافتهم) اى هؤلاء الاربعة عن رسول الله

Marfat.com

صلى الله تعالى عليه وسلم كانت (على هذا الترتيب ايضا) اى كما هى فضيلتهم كذلك (ثم) بعدهم فى الفضيلة (سائر) اى بقية (الصحابة رضى الله عنهم اجمعين ونكف) لسنتنا وقلوبنا (عن ذكرهم) اى الصحابة وذكر ماجرى بينهم من الحروب (الا بخير) فان جميع ماكان بينهم من الحروب كان اجتهادا منهم رضى الله عنهم وهم مثابون عليه فى كل حال فمن اخطأ اثيب مرة ومن اصاب اثيب مرتين (ونشهد بالجنة) على وجه القطع (للعشرة المبشرة) بذلك من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وسعد وسعيد وابو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن ابن عوف (و) لبنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاطمة) الزهراء ايضا (و) لابنيها من على رضى الله عنه (الحسن والحسين وغيرهم) اى غير من ذكر (ممن بشرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كخديجة بنت خويلد اما فاطمة بنت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى النسائى عن حذيفة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا ملك من الملائكة استأذن ربه ليسلم على و بشرنى ان حسنا وحسينا سيدا شباب اهل الجنة وامهما سيدة نساء اهل الجنة وفى خبر النسائى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واخرج الاسيوطى فى الجامع الصغير عن الديلمى فى مسند الفردوس باسناده عن انس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شباب اهل الجنة خمسة حسن وحسين وابن عمرو سعد بن معاذ وابى بن كعب (لا) نشهد بالجنة (لغيرهم) اى غير ماذكر (بعينه) اى عين ذلك الغير كانسان معين من الامة فان فيه تحكما على الله تعالى واخبارا بمالا يعلم قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام شرح درر الحكام من قطع لاحد من ائمة الهدى بالجنة كابى حنيفة ومالك والشافعى فقد اخطأ وكذا الجنيد وابو يزيد والشبلى ونحوهم من الصالحين انتهى كلامه واذا لم نقطع لهم بالجنة يكون فى غالب ظننا لهم ذلك واكبر رجاءنا لانهم اهل صلاح وخير وقد عاشوا على هدى وماتوا كذلك لان الاصل بقاء ما كان على ما كان ولا يثبت خلاف الاصل الا بيقين ولكن لما احتمل تغير احوالهم عند الموت تركنا القطع الى غلبة الظن والله لا يضيع اجر المحسنين وقوله بعينه احتراز عن القطع لكل مسلم لا بعينه فان ذلك جائز من غير شبهة (ثم) بعد الصحابة فى الفضيلة (التابعون) ثم تابعوا التابعين رضوان الله عليهم اجمعين (والمسلمون لابد لهم من امام) اى سلطان يقع هوى انفسهم بالزامهم الحق قهرا عنهم (قادر على تنفيذ الاحكام) الشرعية فيهم لعلمه بذلك وقوته عليه بالشجاعة والجنود (مسلم) اذ لا ولاية لكافر على المسلم (حر) لان العبد لا ولاية له (مكلف) اى عاقل بالغ (ظاهر) غير مختف ليمكن كل احد من الرعية الوصول اليه عند الاحتياج (قرشى) اى من قريش وهو اسم لاولاد النضر

Marfat.com

ابن كانة (ولايشترط ان يكون هاشميا) اى منسوبا الى هاشم وهو ابو عبد المطلب جد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللاقانى فى شرح جوهرته فى شروط الامام انها خمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية وعدم الفسق بجارحة اواعتقاد لان غير المكلف من الصبى والمعتوه قاصر عن القيام بالامور على ما ينبغى والعبد مشغول بخدمة السيد لايتفرغ للامور مستحقر فى اعين الناس لايهاب ولايمتثل امره وتشترط الذكورة ايضا فلايكون الامام امرأة ولاخنثى مشكلا لانه بالنساء اشبه والنساء ناقصات عقل ودين ممنوعات من الخروج الى مشاهدا لحكم ومعارك الحرب والفاسق لايصلح لامر الدين ولا يوثق باوامره ونواهيه والظالم يختل به امر الدين والدنيا فكيف يصلح للولاية ومن الوالى لدفع شر مالبس بعجب استرعاء الغنم الذئب واما الكافر فامره ظاهر وزاد الجمهور اشتراط ان يكون شجاعا لئلا يجبن عن اقامة الحدود ومقاومة الخصوم مجتهدا فى الاصول والفروع ان وجد والافا مثل المقلدين ليتمكن من القيام بامر الدين ذار أى فى تدبير الحروب لئلا يخبط فى سياسة الجمهور ولم يشترط هذه الثلاثة بعضهم فى الامام وجوزالاكتفاء فيها بالاستعانة من الغيربان يفوض امر الحروب ومباشرة الخطوب الى الشجعان ويستفتى المجتهدين فى الدين ويستشير اصحاب الآراء الصائبة فى امور الملك محتجابندرة وجودها فى شخص واحد وحينئذ فاما ان يجب نصب واجدها فيؤدى الى تكليف مالايطاق اويجب نصب فاقدها وذلك الغاءلها اولايجب لاهذا ولاذاك فيكون اشتراطها مستلزما للمفاسد التى يمكن دفعها بنصب فاقدها فلا تكون هذه الاوصاف معتبرة فيها ورد ماتمسك به بانانختار عدم الوجوب مطلقا لكن للامة ان ينصبوا فاقدها دفعا للمفاسد التى تندفع بنصبه وقال السعد فى شرح العقائد ويكون الامام من قريش ولايجوز من غيرهم ولايختص ببنى هاشم واولاد على رضى الله عنهم (ولا) يشترط ان يكون (معصوما) لثبوت امامة ابى بكر رضى الله عنه مع القطع بعدم عصمته (ولا افضل زمانه) لان المساوى فى الفضيلة بل المفضول الاقل علما وعملا ربما كان اعرف بمصالح الامامة ومفاسدها واقدر على القيام بواجبها خصوصا ونصب المفضول ادفع للشر وابعد من اثارة الفتنة (ولاينعزل) عن الامامة (بفسق وجور) اى ظلم لرعيته فلايجوز الخروج عن طاعتهم بسبب ذلك فانه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الائمة والامراء بعد الخلفاء الراشدين والسلف كانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمع والاعياد باذنهم ولا يرون الخروج عليهم واخرج الاسيوطى فى الجامع الصغير عن الطبرانى عن ابى امامة واسناده حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاتسبوا الائمة وادعوا الله لهم بالصلاح فان صلاحهم لكم صلاح (وتجوز الصلاة) من الفرض والنفل (خلف كل بر) بالفتح اى صالح (وفاجر)

Marfat.com

اذ الاسلام كاف فى امامة الصلاة فان الصحابة والتابعين كانوا يقتدون بالحجاج فى الجمعة وغيرها وكفى به فاجرا (ويصلى) بالبناء للمفعول اى يصلى المسلمون (عليه) اى على كل بر وفاجر اذا مات مسلما (ويجوز المسح) وهو اصابة اليد المبتلة ونحوها العضو (على الخفين) الملبوسين على طهارة تامة (فى الحضر) يوما وليلة (و) فى (السفر) ثلاثة ايام ولياليها (ولا يحرم) شرب (نبيذ) اى منبوذ (الجر) جمع جرة وهى اناء من فخار ونبيذها هو نقوع التمر او الزبيب ونحوهما بان ينبذ اى يلقى فى الماء فتظهر حلاوته فيه (ان لم يكن مسكرا) اى مغيبا للعقل او مخدرا للحواس فانه حينئذ لا يجوز شربه (وفى دعاء الاحياء للاموات) الاقارب والاجانب (وصدقتهم عنهم نفع لهم) يصل اليهم بفضل الله تعالى قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى ان الانسان له ان يجعل ثواب عمله لغيره صلاة او صوما او صدقة او قراءة قرآن او ذكرا او طوافا او حجا او عمرة او غير ذلك عند اصحابنا كذا فى البحر وقال فى خزانة الفتاوى وغيرها ولو صام او صلى او اعتق او قرب شيئا من القربات ليصل ثوابه الى الميت يجوز ويصل اليه وفى اذكار النووى اجمع العلماء على ان الدعاء للاموات ينفعهم ويصلهم ثوابه واحتجوا بقوله تعالى * والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان * وغير ذلك من الآيات بمعناها والاحاديث المشهورة كقوله عليه السلام اللهم اغفر لاهل بقيع الفرقد وقوله اغفر لحينا وميتنا (وفضل الاماكن) كمكة والمدينة والبيت المقدس (حق) ثابت فى الاخبار النبوية وكذلك المساجد الثلاث التى تشد اليها الرحال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى (والعلم افضل من العقل) لان العقلاء انما يتميزون بالعلم مع تساويهم فى العقل كما قال تعالى * يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات * وقال تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون * وقال العينى فى شرح البخارى اختلفوا فى العقل فقيل هو العلم لان العقل والعلم فى اللغة واحد ولا يفرقون بين قولهم عقلت وعلمت وقيل العقل بعض العلوم الضرورية وقيل هو قوة يميز بها بين حقائق المعلومات اه وتقدم هذا فى صدر الكتاب فعلى الاول لا يتصور التفاضل بينهما وعلى الثانى لا شك فى افضلية العلم لانه اعم من العقل وكذلك على القول الثالث (واطفال المشركين) الذين ماتوا قبل البلوغ ذكورا كانوا او اناثا (لا يدرى) بالبناء للمفعول اى لا يدرى احد (انهم) بعد الموت (فى الجنة) يخدمون اهلها (ام فى النار) يعذب بهم آباؤهم ولا يعذبون فقيل انهم خدم اهل الجنة وقيل بانهم فى النار من غير عذاب كما ورد فى الحديث ان الذباب كله فى النار ليعذب به اهل النار زيادة على عذابهم ولا يعذب هو وقيل ان اطفال المشركين فى الاعراف بين الجنة والنار وقيل بالوقف فيهم وهو منقول عن ابى حنيفة رضى الله عنه (وللكفرة

Marfat.com

حفظة) من الملائكة يحفظونهم حتى تنفذ فيهم اقدار الله تعالى لانهم مكلفون بالايمان قال الشيخ الوالد فى شرحه على شرح الدرر والاصح ان الكافر تكتب اعماله الان كاتب اليمين كالمشاهد على كاتب اليسار (والمعدوم ليس بشئ) اى لايطلق عليه لفظ الشئ الا مجازا كقوله تعالى *انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون *فسماه شيئا باعتبار مايؤل اليه من الوجود والا فالمحققون على ان الشيئية ترادف الوجود والثبوت والعدم يرادف النفى (والسحر) وهو اليان نفس شريرة تخارق عن مزاولة محرم ثم ان اقترن بكفر فكفر والا فكبيرة عند الشافعى وكفر عند غيره ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (واقع) اى امر محقق قال النووى فى شرح مسلم مذهب اهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لا حقيقة لها وقد ذكره الله تعالى فى كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر ما فيه واشار الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له وحديث سحر النبى صلى الله عليه وسلم مصرح باثباته وانه اشياء دفنت واخرجت وهذا كله يبطل ما قالوه فاحالة كونه من الحقائق محال ولا يستنكر فى العقل ان الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق او تركيب اجسام او المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه الا الساحر واذا شاهد الانسان بعض الاجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسقمة كالادوية الحادة ومنها مضرة كالادوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله ان يخرد الساحر بعلم قوى قتالة او كلام مهلك او مؤد الى التفرقة (واصابة العين جائزة) حق رتب فقهاء الشافعية وجوب الضمان على من اتلف بها وفى شرح مسلم قال النووى فى قوله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا قال الامام ابو عبد الله المازرى اخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالف فى نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا فساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا اخبر الشرع بوجوده وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وهل من فرق بين تكذيبه بهذا وتكذيبه بما يخبر به من امور الآخرة وقد زعم بعض الطبايعيين المثبتين للعين ان العاين تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يبعد انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل باللديغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد وتهلك عند نظر العاين بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر وقد ورد الشرع بالوضوء لهذا الامر فى حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله فامر النبى صلى الله عليه وسلم عامر ان يتوضأ رواه مالك

Marfat.com

فى الموطأ وصفة وضوء العاين عند العلماء ان يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح فى الارض
فيأخذ منه اى الحاسد غرفة فيتمضمض بها ثم يمجها فى القدح ثم يأخذ منه ماء فيغسل به
وجهه ثم يأخذ بشماله ماء يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به كفه اليسرى
ثم بشماله ماء يغسل به مرفقه الايمن ثم يأخذ بيمينه ماء يغسل به مرفقه الايسر
ولا يغسل ما بين المرفقين والكفين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى ثم ركبته اليمنى ثم اليسرى
على الصفة المتقدمة وذلك فى القدح ثم داخلة ازاره وهو الطرف المتدلى الذى يلى حقوه
الايمن وقد ظن بعض الناس ان داخلة الازار كناية عن الفرج وجمهور العلماء على ما قدمنا
فاذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه
وليس فى قوة العقل الاطلاع على اسرار جميع المعلومات فلا يدفع هذا بان لا يدفع معناه
وقد اختلف العلماء فى العاين هل يجبر على الوضوء للمعين ام لا واحج من اوجبه بقوله
صلى الله عليه وسلم فى رواية مسلم هذه واذا استغسلتم فاغسلوا وبرواية الموطأ التى ذكرناها
انه صلى الله عليه وسلم امره بالوضوء والامر للوجوب قال المازرى والصحيح عندى
الوجوب (وكل مجتهد) من الاجتهاد وهو فى اللغة تحمل الجهد اى المشقة
وفى الاصطلاح استفراغ المجهود فى استنباط الحكم الشرعى الفرعى عن دليله وهو
على قسمين اجتهاد مقيد ويكفى فيه الاطلاع على اصول مقلده لان استنباطه على
حسبها واجتهاد مطلق وشرطه ان يحوى علم الكتاب المتعلق بمعرفة الاحكام بمعانيه
افرادا وتركيبا فيفتقر الى ما يعلم فى اللغة والصرف والنحو والمعانى والبيان بسليقة
اوتعليم وبمعانيه شرعا واقسامه من الخاص والعام والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ
وغيرها وضابطه ان يتمكن من العلم بالقدر الواجب منها عند الرجوع وان يحوى
علم السنة المتعلقة بمعرفة الاحكام بلفظها الدال على المعنى لغة وشرعا واقسامها
من الخاص والعام وغير ذلك وسندها وهو طريق وصولها الينا من تواتر وغيره وهذا
يتضمن معرفة حال الرواة والجرح والتعديل والصحيح والضعيف وغيرها وطريقه
فى زماننا الاكتفاء بتعديل الائمة الموثوق بهم لتعذر الاطلاع على حقيقة حال الرواة
اليوم وان يحوى علم موارد الاجماع لئلا يخالفه فى اجتهاده (مصيب) فى اجتهاده
(ابتداء) اى فى اول اجتهاده قبل ظهور الحكم له (بالنظر الى الدليل) لبذل تمام الوسع
فيه حيث ترتبت الحسنة على الاجتهاد والخطأ كما قال عليه السلام لعمرو بن العاص
رضى الله عنه احكم على انك ان اصبت فلك عشر حسنات وان اخطأت فلك حسنة
والحسنة لا تترتب على الحسنة من كل وجه لا يقال يجوز ان يكون ترتب الحسنة
للمشقة الاجتهادية لا للاصابة فى الدليل لانا نقول الدليل اذا لم يكن شرعيا فالاخذ به
ان لم يؤد الى العقاب فلا اقل من ان لا يؤدى الى الثواب (وقد يخطئ) المجتهد (فى الانتهاء
بالنظر الى الحكم) الذى ظهر له من الدليل (لان الحق واحد معين) عند الله تعالى لانه

Marfat.com

اوتعدد لزم الفساد اذاتغير الاجتهاد لان الاجتهاد الاول ان بقى حقا لزم اجتماع المتنافيين بالنسبة اليه والالزم النسخ بالاجتهاد وكل منهما فاسد فالمجتهد يخطئ ويصيب خلافا للمعتزلة فانهم يقولون ان كل مجتهد مصيب والحق عندهم متعدد وتمامه فى مرآة الاصول شرح مرقاة الوصول (والنصوص) الواردة فى الكتاب والسنة (تحمل على ظواهرها) المفهومة من غير كلفة (ان امكن) ذلك مالم يصرفها عن الظاهر دليل قطعى كما فى الآيات التى تشعر ظواهرها بالجسمية والجهة ونحو ذلك (والعدول) اى الاعراض (عنها) اى عن الظواهر مع امكانها (الى معان) اخرى (يدعيها اهل الباطن) وهم الملاحدة ويأتى الاخبار عن ذلك انه كفر قال السعد فى شرح العقائد واما ماذهب اليه بعض المحققين من ان النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها اشارات خفية الى دقائق تنكشف على ارباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الايمان ومحض العرفان (ورد النصوص) القطعية من الكتاب والسنة بانكار الاحكام التى دلت عليها كحشر الاجساد مثلا وقذف عائشة رضى الله عنها بالزنا (واستحلال المعصية) صغيرة او كبيرة اذا ثبت كونها معصية بدليل قطعى وكان حراما لعينه كشرب الخمر واما الحرام لغيره كوطئ الحائض فلا يكفر مستحله (والاستخفاف بالشريعة) اى عدم المبالات باحكامها واهانتها واحتقارها حتى ذكر فى البحر شرح الكنز ان من ترك الصلاة متعمدا غيرنا وللقضاء وغير خائف من العقوبات انه يكفر (واليأس من رحمة الله) تعالى لانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون (والامن) وهو عدم الخوف (من عذابه) تعالى (وسخطه) اى غضبه لانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون (وتصديق الكاهن فيما يخبره من الغيب كله كفر) اى ردة عن دين الاسلام لقوله عليه السلام من اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد والكاهن هو الذى يخبر عن الكوائن فى مستقبل الزمان ولنا رساله فى حكم المتكلم بالاخبار الزمانية سميناها اللؤلؤ المكنون فى حكم الاخبار عما سيكون وفى شرح مسلم للنووى كانت الكهانة فى العرب ثلاثة اضرب احدها ان يكون للانسان ولى يخبره بما يسترق من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم الثانى ان يخبره بما يطرأ او يكون فى اقطار الارض وما خفى عنه مما قرب او بعد ولا يبعد وجوده ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين واحالوهما ولا استحالة فى ذلك ولا بعد فى وجوده لكنهم يصدقون ويكذبون والنهى عن تصديقهم والسماع منهم عام الضرب الثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه اغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذى يستدل على الامور باسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم واسباب

Marfat.com

معتادة وهذه الاضرب كلها تسمى كهانة وقد اكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم واتيانهم (قال فى) كتاب الفتاوى (التاتارخانية) فى فقه الحنفية (من قال بحدوث صفة من صفات الله تعالى) كالعدم القدرة ونحو ذلك (فهو كافر) بالله تعالى ولهذا يكفر من قال بحدوث كلام الله تعالى الذى هو القرآن لانه صفته تعالى (وفيها) اى التاتار خانية (سئل) مصنفها رحمه الله تعالى باللغة الفارسية (عن قوم) من الناس (ذات بارى) اى ذات الله تعالى (جلت قدرته محل حوادث ميكويند) اى قالوا بان ذات البارى محل للحوادث (ماحكمهم قال) اى فى الجواب (كافر شدند) اى صاروا كافرين (بى) اى بلا (شك) ولاريب (وفيها) اى فى التاتار خانية (سئل عمن قال بان الله) تعالى (عالم بذاته) اى ذاته علمه (ولانقول له) صفة (العلم قادر بذاته) اى ذاته قدرته (ولانقول له القدرة وهم المعتزلة) والفلاسفة نفات الصفات (هل يحكم بكفرهم ام لا قال يحكم) بكفرهم (لانهم ينفون الصفات) بقولهم ذلك (ومن نفى الصفات فهو كافر) والحاصل ان الفائلين بان الصفات عين ذاته تعالى طائفتان محقة ومبطلة فالمبطلة المعتزلة والفلاسفة لايؤمنون ازله تعالى صفات زائدة على ذاته سبحانه عقلا بل هى عين ذاته عندهم عقلا والمحقة اهل الكمل من العارفين فانهم يقولون ان له تعالى صفات هى عين الذات بالنظر الى الامر على ماهو عليه مما لايعلمه الا الله تعالى وهى غير الذات بحسب النظر العقلى وهو محض الايمان كما بسطناه وحققناه فى كتابنا المطالب الوفية (وفيها) اى التاتارخانية (ان اعتقد ان لله) سبحانه (رجلا وهى الجارحة) اى هى جسم مركب حيث سمع قدم الجبار الوارد فى الحديث (فانه يكفر) لاعتقاده فى الله تعالى الجسمية اللازمة للحدوث وكذلك من اعتقد ان لله تعالى يدا هى جارحة اوعينا حيث ورد النص بذلك فانها صفات له تعالى لايعلم بها الاهو وهى من جملة المتشابهات والكلام فيها معروف فى محله (وفيها) اى فى التاتار خانية (ومن قال بان الله) تعالى (جسم لا كالاجسام) يعنى لايشابه جسما من الاجسام اصلا (فهو مبتدع) حيث اثبت انه جسم وهو خلاف الشرع اذلم يرد فيه ذلك (وليس بكافر) لانه قال لا كالاجسام فقال بالتنزيه فى الجملة (وفيها) اى فى التاتارخانية (ومن قال الله عالم فى السماء ان اراد به) اى بذلك القول (المكان) له تعالى (كفر) لانه قول بانه تعالى جسم كالاجسام وهو كفر (وان اراد به) مجرد (الحكاية عما جاء فى ظاهر الاخبار) كقوله تعالى ءأمنتم من فى السماء وقوله عليه السلام ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا وغير ذلك (لايكفر) لانه حكى الوارد من ذلك (وان لم يكن له نية) فى قلبه حين قال ذلك لانوى المكان لله تعالى ولانوى الحكاية (يكفر عند اكثرهم) اى العلماء (وفى) كتاب (التجنيس وهو) اى الكفر (الاصح وعليه الفتوى) لانه ظاهر فى التجسيم كما فى البزازية والمفهوم من قوله عند اكثرهم ان عند اقلهم عدم الكفر وكذلك المفهوم من قوله الاصح ان الصحيح عدم الكفر ولايحكم بالكفر متى كان فيه خلاف ولو رواية ضعيفة اوكان الكلام يحتمل معنى

﴿ صحيحا ﴾

Marfat.com

صحيحا وههنا يمكن حمله على نية سماء العقول وهى الغيب المطلق او نحو ذلك من التأويلات الحسنة فى حق الغير ولا يحكم فيه بالكفر قال فى تنوير الابصار ولا يفتى بتكفير مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن او كان فى كفره خلاف ولو رواية ضعيفة وفى جامع الفصولين روى الطحاوى عن ابى حنيفة واصحابنا رحمهم الله تعالى انه لا يخرج الرجل من الايمان الا بجود ما ادخله فيه ثم ما يتقن بانه ردة يحكم بها اذ الاسلام ثابت لا يزول بالشك مع ان الاسلام يعلو و ينبغى للعالم اذا رفع اليه هذا ان لا يبادر بتكفير اهل الاسلام مع انه يقضى بصحة اسلام المكره وقال النووى فى ادب العالم والمتعلم من مقدمة شرح المذهب يجب على الطالب ان يحمل اخوانه على المحامل الحسنة فى كل كلام يفهم منه نقص الى سبعين محملا ثم قال ولا يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق وفى طبقات الشعراوى نقل القزوينى فى كتابه سراج العقول عن امام الحرمين انه كان يقول حين يسئل عن كلام غلاة الصوفية لو قبل لنا فصلوا ما يقتضى التكفير من كلامهم مما لا يقتضيه لقلنا هذا طمع فى غير مطمع فان كلامهم بعيد المدرك وغير المسلك يغترف من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهاية الحقايق لم يحصل من دلائل التكفير على وثائق كما انشد بعضهم فى معنى ذلك

* تركنا البحار الزاخرات ورآنا * فمن اين يدرى الناس اين توجهنا *

وسئل الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى عن حكم تكفير غلاة المبتدعة واهل الاهواء والمتفوهين بالكلام على الذات المقدس فقال رحمه الله تعالى اعلم ايها السائل ان كل من خاف من الله عزوجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله اذ التكفير امر هائل صعب عظيم الخطر لان من كفر شخصا فكأنه اخبر ان عاقبته فى الآخرة الخلود فى النار ابد الآبدين وانه فى الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجرى عليه احكام المسلمين لا فى حياته ولا بعد مماته والخطأ فى ترك الف كافر اهون من الخطأ فى سفك محجمة من دم امرئ مسلم وفى الحديث لان يخطئ الامام فى العفو احب الى الله من ان يخطئ فى العقوبة ثم ان تلك المسائل التى يفتى فيها بتكفير هؤلاء القوم فى غاية الدقة والغموض لكثرة شعبها واختلاف قرائنها وتفاوت دواعيها والاستقصاء فى معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه والاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه فى الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة وذلك يستدعى معرفة طرق اهل اللسان من سائر قبائل العرب فى حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق التوحيد وغوامضه الى غير ذلك مما هو متعذر جدا على اكابر علماء عصرنا فضلا عن غيرهم واذا كان يعجز عن تحرير معتقده فى عبارة فكيف يحرر اعتقاد غيره من عبارته فمتى الحكم بالتكفير الا لمن صرح بالكفر واختاره دينا وجحد الشهادتين وخرج عن دين الاسلام جملة وهذا نادر وقوعه فالادب

Marfat.com

الوقوف عن تكفير اهل الاهواء والبدع والتسليم للقوم فى كل شئ قالوه مما يخالف صريح النصوص وقال ابن نجيم الحنفى فى البحر شرح الكنز والذى تحرر انه لا يفتى بتكفير مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن او كان فى كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة فعلى هذا اكثر الفاظ التكفير المذكورة لا يفتى بالتكفير بها وقد الزمت نفسى ان لا افتى بشئ منها اه وفى شرح الدرر ثم اذا كان فى المسئلة وجوه توجب الاكفار ووجه واحد يمنعه يميل العالم الى ما يمنعه ولا يرجح الوجوه على الواحد لان الترجيح لا يقع بكثرة الادلة ولا حتمال انه اراد الوجه الذى لا يوجب الاكفار (وفيها) اى التاتارخانية (لو قال) هكذا بالفارسية (نه مكانى) اى لا مكان (ازتو) اى منك والخطاب لله تعالى (خالى) يعنى ما فى الوجود مكان خال منك اصلا (نه تو) اى ما انت (درهيچ مكانى) اى فى مكان واحد (فهذا كفر) لان فيه نسبة المكان الى الله تعالى وهو يقتضى الجسمية فى حقه تعالى والجسمية تقتضى الحدوث وهو محال (وفيها) اى التاتارخانية (رجل قال علم خدا) اى علم الله تعالى (درهمه مكانى هست) اى موجود فى كل مكان (هذا خطأ) لان فيه ايهام حلول العلم الالهى فى المكان ولكن لما كان ذلك للعلم لا للذات والعلم صفة للذات لا تفارقها اصلا رجع معنى ذلك القول الى احاطة علمه تعالى بكل مكان فكان خطأ فى العبارة وليس بكفر (وفى) كتاب (النصاب) اى نصاب الاحتساب (والصواب) فى العبارة (ان يقول) قائل ذلك القول (كل شئ معلوم لله تعالى) فان هذه العبارة لا ايهام فيها لشئ مما ذكر (وفيها) اى فى التاتارخانية (رجل وصف الله تعالى بالفوق او بالتحت) بان قال له تعالى فوق بالنسبة اليه او تحت (فهذا تشبيه) له تعالى بالاجسام التى لها فوق وتحت فهو تجسيم لله تعالى (و) التجسيم (كفر) كما ذكرنا (وفيها) اى فى التاتارخانية (رجل قال يجوز ان يفعل الله تعالى فعلا لا حكمة فيه يكفر لانه وصف الله تعالى بالسفه) وهو العبث واللهو (وهو كفر) لانه يؤدى الى مشابهة الحوادث بانتفاء صفة الحكمة فى كل افعاله تعالى وذلك محال (وفيها) اى فى التاتارخانية (واو قال خدا اى بود) اى كان الله تعالى (وهيچ نبود) اى وما كان (و باشد) اى ويكون الله تعالى ايضا (وهيچ نباشد) اى ولا يكون شئ اصلا (فقد قيل الشطر الثانى) وهو قوله ويكون الله ولا يكون شئ اصلا (من كلام الملاحدة) الكافرين بالتمسك فقط بالعلم الباطن والاستهانة بعلوم الشريعة والدين (فان ظنهم ان الجنة وما فيها من الحور العين للفناء) والاضمحلال (وهو كفر عند بعض المشايخ) لان فيه الرد على النصوص المقتضية بقاء الجنة وما فيها وخلود اهلها من غير زوال (خطأ عظيم عند البعض) من العلماء لاحتمال ارادة الحكاية لمعنى قوله تعالى *كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام*

Marfat.com

فان كل قابل للفناء والزوال فانه فى حد ذاته زائل مضمحل واما الشطر الاول وهو قوله كان الله تعالى وماكان شئ فهو حق ثابت لقوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ماعليه كان اى لاشئ معه ايضا فى وجوده اذما عداه تعالى من الاكوان ليس له مع الله تعالى رتبة الاثنينية لا ن وجود الاكوان به تعالى لامعه وماكان به فهوله (وفيها) اى فى التاتار خانية (من انكر القيامة اوالجنة اوالنار اوالميزان اوالحساب اوالصرط اوالصحائف المكتوب فيها اعمال العباد) فانه (يكفر) لانكاره ماهو الثابت بالنصوص القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية واجمعت عليه الامة المرضية (وفيها) اى فى التاتارخانية (ومن قال ان الميزان) اى الذى يكون يوم القيامة (عبارة عن العدل فقط) اى عدل الله تعالى فى خلقه ولايكون يوم القيامة ميزان حقيقى توزن به الاعمال (فهو مبتدع) اى احدث فى الاعتقاد مالم يرد فى سنة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعهد من دين ائمة الهدى (وليس بكافر) لايمانه بالميزان فى الجملة حيث لم يكن منه صريح التكذيب للآيات والاحاديث (وفيها) اى فى التاتارخانية (من انكر عذاب القبر فهو مبتدع) اى صاحب بدعة فى اعتقاده ولم يصادم انكاره خبرا متواترا حتى يكفر فان عذاب القبر ثابت بالحديث الآحاد لا بالقرآن الاعلى احتمال فى بعض الآيات كما قدمناه ولايكفر بانكار المحتمل (ومن انكر شفاعة الشافعين يوم القيامة فهو كافر) لثبوتها بالقرآن فى عدة مواضع وينبغى ان لايكفر بانكار تفاصيل الشفاعات لثبوتها بالآحاد (وفيها) اى فى التاتارخانية (ومن قال بتخليد اصحاب الكبائر) كالزناة وشربة الخمر ونحوهم (فى النار) بحيث لايخرجون منها ابدا (فهو مبتدع) لاعتقاده مايخالف السنة مما اجمعت عليه الامة الناجية من ان عصاة المؤمنين اذاماتوا قبل التوبة كانوا فى مشيئة الله تعالى بدليل قوله تعالى *ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * ولايكفر معتقد ذلك لتمسكه بظاهر بعض الآيات والاحاديث كقوله تعالى * ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها * الآية .وقوله عليه السلام لايزنى الزانى حين يزنى وهومؤمن وان كان تمسكهم هذا غير صحيح الدلالة على زعمهم لارادة المستحل فى الاول اوالخلود بمعنى طول المدة لاالتأبيد وارادة الايمان الكامل فى الثانى اوالزانى المستحل كما تقرر فى موضعه (وفيها) اى فى التاتارخانية (لو انكر رؤية الله تعالى بعد الدخول) اى دخول اهل الجنة (فى الجنة يكفر) لانكاره ماهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة اما الكتاب فقوله تعالى * وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة * واما السنة فقوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وهو مشهور رواه احمد وعشرون من اكابر الصحابة رضى الله عنهم واما الاجماع فهو ان الامة كانوا مجمعين على وقوع الرؤية فى الآخرة وان الآيات الواردة فى ذلك محمولة على ظواهرها

Marfat.com

ثم ظهرت مقالة المخالفين وشاعت شبهاتهم وتأويلاتهم كذا ذكر السعدى شرح العقائد ثم ذكر فى موضع آخر منه قال والجمع بين قولهم لانكفر احدا من اهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القرآن اواستحال الرؤية اوسب الشيخين رضى الله عنهما ولعنهما وامثال ذلك فمشكل انتهى كلامه ويمكن ان يدفع الاشكال بان قولهم بالكفر بناء على انكار الثابت بالنص القطعى وانكاره كفر بالاجماع وقولهم بعدم الكفر فى احد من اهل القبلة بناء على ان لهم فيما قالوه تأويلا يحتمل صرف قولهم اليه فمتى قطع نظر القائل بذلك عن التأويل كان انكاره كفرا ومتى اعتبر التأويل لم يكن كفرا بل بدعة اعتقادية ارأيت ان جمع ماوقع فى كتب الفتاوى من كلمات الكفر التى صرح المصنفون فيها بالجزم بالكفر لايجوز الفتوى بشئ منها اذا كان له تأويل يحتمل عدم الكفر اوكان فيه خلاف واورواية ضعيفة كما قدمناه فيكون الكفر فيها محمولا على ارادة قائلها المعنى الذى علم انه الكفر فيها واذالم تكن ارادة قائلها ذلك فلا كفر بها (وكذلك) يعنى كما ذكر (لوقال لااعرف عذاب القبر فهو كافر) لان انكاره لعذاب القبر اقترن بنوع استهزاء على من ورد عنه ذلك وهو الشارع صلى الله عليه وسلم فى صرايح الاحاديث وان كانت آحادا لايكفر منكرها لكن اذا تضمن انكارها الاستهزاء والاستهانة بمن ورد عنه لاتعتبر هى من جهة عدم القطعية فيها ويبقى معنى الاستهزاء والاستهانة بالشارع وذلك كفر لامحالة (وفيها) اى فى التاتارخانية (يجب اكفار القدرية) وهم فرقة من الفرق الضالة وقد افترقوا الى احد عشرة فرقة (فى نفيهم كون الشر بتقدير الله تعالى) وهم فرقة يقالهم الثنوية قائلون بان الله تعالى لم يقدر الشر والمعاصى بل قالوا الخير مخلوق لله تعالى والشر مخلوق للشيطان وقد روى اللالكائى عن رافع بن خديج رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سيكون فى امتى قوم يكفرون بالله وبالقرآن وهم لايشعرون قال قلت يقولون ماذا يارسول الله قال يقولون الخير من الله والشر من ابليس وذكر الحديث كذا فى حسن التنبه فى التشبه للنجم الغزى (وفى دعواهم) يعنى القدرية (ان كل فاعل) من حيوان اوغيره (خالق فعل نفسه) دون الله تعالى وهى فرقة منهم يقال لها المعمرية اصحاب معمر ابن عباد السلمى سموا انفسهم اصحاب المعانى وهم اعظم القدرية فرية فى نفى الصفات والقدر وقالوا ان الله تعالى لم يخلق شيئا غير الاجسام والعرض من اختراعات الاجسام اما طبعا كحرق النار اواختيارا كالحيوان بحدث الحركة ذكره فى حسن التنبه (وفيها) اى فى التاتارخانية (يجب اكفار الكيسانية) وهم فرقة من فرق الشيعة اصحاب كيسان (فى اجازتهم البدا على الله تعالى) يقال بداله فى الامر بدوا وبدأ وبدأة نشأله رأى فيه كذا فى القاموس وقد قالوا مالم تقل به اليهود فان اليهود منعوا النسخ لزعمهم انه بدء وهو ممتنع على الله تعالى عندهم وهذه الفرقة اجازته على الله تعالى فكفرت (ويجب

Marfat.com

اكفار الروافض فى قولهم برجع الاموات) بعدموتهم (الى الدنيا) يضا (و) قولهم (بتناسخ الارواح) اى انتقالها من جسد الى جسد على الابد (وانتقال روح الاله الى الائمة) الاثنى عشر من اولاد على كرم الله وجهه وهم على المرتضى وحسن المجتبى وحسين الشهيد وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلى المرتضى ومحمد التقى وعلى بن محمد التقى والحسين العسكرى ومحمد المنتظر (وان الائمة) المذكورين عندهم (آلهة) لحلول الاله فيهم وهذا كله كفر لاقتضائه انكار القيمة واعتقاد الحلول فى حق الله تعالى (وبقولهم) يعنى الرافضة (بخروج امام باطن) الآن وهو الامام المنتظر عندهم وهو المهدى (وتعطيلهم الامر والنهى) بحيث لايجب على احد مراعاتهما (الى ان يخرج الامام الباطن) المذكور ولاشك فى ان ذلك كفر (وبقولهم) اى الرافضة (ان جبريل) عليه السلام (غلط فى الوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم دون على بن ابى طالب رضى الله عنه) حتى انهم يفضلون عليا على النبى صلى الله عليه وسلم (وهؤلاء لقوم) المذكورون (خارجون عن ملة الاسلام) قطعا لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (واحكامهم احكام المرتدين) حيث يدعون الاسلام ويقولون بذلك (ويجب اكفار الخوارج) وهم فرق كثيرة منهم الازارقة اصحاب نافع بن الازرق ومنهم الاباضية اصحاب عبدالله بن اباض (فى اكفارهم جميع الامة) حيث قالوا بكفر جميع المسلمين (وفى اكفارهم على بن ابى طالب وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم) قال فى حسن التنبه الازارقه اصحاب نافع بن الازرق الذين خرجوا معه بالبصرة الى الاهواز وماورائها فى ايام عبدالله بن الزبير كفروا عليا رضى الله عنه وكفروا عثمان وطلحة والزبير وعائشه وابن عباس وسائر المسلمين وكفروا من قعد عن القتال معهم واباحوا قتل اطفال مخالفيهم ونسائهم وقالوا اطفال المشركين معهم فى النار والاباضية قالوا ان مخالفيهم من اهل القبلة كفار غير مشركين (ويجب اكفار اليزيدية) وهم فرقة من جملة الفرق الخوارج الاباضية (فى تنطارنبى من العجم) خلاف العرب (ينسخ ملة محمد صلى الله عليه وسلم) وينزل عليه كتاب قد كتب فى السماء ينزل جملة واحدة وتترك الشريعة المحمدية ولاشك فى كفرهم ولاشبهة (ويجب اكفار النجارية) اصحاب الحسين بن محمد النجار (فى نفيهم صفات الله تعالى) كالمعتزلة (وفى قولهم ان القرآن جسم اذا كتب) فهو عين الحبر والقرطاس عندهم (وعرض) بالتحريك (اذا قرئ) فهو عين الحروف والاصوات لان ذلك يقتضى ان يكون مخلوقا ومن قال ان القرآن مخلوق فهو كافر على ماهو مقرر فى موضعه (وفيها) اى فى التاتارخانية (واختلف الناس) اى العلماء (فى اكفار المجبرة) وهم الجبرية الذين يقولون ان العبد مجبور وهم والقدرية فى طرفى نقيض فالقدرية يقولون ان العبد يخلق افعال نفسه والجبرية يقولون ان كل مايجرى من افعال العبد فهو

Marfat.com

فعل الله تعالى ولايثبتون للعبد كسبا واهل السنة وسط بين الطريقين لاتفريط ولاافراط ويعتقدون ان الله خالق العبد ومايعمل ويثبتون للعبد قدرة ويسمون مايصدر عنها كسبا ومنهم من يسميه اختيارا وقد اخطأ القدرية فى تسميتهم اهل السنة جبرية (فنهم) اى من العلماء (من اكفرهم) اى المجبرة لانكارهم تكليف الله تعالى لعباده وتسفيههم ذلك (ومنهم من ابى) اى ترك (اكفارهم) لتأولهم نحو قوله تعالى * الله خالق كل شئ * وقوله * لايقدرون مما كسبوا على شئ * وان كان زعمهم فاسدا وتأويلهم باطلا لكنه درأ عنهم الكفر والزمهم البدعة فى الاعتقاد والزيغ عن مذهب اهل السنة والجماعة (والصواب اكفار من لم ير) اى من لم يعتقد (للعبد) المكلف (فعلا اصلا) وانما افعاله كلها افعال الله تعالى للزوم انكار التكليف الشرعى اذ لامعنى لتكليف الجماد وانما تكليفه سفه وعبث وذلك محال على الله تعالى (ويجب اكفار معمر) بن عباد السلمى ومن تابعه (فى قوله ان الانسان غير الجسد) الظاهر (وانه) اى الانسان (حى) بحياة له مستقلة غير حياة الجسد (قادر) على فعل كل شئ (مختار) فى ذلك (وانه ليس بمتحرك ولاساكن) لكونه ليس بجسم (ولايجوز عليه شئ من الاوصاف الجائزة على الاجسام) من الكبر والصغر والطول والقصر والاتصال والانفصال والتحيز والمكان والجهة فان قوله هذا تترتب عليه قبائح كثيرة وضلالات وافرة منها انكار كون هذا الجسد المتحرك الساكن هو الانسان الذى كلفه الله تعالى بالشرايع والاحكام فيقتضى ذلك انكار التكليف وهو كفر ومنها نسبة الانسانية الى الله تعالى الموصوف بما ذكر من الاوصاف فانه تعالى حى قادر مختار ليس بمتحرك ولاساكن ولايجوز عليه شئ من صفات الاجسام ومع ذلك فهو المستولى على هذا الجسد المتجمع للانسانية التى هى صفة النفس الناطقة وهى روح وعقل ونفس حيوانية ونفس نباتية ونفس جمادية ولايقال انه اراد بالانسانية الروحانية اللطيفة الحاملة للجسد التى وصفها الامام الغزالى وغيره بقوله الروح مجرد غير حال فى البدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق ويدبر امره على وجه لايعلمه الا الله تعالى لانا نقول انه اوراد ذلك لما قال حى قادر مختار فان الروح لاتوصف بالحياة والقدرة والاختيار الا باعتبار الجسد فالجسد يصير حيا بالروح ويصير قادرا مختارا بها ولا وجود للارواح المجردة عند اهل السنة اصلا بل لابد من الاجساد اما الاجساد الدنيوية العنصرية اوالبرزخية انورانية اوالظلمانية ومنها انه يلزم من هذا القول ان الجسد المتحرك الساكن اذا فعل من المعاصى والكفر ما عسى ان يفعل لايكون مؤاخذا بذلك اذ ليس هو الانسان والمكلف بالاجتناب انما هو الانسان ومنها انه يلزم من ذلك عدم امكان الامتثال لامر الله تعالى والاجتناب عن نهيه اذ الانسان المكلف بذلك غير الجسد فكيف يمتثل ويجتنب

Marfat.com

ومنها انه يلزم من ذلك ان يكون امتثال التكاليف واجبا على الانسان بمجرد التفكر بدون فعل الجسد فاذا امتثل تفكرا سقط عنه الامر واكتفى عن النهى وهذه كلها امور ملغية لاحكام الله تعالى فهى موجبة للكفر (ويجب اكفار قوم من المعتزله بقولهم ان الله تعالى لا يرى شيئا) من الاشياء اصلا (ولا يرى) بالبناء للمفعول اى لا يراه احد فان الاول انكار لقوله تعالى *الم يعلم بان الله يرى* والثانى انكار لرؤية الله تعالى فى الآخرة وذلك كفر لامحالة (ويجب اكفار شيطان الطاق) وهو لقب محمد بن النعمان ابى جعفر الاحول رأس الفرقة النعمانية من فرق غلاة الرافضة (فى قوله ان الله تعالى لا يعلم شيئا الا اذا اراده وقدره) فيلزم على هذا الزعم الباطل انه تعالى لا يعلم الا خلقه ولا يعلم ذاته سبحانه ولا صفاته ولا اسماءه ولا احكامه لانه لم يقدر ذاته ولا اراد ها ولا قدر صفاته ولا اسماءه ولا احكامه ولا تعلقت ارادته بذلك لان ذاته تعالى قديمة وكذلك صفاته واسماؤه واحكامه قديمات ازليات والقديم لا يتعلق به الارادة ولا التقدير وهذا نفى لعلم الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة فكان كفرا (وفيها) اى فى التاتارخانية (من يقول بقول جهم) بن صفوان وهو اول من قال بخلق القرآن كان كوفى الاصل فصيح اللسان ولم يكن له علم ولا جالس اهل العلم بل كان يكلم المتكلمين ويجالس الدهرية حتى شك فى الاسلام ومكث اربعين يوما لا يصلى وقيل له صف لنا ربك الذى تعبده فدخل البيت ومكث اياما ثم خرج اليهم فقال هو هذا الهواء مع كل شئ وفى كل شئ ولا يخلو منه شئ فقتل على بدعته باصبهان فلما ضربت عنقه اسود وجهه ذكره النجم الغزى فى حسن التنبه (فهو خارج عندنا) معشر اهل السنة والجماعة (من الدين) المحمدى (فلا نصلى عليه) اذا مات (ولا نتبع جنازته) لكفره بالله تعالى العظيم قال الامام ابو زرعة الرازى حدثت عن العلا بن سويد قال ذكر جهم عند عبدالله بن المبارك فقال شعرا

* عجبت لشيطان الناس داعيا * الى النار واشتق اسمه من جهنم *

وروى ابو نعيم فى الحلية عن على بن الحسن بن شقيق قال قال عبدالله بن المبارك ايها الطالب علما انت حماد بن زيد

*فاطلب العلم بحلم * ثم قيده بقيد * لا كثور وجهم * وكعمرو بن عبيد *

يعنى بثور ثور بن يزيد وكان هو وعمرو بن عبيد قدريين وروى بن ابى حاتم عن سعيد بن احمد صاحب ابى اسحاق الفزارى قال انما خرج جهم سنة ثلاثين ومائة فقال القرآن مخلوق فاكفره العلماء كذا فى حسن التنبه (واما صنف القدرية الذين يردون العلم) اى علم الله تعالى (فكذلك عندنا) يعنى خارجين من الدين لا نصلى عليهم ولا نتبع جنائزهم اذا ماتوا لكفرهم بذالك (وتفسير) اى بيان (رد العلم) الذى يقولون به (انهم يقولون ان الله تعالى يعلم كل شئ

Marfat.com

عند كونه) اى وجود ذلك الشئ (وكذلك كل شئ يكون) اى يوجد (عند كونه) اى وجوده وعلم الله تعالى به مقارن لوجوده فكما ان وجوده لا يتقدم عليه علمه تعالى به لا يتقدم ايضا عندهم (واما الشئ الذى لم يكن) اى لم يوجد (فانه لا يعلم) اى لا يعلمه الله تعالى (حتى يكون) اى يوجد (فهـؤلاء) القائلون بهذه المقـالة الباطلة (كفار) حيث نفوا علم الله تعالى بالاشياء قبل وجودها وحكموا بحدوث علمه سبحانه حيث كان مقارنا للاشياء الحادثة فى الوجود (لا نتزوج من نسائهم ولا نزوجهم) من نسائنا لردتهم بدعواهم الاسلام مع هذه المقـالة ولا يجوز تزوج المرتدة ولا تزويج المرتد (ولا نتبع جنائزهم) اذا ماتوا لكفرهم بذلك (واما المرجئة) من الفرق الضالة (فانه ضربا) اى نوعا (منهم يقولون نرجى) اى نكل (امر المؤمنين والكافرين الى الله تعـالى) من غير ان يقطعوا لاحد بثواب او عقاب (فيقولون الامر) عندنا (فيهم) اى فى المؤمنين والكافرين موكول (الى الله) تعالى (يغفر لمن يشـاء من المؤمنين والكافرين ويعذب من يشاء) من المؤمنـين والكافرين ايضـا (ويقولون له) اى لله تعالى (الآخرة والاولى) كما قال الله تعالى * وان لنا للآخرة والاولى * فيفعل مايشاء ويحكم ما يريد (فكما نرى انه) سبحانه وتعالى (يعذب من يشاء من المؤمنين فى الدنيا وينعم من يشاء من الكافرين) فيها (وذلك منه) سبحانه وتعالى (عدل) فى الحكم (فكذلك فى الآخرة) ينعم من يشاء من المؤمنين والكافرين ويعذب من يشاء من المؤمنـين والكافرين (فيسوون حكم الآخرة والاولى) اى الدنيـا (فهولاء ضرب من المرجئة وهم كفار) حيث انكروا وعد المؤمنين ووعيد الكافرين وساووا بين من لم يسـاو الله تعالى بينهم حيث قال سبحانه تعالى * ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصـالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجـار * الى امثال ذلك من الآيات والاحاديث الدالة على القطع للمؤمنين بالجـنة وللكافرين بالنار من غير شك ولا تردد واجمعت جماعة المسلمين على ذلك من غير شبهة (وكذلك الضرب الآخر) من المرجئة (الذين يقـولون حسناتنـا) التى نعملهـا كلها (متقبلة) اى مقبولة عنـد الله تعالى قطعا (وسيئـاتنا) التى نأتى بها جميعها (مغفورة) لا يؤاخذنا الله تعـالى على شئ منها لانا مؤمنون والايمان كاف عن جميع الطاعات (والاعمال) كلها التى كلف الله تعالى بها عباده (ليست بفرائض) بل كلها نوافل يتخير العبدين فعلهـا وتركها (ولا يقرون بفرائض الصلاة والزكاة والصيام وسائر) اى بقية (الفرائض) كالحج والجهاد وبر الوالـدين (ويقولون هذه) كلها (فضائل) زائدة (من عمل بهـا حسن) يعـنى له الثواب على عمـله (ومن لم يعمل) بشئ من ذلك (فلا شئ عليـه) من العقـاب (فهولاء ايضا) اى كالضرب الاول (كفار) لانكارهم العقاب على السيئات بوجه القطع وجحودهم الفرائض القطعية

﴿ واما ﴾

Marfat.com

(واما المرجئة الذين يقولون لانتولى) اى لانتخذ اولياء يعنى لانساوى فى الايمان (المؤمنين المذنبين ولانتبرأ منهم) ايضا (فهؤلاء المبتدعة) لحكمهم بان الذنوب تنقص من حقيقة الايمان بحيث يصير المذنب لامؤمن خالص ولا كافر خالص وهذا بدعة فى الاعتقاد (ولانخرجهم بدعتهم) هذه (من الايمان الى الكفر) لعدم استلزامها جحود شئ من القطعيات (واما المرجئة الذين يقولون نرجى) اى نفوض ولكل (امر المؤمنين الى الله) تعالى يعنى المذنبين وغيرهم (فلا ننزلهم) اى لا نجعل لهم على وجه القطع (جنة ولا نارا ولانتبرأ منهم ونتولاهم) اى نتخذهم اولياء اى مساوين لنا (فى الدين فهم على السنة) النبوية والطريقة المرضية (فالزم قولهم وخذ به) فانه حق وهم الذين اخذوا بقوله تعالى * ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * وتسموا بقوله تعالى * وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم * الآية (واما الخوارج) من الفرق الضالة (فمن لم يرد قولهم شيئا من كتاب الله) تعالى وسنة نبيه القطعية (وكان خطأهم فى قولهم (على وجه التأويل) وهو تفسير الكلام باحد محتملاته (يتأولون ان الاعمال) من الفرائض وغيرها (ايمان) فهم (يقولون ان الصلاة ايمان وكذا الصوم والزكاة) كل واحدة ايمان ايضا (وكذلك جميع الفرائض) من الحج والجهاد وغيرهما (والطاعات) من الواجبات والنوافل (فمن اتى بالايمان بالله) تعالى (وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) اتى بفعل (جميع الطاعات) المفروضة وغيرها (فهو مؤمن ومن ترك شيئا من الطاعات) المفروضة (كفر ويقولون الزانى يكفر حين يزنى) اى فى وقت زناه (وشارب الخمر يكفر حين يشرب) اى فى تلك الحالة اخذا من ظاهر قوله عليه السلام لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن (وكذا يقولون فى جميع مانهى الله عنه) من فعله فانه يكفر حين فعله قياسا على مافى الحديث (يكفرون الناس) اى المسلمين (بترك العمل) من فعل المنهى عنه وترك المأمور به (فهؤلاء تأولوا) الاخبار الشرعية (واخطأوا) فى تأولهم ذلك (فهم مبتدعة) مخالفون باعتقادهم لعقائد اهل السنة والجماعة وليسوا بكافرين (فاياك) ياايها المؤمن المتابع لسنة النبى صلى الله عليه وسلم فى الاعتقاد والقول والعمل (وقولهم) ذلك فتباعد عنه (ولاتقل بقولهم) اصلا (واجتنبهم) اى لاتخالطهم (واحذرهم) ان يفتنوك بشئ من زخارف مذهبهم (وفارقهم وخالفهم) تسلم منهم (واما من لم ير المسح على الخفين) من الروافض والشيعة ويرون المسح على أرجلهم من غير خفين (فقد رغب) اى اعرض (عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) حيث كان المسح على الخفين سنته عليه السلام كما وردت به الاحاديث المشهورة القريبة من التواتر (فهو عندنا) معشر اهل السنة

Marfat.com

والجماعة (مبتدع) لمخالفة السنة النبوية ولهذا لما سئل ابو حنيفه رضى الله عنه عن مذهب اهل السنة والجماعة قال هو ان تفضل الشيخين وتحب الختنين وترى المسح على الخفين فالشيخان ابو بكر وعمر والختنان عثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين فالختن زوج البنت (فلا تتخذه) اى من لم ير المسح على الخفين (اماما فى صلاتك) لاحتمال انه مسح على رجليه حيث يتعين عليه ذلك فى مذهبه فيبطل وضوءه فلا تصح صلاته فتكون اقتديت بمحدث (ولا توقره) اى تعظمه (ولا تختلف) اى تتردد (اليه) فتخالطه وتجالسه (فانه صاحب بدعة) وقد ورد النهى عن مجالسة المبتدع فى الدين ففى الحديث من انتهر صاحب بدعة ملأ الله تعالى قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة آمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الاكبر ذكره فى الشرعة (انتهى) اى كلام صاحب التاتارخانية (فعليك ايها السالك) فى طريق الله تعالى (بالجد) اى الاجتهاد (والتشمير) اى المبادرة والمسارعة (فى تحصيل) مقام (اليقين) وهو السكون واطمئنان القلب (بمذهب اهل السنة والجماعة والاذعان) اى الانقياد والتسليم (له) اى للمذهب المذكور (وغاية التيقظ) من غباوة الذهول (والتنبه) من نوم الغفلة (والتضرع) اى التوسل (والاستعانة بالله تعالى) فى احوالك كلها وامورك جميعها (حتى لا تزل) من الزلل وهو الخطأ (قدمك ولا يزول اعتقادك) الحق الذى فى قلبك (باضلال مضل) من شياطين الانس والجن (وتشكيك مشكك) يدخل عليك شبهة فيفسد عليك دينك ويكدر صفاء مشربك (فانى قد سمعت) باخبار المحدثى (عن بعض متصوفة) اى مدعين التصوف وليسوا بصوفية على الجد (زماننا) وهو عصر التسعمائة الذى كان فيه المصنف رحمه الله تعالى (حكى عن شيخه ان واحدا من اقربائه) اى اقرباء الشيخ او الحاكى (يرى الله) سبحانه وتعالى (فى كل يوم مرة او مرتين وان موسى عليه السلام مع كونه كليم الله لم يتيسر له ذلك) يعنى رؤية الله تعالى (وقيل له) اى قال تعالى له (لن ترانى) حين طلب الرؤية بقوله * رب ارنى انظر اليك * اعلم ان رؤية الله تعالى فى الدنيا بالبصر جائزة من وجهين الاول قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام *رب ارنى انظر اليك * فانه دال على جواز الرؤية والا يلزم الجهل او العبث على موسى عليه السلام لانه ان لم يعلم امتناعها لزم الجهل وان علم وسأل لزم العبث ومثل موسى عليه السلام لا يجوز ان يكون جاهلا بوصف من اوصاف الله تعالى او يكون عابثا بالله تعالى والوجه الثانى قوله تعالى *فان استقر مكانه فسوف ترانى *علق رؤيته على استقرار الجبل واستقرار الجبل ممكن والمعلق على الممكن ممكن فتكون الرؤية ممكنة كذا فى شرح الصحائف وقال السعد فى شرح المقاصد والاستدلال فى الآية من وجهين احدهما انه لو لم تجز الرؤية لم يطلبها موسى عليه السلام واللازم باطل بالنص والاجماع والتواتر وتسليم الخصم وجه الملازمة انه ان كان عالما بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز

Marfat.com

كان طلبه الرؤية عبثا واجتراء لا يليق بالانبياء عليهم السلام وان كان جاهلا لم يصلح
ان يكون نبيا وكلاهما باطل وثانيهما انه علق الرؤية على استقرار الجبل وهو ممكن
فى نفسه ضرورة والمعلق على الممكن ممكن لان معنى التعليق ان المعلق يقع على تقدير
المعلق عليه والمحال لا يقع على شئ من التقادير انتهى وحيث ثبت انها جائزة فى الدنيا
بالبصر فهل هى واقعة لاحد ام لا قال الشيخ علوان بن عطية الحموى فى شرح
الشيبانية اعلم ان فصل الخطاب هنا ان رؤية الله تعالى جائزة عقلا ولكنها مع جوازها
عقلا هل هى واقعة حسا جائزة شرعا اولا هذا محل النظر والذى نراه والله اعلم بغيبه
انها غير واقعة بالبصر لغير سيدنا محمد سيد البشر صلى الله عليه وسلم ولو وقعت لاعطيها
الكليم ومن المعلوم ان آخر مقامات الولاية اول مقامات الصديقية وآخر مقامات
الصديقية اول درجات النبوة وآخرها اول درجات الرسالة وآخرها اول درجات
اولى العزم الذين من جملتهم موسى عليه السلام ولم يظفر بالرؤية على المشهور
عند الجماهير من السلف والخلف مع اختلافهم فى وقوعها وثبوتها للنبى الفاتح
الخاتم صلى الله تعالى وسلم ليلة الاسراء فبين منكر من الصحابة كعائشة ومن وافقها
رضى الله عنهم فقد صرحت بتكذيب من نسب ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم
كما رواه مسلم وبين معترف بها مسلم لها كابن عباس واتباعه رضى الله عنهم وكل
منهم اخبر عما وصله واعتقده فكيف يظفر بها عن دونهم فى الرتبة واسفل منهم
بكثير فى الدرجة والمشهور عند علماء الظاهر والباطن كالقشيرى والغزالى وغيرهما
ان الشهود والرؤية انما هما بالقلب دون المقلة فى هذه الدار الفانية لان البصر
فان والحق باق ولا يرى الباقى بالفانى فاذا كان يوم القيامة ركبوا تركيبا باقيا فكانت
ابصارهم باقية فصح ان يرى الباقى بالباقى ونحو هذا منقول عن الامام مالك
مستحسن منه وقال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى كتابه
انشاء الجداول والدوائر لكل شئ فى الوجود اربع مراتب الا الله تعالى فان له
فى الوجود المضاف الينا ثلاث مراتب المرتبة الاولى وجود الشئ فى عينه وهى
المرتبة الثانية بالنظر الى علم الحق تعالى بالمحدث المرتبة الثانية وجوده فى العلم
وهى المرتبة الاولى بالنظر الى علم الله تعالى بنا والمرتبة الثالثة وجوده فى الالفاظ
وللمرتبة الرابعة وجوده فى الرقم ووجود الله سبحانه وتعالى بالنظر الى علمنا على هذه
المراتب ماعدا مرتبة العلم الثانية يعنى وجوده فى عينه هذا هو الادراك الذى
حصل بايدينا اليوم ولا ادرى اذا وقعت المعاينة البصرية المقررة فى الشرع هل
يحصل فى نفوسنا اثبات او مزيد وضوح فى جنس العلم الذى بايدينا اليوم منه فى علمنا به
سبحانه وتعالى فان كان كذلك فليس له الا ثلاث مراتب وان كان يوجب النظر
اثباتا فى الدار الآخرة وحيث وقعت المعاينة لمن وقعت فصفه بالمرتبة الرابعة وقال

Marfat.com

فى عقيدة اهل الاختصاص من اول كتاب الفتوحات المكية متعلق رؤيتنا الحق تعالى ذاته سبحانه ومتعلق علمنا به اثباته الها با لاضافات والسلوب فاختلف فلا يقال فى الرؤية انها مزيد وضوح فى العلم لاختلاق المتعلق وان كان وجوده غير ماهيته فلا ننكر ان معقولية الذات غير معقولية كونها موجودة انتهى كلامه فانظر كيف فرق بين العلم بالله تعالى وبين رؤيته وقد صرح ان الذى بايدى العارفين اليوم انما هو العلم بالله سبحانه لا رؤيته تعالى والرؤية انكشاف آخر غير انكشاف العلم ومن اشتبه عليه الفرق سمى العلم رؤية وادعى الرؤية فى الدنيا وهو باطل وقال اللاقانى فى شرح جوهرته لم تقع رؤية الله تعالى فى الدنيا لغيره صلى الله عليه وسلم على خلاف فيها وفى موسى عليه السلام خلاف ايضا والاصح انه لم ير واقتضى جواب القاضى ابى بكر وحكاه ابو فورك عن الاشعرى انه رأى هو والجبل بخلق حياة ورؤية فيه فمن ادعاها غيرهما فى الدنيا بقظة فهو ضال باطباق المشايخ وفى كفره قولان والذى جزم به الكواشى والمهدوى كفره ونقل جماعة الاجماع على انها لا تحصل للاولياء فى الدنيا والصواب مع ناقل الخلاف نعم المنع ارجح قولى الاشعرى وقد صرح ابو عمرو ابن الصلاح وابو شامة والكلاباذى بتكذيب مدعيها بقظة فى الدنيا وان مدعى ذلك لم يعرف الله تعالى قال العلامة القونوى فان صح عن احد من المعتبرين وقوع ذلك امكن تأويله ان غلبات الاحوال تجعل الغائب كالشاهد حتى اذا كثر اشتغال السر بشئ واستحضاره له صار كأنه حاضر بين يديه كما هو معلوم بالواجدان لكل احد وعليه يحمل ما نقل عن ابن عمر وغيره رضى الله عنهم انه كان يطوف حول البيت فسلم عليه انسان فلم يرد عليه فشكاه الى عمر رضى الله عنه فقال كنا نتراءى الله تعالى فى ذلك المكان ومنه اخذان هذا الحال قد يتفق فى زمان دون زمان ومكان دون مكان وقال الشيخ علوان رحمه الله تعالى فى شرح الشيبانية فكذب مدعى الرؤية هنا مما كان يطبق عليه الخاص والعام لاسيما ممن يكون متمسكا بالاوهام غير متخلق ولا متحقق بقواعد الاسلام ففسقه لكذبه فى دعاويه وافتراؤه فيما يحكيه واضح لاشك فيه واما التجلى والاستتار فى اصطلاح القوم فامرهما مشهور واما كفره وزندقته فنكله الى الله العليم بحقائق الامور على ان صاحب الانوار صرح بكفره حيث قال فى باب الردة ولو قال انى ارى الله ويكلمنى شفاها كفر اه والحاصل ان الاحتياط فى عدم التكفير لمدعى ذلك خصوصا والمسئلة اذا كان فيها خلاف لا يفتى بالتكفير فيها كما قدمناه ولكن الكذب والفسق والضلال ثابت له ان لم يتب من دعوى ذلك وسبب دعوى الرؤية عدم المعرفة بالفرق بين العلم بالله تعالى وبين رؤيته سبحانه فيظن الجاهل انه اذا علمه تعالى فقد رآه وربما ادعى ان رؤية كل موجود بحسبه فرؤية الموجود الحق تعالى هى العلم به فان اعترف قائل ذلك بالرؤية الواردة فى الشرع وانها تكون فى الآخرة على وجه

﴿ لا يعلمه ﴾

Marfat.com

لايعلمه الآن فى الدنيا كان ادعاؤ ذلك فى الدنيا بتسمية العلم رؤية مجرد اصطلاح كما هو
عادة بعض الصوفية وان لم يعترف قائل ذلك بارؤية الشرعية فى الآخرة وحكم بانها
مثل رؤيته فى الدنيا التى هى العلم به تعالى فهو منكر لرؤية الآخرة ومنكر رؤية الآخرة
كافر وجميع ماوقع فى كلام الكاملين من ائمة الصوفية من اثباتهم رؤية الله تعالى فى الدنيا
مرادهم به الرؤية القلبية وهى الشهود للتجلى الالهى من قبيل قوله عليه السلام
فى مقام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومنه قول الصديق
رضى الله عنه مارأيت شيئا لاورأيت الله قبله وقول السيد عمر رضى الله عنه مارأيت
شيئا الاورأيت الله بعده وقول عثمان رضى الله عنه مارأيت شيئا الاورأيت الله معه
فالاول رأى الاشياء بالله والثانى رأى الله بالاشياء والثالث رأى الله فى الاشياء وقد ورد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولاشئ معه وهو الآن على ما عليه
كان فرأى الله وحده بلاشئ وورد عن باب مدينة العلم الامام على رضى الله عنه انه
كان يقول انا لانعبد ربا لم نره فكل من قال من الصوفية رأيت لله تعالى وانى ارى الله
تعالى مراده شهود الله تعالى بعين البصيرة لارؤيته سبحانه بالبصر حتى لولم يكن
اراد ذلك يجب على السامع ان يحمل كلامه على ارادة ذلك لئلا يسئ الظن بالمسلم
متى امكن حمل كلامه على محمل حسن مالم يصرح فيقول رأيت الله بعينى التى فى وجهى
فيحكم حينئذ عليه بالجهل وعدم معرفة الله تعالى خصوصا اذا فضل نفسه على
موسى عليه السلام بان موسى عليه السلام مارأى الله تعالى وقيل له لن ترانى وهو
رأى الله تعالى فان هذا كفر صريح فان الولى لايصل الى مرتبة النبى اصلا ولا بدانيه
كما قال الشيخ الاكبر رضى الله عنه فى كتابه شرح الوصية اليوسفية ولقد روينا عن ابى
موسى الديبلى عن ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه انه سأل الله تعالى رؤية مقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له انك لاتطيق اى نورك الذى ترى به يضعف
عن ادراك ماتطلبه من ذلك مع كون الحق فى هذه الحال بصره فكيف به لولم يكن
بصره فالح فى السؤال قال ابو يزيد ففتح لى من ذلك قدر خرم ابرة فلم اطق الثبوت
عند ذلك واحترقت هذا قوله عن نفسه وذكر الشيخ الاكبر رضى الله عنه ايضا
فى كتابه المذكور حكاية ابى يزيد فى حق المريد الذى قال له بعض اصحابه لم لاتمشى
الى بيت ابى يزيد فتراه فقال المريد رأيت الله واغنانى عن ابى يزيد فقال له الرجل
لان ترى ابايزيد مرة خير لك من ان ترى الله الف مرة بشير الى ان الحق تعالى فى معرفة
ابى يزيد اتم منه فى معرفة هذا المريد به فاراد المريد وكان صادقا ان يرى صدق هذا
القائل فاتفق ان ابايزيد مر فقال له الرجل هذا ابو يزيد فنظر اليه ذلك المريد فمات
من ساعته فقيل لابى يزيد عنه فقال كان الحق تعالى عنده على قدره وقدرنا اعظم
من قدره فعرفتنا بالله اعظم من معرفته فلما رآنى كشف الله عن بصيرته فرأى الحق

Marfat.com

على قدرنا على قدره لا فلم يطق فات اه كلامه فابو يزيد مع مقامه هذا لم يقدر ان يثبت لقدر خرم ابرة من مقام نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم فكيف من دونه من الصوفية اذا تقرر هذا وثبت عندك فاعلم ان مقام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الخاتم لمقامات النبيين والمرسلين عليهم السلام من اعلى المقامات كلها وهو الجامع لجميعها وقد ورثه في مقامه هذا اولياء كثيرون من امته يقال للواحد منهم خاتم الولاية المحمدية وكل ولي دونه على مشرب نبي من الانبياء عليهم السلام وفي كل زمان ختم ولاية واولياء دونه الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى ومن المعلوم ان جميع الانبياء عليهم السلام لم يدركوا عصر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يعرفوا ما هو متحقق به من علوم ختم النبوة وانما لهم علم النبوة الخاصة بهم وقد ورثه عليه السلام كثير من اكابر اولياء امته في علوم ختم نبوته ولم يفتهم غير النبوة فقط فيعلم الولي الوارث الكامل المحمدي بسبب ارثه لخاتم النبوة ما لم يعلمه الانبياء الاولون وان كان النبي الواحد منهم افضل من جميع اولياء الامة المحمدية اذ الفضيلة اختصاص الهي لا باعتبار كثرة العلم ارأيت بان الرجل افضل من المرأة والحر افضل من العبد ولو كانت المرأة حاوية لعلوم شتى وكان الرجل جاهلا فانه من جهة صفة للرجولية افضل من المرأة وان كانت المرأة اكثر علما منه وكذلك الحر الجاهل افضل من العبد العالم وان كان العبد اكثر علما من الحر فان الهدهد وهو طير قال لسليمان عليه السلام احطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين وكذلك قصة الخضر مع موسى عليهما السلام والخضر مختلف في نبوته وموسى من اولى العزم اجماعا وقد وجد عند الخضر علوم لم توجد عند موسى عليه السلام حتى امر موسى عليه السلام بالتعلم منه فقال له هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا الآية فلم يبعد ان يوجد عند الولي من العلم ما لم يعلمه نبي من الانبياء خصوصا على القول بولاية الخضر رضي الله عنه وانه ليس بنبي اذا تقرر لك هذا وثبت عندك فاعلم ان من هذا القبيل قول الشيخ الاكبر رضي الله عنه خضنا بحرا وقفت الانبياء بساحله فان البحر هو علم ختم الولاية الموروث من خاتم النبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والانبياء وقفوا بساحل بحر خاتم النبوة بلا شبهة لانهم لم يدركوه ولا تأخروا عنه ليخوضوا بحر علومه مثل اتباعه الوارثين له ومثله قول الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه في قصيدته التائية حيث قال

لقد خضت بحرا دونه وقف الاولى * بساحله صونا لموضع حرمتي

ومثل هذا كثير في كلام الورثة المحمديين فرؤية الله تعالى في الدنيا هي بالبصيرة القلبية كما قدمناه قد تكون في الولي الجامع اتم منها في النبي بسبب اقتباس ذلك من مشكاة محمد صلى الله عليه وسلم فربما قال الولي رأيت ما لم يره موسى عليه السلام ويريد بقلبه

Marfat.com

لابعينه فان الكلام السابق ليس فيه ذكر العين والبصر اصلا لافى نفسه ولافى موسى عليه السلام ولافى الآية ذكر ذلك فربما كان مراد القائل لمثل ماتقدم من الكلام الرؤية القلبية المسماة شهودا وعرفانا ومراده ان موسى عليه السلام طلب زيادة فى رؤيته القلبية وفى عرفانه فلم يتيسر له لان ذلك مخصوص بخاتم النبيين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبورثته الكاملين من امته من مشكاته عليه السلام ولهذا ورد ان موسى عليه السلام قال يارب اجعلنى من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى وصفهم عنده فى التوراة المنزلة عليه فيكون قائل ذلك القول مريدا لما ذكرنا ومتى احتمل الكلام صوابا لايحكم فيه بالخطأ والله اعلم بحقائق الاحوال والحاصل ان مقتضى شريعتنا هذه المبنية على الكتاب والسنة ان امر الانسان اذا احتمل الخير والشر يحمل على الخير مااامكن حتى لايبقى له تأويل اصلا ثم ما دام ذلك الانسان مدعيا الاسلام يسلم له كلامه فهو اعلم به ولا يقال له لست مسلما كما قال الله تعالى * ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا * الآية فاذا اعترف بالتحول عن الاسلام الى غيره يحكم عليه حينئذ بالردة كما قدمناه فيما سبق ولايجوز حمل كلامه على الوجه الفاسد مادام يمكن حمله على الوجه الحق (وهذا الكلام) يعنى المذكور عن بعض المتصوفة (ربما يسمعه الغافل) عن معرفة الله الجاهل بمقام شهوده تعالى على حسب مافدمناه (بغتة) اى من غير ان يسبق له تأمل فيه (فيظن انه صحيح) على حسب مايفهمه منه فى اول وهلة (او يشك) فى صحته وعدم صحته (و) الحال ان (هذا) يعنى الكلام المذكور بحسب مايفهمه الغافل اول مايطرق سمعه (تفضيل لغير النبى) وهو الولى (على موسى) ابن عمران (عليه السلام) الذى هو نبى ورسول ومن اولى العزم (بل) تفضيل لغير النبى (على جميع الانبياء) لان التفضيل على نبى تفضيل على كل نبى (فان رؤية الله تعالى اعلى المراتب) الكمالية اذلا يراه الامن هو عنده فى اعلى رتبة (و) اعلى (اللذات) الروحانية فانه لالذة اعلى من لذة رؤية الله تعالى والتمتع بشهوده سبحانه فاذا حصلت لاحد كان افضل عند الله تعالى ممن لم يحصل له ذلك (ولم تتيسر) رؤية الله تعالى ايضا (لاحد فى الدنيا) والله اعلم بذلك (سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء) والمعراج حين رقى الى السموات (وقد اختلف فيه) اى فى ثبوت ذلك له عليه السلام كما مر بيانه (وقد عرفت فيما سبق) لك فى هذا الكتاب اوائل هذا الفصل (ان اعتقاد اهل السنة والجماعة) نصر الله تعالى كلمتهم الى قيام الساعة (ان الولى) مطلقا ولو كان فى اعلى درجات القرب الى الله سبحانه وتعالى (لايبلغ درجة النبى) اصلا فالنبوة طور فوق طور الولاية كما ان الولاية طور فوق طور العقل (فضلا عن ان يتجاوزها) اى الولى درجة النبى وروى عن ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه انه شبه النبوة بظرف مملوء عسلا رشحت منه الى خارج رشحات فهى ذوق الاولياء

Marfat.com

فى مقاماتهم (وقدذكر) العلامة ابن ابى شريف (فى شرح المواقف) فى علم الكلام (و) ذكر العلامة سعد الدين التفتازانى (فى شرح المقاصد ان الاجماع منعقد) بين المسلمين (على ان الانبياء) عليهم السلام (افضل) اى اكثر فضيلة عند الله تعالى وجاها ورفعة (من الاولياء) رضى الله عنهم ولا يلزم من فضيلة الانبياء على الاولياء زيادة علم الانبياء على الاولياء فان الفضيلة فى النبوة لذاتها وهى طور مخصوص فوق طور الولاية لافضليتها لامر عرضى لها وهو العلم وليست هى العلم نفسه والا لكانت تحصل بالكسب وتعظم به وهو باطل لانه مذهب المخالفين ومذهب اهل السنة والجماعة ان النبوة موهبة من الله تعالى وكذلك عظمها لانها متفاوتة فان نبوة نبينا ليست كنبوة غيره والخضر ولى فى قول وهو على علم علمه الله تعالى له لا يعلمه موسى عليه السلام كما ورد فى حديث البخاري وغيره وقد قال تعالى عنه كما قدمناه يخاطب موسى عليه السلام وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا وقال موسى عليه السلام عن نفسه للخضر هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وسبق هذا قريبا (وذكر) السعد التفتازانى (فى شرح العقائد ان تفضيل الولى) اى اعتقاد انه اكثر فضيلة عند الله وجاها ورفعة (على النبى) مرسلا كان اولا (كفر وضلال كيف وهو) اى التفضيل (تحقير للنبى) بالنسبة الى الولى (وخرق للاجماع) حيث اجمع المسلمون على فضيلة النبى على الولى (وسمعت عن بعض) الصوفية من اهل الطريقة (الخلوتية) ولعله سمع ذلك من بعض الجهلة المنتسبين اليهم فان كل طائفة من الناس وكل طبقة منهم فيها كاملون وقاصرون وصالحون وفاسقون وابرار وفجار وليس هذا امرا مخصوصا بالصوفية فقط والذم لا يقع الا على النوع الفاسد منهم لا غير (ان ماعدا محمدا صلى الله عليه وسلم من الانبياء) عليهم السلام (لم يبلغوا) فى حضرات الكشف والشهود (مرتبة الاسم السابع) من اسماء الله تعالى (بل وقفوا فى) الاسم (السادس ولم يتجاوزوه) يعنى الأنبياء عليهم السلام (وانا) معشر الأولياء المحمديين (قد جاوزناه) يعنى الاسم السادس ولعل مراده ذوق مخصوص حصل لهم فى ذلك الاسم لم يحصل للأنبياء عليهم السلام فان اذواق الأنبياء عليهم السلام فى اسماء الله تعالى من اطوار نبواتهم لا يعلم بها غيرهم واما اذواقهم عليهم السلام فى اسماء الله تعالى من اطوار ولايتهم لانهم اولياء ايضا كما انهم انبياء فان الاولياء يعلمونها لانهم ورثوا الأنبياء فى مقامات ولاياتهم وهى العلم بالله لا فى مقامات نبواتهم لانقطاع النبوة دون الولاية الى يوم القيامة فمن ورث محمدا صلى الله عليه وسلم فى مقام ولايته كان عنده من العلم مالم يكن عند الانبياء كلهم عليهم السلام فى مقام ولاياتهم واما مقامات نبواتهم ففيها من العلوم مالا تعلمه جميع الاولياء اذ لا ذوق للاولياء فى النبوة وانما ذوقهم فى الولاية فقط (وهذا) الكلام المذكور عن بعض الخلوتية (مثل) الكلام (الاول) ربما يسمعه الغافل بغتة فيفتتن به ولا يعرف معناه ومعلوم ان الكلام

Marfat.com

اذا امكن ان يكون له معنى صحيح لايحكم بتخطئة قائله لان قائله مسلم يدعى الاسلام و يتبرأ من الكفر فلا يحكم عليه بما هو متبرئ منه مع الحكم بصحة ايمان المكره والمسلم لايكره احدا على الكفر وانما اذا حملته الغيرة يكره على الاسلام والحاصل ان غاية مايكون فى هذا الكلام انه كلام غلاة الصوفية وهم القاصرون منهم اصحاب الشطح الذين فيهم رعونة نفسانية وعندهم من تعنتاتهم بقية واى بقية وربما قالوا ذلك فى مقام السكر والغيبة فيعذروا وسبق الكلام من امام الحرمين فى شأنهم (وقال) يعنى القائل الاول من الحلوتية (ان ابابكر رضى الله عنه لم يبلغ مرتبة الارشاد) الى الله تعالى والدلالة عليه (وانا نجاوز مرتبة الاصحاب) اى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام تأويله ايضا كما ذكرنا فان الفضيلة ايضا التى فى ابى بكر رضى الله عنه على سائر امة محمد صلى الله عليه وعلم ليست بالعلم وانما بشئ وقر فى صدره شهد له النبى صلى الله عليه وسلم به وهو نفسه الزكية المخصوصة بنوع من القرب الالهى لايكون فى الصديقين كلهم الى يوم القيامة والصديقية فيه رضى الله عنه من جملة احواله فلا مانع ان يكون عند من هو دونه فى الفضيلة من الاولياء معرفة بكيفية الدلالة على الله تعالى وزيادة صناعة فى الارشاد اليه سبحانه لم يكن ذلك عند رضى الله عنه كما ان على بن ابى طالب كرم الله وجهه باب مدينة العلم النبوى دون ابى بكر رضى الله عنه فى الفضيلة كما قال عليه السلام انا مدينة العلم وعلى بابها وليست هذه المزية فى ابى بكر رضى الله عنه مع انه افضل من على كرم الله وجهه وكذلك مزية عمر رضى الله عنه وكون الشيطان يفر من ظله وكون رأيه وافق نص الكتاب العزيز مع ان ذلك لم يكن لابى بكر رضى الله عنه وهو افضل من عمر رضى الله عنه واما قوله بمجاوزة مرتبة الاصحاب فهو من قبيل قول ابن عبد البر بانه قد يوجد فى غير الصحابة من هو افضل من بعض الصحابة واستدل على ذلك بما ورد من الاحاديث فى المسئلة كما ذكره فى المواهب اللدنية وغيرها وان كان الاوفق فيه ان يقال ان فضيلة الصحبة امر ذاتى ايضا لايعادله فضيلة اصلا واما من غير الصحبة فقد يوجد فى غير الصحابة من هو افضل من بعض الصحابة وعلى كل حال فالمتعين التأويل فى كلام اهل الاسلام خصوصا اهل التصوف من فقراء طريق الله تعالى والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى (وهذا) القول المذكور فى ابى بكر رضى الله عنه على حسب مايظهر من معناه للغافل الجاهل فى اول وهلة (قدح فى افضل الاولياء) وهو ابو بكر رضى الله عنه (وطعن) اى تنقيص (فى افاضل هذه الامة المحمدية وهم الصحابة رضى الله عنهم اجمعين فانهم من حيث الصحبة افضل من جميع الامة وان امكن ان يفضلهم غيرهم من حيث العلم واطلق ابن عبد البر فى امكان ان يفضلهم غيرهم مطلقا كما ذكرنا (بل) طعن (فى سيدنا وسيد الاولين والآخرين رسول الله) محمد (وحبيب رب العالمين) صلى الله عليه وسلم حيث كان ذلك فى الانبياء

Marfat.com

وفى الصحابة وقد بين عليه السلام فضيلة الانبياء وفضيلة الصحابة على من سواهم فيلزم تكذيبه والطعن فيه وهذا كله على حسب فهم الغافل الجاهل الذى لا يعرف ذلك فربما يعتقد صحة القدح والطعن المذكورين فيقع فى مهواة من التلف فى الدين والتحذير من ذلك بالتنبيه على مواضع الخطأ ليحترز منه لا فى احد بعينه من شأن العلماء العاملين واما الحكم بذلك فى احد معين فهو شأن الجاهلين المتعصبين بل الفاسقين الفاجرين (وقد خرج) اى اسند (خم) يعنى البخارى ومسلم فى صحيحهما باسنادهما (عن عمران بن حصين و) عن (ابن مسعود رضى الله عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال خير الناس قرنى) القرن اربعون سنة او عشر او عشرون او ثلاثون او خمسون او ستون او سبعون او ثمانون او مائة او مأتة وعشرون والاول اصح لقوله عليه السلام لغلام عش قرنا فعاش مأته سنة كذا فى القاموس (ثم) القرن (الذين يلونهم) اى يتبعونهم بعدهم (ثم) القرن (الذين يلونهم) اى يتبعونهم (ثم يفشو) اى يظهر ويكثر (الكذب) فى الاقوال والاحوال والاعمال وهو خلاف الصدق فى ذلك وكان هذا فى اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع كما اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (فلا تعتمدوا اقوالهم) اى لا تعتنوا بها ولا تصدقوها (و) لا تعتمدوا (افعالهم) ايضا ولا تغتروا بها لان غالبها بدع وضلالات وهذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم عن الفرق المبتدعة والدعاة الى الضلال والمخالفين لجماعة السلف الصالحين فى الاعتقاد والاعمال لا عن مطلق الاختلاف مع الاجتماع فى التمسك بالكتاب والسنة والاجماع كاختلاف المجتهدين بالعقول المنورة فى مسائل الشريعة المطهرة واختلاف الصوفية المحققين بالبصائر والقلوب فى المعارف والحقائق المتلقاة عن علام الغيوب مع اجتماع الكل فى الاسلام للامر على ما هو عليه والاعتراف بانه على حسب استعدادهم فى جميع ما ذهبوا اليه وكلامنا هذا عن المجتهدين والصوفية من حيث هم موجودون فيما يعلمهم الله تعالى الى يوم القيامة من غير تعيين احد بعينه الا من اجمع المسلمون على عد التهم والشهادة لهم بالصدق فى العلم والتصوف كالائمة الاربعة وبقية المجتهدين الماضين ممن انقطعت الآن مذاهبهم لقلة النقلة لها وأئمة التصوف الكاملين كالجنيد البغدادى والسرى السقطى ومعروف الكرخى وغيرهم من أهل الولاية ومن لم يقع الاجماع من المسلمين على تصديقهم فى مقاماتهم ومشاربهم ولم يظهر لنا نحن وحدنا كمالهم فيما هم بصدده لا نخوض فيهم بشئ من التنقيص والاعابة وان خاض فى ذلك غيرنا ممن قبلنا ومن هو اكبر منا واما لوظهر لنا وحدنا كمالهم وصدقهم فى درجات القرب كانوا عندنا مساوين للقسم الاول الذين اجمعت عليهم الامة وكنا فى ذلك كمن رأى هلال رمضان وحده ورد قوله فانه يجب عليه الصوم ولا يباح له الافطار هذا اعتقادنا وعملنا ما عشنا ولا نخوض

Marfat.com

مع الحائضين (وخرجم) يعنى الامام مسلما فى صحيحه باسناده (عن عائشة رضى الله عنها انه سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم اى الناس خير قال) صلى الله عليه وسلم (القرن الذى انا فيهم) وهم الصحابة رضى الله عنهم اجمعين (ثم) القرن (الثانى) الذى فيه التابعون رضى الله عنهم (ثم) القرن (الثالث) الذى فيه التابعون للتابعين رضى الله تعالى عنهم اجمعين (وخرجاخم) يعنى البخارى ومسلما باسنادهما (عن) ابى سعيد (الخدرى رضى الله عنه انه قال) يعنى الخدرى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا اصحابى) يامعشر الامة المتأخرين (فان احدكم) اى الواحد منكم (لوانفق مثل) جبل (احد ذهبا) يعنى فى سبيل الله تعالى (مابلغ) ذلك (مداحدهم) اى مد اصحابى (ولانصيفه) اى نصيف ذلك المد قال فى القاموس النصف مثلثة احد شقى الشئ كالنصيف (وخرجت) يعنى الترمذى باسناده (عن عبد الله بن مغفل) انه قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله) منصوب على التحذير اى احذروا الله احذروا الله وكرر للتأكيد (فى اصحابى) اى فى حقهم وحق ماوقع بينهم من المخالفات الاجتهادية والحروب المنبعثة عن الحمية الدينية فى نصرة الاحكام الشرعة (لاتتخذوهم غرضا) محركة وهو هدف يرمى فيه والجمع اغراض كذا فى القاموس اى لاتجعلوهم موضعا لرمى سهام الطعن فيهم منكم والاصابة عليهم (من بعدى) الى يوم القيامة (فمن احبهم) اى الصحابة رضى الله عنهم (فبحبى) اى بسبب حبه لى (احبهم) فان من احب احدا احب جميع من يحبه ذلك الاحد والالم يكن يحبه (ومن ابغضهم) اى واحدا منهم (فببغضى) اى بسبب بغضه لى (ابغضهم ومن آذاهم) فى حياتهم او بعد مماتهم فى انفسهم او اهلهم او مالهم او عرضهم او دينهم او عقلهم او مقامهم او نحو ذلك (فقد آذانى) لانهم اصحابه صلى الله عليه وسلم وقرناؤه فى الدنيا والقرين على حالة قرينه والمرء على دين خليله (ومن آذانى فقد آذى الله) سبحانه وتعالى لانه عليه السلام رسول الله تعالى وقدر الرسول من قدر المرسل فتعظيمه من تعظيمه واهانته من اهانته (ومن آذى الله) سبحانه (يوشك) ويشك الامر ككرم سرع كوشك واوشك اسرع السير كواشك ويوشك الامر ان يكون وان يكون الامر ولاتفصح شينه اولغة ردية كذا فى القاموس (ان يأخذه) بالاهلاك والدمار (وخرجم) يعنى مسلما فى صحيحه باسناده (عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر وعمر رضى الله عنهما) يعنى اخبر عنهما اوقال لهما مشيرا اليهما (هذان سيدا كهول) جمع كهل وهو من وخطه الشيب اومن جاوز الثلاثين اواربعا وثلاثين الى احدى وخمسين كذا فى القاموس (اهل الجنة) مع ان اهل الجنة كلهم جرد مرد ابناء ثلاث وثلاثين فكلهم كهول (وللشيخين سيادة عليهم بمقتضى هذا الحديث وحديث الحسنين انهما سيدا شباب اهل الجنة فاهل الجنة كلهم شباب لوجود رونق ايام الشباب

Marfat.com

فى صفة كهوليتهم فهم كهول فى السن وشباب فى رونق الخلقة واستقامتها فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن اهل الجنة انهم كهول مرة وانهم شباب مرة اخرى وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير عن السمهودى ان طول آدم وكونه امرد وهو اجمل الناس ثابت لكل من دخل الجنة فيشمل من مات صغيرا بل جاء مايقتضى ثبوت جميع ذلك للسقط فروى البيهقى بسند حسن عن المقداد ما من احد يموت سقطا ولا هرما وانحاء الناس فيما بين ذلك الا بعث ابن ثلاث وثلاثين فان كان من اهل الجنة كان على مسحة آدم وصورة يوسف وقلب ايوب ومن كان من اهل النار عظم كالجبال (من الاولين) بيان لكهول اهل الجنة (والاخرين الا النبيين والمرسلين) فان سيادتهم لا يعادلها سيادة (وخرج ت) يعنى الترمذى باسناده (عن) ابى سعيد (الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبى الا وله وزيران) الوزير الذى يحمل الثقل ويعين بالرأى (من اهل السماء ووزيران من اهل الارض فاما وزيراى من اهل السماء فجبريل وميكائيل) عليهما السلام (واما وزيراى من اهل الارض فابو بكر وعمر) رضى الله عنهما (وخرج خ) يعنى البخارى باسناده (عن محمد بن الحنفية) وهو ابن الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه من غير فاطمة من جارية اخذها الامام على رضى الله عنه من سبى بنى حنيفة جماعة مسيلمة الكذاب (قلت لابى) يعنى لعلى رضى الله عنه (اى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت ان اقول ثم من فيقول عثمان قلت ثم انت قال ما انا الا رجل من المسلمين) قال العراقى فى شرح الفية الحديث واختلف اهل السنة فى الافضل بعد عمر رضى الله عنه فذهب الاكثرون كما حكاه الخطابى وغيره الى تفضيل عثمان على على رضى الله عنهما وان ترتيبهم فى الفضيلة كترتيبهم فى الخلافة واليه ذهب الشافعى واحمد بن حنبل كما رواه البيهقى فى كتاب الاعتقاد عنهما وهو المشهور عند مالك وسفيان الثورى وكافة أئمة الحديث والفقهاء وكثير من المتكلمين كما قال القاضى عياض واليه ذهب ابو الحسن الاشعرى والقاضى ابو بكر الباقلانى وذهب اهل الكوفة كما قال الخطابى الى تفضيل على على عثمان رضى الله عنهما وروى باسناده الى سفيان الثورى انه حكاه عن اهل السنة من اهل الكوفة وحكى عن اهل السنة من اهل البصرة افضلية عثمان فقيل فما تقول فقال انا رجل كوفى ثم قال وقد ثبت عن سفيان فى آخر قوليه تقديم عثمان وممن ذهب الى تقديم على على عثمان ابو بكر بن خزيمة وقد جاء عن مالك التوقف بين عثمان وعلى كما حكاه المازرى عن المدونة ان مالكا سئل اى الناس افضل بعد نبيهم فقال ابو بكر ثم قال او فى ذلك شك قيل له فعلى وعثمان قال ما ادركت احدا ممن اقتدى به يفضل احدهما على صاحبه وزى الكف عن ذلك وفى رواية فى المدونة حكاها القاضى عياض

Marfat.com

افضلهم ابو بكر ثم عمر وحكى القاضى عياض قولا ان مالكا رجع عن التوقف الى القول الاول قال القرطبى وهو الاصح ان شاء الله تعالى (وخرجت) يعنى الترمذى باسناده (عن عائشة رضى الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاينبغى لقوم فيهم ابو بكر ان يؤمهم غير) اى يصلى بهم اماما فى جميع الصلوات والمعنى لايتقدم عليه غيره من بقية الصحابة رضى الله عنهم وفى ذلك اشارة الى انه احق بالخلافة بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهكذا كان فانه لم يتقدم عليه احد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجمعت الصحابة على خلافته من غير اختلاف بينهم فى ذلك (وخرجت) يعنى الترمذى باسناده (عنها ايضا) اى عن عائشة رضى الله عنها (ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ابو بكر سيدنا) اى له السيادة علينا بالسبق الى الاسلام واستحقاق الخلافة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالاجماع (وخيرنا) اى الاكثر خيرا منا (واحبنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الذى يحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر منا (وخرجت) يعنى الترمذى باسناده (عن جابر) بن عبد الله (رضى الله عنه انه قال عمر لابى بكر رضى الله عنهما ياخير الناس بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اكثر الناس خيرا (وقال) فى كتاب الفتاوى (فى التاتارخانية) فى فقه الحنفية (لو قال) رجل (عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم لم يكونوا اصحابا) للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لايكفر) لعدم ثبوت صحبتهم بطريق التواتر بل بالاحاديث الاحاد ولايكفر منكر الآحاد (و) انما (يكون مبتدعا) لمخالفته لاهل السنة والجماعة (ويستحق اللعنة) التى تلحق المخالفين ممن سلك غير سبيل المؤمنين (ولو قال ابو بكر الصديق) رضى الله عنه (لم يكن من الصحابة كفر لان الله تعالى سماه) يعنى ابابكر رضى الله عنه فى القرآن (صاحبا بقوله اذ يقول) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) وهو ابو بكر رضى الله تعالى عنه (لاتحزن ان الله معنا) بالعصمة والمغفرة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ماظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه ذكره البيضاوى فقد ثبت بالنص المتواتر انه صحابى فمن انكر صحبته فقد انكر النص فيكفر (وفى) الفتاوى (الظهيرية) لظهير الدين المرغينانى قال (ومن انكر امامة ابى بكر الصديق رضى الله عنه) اى خلافته بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامة (فهو كافر فى) القول (الصحيح) لاجماع الامة على ذلك من غير خلاف احد يعتد به (وكذلك من انكر خلافة عمر رضى الله عنه فى اصح الاقوال) لانكار الاجماع القطعى ايضا (انتهى) اى كلام الفتاوى الظهيرية (الفصل الثانى) من الفصول الثلاثة المشتمل عليها الباب الثانى من ابواب الكتاب الثلاثة (فى) بيان

Marfat.com

اقسام (العلوم المقصودة) فى الشرع (لغيرها) من الطاعات فليس المراد منها تعلمها وانما المراد العمل بمقتضاها ولايمكن ذلك الابتعلمها كالطهارة مثلا للصلاة لايمكن عمل الصلاة بدونها (وهى) اى تلك العلوم المذكورة (ثلاثة انواع) علوم (مأمور بها) المكلف فيعصى بتركها (و) علوم (منهى عنها) فيحرم عليه تعلمها (و) علوم (مندوب اليها) فيثاب على تعلمها ولايعاقب على الجهل بها (النوع الاول) من الثلاثة انواع (فى) العلوم (المأمور بها وهو) اى هذا النوع (صنفان الاول) فى العلوم التى هى (فروض العين) بحيث اذا علمها البعض لاتسقط عن الباقين بل هى فروض على كل احد من المكلفين بعينه (وهو) اى هذا الصنف من العلوم يشمله اسم واحد وهو (علم الحال) اى الامر والشان الذى يتقلب فيه المكلف ليلا ونهارا بتقليب الله تعالى له على حسب ماهو مقدر عليه فى علم الله تعالى من الاقوال والاعمال والاعتقادات تقليبا منسوبا الى المكلف نسبة حسية شرعية لاحقيقية ايمانية (قال الله تعالى فاسئلوا) يعنى يا ايها المكلفون بالاحكام الشرعية الظاهرية والباطنية (اهل الذكر) اى العلم قال ابن جبل فى مختصر تفسير الرازى والمراد بالذكر العلم اى اسئلوا من له علم وتحقيق (ان كنتم لاتعلمون) قال البيضاوى وفى الآية دليل على وجوب المراجعة الى العلماء فيما لايعلم (وخرج مج) يعنى ابن ماجه باسناده (عن انس) بن مالك (رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وللعلم اطلاقات متباينة ويترتب على ذلك اختلاف الحد والحكم كلفظ العالم والعلماء ومن هنا اختلفوا فى فهم هذا الحديث وتجاذبوا معناه فمن متكلم يحمل العلم على علم الكلام ويحتج لذلك بانه العلم المتقدم رتبة لانه علم التوحيد الذى هو المبنى ومن فقيه يحمله على علم الفقه اذ هو علم الحلال والحرام ويقول ان ذلك هو المتبادر من اطلاق العلم فى عرف الشرع ومن مفسر ومن محدث وامكان التوجيه لهما ظاهر ومن نحوى يحمله على علم العربية اذ الشريعة انما تتلقى من الكتاب والسنة وقد قال الله تعالى *وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم * فلابد من اتقان علم البيان والتحقيق حمله على مايعم ذلك من علوم الشرع كذا ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير وهذا المعنى الاخير الجامع للكل هو المناسب هنا (وقال فى) كتاب (تعليم المتعلم ويفترض على) الانسان (المسلم) رجلا كان او امرأة (طلب) علم (مايقع له فى حاله) اى امره وشانه (فى اى حال كان) حال اقامة او حال سفر او حال صحة او حال مرض وغير ذلك مما يتوالى عليه فى مدة عمره (فانه لابد له) اى لذلك المسلم (من الصلاة) خمس مرات فى اليوم والليلة (فيفترض عليه علم مايقع له فى صلاته بقدر مايؤدى به فرض الصلاة) من مسائل الطهارة ومعرفة اقسام المياه ومعرفة شرائط الصلاة واركانها (ويجب) وجوبا دون الفرض (عليه) اى على ذلك المسلم علم مايقع له فى صلاته (بقدر مايؤدى به الواجب)

Marfat.com

من واجبات الصلاة (لان) علم (ما يتوصل به) من الشرائط والاركان (الى اقامة الفرض يكون فرضا و) علم (ما يتوصل به الى اقامة الواجب) الذى هو دون الفرض (يكون واجبا) وعلى هذا ايضا علم ما يتوصل به الى اقامة السنة والمستحب يكون سنة ومستحبا (وكذلك) الحكم (فى الصوم والزكاة ان كان له مال) بان ملك النصاب من العين او الماشية (والحج ان وجب) اى افترض (عليه) بان قدر على السفر بالزاد والراحلة (وكذلك) الحكم (فى) مسائل (البيوع ان كان يتجر) اى يستعمل التجارة لابد ان يتعلم احكامها المشروعة (انتهى) اى ما نقله من كتاب تعليم المتعلم (ثم قال) يعنى صاحب تعليم المتعلم (وكل من اشتغل بشئ من المعاملات) بين الناس كالاجارة والمزارعة والمساقاة والوديعة والعارية والنكاح والطلاق والبيع والقرض ونحو ذلك (و) بشئ من (الحرف) جمع حرفة وهى الصناعة لانه يخالط الناس فى حرفته بالضرورة (يفترض عليه علم التحرز عن) تناول (الحرام فيه) اى فى ذلك الشئ الذى اشتغل به (وكذلك يفترض عليه) اى على المسلم (علم احوال القلب) ومايعتريه من الاخلاق الجميلة ليتحرز عن ضدها بتعلمها (من التوكل) على الله تعالى (والانابة) اى الرجوع اليه سبحانه (والخشية) منه سبحانه (والرضاء) عنه تعالى فى كل افعاله واحكامه (فانه) اى ذلك المسلم (واقع) مدة عمره (فى جميع الاحوال) القلبية المذكورة وغيرها وكذلك الاحوال البدنية فى المعاملات ولا محيص له عنها كيف ما كان (انتهى) ما نقله عن تعليم المتعلم (ثم قال) يعنى فى تعليم المتعلم ايضا ولم ينسب ذلك كله اليه مرة واحدة لنقله عنه فى مواضع متفرقة (وكذلك) الحكم (فى سائر) اى بقية (الاخلاق) الانسانية (نحو الجود و) ضده (البخل والجبن) بالضم (و) ضده (الجراءة) اى الشجاعة (والتكبر و) ضده (التواضع والعفة) ويضاددها الشح (والاسراف و) ضده (التقتير) اى التقليل (وغيره) من انواع الاخلاق الحسنة والسيئة كالسماحة والحرص والمحبة والبغض (فان الكبر والبخل والجبن والاسراف حرام) بلا خلاف (ولا يمكن التحرز عنها) بطريق الاكتساب (الا بعلمها وعلم ما يضاددها) بما ذكر حتى يكون المكلف تاركها بقصده واختياره فيكون ذلك مجاهدة منه فى نفسه فان المجاهدة فى النفس عبادة ولا تحصل لاحد الا بالعلم وهى فرض على كل مكلف (فيفترض على كل انسان علمها) ليؤدى به فرضها قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من مات ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر قال الشيخ ابن علان الصديقى رضى الله عنه فى شرح حكم ابى مدين قدس الله سره ولقد صدق فيما قال فاى شخص يا اخى يصوم ولا يجب بصومه واى شخص يصلى ولا يجب بصلاته وهكذا سائر الطاعات (انتهى) ما نقله من تعليم المتعلم (حاصله) اى حاصل ما ذكر كله (ان العلم) لكل حال من الاحوال (تابع للمعلوم) اى لحكم ذلك الحال المعلوم (فان) كان ذلك

Marfat.com

الحال المعلوم (فرضا اوحراما ففرض) اى فالعلم به فرض للامتثال فى الاول والاجتناب فى الثانى (وان) كان ذلك الحال المعلوم (واجبا) دون الفرض (اومكروها فواجب) اى فتعلمه واجب للعمل به فى الاول والكف عنه فى الثانى (وان) كان ذلك الحال المعلوم (سنة فسنة) اى فتعلمه سنة (وان) كان (نفلا فنفل) كذلك فكل حال من الاحوال حكم تعلمه مثل حكمه (وكذلك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) فى الفرض فرض وكذلك فى الحرام وفى الواجب واجب وفى المكروه وفى السنة سنة وفى النفل نفل (غير انهما) اى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (على سبيل الكفاية) اى فرض كفاية بحيث اذا قام به البعض يسقط عن الباقين (وعلم الحال) بالتفصيل المذكور (على سبيل العين) اى فرض عين كما قدمناه (ومنه) اى من علم الحال (اعتقاد اهل السنة والجماعة الذى سبق ذكره) فى الفصل الذى قبل هذا (و) كذلك منه (تنويره) اى انارته بمعنى اضاءته واذهاب ظلمة القصور فيه (بالاستدلال) على كل مسئلة من مسائله (للخروج عن) ربقة (التقليد) فيه الى افضاء النظر وكون علم الحال جميعه بانواعه لايمكن القيام به والتحرز عن المنهيات منه الا بتعلمه و معرفة ابحاثه ومسائله امر محقق فى قضية اكتسابه وتحصيله بطريق المجاهدة المفروضة كما ذكرنا والا فان التوفيق الذى اجمع الامة على ثبوته وكونه امر اواقعا فى الخلق لمن شاء الله تعالى لايحتاج صاحبه معه الى العلم بشئ من ذلك كله اصلا و هو خلق القدرة على الطاعة فى العبد بحيث يصير العبد مطيعا لربه ظاهرا وباطنا ومنتهيا عما لايرضى به ربه فى ظاهره و باطنه بالهام من الله تعالى له ان يكون كذلك وان لم يكن له معرفة بكمال هذه الحالة عند الله تعالى فضلا عن تحصيلها بتعلمها من غيره وهى المقصود الشرعى من المكلف سواء حصلت بالتحصيل اوبالالهام وضد هذه الحالة الخذلان والعياذ بالله تعالى فانه ضد التوفيق وهو وجود فى الخلق ايضا كالتوفيق لمن شاء الله تعالى وهو خلق القدرة على المعصية فى العبد فيصير العبد عاصيا لربه فى ظاهره اوباطنه منهمكا فى المعاصى بالهام من الله تعالى له ايضا كما قال تعالى * فالهمها فجورها وتقواها * وان لم يكن له معرفة بنقصان هذه الحالة عند الله تعالى وهذان الحالتان حالة التوفيق وحالة الخذلان لايخلو عنهما العبد اصلا فان كل انسان اما موفق اومخذول وقد يوفق فى وقت و يخذل فى وقت وقد يوفق لعمل ويخذل عن عمل وفى كتاب مواقع النجوم للشيخ الاكبر محى الدين بن العربى رضى الله عنه التوفيق مفتاح السعادة الابدية والهادى بالعبد الى سلوك الآثار النبوية والقائد له الى التخلق بالاخلاق الالهية من قام به غنم ومن فقده حرم وهو نور يضعه الله فى قلب من اصطنعه لنفسه واختصه لحضرته وانما هو به تحصيل النجاة و به تنال الدرجات ومع انه سر موهوب ونور فى قلب المؤمن موضوع فان ارادة العبد من جهة

Marfat.com

العلم بخصائصه وحقائقه متعلقة بجود الله سبحانه وتعالى فى تحصيله منه والاتصاف به فقد يحصل للعبد بتلك الارادة فيتخيل انه كسبى وان دعاءه الله فيه وارادته اياه سبب فى حصوله وماعلم ان تلك الارادة التى حركته لطلب التوفيق من التوفيق فانها من آثاره ولولاه لم يكن ذلك فان ارادة التوفيق من التوفيق ولكن لايشعر لذلك أكثر الناس فاذا تقرر هذا فيكون الانسان انما يطلب على الحقيقة كمال التوفيق من الموفق الواهب الحكيم ومعنى كمال التوفيق استصحابه للعبد فى جميع احواله من اعتقاداته وخواطره واسراره ومطالع انواره ومكاشفاته ومشاهداته ومسامراته وافعاله كلها الا انه يتجزى ويتبعض فانه معنى من المعانى القائمة بالنفس فنقصه الذى يطلق عليه انما هو ان يقوم بالعبد فى فعل من الافعال ويحرمه فى فعل آخر وكذلك زيادته استصحابه لجميع افعال العبد وقد بان علة سؤاله فى التوفيق من الله تعالى وتبين ان التوفيق لم يكن عنده معدوما عند سؤاله لله سبحانه وتعالى فيه وهو تفعيل من الموافقة وهو معنى يقوم بالنفس عند طرو فعل من افعاله الصادرة عنه على اختلافها يمنعه من المخالفة للحد المشروع له فى ذلك الفعل لاغير فكل معنى كان حكمه هذا يسمى التوفيق فلو وافق حال العاصى حقه المشروع له لم يكن عاصيا واذا انتفت الموافقة فى حال ما مشروع كانت المخالفة لان المحل لايعرى عن الشئ اوضده وقد يقوم بالعبد المؤمن التوفيق فى فعل ما والمخالفة فى فعل آخر فى زمن واحد كالمصلى فى الدار المغصوبة او كمن يتصدق وهو يغتاب او يضرب احدا فى حال واحد واشباهه فلهذا ماسال العبد الاكمال التوفيق يريد استصحابه له فى جميع احواله كلها حتى لا يكون منه مخالفة اصلا ثم بسط الكلام ثم قال واول مقامات التوفيق الاختصاصى اشتغالك بالعلم المشروع الذى ندبك الشارع الى الاشتغال بتحصيله وآخرها حيث يقفك فان تممت لك المقامات حصلت فى التوحيد الموحد نفسه بنفسه الذى لايصح معه معقول وان نقصت لك فبعض الحضرات الوجودية واللطائف الجودية فلا حياة مع الجهل ولا مقام ثم قال فالتوفيق اذا صح وتحيحه بتحصيل العلم فاذا حصل له وصح توفيقه انتج الانابة والانابة منتجة التوبة والتوبة تنتج الحزن والحزن ينتج الخوف والخوف ينتج الاستيحاش من الخلق والاستيحاش من الخلق ينتج الخلوة والخلوة تنتج الفكرة والفكرة تنتج الحضور والحضور ينتج المراقبة والمراقبة تنتج الحياء والحياء ينتج الادب والادب ينتج مراعات الحدود ومراعات الحدود تنتج القرب والقرب ينتج الوصال والوصال ينتج الانس والانس ينتج الادلال والادلال ينتج السؤل والسؤال ينتج الاجابة وتسمى جميع هذه المقامات المعرفة فى اصطلاح بعض اصحابنا والعلم فى اصطلاح بعضهم ولايصح شئ من هذه المقامات الا بعد تحصيل العلم الرسمى والذوقى فالرسمى كعلوم النظر وهو ما يتعلق باصطلاح العقائد وكعلوم الخبر وهو ما يتعلق بك من الاحكام الشرعية ولايؤخذ منها الا قدر الحاجة والذوقى علم نتايج المعاملات

Marfat.com

والاسرار وهو نور يقذفه الله تعالى فى قلبك تقف به على حقائق المعانى الوجودية واسرار الحق فى عباده والحكم المودعة فى الاشياء وهذا هو علم الحال انتهى كلامه فاذا تأملت قوله واول مقامات التوفيق الاختصاصى اشتغالك بالعلم المشروع وقوله ايضا فالتوفيق اذا صح وتصحيحه بتحصيل العلم وقوله ولا يصح شئ من هذه المقامات الا بعد تحصيل العلم الرسمى والذوقى علمت بالبديهة ان الامر الذى يخرج العبد من الكفر الى الاسلام ومن الفسق الى الصلاح توفيق من الله تعالى للعبد ايضا غير التوفيق الاختصاصى الذى اول مقامات الاشتغال بالعلم المشروع وغير التوفيق الصحيح من جميع وجوهه الذى ينتج المقامات المذكورة وليس من شرط حصول هذا النوع من التوفيق للعبد الاشتغال بالعلم المشروع بل يحصل منة من الله تعالى على العبد فينقى باطن العبد من الاخلاق المحرمة وظاهره من الافعال المنهى عنها سواء كان للعبد شعور بذلك اولم يكن واما التوفيق الاختصاصى الذى ينتج المقامات المذكورة فلا بد فيه اولا من الاشتغال بعلم القدر المهم من العلم الرسمى والذوقى وياليت شعرى لو انهمك الانسان طول عمره فى الاشتغال بالعلم الرسمى الذى هو الآن عند علماء الظاهر كما نشاهد انهماكهم فيها ليلا ونهارا فهل يمكن ذلك الانسان ان يعمل بمقتضى ما علمه من ذلك الا بتوفيق الله تعالى له بان يلهمه سبحانه العمل بما علم ويقدره على ذلك واذا خذله فلم يلهمه العمل المفروض عليه فملا وكفا وهو قد علمه وكذلك الواجب والمسنون فاذا ينفعه علمه بذلك وقد رأينا من يغتر بعلم الاحكام الشرعية فيعلمها ويعلمها للناس ولا يعمل بها هو فى نفسه حتى اوقع فى قلب الجاهلين ان المقصود العمل والعمل كيف ما كان يكون فتراهم يأخذون كلاما ويعطون كلاما وافعالهم اقبح من افعال الجاهلين وهم من اعلم العالمين فكأنهم غير مطالبين الا بالعلم فقط وكان العلم هو دخول الجنة والنجاة من النار لا غير ولا تراهم يطالبون الناس الا بالعلم وحده فالامام يحفظ شروط الامامة وشروط الصلاة واركانها وما لا بد له من ذلك لاحتمال ان يمتحنه احد فيجد عنده العلم بذلك ومن لم يحفظ ذلك عندهم فصلاته باطلة سواء عمل بذلك اولم يعمل وكأنه متى علم ذلك فقد ثبت عندهم عمله بها قطعا ومتى لم يعلم ذلك فقد ثبت عندهم عدم عمله بها قطعا ولا يحتمل عندهم انه اذا لم يعلمها أن يوفقه الله تعالى للعمل من دون علمها فينكرون التوفيق فى الناس قطعا واحقر الناس عندهم فقراء الصوفية المشغولون بذكر الله تعالى على حسب ما اقامهم الله تعالى فيه من جهر او مخافتة ونحو ذلك مما قصدهم به وجه الله تعالى والاعمال بالنيات فتراهم يذمونهم اقبح الذم لكونهم لم يتركوا ذكر الله تعالى ويشتغلوا بتعلم مسائل الفقه وينهمكوا فيها ويصيروا مثلهم يحفظون كلاما ما يقولونه كلما ارادوا الافتخار به فيما بينهم على بعضهم بعضا من غير عمل بذلك فترى الرجل منهم يسهل على نفسه ويشدد على غيره بضد ما كان عليه السلف الصالحون واذا رأوا مسئلة فيها وجه للتشديد

Marfat.com

وثبوا عليها واخذوها يشددون بها على امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واذا رأوا مسئلة فيها سهولة كتموها عن الناس واخفوها وقالوا لايقال هذا بين العوام فيريدون بالناس مالايريد الله تعالى بهم حيث قال تعالى * يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر والله بكل شئ عليم * والحاصل انه يفترض تعلم العلم الظاهر مقدار مايحتاج اليه المكلف فى اعتقاده ومعاملاته بينه وبين الله تعالى وبينه وبين الناس لاجل ان يعمل بذلك كله وليس العمل بمقتضى ذلك مشروطا بالتعلم وانه لايمكن الابالتعلم بل بتوفيق الله تعالى للعمل الصالح لارادته تعالى امر كائن لامحالة الى يوم القيامة ولافرق بين من علم جميع ذلك ومن لم يعلم شيئا منه فى انه محتاج للمقصود وهو التوفيق للعمل بمقتضى العلم ومن لم يوفقه الله تعالى فهو مخذول فكما ان من علم جميع مايحتاج اليه من مسائل دينه ربما لايوفقه الله تعالى للعمل بمقتضى ذلك فيكون مخذولا كذلك من لم يعلم شيئا من مسائل الدين وكان اميا لايقرأ ولايكتب ربما يوفقه تعالى للعمل الصالح فيعمل بمقتضى جميع ماتعلمه العلماء وهو لايشعر بذلك ويكون موفقا فيكون عندالله تعالى اعظم من الاول لانه موفق والاول مخذول وقد حرم الله تعالى التجسس وسوء الظن وكشف عورات المسلمين فكل مسلم على هدى وتقى وان كان جاهلا بالعلم الظاهر لان المقصود التوفيق للعمل الصالح وهو لايقدر العالم ان يستجلبه بعلمه ولايمتنع عن الجاهل بسبب جهله والعلم غير مقصود لذاته اصلا خصوصا علم العمل فلم يبق فى العلم الا انه حجة الله تعالى على العبد ولهذا ورد فى الحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وقال المناوى فى شرحه لان عصيان العالم عن علم ولذا كان المنافقون فى الدرك الاسفل لكونهم جحدوا بعد العلم وكان اليهود شرا من النصارى لكونهم انكروا بعد المعرفة وقال الغزالى فالعلم لايهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد فمن لم ينفعه علمه لاينجو منه رأسا برأس هيهات فخطره عظيم وطالبه طالب النعيم المؤبد اوالعذاب السرمد لاينفك عن الملك اوالهلك فهو طالب الملك فى الدنيا فان لم تتفق له الاصابة لم يطمع فى السلامة (الصنف الثانى) من الصنفين (فى) العلوم التى هى (فروض الكفاية) بحيث اذا علمها البعض سقط عن الباقين واذا تركها الكل اثموا والمتبادر ان فرض العين افضل من فرض الكفاية لانه مفروض حقا للنفس فقط فهو اهم عندها واكثر مشقة فهو اكثر فضيلة وفرض الكفاية مفروض حقا للكافة والفاعل من جملتهم والامر اذا عم خف واذا خص ثقل ونقل العينى فى عمدة القارى شرح البخارى عن امام الحرمين انه قال فى كتابه المعانى ان فرض الكفاية عندى افضل من فرض العين من حيث ان فعله مسقط للحرج عن الامة باسرها وبتركه يعصى المتمكنون منه كلهم ولاشك فى عظم

Marfat.com

وقع ماهذه صفته (وهو) اى هذا الصنف من العلوم (مايتعلق بحال غير) اى غير العالم به (اعنى) اى اقصد بذلك علم (الفقه كله) يعنى المقدار الذى لايحتاج اليه المكلف مما زاد على الضرورة فان مقدار الحاجة هو علم الحال الذى سبق انه فرض عين وهذا علم الزائد على ذلك لاحتياج غيره اليه بحسب حال الغير (و) كذلك علم (التفسير) اى تفسير القرآن حتى لاتخلو البلاد ممن يعرف معانى كلام الله تعالى لاحتمال ترتب الاحوال على ذلك بعروض شبهة لاحد فى معنى آية من الآيات (و) كذلك علم (الحديث) اى حديث النبى صلى الله عليه وسلم من جهة اصطلاح المحدثين وضبط متن الحديث فان فيه مايشتبه فلابد ان يكون فى البلاد من يعرف معانى ذلك وان كان علم الفقه على اختلاف مذاهب المجتهدين فيه غنية اليوم للمقلدين يتعلمون منه احكام احوالهم فيستغنون عن البحث فى معانى الآيات والاحاديث (و) كذلك تعلم (الاصوليين) اصول الاعتقاد وهو علم الكلام واصول الفقه فانه لابد من وجود من يعرف ذلك المذكور لاحتمال ظهور مبتدع فى الاعتقاد اومن يشكك فى مسئلة من الفقه فيرد عليه بادلة علم الكلام وبالقواعد الاصولية التى فرع الفقه عليها (و) كذلك علم (القراءة) بمعرفة اختلاف وجوهها وان كان الحاجة داعية الى اتقان وجه واحد منها فى اقامة الصلاة لاحتمال تصويب اللحن فى جاهل بشئ من ذلك (واما) علم (الحساب فيحتاج اليه) ايضا (فى كثير من المسائل) الفقهية كاموال الزكاة والديات (خصوصا) مسائل (الفرائض) والوصايا (ولذا قالوا) اى العلماء (هو) اى علم الحساب (ربع العلم لانه نصف الفرائض) والفرائض نصف العلم كما ورد فى الحديث لان للانسان حالة حياة وحالة موت والفرائض علم حالة الموت فهى نصف العلم (فلايبعد ان يكون) علم الحساب (فرض كفاية) لان قسمة التركة وان امكنت بدون معرفة علم الحساب فى غالب المسائل فبعض الوقايع من المناسخات وغيرها لابد فيها من استعمال الصناعة الحسابية فالامر محتاج اليه فى الجملة فى حق الكافة (وصرح) الامام ابوحامد محمد (الغزالى رحمه الله تعالى به) اى بكونه فرض كفاية (فى) كتاب (الاحياء واما علوم العربية) وهى اثنى عشر علما علم النحو وعلم المعانى وعلم البيان وعلم اللغة وعلم الاشتقاق وعلم العروض وعلم القافية وهذه الثمانية اصول والاربعة الباقية فروع وهى علم الخط وعلم قرض الشعر وعلم الانشا وعلم المحاضرات والتواريخ (ففى) كتاب (بستان العارفين) لابى الليث السمرقندى رحمه الله تعالى (اعلم ان العربية لها فضل على سائر) اى بقية (الالسنة) المختلفة وهى لسان اهل الجنة قال فى المبتغى بالغين المعجمة لسان اهل الجنة العربية والفارسية وقيل الناس يتكلمون قبل دخول الجنة بالسريانية وبعده فيها بالعربية (فمن تعلمها) اى للغة العربية (اوعلمها غيره) من الناس (فهو مأجور) اى مثاب على ذلك (لان الله

Marfat.com

تعالى انزل القرآن بلغة العرب) كما قال تعالى *قرآنا عربيا غير ذى عوج* (فمن تعلمها فانه يفهم بها ظاهر القرآن) العظيم حيث هو مترجم بها واما باطنه واسراره ففهمهما موقوف على البصيرة المنورة بانوار الشهود والعيان فى مقام الاحسان (و) ظاهر (معانى الاخبار) اى الاحاديث النبوية والآثار المصطفوية (انتهى) اى ما نقله عن كتاب بستان العارفين (والذى يقتضيه الاصل) المقرر عند العلماء (اعنى) اى اقصد بالاصل (ان ما) اى الذى (يتوصل به الى) تحصيل (الفرض) من اى نوع كان من انواع العبادات فهو (فرض وكذلك فى الواجب) ما يتوصل به اليه فهو واجب (وغيره) اى الامر المسنون والمستحب فما يتوصل به اليهما فحكمه كحكمهما (كونها) اى علوم العربية (فرض كفاية لان العلوم الشرعية) المترجمة من قبل الشارع الذى هو النبى العربى صلى الله عليه وسلم (متوقفة عليها) فلا تفهم الا بها قال الحليمى لا ينبغى لاحد اطلاق لسانه بتفضيل العجم على العرب بعد ما بعث الله تعالى افضل رسله من العرب وانزل آخر كتبه بلسان العرب فصار فرضا على الناس ان يتعلموا لغة العرب ليعقلوا عن الله امره ونهيه ومن ابغض العرب او فضل العجم عليهم فقد آذى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اسمعه فى قومه خلاف الجميل ومن آذاه فقد آذى الله تعالى ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير للسيوطى (النوع الثانى) من الانواع الثلاثة (فى) العلوم (المنهى عنها) فى الشرع (وهو) اى هذا النوع (ما) اى الذى (زاد على قدر الحاجة من علم الكلام) لتحسين الاعتقاد على طبق مذهب اهل السنة والجماعة واقامة الادلة على ذلك عقلا ونقلا والزائد المنهى عنه هو الخوض فى مذاهب الفرق الضالة لابنية الرد عليهم ولا بقصد دفع شبه المخالفين التى يوردونها فى امور الادلة العقلية (و) ما زاد على قدر الحاجة من (علم النجوم) كالمقدار المتعلق بالمغيبات المستقبلة والتكلم على الكوائن الزمانية (اما الاول) وهو ما زاد على قدر الحاجة من علم الكلام (فقد قال فى الخلاصة) من كتب الفتاوى (تعلم علم الكلام) وهو معرفة العقائد الصحيحة عن ادلتها العقلية والنقلية وسمى علم الكلام لا بعنوان مباحثه كان قولهم الكلام فى كذا وكذا ولان مسئلة الكلام كانت اشهر مباحثه واكثرها نزاعا وجدالا حتى ان بعض المتغلبة قتل كثيرا من اهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن ولانه يورث قدرة على الكلام فى تحقيق الشرعيات والزام الخصوم كالمنطق للفلسفة ولانه اول ما يجب من العلوم التى انما تعلم وتتعلم بالكلام فاطلق عليه هذا الاسم لذلك ثم خص به ولم يطلق على غيره تميزا ولانه انما يتحقق بالمباحثة وادارة الكلام من الجانبين وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب ولانه اكثر العلوم خلافا ونزاعا فيشتد افتقاره الى الكلام مع المخالفين والرد عليهم ولانه لقوة ادلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من العلوم كما قال لاقوى الكلامين هذا هو الكلام ولانه لابتنائه على الادلة القطعية المؤيد

Marfat.com

اكثرها بالادلة السمعية اشد العلوم تاثيرا فى القلب وتغلغلا فيه فسمى بالكلام المشتق من الكلم وهو الجرح كذا فى شرح العقائد للسعد (والنظر) اى التأمل (فيه) اى فى علم الكلام (والمناظرة) اى المباحثة والمجادلة (وراء قدر الحاجة) فى تحقيق المذهب الحق ورد الشبه عنه وابطال زيغ الزائغين بان زاد على ذلك قصد استجلاء مباحث الفرق الضالة ومحبة الاطلاع على مناقشاتهم لاهل السنة والجماعة (منهى عنه) لانه يورث الشك فى الدين ونقصان مرتبة اليقين كمن يتعب فى مداواة نفسه وقد ضريها بالسكين (وقال فى) الفتاوى (البزازية ودفع الخصم) من المعتزلة وغيرهم (واثبات المذهب) الحق بالادلة النقلية والبراهين العقلية امرهم (يحتاج) بالبناء للمفعول (اليه) فى نصرة الدين فليس هو من القدر المنهى عنه (وفى) الفتاوى (التاتارخانية) فى فقه الحنفية وعبارتها (وفى النوازل) اسم كتاب من كتب الفتاوى (قال ابو نصر) من ائمة الحنفية (بلغنى ان حماد بن ابى حنيفة) النعمان صاحب المذهب رضى الله عنهما (كان يتكلم) اى يخاصم ويجادل (فى علم الكلام) مع الناس (فنهاه عن ذلك) ابوه الامام (ابو حنيفة) رضى الله عنه (فقال له ابنه قد رأيتك تتكلم فى علم الكلام فما بالك تنهانى عنه قال) له ابوه رضى الله عنه (يابنى كنا نتكلم) فى ذلك (وكل واحد منا) فى حالة التكلم (كان الطير على رأسنا) كناية عن عدم حركة الرأس فان من كان الطير على رأسه لا يحرك رأسه لئلا يطير الطير عنه وهو مثل يضرب لكمال التأنى فى الامور والتؤدة فيها والسكون والوقار وعدم الاستعجال (مخافة ان نزل) اى نخطئ فان الزلل فى هذا العلم كفر وغاية الزلل فى غيره من العلوم انه فسق (وانتم تتكلمون اليوم وكل واحد) منكم (يريد ان يزل) اى يخطئ (صاحبه) ليظفر عليه بالحجة سواء كان صاحبه فى مذهبه او مذهب غيره فانه لا يجوز ارادة الزلل والخطأ لاحد مطلقا (واذا اراد احدكم ان يزل) اى يخطئ (صاحبه فقد اراد له ان يكفر) بالله تعالى (ومن اراد ان يكفر صاحبه) الذى يباحثه وهو من غير دينه (فقد كفر) هو (قبل ان يكفر صاحبه) لان الرضاء بالكفر كفر (وعن ابى الليث الحافظ) رحمه الله تعالى (وهو) فقيه (كان بسمرقند متقدما فى الزمان على الفقيه ابى الليث) المشهور (قال من اشتغل بالكلام) اى بعلم الكلام واراد كثرة المباحثة فيه بحيث يستغرق بذلك غالب اوقاته لا من تكلم فيه احيانا (محى) بالبناء للمفعول اى محى الناس (اسمه عن العلماء) فلا يقال له عالم (وعن ابى حنيفة رضى الله عنه قال يكره الخوض فى) علم (الكلام) بكثرة المباحثة فيه واستجلاء المناقشة بمسائله (مالم تقع شبهة) له اولغيره فيحتاج الامر اليه حينئذ فيجوز الخوض بمقدار الضرورة (فاذا وقعت شبهة وجب) عليه (ازالتها) لئلا ترفع اليقين من القلب (كمن يكون على شاطئ البحر ينبغى) اى يجب عليه (ان لا يوقع نفسه فى البحر) لانه هلاك له قال

Marfat.com

تعالى * ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة (فان وقع) فى البحر بانقاء نفسه فيه او بدون ذلك (وجب علينا اخراجه) من البحر فكذلك صاحب الشبهة اذا عرضت له او اطلع انها فى غير يجب عليه رفعها وازالتها (انتهى) ما نقله عن التاتارخانية (اقول) يعنى مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (افاد هذا) الكلام المذكور (انه) اى علم الكلام (فرض كفاية) لاجل نصرة الدين وردّ شبه المخالفين وازالة ما يقع فى القلوب مما ينقص اليقين (لكن لا ينبغى ان يعلمه) الانسان (او يتعلمه) من غيره (الا كل) عبد (ذكى) اى صاحب ذكاء وهو الفطانة والحذق (متدين) اى صاحب ديانة وهى مراقبة الله تعالى فى الاهتمام باحكامه (مجد) اى ساع فى تحصيل الكمال الدينى اكثر من الكمال الدنيوى (والا) اى وان لم يكن كذلك (يخاف) بالبناء للمفعول (عليه الميل الى المذاهب الباطلة) فهرا عنه من عدم رسوخه فى اتقان الدين ومحبة احوال المتقين قال فى شرح الدرر روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال لان يلقى الله عبدا بأكبر الكبائر خير من ان يلقاه بعلم الكلام فاذا كان هذا حال علم الكلام المتداول فى زمانهم هكذا فما ظنك بالكلام المخلوط بهذيانات الفلاسفة المغمور باباطيلهم المزخرفة انتهى قرأت بخط الشيخ ابى الطيب الغزى رحمه الله تعالى ناقلا عن الشيخ ابى الحسن على بن احمد بن يوسف القرشى الهنكارى قال انبأنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى اجازة سمعت ابا نصر احمد بن حاتم السجزى يقول قيل لابى العباس بن شريح صاحب الشافعى ما التوحيد قال توحيد اهل العلم وجماعة المسلمين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وتوحيد اهل الباطل الخوض فى الاعراض والاجسام وانما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بابطال ذلك حدثنا ابو بكر الحميدى المعدل حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم سمعت الشافعى يقول لو علم الناس ما فى الكلام لفروا منه كما يفرون من الاسد وباسناده عن الربيع ابن سليمان سمعت الشافعى يقول لان يلقى الله الرجل بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من ان يلقاه بشئ من الكلام اهـ وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال روى عن الشيخ الامام ابى اليسر انه قال نظرت فى الكتب التى صنفها المتقدمون فى علم التوحيد فوجدت بعضها للفلاسفة مثل اسحاق الكندى والاسفرادى وامثالهما وذلك كله خارج عن الدين المستقيم زائغ عن الطريق لا يجوز النظر فى تلك الكتب ولا يجوز امساكها فانها مشحونة من الشرك والضلال قال ووجدت ايضا تصانيف كثيرة فى هذا الفن للمعتزلة مثل عبد الجبار الرازى والجبائى والكعبى والنظام وغيرهم لا يجوز امساك تلك الكتب والنظر فيها لئلا تحدث الشكوك ويتمكن الوهم فى العقائد وكذلك المجسمة صنفوا كتبا فى هذا الفن مثل محمد بن هيضم وامثاله لا يحل النظر فى تلك الكتب ولا امساكها فانهم شر اهل البدع وقد صنف الاشعرى كتبا كثيرة لتصحيح مذهب المعتزلة ثم ان الله لما تفضل

Marfat.com

عليه بالهدى صنف كتابا ناقضا لما صنفه اولا الاان اصحابنا من اهل السنة والجماعة نصرهم الله تعالى خالفوه فى بعض المسائل فمن وقف عليها فلا بأس له بالنظر فى كتابه وامساكه وعامة اصحاب الشافعى اخذوا بما استقر عليه الاشعرى وكذلك لا بأس بامساك تصانيف محمد بن عبد الله بن سعيد القطان وهو اقدم من الاشعرى واقاويله توافق اقاويلنا الا فى مسائل قلائل لا تبلغ عشرا لكن انما يحل النظر بشرط الوقوف على ماخولف فيه ودفع التعنت المتعمق فى الدين فلا بأس به وان كان للتخجيل وطرح صاحبه ففيه بؤس كما قرر فى الظهيرية والحاصل انه كره الاشتغال بعلم الكلام وتأويله عندنا كثرة المناظرة والمجادلة فيه لانه يؤدى الى اثارة البدع والفتن وتشويش العقائد او يكون المناظر قليل الفهم او طالبا للغلبة لا للحق فاما معرفة الله تعالى وتوحيده ومعرفة النبوة والذى ينطوى عليه عقائدنا فلا يمنع منه كذا جزم به فى الملتقط وذكر فى موضع آخر وعن ابى حنيفة يكره الخوض فى الكلام مالم تقع شبهة فيجب ازالتها فالمناظرة لدفع مثله بان لا يكون مبتدئا او لنصرة الحق من اجل الطاعات كما فى الحاوى وقول من قال ان تعلمه والمناظرة فيه مكروه مردود قال الله تعالى * وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه * الآية دل قوله تلك على اشارة الى مناظرة فى اثبات التوحيد وجعله من حجج الله مضافا الى نفسه على شرفه وشرف العلم بقدر شرف المعلوم والمروى عن ابى يوسف ان امامة المتكلم وان كان بحق لا تجوز محمول على الزائد على قدر الحاجة والمتوغل فيه كما قيل من طلب الدين بالكلام تزندق ولا يريد المتكلم على قانون الفلاسفة لانه لا يطلق على مباحثهم علم الكلام لخروجه عن قانون الاسلام وهو من اجزاء الحد كذا فى البزازية (واما الثانى) وهو ما زاد على قدر الحاجة من علم النجوم (ففى سنن ابى داود عن ابن عباس) رضى الله عنهما (مرفوعا) اى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من اقتبس) هو فى الاصل اخذ القبس وهو الشعلة من النار ويراد به هنا الاستفادة اى من استفاد (علما من النجوم) اى نوعا من انواع علم النجوم وهو علم واسع فيه كتب عديدة يتكلمون فيها على كيفيات الاستخبار عن الكوائن الزمانية باسباب معتادة عندهم ويتعاطون بنوع من ذلك معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ومواضع الكنوز ومقادير الاعمار ونحو ذلك مما يزعمونه وهو من الكهانة وقد اكذبهم كلهم الشرع (اقتبس) اى استفاد (شعبة) اى قطعة (من السحر) وقدمنا بيانه (زاد) من ذلك (ما) اى الذى (زاد) فان استفاد كثيرا فقد استفاد من السحر كثيرا وان استفاد قليلا فقد استفاد منه قليلا فلا فرق بينه وبين السحر فى الحكم (وقال فى) كتاب (الخلاصة وتعلم علم النجوم) ان كان (قدر) اى مقدار (ما يعلم) به (مواقيت) جمع وقت (الصلاة) الخمسة (و) يعلم جهة (القبلة لا بأس به) يعنى هو جائز (و) تعلم (الزيادة) على ذلك (حرام) لانه من السحر

﴿ انتهى ﴾

Marfat.com

(انتهى) كلام الخلاصة وفى شرح الشيخ الوالد رحمه الله تعالى على شرح الدرر وقيل فى تأويل قوله تعالى * وجعلناها رجوما للشياطين * اى جعلنا النجوم سببا لكذب المنجمين اطلق اسم الشيطان على المنجم وسمى هذيانه رجما من رجم بالغيب كذا فى البزازية (وفى بستان العارفين) لابى الليث السمرقندى رحمه الله تعالى (واو تعلم من علم النجوم مقدار مايعرف به) جهة (القبلة و) يعرف به (امر الحساب) اى حساب الاوقات والشهور والسنين (فلا بأس به) وهو امر مباح (ولا يزيد عليه) اى على ماذكر (اذا تعلم مقدار مايعرف به القبلة وامر الحساب) كما ذكرنا (انتهى) مانقله من بستان العارفين (وفى) كتاب (تعليم المتعلم وعلم النجوم بمنزلة المرض) لمن تعلمه لانه يمرض القلب فى الايمان بالغيب فيبقى العبد اذا تعلمه يزعم فى نفسه علم ما كان قبل ذلك يكل علمه الى الله تعالى من الامور المغيبات (فتعلمه حرام لانه يضر) بعالمه فى دينه لانه ينقله من الايمان بالحق المغيب الى الايمان بالكذب الموهوم (ولا ينفع) اصلا (والهرب عن قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن) لمن اطلع بعلم النجوم انه يقع له فى المستقبل كذا وكذا وغايته انه يبقى فى الهم والغم وما قدر الله تعالى عليه وقضى به واقع لامحالة (انتهى) كلامه (اقول) يعنى مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (فا) اى الذى (هو) المقدار (الحرام من علم النجوم) هو (ما يتعلق بالاحكام) فى الوقايع والنوازل المستقبلة (كقولهم) اى المنجمين (اذا وقع كسوف) للشمس (او خسوف) للقمر (او زلزلة) للارض (او نحوها) كانتشار الكواب ذوات الاذناب (فى زمان كذا) اوقت معين عندهم (سيقع) فى الارض (كذا) من غلاء اورخص اوموت اوحرب ولذلك قال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى باب الوصايا آخر كتابه الفتوحات المكية واياك وتصديق الكهان وان صدقوا واجتنب ما استطعت علم التعاليم وهو القضاء بالنجوم فانه ردى وان كان من جملة الاسباب ولكن الوقوف عند قول الشارع هو طريق النجاة وتحصيل السعادة وما ندين الاعلى ذلك انتهى كلامه ولنا رسالة فى تحقيق هذا المحل سميناها اللؤلؤ المكنون فى حكم الاخبار عما سيكون كما ذكرنا فيما تقدم (واما معرفة) جهة (القبلة) وحضور (المواقيت) الزمانية (فيحصل بالعلم المسمى بالهيئة) اى علم الهيئة الذى يبحث فيه عن معرفة هيئة الافلاك وكرة العالم (فلما كانا) اى استقبال القبلة ووقت الصلاة المفهومان مما ذكر (شرطى اداء الصلاة) كما تقرر فى موضعه (لزم معرفتهما) اى القبلة والوقت (بالتحرى) وهو بذل المجهود لنيل المقصود واصله طلب الاحرى اى الاولى من الامور (والامارات) اى العلامات جمع امارة (وهذا العلم) الذى هو علم الهيئة (من جملة اسباب التحرى والمعرفة) لذلك المذكور (فجاز الاشتغال به) والقراءة فيه وتعلمه (واما ان يجب) ذلك على المكلف (فلا) يجب (اذ لا انحصار للاسباب) لتى يعلم منها القبلة والوقت (فيه) اى فى علم الهيئة (ولا يلزم)

Marfat.com

احدا من المكلفين (اليقين) اى القطع (فيهما) اى فى القبلة والوقت (بل يكفى) فى بنيان الامور عليهما (الظن) اى غالبه وفى الاشباه والنظائر ولو شك فى دخول وقت العبادة فاتى بها فبان انه فعلها فى الوقت لم يجزه اخذا من قولهم كما فى فتح القدير لو صلى الفرض وعنده ان الوقت لم يدخل فظهر انه قد دخل لا يجزيه انتهى كلامه فاذا غلب على ظنه دخول الوقت لم يكن ذلك شكا فيجزيه وذكر فى موضع آخر قال الشك تساوى الطرفين والظن الطرف الراجح وهو ترجيح جهة الصواب والوهم رجحان جهة الخطأ واما اكبر الرأى وغالب الظن فهو الطرف الراجح اذا اخذ به القلب وهو المعتبر عند الفقهاء كما ذكره اللامشى فى اصوله وحاصله ان الظن عند الفقهاء من قبيل الشك لانهم يريدون به التردد بين وجود الشئ وعدمه سواء استويا او ترجح احدهما ولذا قالوا فى كتاب الاقرار لو قال له على الف فى ظنى لا يلزمه شئ لانه للشك وغالب الظن عندهم ملحق باليقين وهو الذى تبتنى عليه الاحكام يعرف ذلك من تصفح كلامهم فى الابواب صرحوا فى نواقض الوضوء بان الغالب كالمتحقق وصرحوا فى الطلاق بانه اذا ظن الوقوع لم يقع واذا غلب على ظنه وقع (وانه) اى علم الهيئة (يحتاج) فى معرفته (الى ذكاء) اى فطنة (وقوة حدس) اى فكر (وخيال وجد) اى سعى واجتهاد (كثير) وفيه الحرج (فلا يقع التكليف به) فى الشرع (لكل احد اذ لا يكلف الله) سبحانه (نفسا) من عباده (الا وسعها) اى مقدار ما تسع اى تستطيع بلا حرج عليها ولا صعوبة (وايضا نحتاج معرفة القبلة) من علم الهيئة (الى معرفة عرض كل بلد) مما هو فيها (وطوله) ليتحرر عنده امر قبلتها (ولا يمكن) تلك المعرفة (الا بتقليد من نعرف عدالته) من واضع ذلك العلم الذى هو علم الهيئة فان للاسلاميين فيه اوضاعا وغيرهم كذلك ولهم ضوابط وقوانين يعرف بها ذلك واذا كان الامر مشتبها كذلك (فلا يوجب) علم الهيئة (العمل به) على من تعلمه لاحتمال متابعة غير الثقة فى استعمال القواعد التى وضعوها (واما سائر) اى بقية (علوم الفلاسفة) الاولين الذين كانوا فى ايام الفترة وقبلها (فالمنطق) الذى هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر وهو مقدمة للعلوم الفلسفية يفيد التحقيق فيها (داخل فى) حكم (علم الكلام) الذى معظم ابحاثه مبنية على قواعد الفلاسفة للتمكن من الرد عليهم وعلى المعتزلة (و) فى حكم (علم الهندسة) على حسب ما سبق بيانه (مباح) حيث لم يكن تحقيق الشرعيات متوقفا عليه ولا هو مضر فيها لان المؤمن بالشرع لا يعلل بالعقل احكام الشرع حتى يحتاج لعلم الميزان الذى هو المنطق ولا مانع من استعمال قواعده فى فهم بعض المسائل فلا ينفعه ولا يضره (والالهيات) اى المسائل المتعلقة بالاله من العلوم الفلسفية (ما يخالف منها الشرع) المحمدى كاثبات علة العلل وانكار المعاد الجسمانى وكون الواحد لا يصدر عنه الا واحد ونحو ذلك

Marfat.com

(جهل مركب) فصاحبه جاهل ويجهل انه جاهل (لايجوز تحصيله) اى تعلمه وفهمه (و)لا(النظر) اى التأمل (فيه الاعلى وجه الرد) عليه من عالم متمكن قادر على الرد والقاصر لايجوزله التعرض مطلقا(وقداستقصى) بالبناء للمفعول اى تتبع الرد من علماء الكلام (فى) علم (الكلام) فلا حاجة الآن الى ذلك (وما) اى الذى (يوافقه) اى الشرع من الالهيات الفلسفية (فداخل فى) علم (الكلام ايضا) فى علم الكلام غنية عن ذلك (والطبيعيات) اى المسائل الفلسفية المتعلقة بالطبيعية وماتولد منها من العناصر وماتركب من الاجسام (ماخالف منها الشرع) النبوى (فمبنى على) المسائل (الالهيات) المذكورة فالتفصيل فيه كالتفصيل فيها (وقدعرفت حالها) اى الالهيات بان ماخالف الشرع منها مردود (ومالم يخالف) الشرع (لم يمنع منه) لانه اطلاع على احكام عقلية لاتصادم حكما شرعيا وذكر ابن نجيم فى الاشباه والنظائر ان العلم قد يكون حراما وهو علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وعلم الطبايعيين والسحر ودخل فى الفلسفة المنطق ومن هذا القسم علم الحرف والموسيقى آه وللشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى رحمه الله تعالى كتاب فى الرد على العلوم الفلسفية سماه كشف الفضايح اليونانية ورشف النصايح الايمانية وذكر الشهاب بن حجر المكى فى فتاواه قال واما الاشتغال بالفلسفة والمنطق فقدافتى بتحريمه ابن الصلاح وشنع على المشتغل بهما واطال فى ذلك ويجب على الامام اخراج اهلهما من مدارس الاسلام وسجنهم وكف شرهم قال وان زعم احدهم انه غير معتقد لعقائدهم فان حاله يكذبه واما استعمال الاصطلاحات المنطقية فى الاحكام الشرعية فمن المنكرات المستبشعة وليس بها افتقار الى المنطق اصلا ومايزعمه المنطقى للمنطق من الحد والبرهان فقداقنع قداغنى الله عنها كل صحيح الذهن لاسيما من خدم نظريات العلوم الشرعية هذا حاصل شئ من كلامه وماذكره فى الفلسفة صحيح ومن ثم قال الازرعى وماذكرته من تحريمها هو الصحيح والصواب ونصوص الشافعى رضى الله عنه ناصة على تقبيح تعاطيه ونقل عنه التعذير على ذلك واما ماذكره فى المنطق فمعارض بقول الغزالى فى مقدمة المنطق فى اول كتابه المصفى هذه مقدمة العلوم كلها ومن لايحيط بها فلا ثقة له بمعلومه اصلا وقوله فى المنقذ من الضلال واما المنطقيات فلا يتعلق شئ منها بالدين نفيا ولا اثباتا بل هو نظر فى طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمة البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم اما تصور وسبيل معرفته الحد واما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس فى هذا ماينبغى ان ينكر فانه من قبيل ماتمسك به المتكلمون واهل النظر فى الادلة وانما نفار قونهم فى العبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء فى التعريفات والتشعيبات ومثال كلامهم فيه اذا ثبت كل انسان حيوان لزم منه

Marfat.com

ان بعض الحيوان انسان وان كل من ثبت انه انسان ثبت انه حيوان ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية تلزم موجبة جزئيـة وهذا حق لاشك فيه فكيف ينبغى ان يجحد وينكر على انه لاتعلق له بمهمات الدين ثم متى انكر مثل هذا لزم منه عند اهل المنطق سوء الاعتقاد فى المنكر بل فى دينه الذى يزعم ان فيه ابطال مثل هذا فتأمله تأملا خاليا عن التعصب تجده رحمه الله تعالى قد اوضح المحجة واقام الحجة على انه ليس فيه شئ مما ينكر ولا مما يجر الى ما ينكر وعلى انه ينفع فى العلوم الشرعية كاصول الدين والفقه وقد اطلق الفقهاء ان ما ينفع فى العلوم الشرعية محتتم ثم قال بعضهم كالاسنوى ان المنطق غير محترم فعلمنا ان مراده المنطق الذى لا ينفع فى العلوم الشرعية او الذى يعود منه ضرر على الدين وهذا نوع من منطق الفلاسفة يبحثون فيه عن نحو ما ذكره الغزالى ثم يدرجون فيه البحث عن حال الموجودات وكيفية تراكيبها ومفاهيمها واعراضها وغير ذلك مما يخالفون فيه علماء الاسلام حتى انتصبوا لهم وردوا جميع مقالاتهم الفظيعة الشنيعة فمثل هذا الفن من المنطق هو الذى يحرم الاشتغال به وعليه يحمل كلام ابن الصلاح ويدل لذلك قوله فيما مر عنه وكف شرهم وقوله وان زعم احدهم انه غير معتقد لعقائدهم فان حاله يكذبه فعلمنا ان كلامه فى منطق له شرور له اهل يعتقدون خلاف عقائد المسلمين وهو النوع الذى ذكرته لا غير واما المنطق المتعارف الآن بين ايدى اكابر علماء اهل السنة فليس فيه شئ مما ينكر ولا شئ من عقائد المتفلسفين بل هو علم نظرى يحتاج لمزيد رياضة وتأمل يستعان به على التحرز عن الخطأ فى الفكر ما امكن فعاذ الله ان ينكر ذلك ابن الصلاح ولا ادون منه وانما وقع التشنيع عليه من جماعة من المتأخرين لانهم جهلوه فعادوه كما قيـل من جهل شيئا عاداه وكفى به ناقعا فى الدين انه لا يمكن ان ترد شبهة من شبـه الفلاسفة وغيرهم من الفرق الا بمراعاته ومراعات قواعده وكفى الجاهل به ان لا يقدر على التفوه مع الفلسفى وغيره العارف به بنت شفة بل يصير نحو الفلسفى يلحن بحجته وذلك الجاهل به وان كان من اكابر العلماء ساكت ولقد احسن القرافى من أئمة المالكية واجاد حيث جعله شرطا من شرائط الاجتهاد وان المجتهد متى جهـله سلب عنه اسم الاجتهاد فيكون المنطق شرطا فى منصب الاجتهـاد فلا يمكن حينئذ ان يقال الاشتغال به منهى عنه او ان العلماء المتقدمين كالشافعى ومالك لم يكونوا عالمين به فان ذلك يقـدح فى حصول منصب الاجتهاد لهم نعم هذه العبارات الخاصة والاصطلاحات المعينة فى زماننا لا يشترط معرفتها بل معرفة معانيها فقط وقال السبكى ينبغى ان يقدم على الاشتغال به الاشتغال بالكتاب والسنة والفقه حتى يتروى منهـا ويترسخ فى ذهنه الاعتقادات الصحيحة ويعلم من نفسه صحة الذهن بحيث لا تتروج عنده الشبهة على الدليل فاذا وجد شيخا ناصحا دينـا حسن العقيدة جاز له الاشتغال بالمنطق وينتفع به ويعينه على العلوم الاسلامية وهو من احسن العلوم وانفعها فى كل بحث ومن قال انه كفر

Marfat.com

اوحرام فهوجاهل فانه علم عقلى محض كالحساب غيران الحساب لايجر الى فساد وليس
مقدمة لعلم آخر فيه مفسدة والمنطق من اقتصر عليه ولم يكن له سليقة صحيحة خشى
عليه التزندق والتغلغل باعتقاد فلسفى من حيث يشعر اولا يشعر قال وفصل القول
فيه انه كالسيف يجاهد به شخص فى سبيل الله و يقطع به آخر الطريق وهذا نص فيما
قدمناه ان المنطق قسمان قسم منه لا يخشى على المشتغل به شئ مما ذكره والقسم الآخر
وهو المدرج فيه كثير من العقائد الفلسفية ولا يجوز الخوض فيه الا لمن اتقن ماذكره ووجد
شيخا بالصفة التى ذكرها فهذا يجوز له الاشتغال حتى بهذا القسم لانه يؤمن عليه ولقد
اشتغل بهذا القسم كثير من الفحول حتى احكموه وتمكنوا به من تمام الرد على الفلاسفة
وتزييف مقالاتهم الباطلة انتهى كلامه بعض اختصار وسبحان الله الذى لا اله
الا هو المراد بالمنطق ماعرفه علماؤه بقولهم هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن
عن الخطأ فى الفكر وهو قسم واحد لا قسمان سواء خلطوه بالفلسفيات اوتجرد عن ذلك
وخلطه بالفلسفة لايخلو اما ان تكون مسائل الفلسفة بعده وهو مقدمة لها فى تصنيف
واحد فالمنطق هو المقدمة لامع مابعدها كما قال السعد فى اول شرح العقائد ان علم
الكلام يورث قدرة على الكلام فى تحقيق الشرعيات والزام الخصوم كالمنطق
للفلسفة ومراده ان المنطق مقدمة لعلم الفلسفة واما ان تكون مسائله وقواعده امثالها
التى تذكر فيها وشواهدها من مسائل علم الفلسفة فهو المنطق الذى هو آلة قانونية
بعينه وامثاله وشواهده اذا ذكرت فيه لم تذكر الا لايضاح قواعده وضوابطه كالنحاة
لما مثلوا بقام زيد وان كان زيد لم يقم فان هذا الكذب لايضر لان مرادهم ايضاح
القاعدة لاغير ونحوه كثير فلامعنى لجعله قسما آخر غير المنطق الخالى من ذلك ولئن
سلمنا انه قسمان كما ذكر وان المنهى عنه القسم الممزوج بالفلسفيات لانه يؤول بصاحبه
الى الزندقة كما قال السبكى وقد شرط لجواز الاشتغال به تقدم الاشتغال بعلوم الدين
حتى يترسخ فيها فلانسلم ان غير الممزوج بذلك لايؤول بصاحبه الى الزندقة ايضا مالم
يتقدمه الاشتغال بعلوم الدين حتى يترسخ فيها لان جميع الفرق الضالة انما خالفوا
اهل السنة واختلفوهم فيما بينهم بسبب تعلمهم هذا القسم من المنطق الخالى من الفلسفيات
واستعمال قواعده فى مسائل عقائدهم فكيف يكون ضرره مأمونا وقد انتج فى الاسلام
هذا الاختلاف العظيم والفساد الكبير فانه كان اولا بغير اللسان العربى لانه من استخراج
الحكماء اليونانيين فنقله بعض ملوك العباسيين الى اللغة العربية وخاض فيه الاسلاميون
فكثرت الفرق الضالة وجادلوا به فى الدين كما اشار اليه ابن الشحنة فى شرح السلم والعجب
ممن جعله شرطا فى الاجتهاد فلعله يزعم ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا يتعلمونه
من النبى صلى الله عليه وسلم او يتدارسونه بينهم لانهم كلهم مجتهدون وقد جعله هذا
القائل من شروط الاجتهاد فعند فقد العلم به يفقد الاجتهاد وهو باطل لان الصحابة

Marfat.com

رضى الله عنهم لم يكونوا يشغلوا انفسهم بهذا الفشار الذى اخترعه الحكماء لفلاسفة بل من اعتقد فى النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يعلم الصحابة هذه الشقاشق والهذيانات المنطقية فهو كافر لتحقيره علم النبى صلى الله عليه وسلم معلم الخير والحق والايمان لا المعقولات التى تهدم دين الاسلام من اصله لانه ليس مبنيا عليها بل على التسليم والاذعان فاذا تحكم بها العبد فيه تحولت احكامه معللة بالعلل العقلية وذهبت انوار سننه بظلمات البدع الشيطانية واعجب من هذا قوله ايضا نعم هذه العبارات الخاصة والاصطلاحات المعينة فى زماننا لا يشترط معرفتها بل معرفة معانيها فقط فانه ان اراد بالعبارات والاصطلاحات الالفاظ فانها ليست علم المنطق وان اراد المعانى فالمعانى ليس لها معانى وعلم المنطق ليس الا هذه الاصطلاحات والقواعد والضوابط المفهومة من الالفاظ التى هى تقسيمات الادراكات العقلية ومتى لم تعتبر هذه الاصطلاحات والقواعد والضوابط من حيث هى قواعد وضوابط فهى الادراك العقلى وليست بعلم المنطق فان اراد بكون الامام الشافعى ومالك رضى الله عنهما كانا يعلمان علم المنطق انهما كانا يعلمان هذه القواعد والضوابط الاصطلاحية لا من حيث هى قواعد وضوابط اصطلاحية بل من حيث هى ادراكات عقلية فكأنه قال بان الامام الشافعى ومالك كان لهما ادراك عقلى وهذا امر لا ينازعه فيه احد ولا ينبغى ان يذكر لان احدا لا يتوهم عدمه وكذلك ان اريد هذا المعنى فى قول من جعل المنطق شرطا فى الاجتهاد فكأنه جعل الادراك العقلى شرطا فى الاجتهاد وهو امر معلوم بالبداهة اذ من لم يكن له كمال ادراك عقلى كيف يمكنه الاجتهاد فى الدين والحاصل ان كل مكلف مأمور بتقوية الجزء الايمانى فيه وهو الاسلام والاذعان لجميع ما ورد عن الله ورسوله على حسب ما يعلمه الله ورسوله وتقويته انما تكون بالامتثال للامر والاجتناب للنهى والمبالغة فى ذلك كما قال تعالى * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا * فقد وعد الله تعالى بالهداية للمجاهد فيه بامتثال امره واجتناب نهيه وهى المجاهدة الشرعية فى النفس والهوى والشيطان والدنيا فان هذه الاربعة قواطع عن القرب اليه تعالى فمتى جاهدها المكلف بالطاعة لله تعالى والمخالفة لها هداه الله تعالى فعرفه به وادناه منه زلفى وكشف له عن معانى الكتاب والسنة بطريق الفيض والالهام ما تعجز عنه العقول والافهام وليس المكلف مأمورا بتقوية الجزء العقلى منه لان تقوية ذلك يضره فى دينه لان الدين المحمدى ليس مما يدرك بالعقول خصوصا فى مذهب الشيخ الاشعرى رضى الله عنه بان التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان والعقل لا يدرك حسن شئ اصلا ولا قبحه كما هو مقرر فى الاصول وهذا القسم من المنطق ولو قلنا انه خال من الفلسفيات فانه يقوى العقل على جانب الايمان والتسليم للشرع فيضعف الجزء الايمانى التسليمى بسبب قوة الجزء

Marfat.com

العقلى ان لم يذهب لجزء الايمانى بالكلية او ينقلب عقليا كما هو مشاهد فى كثير من الناس تراه لا يقبل حكما من احكام الشرع مالم يكن امرا معقولا وللعقل مدخل فى ادراكه ولهذا تكلم اهل التأويل فى المتشابهات وخاضوا فيها بالمعانى العقلية ولم يقدروا ان يؤمنوا بها على ماهى عليه ولا استطاعوا ان يطمئنوا قلوبهم بما يعلمه الله تعالى منها ويعلمه رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لقوة الجزء العقلى فيهم بحيث غلب على نور ايمانهم فاضمحله بالكلية فتراهم لا تقوى قلوبهم ولا تطمئن نفوسهم الا اذا وافق حكم الشرع المحمدى عقولهم واذا لم يوافقها تعبوا فى الموافقة بين العقل والشرع والجزء الايمانى ضعيف فيهم جدا ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور الحق والصواب تحريم علم المنطق كله بقسميه المذكورين على فرض انقسامه اليهما لا يصاله الى ماذكرنا من اعتياد المكلف استعمال ضوابطه وقواعده وغلبة ذلك عليه فى كل ما يريد ادراكه من الدين مع ان الدين ليس مبنيا على المفهوم العقلية وان احترز متعلمه من استعماله فى ادراك الدين به فلا نتيجة له حينئذ وان زعم ان له نتيجة اخرى فى غير الادراك فهو ممنوع منه فتلخص من هذا ان المنطق ضرر محض على اهل الاسلام انما بعث متعلموه على تعلمه حب الانفراد بعلم لا يعلمه اهل الاسلام وطلب الرياسة به على الاقران ولهذا صرح القائل فيما تقدم بانه يكفى الجاهل به انه لا يقدر على التفوه مع الفلسفى وغيره العارف به بنت شفة الى آخر ما مر فانه جعل هذا العلم الذى تعلمه موصلا الى هدم القواعد الاسلامية من اصلها كما لا فى الفلسفى وغيره العارف به مع ان المؤمن اذا جهل مبنى اساس الكفر والضلال فذلك فى حقه عين الكمال ومن المعلوم ان من قدر على ابطال المذاهب الفلسفية وغيرها مما اسس على القواعد المنطقية بهذه القواعد المنطقية فانه لا يبطلها بامر هو مبنى الدين المحمدى بل بما هو مبنى تلك المذاهب الباطلة وهو العقل فلا يستطيع ابطالها بما بنيت عليه ولئن امكنه ذلك فاراهلها يجيبون عن ذلك والعقل معهم لان مبنى دينهم عليه والقواعد المنطقية تساعدهم فيجيبون عن جميع ما يرد عليهم ويعاندون بالحماية للدين الباطل فلا يفيد ذلك الابطال شيئا فان المذاهب الباطلة لا يبطلها الا الدين الحق والقواعد الاسلامية المحمدية وليست هى العقل بل لا دخول له فيها اصلا وانما له تلقيها من الكتاب والسنة بدون استعمال قواعده بل بالايمان والتسليم والاذعان ولهذا قال العارف بالله الشيخ رسلان الدمشقى رضى الله عنه فى رسالته الناس تايهون عن الحق بالعقل فانظر كيف جعل العقل مضلا عن الحق لا هادها اليه فاذا كان مضلا فكيف يمده المكلف بتفصيل قواعد ادراكه وضوابط مفاهيمه حتى يقويه فيغلب عليه فلا يقدر بعد ذلك على رده والمطلوب منه اضعاف عقله بكثرة نور ايمانه حتى يبقى عقله تبعا لما جاء به نبيه كما ورد فى الحديث لا ان يبقى ما جاء به نبيه عليه

Marfat.com

السلام تبعا لعقله وقد ورد فى الكتاب والسنة طلب الايمان من المكلف لا التعقل كما قال تعالى *فامنوا بالله ورسوله *ولم يقل فاعقلوا ونحو ذلك والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (واما السحر) وتقدم بيانه (والنيرنجات) وهى نوع من السحر يسمى الدك والشعبذة (ونحوهما) اى نحو السحر والنيرنجات (من) انواع (الشرور) القبيحة (والمعاصى) الموجبة للفضيحة (فيجوز تعلمها للاحتراز عنها) لا للرغبة فى عملها (كما قيل) اى قال الشاعر فى مثل هذا المعنى (عرفت الشر) ضد الخير (لا للشر) اى لا لاجل الرغبة فيه والاهتمام به (لكن) عرفته (لتوقيه) اى الاحتراز عنه ولدفعه اذا قابلنى به احد (ومن لم يعرف الشر) ويتعلم طرقه المختلفة (فانه يقع فيه) اى فى الشر لالتباسه عليه وعدم معرفته به (واما المناظرة) وهى المقابلة بالنظر العقلى والفكر فى الابحاث العلمية من الطرفين مفاعلة لان كل واحد ينظر بعقله فى كلام الآخر (والحيلة فيها) اى فى المناظرة لاجل دفعها (ففى) كتاب (الخلاصة التمويه) اى اظهار ما ليس بحق فى صورة الحق ومنه الاستطراد فى البحث الى شئ آخر بحيث ينتقل الكلام من مسئلة الى مسئلة اخرى ولم تكن تحققت عندهما (والحيلة فى المناظرة) لطرح الخصم عنها وقطع كلامه ومنها ان يحمل احدهما الآخر على ان يقول ما ليس بمذهبه لاجل لزام الحجة عليه وكذلك التنزل الى مذهب الخصم لالزامه (ان تكلم معك) من تناظره حال كونه (متعلما) اى طالبا منك التعليم والاستفادة (مسترشدا) اى طالبا الرشد وهو الهداية الى الصواب وهذا معلوم بقرائن الاحوال عندك (اوتكلم على الانصاف) لك بلا جور منه عليك فى ظهوره الحق على يديك (بلا تعنت) اى معاندة ومكابرة فى الحق (يكره) لك حينئذ التمويه والحيلة لتصرفه عن البحث الذى انت تناظره فيه قبل ان يتحقق بينكما لان فى ذلك كتمانا للدين وشحا ببيان الحق (وكذا اذا تكلم) معك خصمك المناظر لك حال كونه (غير مسترشد) اى طالب للرشد منك (لكن على الانصاف) اى منصفا لك فى البحث معك (بلا تعنت) منه عليك ولا معاندة فانه يكره التمويه منك والحيلة عليه فى صرفه عن المسئلة (فان تكلم) الانسان (مع من) اى الذى (يريد التعنت) اى المعاندة والمكابرة وعدم التسليم للحق وان ظهر له (ويريد) الانسان (ان يطرحه) اى يقطع عليه كلامه بالنقل الى كلام آخر او بتغطية وجه الصواب عليه فى الكلام وابهام الامر ومنه قوله تعالى * وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين * وقول حسان رضى الله عنه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب بعض الكافرين

هجوت محمدا واذب عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء

ات هجوه ولست له بكفؤ * فشركما لخيركما الفداء

(لا يكره) طرحه عن المناظرة حينئذ (و) ينبغى ان (يحتال) عليه

Marfat.com

(كل حيلة) تمكنه (ليدفع عن نفسه) ارادة تعنت خصمه عليه وعناده له ومكابرته معه فى الحق ومجادلته بالباطل كما قال تعالى * وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب (لان الحيلة) على الخصم (لدفع التعنت) منه (مشروعة) سائغة فى الشرع (قال صاحب الخلاصة) الامام رشيد الدين البخارى رحمه الله تعالى (سمعت القاضى الامام) ولعله قاضيخان صاحب الفتاوى رحمه الله تعالى (يقول ان اراد) المناظر (تخجيل الخصم) اى القاءه فى الخجل وهو زيادة الحياء بظهور جهله والخامه بالادلة (يكفر) لانه استهان بالدين حيث جعل مسائله آلة لانفاذ حظوظ نفسه فى خصمه واظهر بذلك التقرب والطاعة لله تعالى ولانه احب ان يزل خصمه ويخطئ ليظهر ارتفاع قدره عليه ومن احب زلة غيره فقد احب كفره فيكفر (قال) يعنى صاحب الخلاصة (رأيت فى موضع آخر) يقول القاضى الامام المذكور اوغيره (وعندى لايكفر) ان اراد تخجيل خصمه (و) لكنه (يخشى) بالبناء للمفعول اى يخاف (عليه الكفر) لاحتمال انه لم يرد شيئا مما ذكر فربما يؤول به ذلك الى ارادة ماذكر (انتهى) اى ما نقله عن الخلاصة قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (والاولى) اى الاحرى والاحق (فى زماننا) هذا الكثير الشر القليل الخير وهو عصر التسعمائة (ان لايناظر) الانسان (احدا) مطلقا (اذ) اى لانه (قل مايوجد) فى طلبة العلم اليوم وفى العلماء (من يريد) بمناظرته (اظهار الصواب) من غير حظ نفسانى قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال مشايخنا او ناظر مع غيره ان كلمه غيره متعلما مسترشدا غير متعنت لايحل له الحيلة لطرحه فى المناظرة معه لان ذلك يؤدى الى اخفاء العلم وكتمانه وانه حرام وان كان متعنتا يحل له ان يحتال كل حيلة لدفعه عن نفسه لانه من اراد زلة صاحبه فكأنما اراد تكفيره فيكفر قبل ان يكفر صاحبه ولايجب على الفقيه كذا فى المبتغى والاجابة عن كل مايسال عنه غير واجبة الا اذا علم انه لايجيب غيره فيلزمه جوابه لان الفتوى والتعليم فرض كفاية من المبتغى ايضا انتهى وذكر الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى باب الوصايا آخر كتابه الفتوحات المكية قال واياك والمراء فى القرآن فانه كفر بنص الحديث وهو الخوض بانه محدث اوقديم وهل هو هذا المكتوب فى المصاحف والمتلو الملفوظ به عين كلام الله تعالى او ماهو عين كلام الله تعالى فالكلام فى مثل هذا والخوض فيه هو الخوض فى ايات الله تعالى وهذا هو المراء والجدال المنهى عنه (النوع الثالث) من انواع العلوم الثلاثة (فى) بيان العلوم (المندوب اليها) اى المستحبة (وهى معرفة فضائل) اى ما فيه فضيلة من (الاعمال) البدنية والقلبية كالصدقة بما زاد على الكفاية والاكثار من ذكر الله تعالى بالقلب واللسان والنظر فى المصحف ونحو ذلك (ونوافلها) اى الاعمال كصلاة الضحى

Marfat.com

وركعتى الوضوء وركعتى المسجد (وسنتها) المؤكدة وغير المؤكدة (ومكروهاتها) التحريمية والتنزيهية (و) معرفة (فروض الكفاية) بانواعها (فيما) اى فروض كفاية (وجد القائم بها) من الناس فانها لاتبقى فروضا بعد ذلك ولا ثاب فاعلها ثواب الفرض اذا اتى بها بعد اتيان من سقط الفرض باتيانه وانما يتنفل بها بعد ذلك فى غير صلاة الجنازة قال فى الهداية وان صلى الولى لم يجز لاحد ان يصلى بعده لان الفرض يتأدى بالاول والتنفل بها غير مشروع ولهذا رأينا الناس تركوا عن آخرهم الصلاة على قبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو اليوم كما وضع انتهى وقد بينا هذه المسئلة فى رسالة سميناها غاية الوجازة فى تكرار الصلاة على الجنازة (و) كذلك (التعمق) يقال عمق النظر فى الامور بالغ وتعمق كذا فى القاموس (والتوغل) وغل فى الشئ يغل وغولا دخل وتوارى او بعد وذهب واوغل فى البلاد والعلم ذهب وبالغ وابعد كتوغل كذا فى القاموس والمراد هنا الاكثار (فى ادلة) جمع دليل (فروض العين و) ادلة فروض (الكفاية و) فى (وجوههما) اى وجوه ادلة الشيئين وهو اقامة الدليل على الدليل فالاول يسمى تحقيقا والثانى تدقيقا (ومنها) اى من المعلوم المندوب اليها علم (الطب) وهو العلم الذى يبحث فيه عن امزجة الحيوان وما يعدلها (قال فى بستان العارفين) لابى الليث السمرقندى رحمه الله تعالى (يستحب للرجل ان يعرف من) علم (الطب مقدار ما يمتنع) اى بتباعد بسببه (عما) اى عن الامر الذى (يضر) تناوله او اهماله (ببدنه) من انواع المآكل والمشارب والادوية والعلاجات (انتهى) كلام بستان العارفين قال مؤلف متن هذا الكتاب رحمه الله تعالى (ولا يجب) معرفة هذا المقدار من الطب (لان التداوى) اى استعمال الدواء فى المريض (لا يجب) لان حصول الشفاء به امر مظنون فكم من مريض تداوى ولم يشفه الدواء وكم من مريض شفاه الله تعالى من غير دواء والاستشفاء بالدواء نادر ولا يترتب على النادر الوجوب (قال فى) كتاب (الخلاصة رجل استطلق بطنه) اى لم يقدر على امساك غائطه (اورمدت عيناه) اونحو ذلك من انواع الامراض (فلم يعالج) نفسه بشئ من الدواء (حتى اضعفه) ذلك الدواء (ومات) منه (لا اثم عليه) ولا عقاب فى الآخرة (وفرق بين هذا الحكم) المذكور (وبين ما اذا صام ولم يأكل) لطعام اياما كثيرة (حتى مات) من شدة الجوع (وهو قادر) على الاكل فانه (يأثم) حينئذ (والفرق) بين الامرين (ان الاكل بمقدار قوته فرض) عين عليه (لان فيه شبعا) من الجوع (بيقين) من غير شك كما هو العادة المعروفة (فاذا ترك) الاستشفاء بالاكل (كان متلفا لنفسه) مع القدرة عليه عمدا (ولا كذلك المعالجة) بالدواء فى المريض (لان الصحة) من المرض (بالمعالجة) بالدواء (غير معلومة) بل هى امر مظنون نادرا لوقوع فلا يبتنى عليه حكم شرعى ايجابى فغاية ما فى الباب انه يبتنى عليه الاستحباب كما ذكر وفى المواهب

Marfat.com

اللدنية روى مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله تعالى فالشفاء متوقف على اصابة الدواء الداء باذن الله تعالى وذلك ان الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد فى الكيفية والكمية فلا ينجح بل ربما احدث داء آخر وفى رواية عن الحميدى فى كتابه المسمى بطب اهل البيت مامن داء الا وله دواء فاذا كان كذلك بعث الله عزوجل ملكا ومعه ستر فجعل بين الداء والدواء فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء فاذا اراد الله برء امر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وفى حديث ابن مسعود رفعه ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه ابونعيم وغيره وفيه اشارة الى ان بعض الادوية لا يعلمها كل احد واما قوله لكل داء دواء فيجوز ان يكون على عمومه حتى يتناول الادواء القاتلة والادواء التى لا يمكن طبيب معرفتها ويكون الله قد جعل لها ادوية تبريها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليها سبيلا لانه لا علم للخلق الا ما علمهم الله تعالى ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى من دائه بدواء فيبرأ ثم يعتريه بعد ذلك الداء بعينه فلا ينجح والسبب فى ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فرب مرضين تشابها ويكون احدهما مركبا فلا ينجح فيه ما ينجح فى الذى ليس مركبا فيقع الخطأ من هنا وقد يكون متحدا لكن يريد الله ان لا ينجح ومن هنا تخضع رقاب الاطباء (وقال فى) كتاب (فصول) جمع فصل (العمادى) وهو كتاب من كتب الفتاوى فى فقه الحنفية يشتمل على اربعين فصلا (اعلم ان الاسباب) جمع سبب وهو ما يتوصل به الى غيره (المزيلة للضرر) فى البدن (تنقسم) ثلاثة اقسام (الى) قسم (مقطوع به) اى بكونه سببا موصلا الى ازالة الضرر بحسب التكرار فى العادة ومشاهدة ذلك على الحس من دون شك ولا شبهة لاحد فى ذلك اصلا (كالماء المزيل لضرر العطش) من العطشان (والخبز المزيل لضرر الجوع) من الجيعان وذلك بان يخلق الله تعالى الرى ورفع العطش فى باطن المستعمل لذلك عند وصول الماء الى الجوف من غير تأثير للماء فى ذلك اصلا ولا استعانة منه تعالى بالماء على ذلك وكذلك الخبز يخلق الله تعالى الشبع عند وصوله الى الجوف بلا تأثير من الخبز ولا استعانة به اصلا وهكذا جميع الاسباب العادية (والى) قسم (مظنون) زوال الضرر به (كالفصد والحجامة) فى حق المريض المحتاج الى ذلك فى عرف الاطباء (وشرب) الدواء (المسهل) والقابض (وسائر ابواب الطب) المذكورة فى كتب الطب (اعنى معالجة البرودة) الغالبة على مزاج الحيوان (بالحرارة) الغالبة فى الدواء من مركب او بسيط كالمعاجين والعقاقير (و) معالجة (الحرارة) الغالبة فى مزاج الحيوان ايضا (بالبرودة) الغالبة فى دواء مركب او بسيط (وهى الاسباب الظاهرة) اى المعلومة (فى) علم (الطب والى) قسم (موهوم) اى يحتمل

Marfat.com

الشفاء وعدمه (كالكى) بالنار ولهذا قالوا آخر الطب الكى فالكى الآخرية لانه اضعف احتمالا للشفاء واما غيره من المعالجات فهو اقرب منه الى الشفاء فهو اول الطب (والرقية) بالضم العوذة وجمعها رقى ورقاه رقيا فهو رقاء نفث فى عوذته كذا فى القاموس (اما) القسم (المقطوع به) من الاسباب المزيلة للضرر عن البدن (فليس تركه من التوكل) على الله تعالى (بل تركه حرام) على العبد (عند خوف الموت) من العطش او الجوع ونحو ذلك فان ترك هذا القسم معصية على المتعين عليه والتوكل على الله تعالى طاعة فليس هو من التوكل ولا التوكل منه (واما) القسم (الموهوم) من الاسباب المذكورة (فشرط) حصول (التوكل) على الله تعالى (تركه) اى ترك هذا القسم لانه موهوم والتوكل مقام يقينى فينافيه الامر الوهبى (اذ) اى لانه (به) اى بترك هذا القسم الموهوم (وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين) على الله تعالى (وذلك فى حديث) صحيح (بلغنا) اى وصل الينا (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود) رضى الله عنه (انه عليه السلام قال اريت) بالبناء للمفعول اى ارانى الله تعالى (الامم) كلهم (بالموسم) متعلق باريت اى وانا فى موسم منى (فرأيت امتى) من اولهم الى اخرهم (قد ملاؤا السهل والجبل فاعجبنى كثرتهم) العظيمة (وهيأتهم) المستقيمة (فقيل) اى قال قائل (لى) ولعله الله تعالى (ارضيت قلت نعم) يعنى رضيت (قال ومع هؤلاء) اى وفى جملتهم (سبعون الفا) والعموم يقتضى ان فيهم الرجال والنساؤ الاحرار والعبيد والكبار والصغار (دخلون الجنة بغير حساب) عليهم فيما عملوا لان عملهم لم يكن بقوة نفوسهم بل بقوة ربهم شهوداذ وقبائهم ربانيون لا نفسانيون كما قال تعالى ولكن كونوا ربانيين الآية (قيل) اى قال بعض الصحابة (من هم) اى السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (يارسول الله قال هم الذين لا يكتوون) اى لا يتداوون بالكى اذا مرضوا (ولا يرقون) اى يتداوون بالرقية (ولا يتطيرون) اى يتشاءمون من شئ مطلقا (وعلى ربهم يتوكلون) قدم الجار والمجرور لافادة الحصر اى لا على غيره (فقام عكاشة) بن محصن الاسدى وكان من فضلاء الصحابة توفى فى خلافة الصديق رضى الله عنه فى زمن الردة وعمره خمس واربعون سنة (فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم) اى من هؤلاء السبعين الفا المذكورين (فقال) النبى صلى الله عليه وسلم (اللهم اجعله منهم فقام) رجل (آخر) من الصحابة (فقال) يارسول الله (ادع الله ان يجعلنى منهم فقال عليه الصلاة والسلام سبقك بها) اى بهذه الفعلة او الحالة (عكاشة) المذكور وذلك لان قيامه كان ابتداء لله تعالى لاقتداء ومتابعة لاحد بلاحظ نفسانى واما قيام الثانى فلعله كان لحظ نفسه حين رأى عكاشة سبقه الى هذا المقام فقصد مساواته بسعيه وهو مجرد سؤال النبى صلى الله عليه وسلم تلك الحالة فاقتدى بعكاشة فى ظاهره دون باطنه فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

ان عكاشة سبقه وسبقه له كان فى الظاهر والباطن اما فى الظاهر فظاهر واما فى الباطن
فلتباعده عن حظ نفسه فى طلبه ذلك وسلامة صدره من الاعتماد على الاغيار والمنافسة
فى جميع الاطوار ولهذا جمع الاحوال الكمالية لا تحصل لعبد ينافس فيها غيره ولا لمن
يحسد او يحقد او يقصد بها التشهى او المباهات او الامتحان بل طريقها سلامة الصدور
والنية الحسنة مع الدوام على ذلك كما قال شيخنا الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه
ما وصلت الى الله بقيام ليل ولا صيام نهار ولا دراسة علم ولكن وصلت الى الله بالكرم
والتواضع وسلامة الصدر (وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين بترك الكى
والرقية والتطير واقواها الكى) فى اهمية تركه (ثم الرقية والطيرة آخر درجاتها)
على حسب ما ذكر فى لفظ الحديث (والاعتماد عليها) اى على هذه الثلاثة او على
احدها (والاتكال اليها) فى قصد القلب (غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب)
العادية (واما الدرجة المتوسطة وهى) الاسباب (المظنونة كالمداواة بالاسباب
الظاهرة) اى المعلومة (عند الاطباء) اى علماء الطب (فعله ليس مناقضا للتوكل)
على الله تعالى (بخلاف) القسم (الموهوم) من الاسباب فان فعله يناقض التوكل
بنص الحديث السابق (وتركه) اى ترك القسم المظنون (ليس محذورا) اى ممنوعا منه
حراما (بخلاف) القسم (المقطوع به) فان تركه حرام عند خوف الموت كما مر
(بل قد يكون) هذا القسم المظنون (افضل من فعله فى بعض الاحوال) بالنسبة
الى من يخاف عليه الاعتماد على الاسباب بقلبه (وفى حق بعض الاشخاص) المعتمدين
على غير الله تعالى غفلة منهم عن الله تعالى فتركه حينئذ افضل لتقوية القلوب
الضعيفة فى مقام اليقين (فهو) اى هذا القسم المظنون (على درجة بين الدرجتين)
درجة الفعل ودرجة الترك يدور مع المقتضى لاحدهما (انتهى) ما نقله من فصول
العمادى باختصار ثم هذا التطبب المذكور حيث لا ينافى مقام التوكل على الله تعالى
لا فرق فيه بين التطبب بطبيب مسلم او كافر اذا غلب على ظن المريض انه صادق
فيما يصفه له من الدواء اذ رب مسلم يكذب وكافر يصدق والمعتبر غلبة ظن المريض
خصوصا بعد تجربة الحذق منه وهذا من قبيل المعاملات وقول الكافر فيها مقبول
عندنا قال فى شرح الدرر وقبل قول كافر ولو كان مجوسيا قال شربت اللحم من مسلم
او كتابى فحل او من مجوسى فحرم قال فى الكنز ويقبل قول الكافر فى الحل والحرمة
وقال الزيلعى هذا سهو لان الحل والحرمة من الديانات ولا يقبل قول الكافر فى الديانات
وانما يقبل فى المعاملات خاصة للضرورة اقول ليس السهو صاحب الكنز لان مراده
بالحل والحرمة ما يحصل فى ضمن المعاملات لا مطلق الحل والحرمة كما توهم بدليل
انه قال فى الكافى ويقبل قول الكافر فى الحل والحرمة حتى لو كان له اجير مجوسى فارسله
ليشترى له لحما فاشترى فقال اشتريته من يهودى او نصرانى او مسلم وسعه اكله وان كان

Marfat.com

غيرذلك لم يسعه اكله ثم قال وصله ان خبر الكافر فى المعاملات مقبول بالاجماع لصدوره عن عقل ودين مانع من الكذب ومساس الحاجة الى قبوله لكثرة المعاملات وكونه من اهل الشهادة فى الجملة انتهى وتمامه هناك ولاشك ان التطبب بالكفار من هذا القبيل فيجوز وعلى مقتضى جوازه لاينافى التوكل على الله تعالى ويؤيده ماذكره الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى رحمه الله تعالى فى كتابه لطائف المنن قال ولقد بلغنى عن الشيخ ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه انه استدعى يهوديا كحالا ليداوى بعض من عنده فقال له اليهودى لااستطيع ان اعالج فانه جاء مرسوم من القاهرة ان لايداوى احد من الاطباء الا باذن من مشارف الطب بالقاهرة فلما خرج ذلك اليهودى قال الشيخ لخدمه هيؤا آلة السفر وسافر لوقته الى القاهرة واخذ لهذا الطبيب اذنا وعاد ولم يبت بالقاهرة ليلة واحدة ثم جاء الى الاسكندرية فارسل الى ذلك الطبيب فاعتذر له بما اعتذر له به اولا فاخرج له الشيخ مكتوبا بالاذن فاكثر اليهودى التعجب من هذا الخلق الكريم انتهى ومايخالف هذا مما ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراوى رحمه الله تعالى فى كتابه العهود المحمدية من التنفير عن التطبب بالكفار فمحمول على من ابتلى بضعف اليقين من عوام المسلمين فيخاف عليه ان يميل الى الطبيب اليهودى او النصرانى وربما يقع عنده اشك فى عقيدته بسبب حصول الشفاء على يده ويظن انه شفى بسبب صحة دينه الباطل واما من لم يخطر له ذلك وعرف ان الاسباب كلها بيد الله تعالى وحده وانه تعالى الشافى لاغيره ولاتأثير لكل ماسواه مطلقا وان جميع ماسواه تعالى اسباب ان شاء الله تعالى خلق عندها لابها وان شاء لم يخلق وكان لافرق عنده بين الاسباب الحسنة والقبيحة فى عدم التأثير فلا شبهة فى جواز التطبب بالاطباء المسلمين والكافرين والصالحين والفاسقين ومطاوعتهم اذا غلب على الظن صدقهم فيما لايوجب ترك واجب ولافعل حرام اومكروه فان قول الكافر والفاسق غير مقبول فى الديانات كما صرح به الفقهاء فى كتبهم وان كان مقبولا فى المعاملات كما ذكرنا (اقول) اى يقول صاحب متن هذا الكتاب رحمه الله تعالى (مراده) يعنى مراد صاحب فصول العمادى (بالتوكل) هنا حيث لايكون التطبب بالاسباب الظاهرة عند الاطباء منافضا له (كماله) اى التوكل الكامل (اذ) اى لان (اصله) اى اصل التوكل على الله تعالى فى جميع الامور ظاهرا وباطنا (فرض) عين على كل مكلف (وهو) اى اصل التوكل الذى هو فرض (ان يعتقد) المكلف قطعا من غير شك (ان لاخالق) اى مقدر وموجد (ولامؤثر فى شئ) مطلقا (الا الله) تعالى وحده (فالشفاء) الحاصل (ليس الا منه تعالى) لذلك المرض (وانه) سبحانه وتعالى (جرت عادته) فى خلقه (على ربط المسببات بالاسباب) ربطا عاديا بحيث يصح تارة ويتخلف اخرى من غير لزوم عقلى (فالتشبث) اى التمسك والتعلق (بالاسباب)

Marfat.com

الظاهرة (على هذا الاعتقاد لا يناقض هذا التوكل) المذكور (مظنونة) كانت الاسباب (اوموهومة) لانها فى اعتقاده لاتأثير لها (ولولم يعتقد هذا) الاعتقاد المذكور (بل اعتقد ان الشفاء) حاصل (من الدواء) اى من تأثيره (فالمظنون) اى من الاسباب حينئذ (بل المتيقن) منها اى المقطوع به كما تقدم (مناقض لهذا التوكل) الذى هو اصل (ايضا) كما هو مناقض لكمال التوكل (واما كمال التوكل) اى التوكل الكامل (فالاعتماد) بالظاهر والباطن (والانكال على الله تعالى بلا استقصاء) اى مبالغة (ولا تعمق فى ملاحظة الاسباب) اى مراعاتها وتعاطيها (فهذا) توكل (مستحب) لافرض وهو الذى (ينافضه التشبث) اى التمسك (بالسبب الموهوم) فقط دون المظنون والمقطوع به (فترك الكى والرقى) مصدر رقا، عوذه (وامثالهما) من الطب الموهوم (مستحب لاواجب) لانه ينا فى كمال التوكل لا اصل التوكل قال فى المواهب اللدنية بعد ذكر طرف من الاحاديث الدالة على معاطاة الدواء قال وفى مجموع ماذكرناه من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب وان لاتنا فى التوكل كما لاينافيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك وقد سئل الحارث بن اسد المحاسبى فى كتاب المقصد من تأليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من اين ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذى لايلحقه لاحق ولا يسبقه فى التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ماتقول فى خبر النبى صلى الله عليه وسلم من استرقى واكتوى برئ من التوكل قال برئ من توكل المتوكلين لذين ذكرهم فى حديث آخر فقال يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بغير حساب واما ماسواهم من المتوكلين فيباح لهم الدواء والاسترقاء فجعل المحاسبى التوكل بعضه افضل من بعض وقال فى التمهيد انما اراد بقوله برئ من التوكل اذا استرقى الرقيا المكروهة فى الشريعة اواكتوى وهو تعلق رغبته فى الشفاء بوجود الكى وكذلك قوله لايسترقون الرقيا لمخالفة الشريعة ولايكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكى ومعرضة عن فعل الله تعالى وان الشفاء من عنده واما اذا فعل ذلك على ماجاء فى الشريعة وكان ناظرا الى رب الدواء وتوقع الشفاء من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه اذا صح وكدها فى خدمة ربه فتوكله باق على حاله لاينقص منه الدواء شيئا استدلالا بفعل سيد المتوكلين اذا عمل بذلك فى نفسه وفى غيره فقد تبين ان التداوى لاينا فى التوكل بل لاتتم حقيقة التوحيد الابمباشرة الاسباب التى نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح فى نفس التوكل كما يقدح فى الامر والحكمة وورد فى خبر اسرائيل ان الخليل عليه السلام قال يارب ممن الداء قال منى قال فممن الدواء قال منى قال فمابال الطبيب قال رجل ارسل الدواء على يديه وفى قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية لنفس المريض

Marfat.com

والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه ان لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس وانفتح له باب الرجاء وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوى التى هى حاملة لها فقهرت المرض ودفعته (قال) ابو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى (فى) كتابه (بستان العارفين واما الاخبار التى وردت) عن النبى صلى الله عليه وسلم (فى النهى) عن الرقية ونحوها (فانها منسوخة) كلها (الا يرى) بالبناء للمفعول اى يرى الرأى (الى ماروى جابر) بن عبد الله رضى الله عنه (ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الرقى) جمع رقية (وكان عند آل) اى اهل (عمرو بن حزم رقية يرقون بها عن) لسع (العقرب) لاذهاب الالم من سمه (فاتوا النبى صلى الله عليه وسلم فعرضوا عليه) ذلك (وقالوا) له (انك نهيت عن الرقى فقال) لهم عليه السلام (ما ارى به) الآن (بأسا من استطاع منكم ان ينفع اخاه) بشئ (فليفعل) ولا يتأخر عن ذلك فان له فيه الاجر عند الله تعالى (فيحتمل ان النهى) الوارد فى ذلك (عن الذى يرى العافية فى الدواء) حاصلة له (من نفسه) اى من نفس الدواء (واما اذا عرف ان العافية) حاصلة (من الله) تعالى (والدواء سبب) عادى يخلق الله تعالى العافية عنده لا به ولا فيه ولا منه (لا بأس به) اى بالدواء حينئذ وقال النووى فى شرح مسلم ان جبريل عليه السلام رقى النبى صلى الله عليه وسلم والاحاديث مذكورة فى الرقى وفى الحديث الآخر فى الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقد يظن مخالفة الاحاديث ولا مخالفة بل المدح فى ترك الرقى المراد بها الرقى التى هى من كلام الكفار والرقى المجهولة والتى بغير العربية ومالا يعرف معناها فهذه مذمومة لاحتمال ان معناها كفر او قريب منه او مكروه واما الرقى بآيات القرآن وبالآيات المعروفة فلا نهى فيه بل هو سنة ومنهم من قال فى الجمع بين الحديثين ان المدح فى ترك الرقى للافضلية وبيان التوكل والذى فعل الرقى اوذن فيها لبيان الجواز مع ان تركها افضل وبهذا قال ابن عبد البر وحكاه عمن حكاه والمختار الاول ونقلوا الاجماع على جواز الرقى بالقرآن واذكار الله تعالى قال المازرى جميع الرقى جائزة اذا كانت بايات الله تعالى او بذكره وينهى عنها اذا كانت باللغة العجمية او بما لا يدرى معناه لجواز ان يكون فيه كفر واختلفوا فى رقية اهل الكتاب فجوزها ابو بكر الصديق رضى الله عنه وكرهها مالك خوفا من ان تكون مما بدلوه ومن جوزها قال الظاهر انهم لم يبدلوا الرقى فانهم لا غرض لهم فى ذلك بخلاف غيرها مما بدلوه واما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الرقى فاجاب العلماء عنه باجوبة احدها انه كان نهى اولا ثم نسخ ذلك واذن فيها وفعلها واستقر الشرع على الاذن والثانى ان النهى عن الرقى المجهولة كما سبق والثالث ان النهى كان لقوم يعتقدون منفعتها وتأثيرها بطبعها كما كانت

Marfat.com

الجاهلية تزعمه فى اشياء كثيرة قال القاضى وجاء فى حديث فى غير مسلم سئل عليه السلام عن النشرة فاضا فها الى الشيطان قال والنشرة معروفه مشهورة عند اهل التعزيم وسميت بذلك لانها تنشر عن صاحبها اى تخلى عنه وقال الحسن هى من السحر قال القاضى وهذا محمول على انها اشياء خارجة عن كتاب الله تعالى واذكاره وعن المداواة المعروفة التى هى من جنس المباح وقد اختار بعض المتقدمين هذا فكره حل المعقود عن امرأته وقد حكى البخارى فى صحيحه عن سعيد بن المسيب انه سئل عن رجل به طب اى ضرب من الجنون او يؤخذ عن امرأته ايخلى عنه او ينشر قال لا بأس به انما يريدون به الصلاح فلم ينه عما ينفع وممن اجاز النشرة الطبرى وهو الصحيح قال كثيرون اوالاكثرون يجوز الاسترقاء للصحيح لما يخاف ان يغشاه من المكروهات والهوام ودليله احاديث منها حديث عائشة رضى الله عنها فى صحيح البخارى كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا آوى الى فراشه تفل فى كفيه ويقرأ * قل هو الله احد * والمعوذتين ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يده (وقد جاءت الآثار) والاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم (فى الاباحة) من غير كراهة (الا يرى ان النبى صلى الله عليه وسلم (لما جرح) بالبناء للمفعول اى جرحه المشركون (يوم احد) بضمتين اسم جبل بالمدينة (داوى جرحه بعظم قد بلى) اى انحت وتفتت فدره على جرحه كارماد يدر على الجراحة لينقطع دمها (وروى ان رجلا من الانصار رمى) بالبناء للمفعول (فى اكحله) وهو عرق فى اليد اوهو عرق الحياة ولا تقل عرق الاكحل كذا فى القاموس (بمشقص) كمنبر نصل عريض اوسهم فيه ذلك والنصل الطويل اوسهم فيه ذلك يرمى به للوحش كما فى القاموس (فامر به) اى بذلك الرجل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فكوى) بالنار على موضع الجراحة (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقى) نفسه اوغيره (بالمعوذتين) وهما قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس كما مر فى حديث عائشة رضى الله عنها وفى حديثها ايضا عند مسلم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اشتكى منا انسان مسح بيمينه ثم قال اذهب الباس رب الناس لا شافى الا انت اشف شفاء لا يغادر سقما وقال النووى فى شرح مسلم فيه استحباب مسح المريض باليمين والدعاء له وقد جاء دعوات كثيرة صحيحة جمعتها فى كتاب الاذكار وهذا المذكور هنا هو احسنها ومعنى لا يغادر سقما اى لا يترك والسقم بضم السين واسكان القاف وبفتحتها لغتان وفى حديث عائشة رضى الله عنها ايضا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باصبعه هكذا ووضع سبابته فى الارض ثم رفعها باسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا قال جمهور العلماء المراد بارضنا هنا جملة الارض وقيل ارض المدينة خاصة لبركتها والريقة اقل من الريق ومعنى الحديث انه يأخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة

Marfat.com

ثم يضعها على الثوب يتعلق بها منه شئ فيمسح به على الموضع الجريح اوالعليل ويقول هذا الكلام فى حال المسح واختلف قول مالك فى رقية اليهودى والنصرانى المسلم وبالجواز قال الشافعى (والاثار فيه) اى فى تداوى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورقيته (اكثر من ان تحصى) وهى مفصلة فى كتب متون الحديث وشروحها (انتهى) مانقله عن كتاب بستان العارفين (ثم ان عدالكى من) القسم (الموهوم) كما مر (ليس بكلى) اى بامر مطلق (بل قد يكون) الكى (من) القسم (المظنون بل من) القسم (المتيقن) به بحسب غلبة نفعه اوتحققه (فلذا امر) فى الشرع كما هو مذكور فى كتب الفقه (بالحسم) مصدر حسمه يحسمه فانحسم قطعه بالدواء كذا فى القاموس (فى قطع) يد (السارق) وذلك ان توضع يده بعد قطعها فى زيت مغلى على النار حتى يمتنع سيلان الدم منه (لئلا يفضى) اى يوصل القطع (الى الهلاك) بسيلان الدم (وعد التطير من) القسم (الموهوم) ايضا (يوهم الجواز) اى جواز التطير (كقرينه) وهما الكى والرقية كما مر (بل هو) اى التطير (حرام و) قد (اختلف) بالبناء للمفعول اى اختلف العلماء (فى كونه كفرا) حيث كان فيه نسبة التأثير الى غير الله تعالى (ذكره) الامام (قاضيخان) فى فتاواه (وغيره) ايضا قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر صاحت الطير فقال رجل يموت المريض اوخرج الى السفر فرجع الى صياح العقعق كفر عند بعضهم وقيل لا كذا فى البزازية والاصح انه لا يكفر كما فى عمدة المفتى وفى الخانية وجه القول بعدم الكفر انه انما قال ذلك على وجه التفاؤل قال ابن الشحنة وعلى هذا ينبغى ان يجرى سائر احكام الفصل بمقتضى الطيرة ويكون الخلاف واقعا فى كفره وكذا فى كل مايقوله الانسان عند وقوع امر من الامور التى تقول الجهلة عندها يكون كذا من الامر كما ذكره فى مسئلة صياح الهامة وقال النووى فى شرح التطير التشاؤم واصله الشئ المكروه من قول او فعل وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء والطيور فان اخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا فى سفرهم وحوائجهم فيشرون وان اخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشأموا بها فكانت تصدهم فى كثير من الاوقات عن مصالحهم فنفى الشرع ذلك وابطله ونهى عنه واخبر انه ليس له تاثير ينفع ولا يضر فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم لاطيرة و فى حديث آخر الطيرة شرك اى اعتقاد انها تنفع اوتضر اذا عملوا عقتضاها معتقدين تاثيرها فهو شرك لانهم جعلوا لها اثرا فى الفعل والايجاد (فظهر) من جملة ماتقدم من الكلام (ان علم الطب ليس بفرض بل هو مستحب عندنا) كما قال صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله تعالى كما مر والحديث فى مسلم وقال النووى فى شرحه وفى هذا الحديث اشارة الى استحباب الدواء وهو مذهب اصحابنا وجمهور السلف

Marfat.com

وعامة الخلف قال القاضى فى هذه الاحاديث جمل من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطبب فى الجملة واستحبابه بالامور المذكورة فى هذه الاحاديث التى ذكرها مسلم قال وفيها رد على من انكر التداوى من غلاة الصوفية وقال كل شئ بقضاء وقدر فلاحاجة الى التداوى وحجة العلماء هذه الاحاديث ويعتقدون ان الله تعالى هو الفاعل وان التداوى هو ايضا من قدر الله تعالى وهذا كالامر بالدعاء وكالامر بقتال الكفار وبالتحصن ومجانبة الالقاء باليدالى التهلكة مع ان الاجل لايتغير * والمقادير لاتأخر ولاتتقدم عن اوقاتها ولابد من وقوع المقدورات (وقال) الامام ابوحامد (الغزالى) رحمه الله تعالى (فى) كتابه (الاحياء) اى احياء علوم الدين (انه) اى علم الطب (فرض كفاية) حتى لاتخلو البلدة ممن يعلم ذلك فربما يحتاج اليه فى معرفة الامزجة لتوقى المضار وجلب المنافع مما لاتفى به التجربة خصوصا فى بعض العقاقير التى لايعلم الناس نفعها ولاضررها (فاذا فرغ السالك) بالعبادة فى طريق الله تعالى (عن) تعلم (فرض العين) الذى هو علم الحال كما سبق بيانه (ووجد) هناك (من يقوم) عنه (بفرض الكفاية) مما يتعلق بحال غيره على حسب مامر تفصيله (اولم يوجد) هناك من يقوم بذلك (فحصله) هو (ايضا) كما حصل فرض العين (فله الخيار) بعد ذلك من غير حرج عليه لان الحرج مرفوع بالنص كما قال تعالى * وما جعل عليكم فى الدين من حرج (ان شاء) اى ذلك السالك المذكور (اقبل على العبادة) فاشتغل بها وانقطع اليها معرضا عما عدا ذلك ومنهمكا فى نفع نفسه بطاعة ربه (وان شاء اقبل على) الاشتغال بتحصيل (العلم المندوب اليه) المتقدم بيانه ليكمل فى رتبة العلم ويتضلع من انواع الكمال (فهذا) اى المقبل على العلم المندوب اليه زيادة على ماعنده من العلم المفروض عليه عينا وكفاية (افضل) عندالله تعالى (من الاول) اى المقبل على العبادة بعد تعلمه مافرض عليه عينا وكفاية لان عبادة الله تعالى بنوافل العلم افضل من عبادته بنوافل العمل كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العلم خير من العبادة وملاك الدين الورع اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير عن ابى هريرة وفى رواية العلم خير من العمل وفى رواية العلم افضل من العمل وقال المناوى فى شرحه لان العلم مصحح لغيره مع كونه متعديا فالعبادة مفتقرة له ولاعكس ولان العلماء ورثة الانبياء ولايوصف المتعبد بذلك ولان العلم تبقى ثمرته بعد صاحبه والعبادة تنقطع بموته ومن ثمه اتفقوا كما فى المجموع على ان الاشتغال بالعلم افضل منه بنحو صلاة وصوم وقال ايضا لان فى بقاء العلم احياء الشريعة وحفظ معالم الملة ولان العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له واجب عليه طاعته وفى العتابى اذا خلا الزمان من سلطان ذى كفاية فالامور موكلة الى العلماء ويلزم الامة الرجوع اليهم ويصيرون ولاة فاذا عسر جمعهم على واحد استقل كل قطر باتباع علمائه فان كثروا فالمتبع اعلمهم فان استووا اقرع بينهم وقال السمهودى وهذا من حيث انعقاد الولاية.

Marfat.com

الخاصة فلاينافى وجوب طاعة العلماء مطلقا فاندفع ماللسبكى هنا وكان الامام مالك يمتنع من الولايات فيحبس ويعذر ومع ذلك يمتثل امره انتهى كلامه وهذا الذى ذكر من ان العالم افضل من العابد والعلم افضل من العبادة محله فيما اذا علم العبد العلم المفروض عليه فرضا عينيا والمفروض فرض كفاية كما تقدم وفيما اذا علم بالعلم المفروض عليه واما اذا ترك العمل ولو ببعض ما فرض عليه فليس مجرد علمه افضل من العمل المفروض وانما هذه الفضيلة بين النقلين من العلم والعمل والفرضين منهما لمن اتى بهما ولهذا قال عليه السلام فيما اخرجه الاسبوطى عن عبادة العلم خير من العمل وملاك الدين الورع والعالم من يعمل وفى حديث جابر قال عليه السلام العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم (الآيات) اى هذه الايات التى تدل على شرف العلم وعلى فضيلته وذلك احد عشر آية من سور مختلفة * الآية الاولى من سورة البقره وهى قوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) اما بخلق علم ضرورى بها فيه او القاء فى روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمه فلم يتعلم وآدم اسم اعجمى كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روى عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك تأتى بنوه اخيافا ومن الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعد الادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها قاله البيضاوى وقال الواحدى ووجه تعليمه آدم ان خلق فى قلبه علما بالاسماء على سبيل الابتداء والهمه العلم بها قال ابن عباس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والمفرفة وقيل ان الله علم آدم جميع اللغات ثم ان اولاده تكلم كل واحد منهم بلغة اخرى فلما تفرقوا فى البلاد اختص كل فرقة منهم بلغة فاللغات كلها انما سمعت من آدم واخذت عنه وقال البغوى سمى آدم لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته ابو محمد وابو البشر فلما خلقه الله عز وجل علمه اسماء الاشياء وذلك ان الملائكة قالوا لما قال الله * انى جاعل فى الارض خليفة * ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فاظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على ان الانبياء افضل من الملائكة وان كانوا رسلا كما ذهب اليه اهل السنة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة وقيل اسم ما كان ومايكون الى يوم القيامة وقال الربيع بن انس اسماء الملائكة وقيل اسماء ذريته وقيل صنعة كل شئ وقال الخازن وقيل خلق الله كل شئ من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم اسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى انتى

Marfat.com

على آخرها (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ لتقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى *واشتعل الرأس شيبا* لان الغرض السؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء ولاسيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء اومدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء قاله البيضاوى وقال البغوى وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات ذاجمعت من يعقل ومن لا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والاناث بلفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شئ الحيوان والجماد ثم عرض تلك الاشخاص على الملائكة فالكناية راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم وقال الواحدى معنى العرض فى اللغة الاظهار ومنه عرض الجارية وعرض الجند ويقال عرضت المتاع على البيع اذا اظهرته للمشترى قال الله تعالى *وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا* اى ابرزناها حتى رأوها وقيل ان الله تعالى خلق كل شئ الحيوان والجماد ثم علم آدم اسماءه ثم عرض تلك الشخوص الموجودات على الملائكة ولذلك قال ثم عرضهم لانه كنى عن المسلمين والمسلمات وكان فيهم من يعقل من الجن والانس و للملائكة (فقال انبؤنى) اى اخبرونى (باسماء هؤلاء) الاشخاص وهذا امر تعجيز اراد الله تعالى ان يبين عجزهم عن علم ما يرون ويشاهدون فلا يظنون انهم اعلم من الخليفة الذى يجعله الله فى الارض قاله الواحدى وقال البيضاوى تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعداد وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال (ان كنتم صادقين) انى لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم وافضل منه قاله الواحدى وقال البيضاوى فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم اوان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرح بوابه لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه بعرض ما يلزم مداوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاآت (قالوا) يعنى الملائكة اقرارا بالعجز واعتذارا (سبحانك لا علم لنا الا علمتنا) اى تنزيها لك وتعظيما عن ان يعلم الغيب احد سواك وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك فى حكمك قاله الواحدى وقال البيضاوى اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الانسان والحكمة فى خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعل كمعاذ الله وقد اجرى علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ فى قوله *سبحان من علقمة الفاجر* وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال

Marfat.com

موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك انى كنت من الظالمين وقال الواحدى لاعلم لنا قال المفسرون هذا اعتراف من الملائكة بالعجز عن علم مالم يعلموه وكأنهم قالوا لاعلم لنا الا ماعلمتنا وليس هذا مما علمتنا فجاء الكلام مختصرا (انك انت العليم) اى العالم (الحكيم) اى الحاكم تحكم بالعدل وتقضى به والحكم القضاء بالعدل ويجوز ان يكون بمعنى المحكم للاشياء كالاليم بمعنى المؤلم والسميع بمعنى المسمع وقال البغوى انت العليم بخلقك الحكيم فى امرك وقال البيضاوى العليم الذى لايخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذى لايفعل الامافيه حكمة بالغة (قال ياآدم انبئهم) اى اعلمهم (باسمائهم) لما ظهر عجز الملائكة عن علم اسماء الموجودات قال الله تعالى * ياآدم انبئهم باسمائهم * فسمى كل شئ باسمه والحق كل شئ بجنسه (فلما انبأهم باسمائهم) اى اخبرهم باسمياتهم (قال الم اقل لكم) الم حرف نفى وصل بالاستفهام فصار بمعنى الايجاب والتقرير كقول جرير * الستم خير من ركب المطايا * انتم كذلك (انى اعلم غيب السموات والارض) اى ماغاب فيهما عنكم وهذا كقوله * ولله غيب السموات والارض * اى ماغاب فيهما ملكا وخلقا (واعلم ماتبدون) اى من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها (وماكنتم تكتمون) من اضمار ابليس الكفر وقيل ماكنتم تكتمون من قولهم ان يخلق الله خلقا افضل ولااعلم منا قاله الواحدى وقال البغوى قال ابن عباس هو ان ابليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لاروح فيه فقال لامر ماخلق هذا ثم دخل فى فيه وخرج من دبره وقال انه خلق لايتماسك لانه اجوف ثم قال للملائكة الذين معه ارأيتم ان فضل هذا عليكم وامرتم بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع امر ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لئن سلطت عليه لاهلكنه ولئن سلط على لاعصينه قال الله تعالى * واعلم ماتبدون * يعنى الملائكة من الطاعة * وماكنتم تكتمون * يعنى ابليس من المعصية وقال البيضاوى استحضار لقوله اعلم مالاتعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ماخفى عليهم من امور السموات والارض وماظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم مالايعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا متصدين لان يبين لهم واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص اوعموم وتعليمها ظاهر فى القائها على المتعلم مبيناله معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع والاصل ينفى ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والالتكرر قوله * انك انت العليم الحكيم * وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة وانه تعالى يعلم الاشياء

Marfat.com

قبل حدوثها * الآية الثانية من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (يؤتى) اى
الله تعالى (الحكمة من يشاء) من عباده وهو تحقيق العلم واتقان العمل قاله البيضاوى
وقال الواحدى قال ابن عباس والمفسرون يعنى القرآن والفهم فيه وقيل الورع وقال
البغوى قال السدى هى النبوة وقال ابن عباس وقتادة علم القرآن ناسخه ومنسوخه
ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله وقال الضحاك القرآن
والفهم فيه وقال فى القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة والف آية حلال وحرام
لايسع المؤمن تركهن حتى يعلمهن وقال مجاهد هى القرآن والعلم والفقه وروى ابن
نجيح عنه الاصابة فى القول والفعل وقال ابراهيم النخعى معرفة معانى الاشياء وفهمها
وقال الخازن حاصل هذه الاقوال يرجع الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء
بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها (ومن يؤت) اى
يؤتيه الله بمحض فضله (الحكمة) المذكورة (فقد اوتى خيرا كثيرا) تنكير للتعظيم
وفى حقائق القرآن لابى عبد الرحمن السلمى قال بعضهم الحكمة العلم اللدنى وقيل
الحكمة اشارة لاعلة فيها وقيل الحكمة اشهاد الحق على جميع الاحوال وقيل الحكمة
تجديد السر لورود الالهام وقال ابو عثمان الحكمة هى النور المفرق بين الالهام
والوسواس سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول ان الله بعث الرسل
بالنصح لانفس خلقه وانزل الكتاب لتثبتة قلوبهم وانزل الحكمة لسكون ارواحهم
فالرسول داع الى امره والكتاب داع الى احكامه والحكمة مشيرة الى فضله وقال القاسم
الحكمة ان يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك وقيل يؤتى الحكمة
من يشاء الفهم فى كتاب الله ومن اوتى فهم كتابه اعطى حظا عظيما من قربه قاله ابن عطاء
وقيل الحكمة الخشية * الآية الثالثة من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (ومايعلم
تأويله) اى الذى يجب ان يحمل عليه (الا الله والراسخون فى العلم) اى الذين ثبتوا
وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا
ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية بعادل القاطع على ان ظاهره
غير مراد ولم يدل على ماهو المراد (يقولون آمنا به) استئناف موضح لحال
الراسخين اوحال منه (كل من عند ربنا) اى كل من المتشابه والمحكم من عنده
قاله البيضاوى وقال الواحدى ومايعلم تأويله الا الله يريد مايعلم انقضاء ملك امة
محمد صلى الله عليه وسلم الا الله لان انقضاء ملك هذه الامة مع قيام الساعة ولايعلم ذلك
ملك مقرب ولا نبى مرسل ثم ابتدأ فقال والراسخون فى العلوم اى الثابتون فيه والرسوخ
الثبوت فى الشئ وعند اكثر المفسرين المراد بالراسخين علماء مؤمنى اهل الكتاب مثل
عبد الله بن سلام قال عباس بقولهم آمنا به سماهم الله راسخين فى العلم فرسوخهم فى العلم
قولهم آمنا به اى بالمتشابه كل من عند ربنا المحكم والمتشابه الناسخ والمنسوخ وماعلمناه

Marfat.com

ومالم نعلمه قال ابن عباس نزل القرآن على اربعة اوجه فوجه حلال وحرام لايسع احدا جهالتهما ووجه عربى يعرفه العرب ووجه تأويل يعلمه العلماء ووجه تأويل لايعلمه الا الله فمن ادعى فيه علما فقد كذب معنى انتحل اى ادعى باطلا وقال البغوى اختلف العلماء فى نظم هذه الآية فقال قوم الواوفى قوله والراسخون واو العطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنابه وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالا ومعناه والراسخون فى العلم قائلين آمنابه وروى عن ابن عباس انه كان يقول فى هذه الآية انا من الراسخين فى العلم وعن مجاهد انا ممن يعلم تأويله وذهب الاكثرون الى ان الواوفى قوله والراسخون واوالاستئناف وتم الكلام عند قوله ومايعلم تأويله الا الله وهوقول ابى بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير ورواية طاووس عن ابن عباس وبه قال الحسن واكثر التابعين واختاره الكسائى والفراء والاخفش وقالوا لايعلم تأويل المتشابه الا الله ويجوز ان يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو هذا والخلق متعبدون فى المتشابه بالايمان به وفى المحكم بالايمان به والعمل ومما يصدق ذلك قراءة عبدالله ان تأويله الا عندالله والراسخون فى العلم يقولون آمنابه وفى قراءة ابى ويقول الراسخون فى العلم آمنابه قال عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا كل من عند ربنا وهذا القول اقيس فى العربية واشبه بظاهر الآية والراسخون فى العلم الداخلون فيه وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لايدخل فى معرفتهم شك واصله من رسوخ الشئ فى الشئ وهو ثبوته يقال رسخ الايمان فى قلب فلان يرسخ رسخا ورسوخا وسئل مالك بن انس عن الراسخين فى العلم قال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ فى العلم من وجد فى علمه اربعة اشياء التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه (وما يذكر) يتعظ بما فى القرآن (الا اولوا الالباب) ذوا العقول قال الخازن وهذا ثناء من الله عزوجل على الذين قالوا آمنابه كل من عند ربنا وقال البيضاوى مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشى الحس *الآية الرابعة من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (شهد الله انه لااله الا هو) بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها قاله البيضاوى وقال البغوى قيل نزلت هذه الآية فى نصارى نجران فقال الكلبى قدم حبران من احبار الشام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ماأشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال انا محمد واحمد قالا فانا نسئلك عن شئ فان اخبرتنا به

Marfat.com

آمنا بك وصدقناك فقال سلا قال اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله تعالى * فانزل الله هذه الآية فاسلم الرجلان شهدالله اى بين الله لان الشهادة تبيين وقال مجاهد حكم الله وقيل اعلم الله انه لااله الاهو قال ابن عباس خلق الله الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر (والملائكة) اى وشهدت الملائكة قيل معنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار (واولوا العلم) يعنى الانبياء عليهم السلام وقال ابن كيسان يعنى المهاجرين والانصار وقال مقاتل علماء مؤمنى اهل الكتاب عبدالله بن سلام واصحابه وقال السدى والكلبى يعنى علماء المؤمنين (قائما بالقسط) مقيما للعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله ذكره البيضاوى وقال البغوى اى قائم بتدبير الخلق كما يقال فلان قائم بامر فلان اى مدبر له ومتعهد لاسبابه قائم بحق فلان اى مجازله فالله جل ذكره مدبر رازق مجاز بالاعمال * الآية الخامسة من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (ولكن كونوا ربانيين) جمع ربانى وهو المنسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل قاله البيضاوى وقال الواحدى اى معلمين وقيل فقهاء علماء حكماء فالربانى المنسوب الى الرب على معنى التخصيص بعلم الرب اى بعلم الشريعة وصفات الرب وقال المبرد الربانيون ارباب العلم وقيل الربانى الذى يربى العلم ويربى الناس اى يعلمهم ويصلحهم وعلى هذا القول الربانى من الرب الذى هو بمعنى التربية وقال البغوى واختلفوا فى الربانى قال على وابن عباس والحسن كونوا فقهاء علماء وقال قتادة حكماء علماء وقال سعيد بن جبير العالم الذى يعمل بعلمه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقهاء معلمين وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره وقال عطاء علماء حكماء نصحاء لله فى خلقه قال ابو عبيدة سمعت رجلا عالما يقول الربانى العالم بالحلال والحرام والامر والنهى العارف بانباء الامة ماكان ومايكون وقيل الربانيون فوق الاحبار والاحبار فوق العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس قال المؤرج كونوا ربانيين تدينون لربكم من الربوبية كان فى الاصل ربى فادخلت الالف للتفخيم ثم ادخلت النون لسكون الالف كما قيل صنعانى وبهرانى وقال المبرد هم ارباب العلم سموا به لانهم يربون العلم ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها وكل من قام باصلاح شئ واتمامه فقد ربه يربه واحدها ربان كما قالوا ريان وعطشان وشبعان وغرثان ثم ضمت اليه ياء النسبة وحكى عن على انه قال هو الذى يربى عمله بعلمه قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات ربانى هذه الامة وقال ابو عبد الرحمن السلمى قال الواسطى كونوا ربانيين تملكون الاشياء ولا يملككم شئ وقال جعفر كونوا مستمعين بسمع القلوب وناظرين باعين الغيوب

Marfat.com

وقال ابن عطاء اخرجهم بهذا الخطاب عما خاطبهم به من العبودية وقيل فى قوله كونوا ربانيين جذبهم بهذا من الافتخار بالطين الى الافتخار بالحق وقال الجنيد اخرجهم من الكون جملة وجذبهم الى الحق اشارة وقال الشبلى ارباني الذى لايأخذ العلوم الامن الرب ولايرجع فى بيانه الاالى الرب عزوجل وقال الجريرى كونوا ربانيين اى سامعين من الله تعالى ناطقين بالله تعالى (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل قاله البيضاوى وقال البغوى بما كنتم اى بما انتم كقوله تعالى من كان فى المهد صبيا اى من هو فى المهد وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تعلمون بالتشديد من التعليم وقرأ الآخرون بالتخفيف من العلم وبما كنتم تدرسون اى تقرؤن وقال الواحدى اى بكونكم عالمين بالكتاب وبكونكم دارسين له وقيل كونوا معلمين الناس بعلمكم ودرسكم علموا الناس وبينوا لهم ومن قرأ تعلمون بالتشديد من التعليم فالمعنى بكونكم معلمين اى علموا الناس الكتاب وبينوا لهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما فيه الحق والصواب حتى تستحقوا هذه الصفة وتكونوا معلمين وقال الخازن اى كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة يوجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لابهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه *الآية السادسة من سورة طه وهى قوله تعالى (وقل رب زدنى علما) اى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال اى استعجاله صلى الله عليه وسلم فى تلقى الوحى من جبريل فان ما اوحى اليك تناله لامحالة قاله البيضاى وقال الخازن علما فيه التواضع لله والشكر له والمعنى زدنى علما الى ماعلمت فان لك فى كل شئ علما وحكمة وقيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى ايمانا ويقينا وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام زدنى علما حفظا وقيل قرآنا وقيل ادبا لان علم الشرع لايحتاج الى الالتماس او بقصص الانبياء ومنازل الاولياء او بحال امتى بعدى اوصبرا على الطاعة والجهاد لانه يسهل بزيادة العلم وحقيقته العلم بالله لانه لايتناهى وقال صلى الله عليه وسلم كل يوم لازداد فيه علما بالله تعالى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال ابو عبدالرحمن السلمى وقل رب زدنى علما قال بعضهم اجعلنى عالما بك جاهلا بما سواك وهو زيادة العلم وقال محمد بن الفضل زدنى علما بنفسى وما تضمره من الشر والمكروه والغدر لاقوم بمعونتك فى مداواة كل شئ منها بدوائها *الآية السابعة من سورة العنكبوت وهى قوله تعالى (وتلك الامثال) اى الاشباه يعنى امثال القرآن التى شبه بها احوال كفار هذه الامة باحوال كفار الامم المتقدمة قاله الخازن (نضربها للناس) تقريبا لما بعد من افهامهم (وما يعقلها الا العالمون) الذين يتدبرون الاشياء على ماينبغى وعنه عليه السلام انه تلى هذه الآية

Marfat.com

فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ذكره البيضاوى وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام العالمون الموحدون وقال ابوعبد الرحمن السلمى قال سهل اى ولا يثبتها الا العالمون به وباسمائه وصفاته لانهم علماء النسبة والباقون علما المنهج والعالم على الحقيقة من يحجزه علمه عن كل ما لا ينجيه العلم الظاهر * الآية الثامنة من سورة الروم وهى قوله سبحانه وتعالى (ان فى ذلك) اى فى اختلاف السنتكم والوانكم كما ذكر فى الآيه قبله (لايات للعالمين) لا يكاد يخفى على عاقل من ملك اوانس اوجن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون قاله البيضاوى * الآية التاسعة من سورة فاطر وهى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به فهو اخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انى اخشاكم لله و تقاكم له وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية والواخر لانعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا قاله البيضاوى وقال الخازن قال ابن عباس يريد انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية وعن عائشة رضى الله عنها قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال مابال اقوام يتنزهون عن الشئ اصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية قولها فرخص فيه اى لم يشدد فيه قولها فتنزه اى تباعد عنه وكرهه قوم وعن انس رضى الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين والخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبى افتنى ايها العالم فقال الشعبى انما العالم من خشى الله عزوجل وقال مقاتل اشد الناس لله خشية اعلمهم به وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم وفى حاشية شيخى زاده على تفسير البيضاوى فى سورة البقرة قال وظاهر قوله تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * يدل على انه ليس للجنة اهل الا العلماء لان كلمة انما للحصر فهذه الآية تدل على ان خشية الله تعالى لا تحصل الا للعلماء والآية الثانية وهى قوله تعالى * ذلك لمن خشى * ربه دالة على ان الجنة لاهل الخشية وكونها لاهل الخشيه ينافى كونها لغيرهم فدل مجموع الآيتين على انه ليس للجنة اهل الا العلماء واعلم ان هذه الآية فيها تخويف شديد وذلك لانه ثبت ان الخشية من الله تعالى من لوازم العلم بالله فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله وهذه الدقيقة تنبهك على ان العلم الذى هو سبب القرب من الله تعالى هو الذى يورث الخشية وان انواع المجادلات وان دقت وعظمت اذا خلت عن افادة

Marfat.com

الخشية كانت من العلم المذموم وفى حاشية الشيخ جمالدين خليفة على البيضاوى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء بالله دون غيرهم وهم الذين علموه تعالى بجلال ذاته وكمال صفاته وقوة افعاله وعلموه انه كما اهلك من عباده ولم يبال وسينتقم من كثير من العباد يوم القيامة ولا يبالى وما يقال من ان الآية تدل على ان الخشية فى العلماء ولا تدل على ان كل عالم فيه خشية فمدفوع بان مأخذ الاشتقاق يفيد العلية وفى الكشاف فى سورة النازعات لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * اى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامور من خشى الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الادلاج السير اول الليل وفى حاشية خليفة ايضا عند قوله تعالى * وهم من خشيته مشفقون * خص بذلك العلماء قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * يعنى لكون الخشية مشتملة على معنى التعظيم خص بها العلماء وقصرها فيهم بانما لان التعظيم يصدر بعد معرفة قدر الشئ وعظمه فالعلماء هم العالمون بجلال الله وجماله وعظمته وكماله فمن ذلك علم ان العلماء من هم ومن يقال له عالم وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام فى تفسيره العالم بالله يسلم له حاله فمن اقتفاه فى حاله زل والعالم بامر الله يقلد فى قاله فمن احتذاه فى فعاله زل والجامع لهما عز مثاله فمن انتشاه فى كماله جل * الآية العاشرة من سورة الزمر وهى قوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية على وجه ابلغ لمزيد فضل قاله البيضاوى وقال الخازن يعلمون اى ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومى وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام الذين يعلمون انهم ملاقوا ربهم او يعلمون فيعلمون يعنى غيرهم او يعلمون مالهم فى الطاعة وعليهم فى المعصية وعكسها مفهوم نزلت فى عمار وابى حذيفة بن المغيرة * الآية الحادية عشر من سورة المجادلة وهى قوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وابوائهم غرف الجنان فى الآخرة ذكره البيضاوى وقال الشيخ عزالدين يرفع الله الذين آمنوا بعلمهم وايمانهم اى اقدارهم فى الآخرة او فى الدنيا اى تفاوت المنازل على مقدار تفاوت الدرجات (والذين اوتوا العلم درجات) ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ذكره البيضاوى وقال الخازن اى يرفع الذين اوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وتسابقهم درجات على من سواهم فى الجنة وقيل يقال للمؤمن الذى ليس بعالم ذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع للناس قال الحسن قرأ ابن مسعود وقال يا ايها الناس اقيموا هذه الآية لترغبكم فى العلم فان الله يقول

Marfat.com

يرفع المؤمن العالم فوق الذى ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم فى اقواله وافعاله كلها وعن معاوية بن ابى سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده مجلس يدعون الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه ويرغبون اليه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء افضل انما بعثت معلما ثم جلس فيهم (الاحبار) اى هذه الاخبار الواردة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى فضيلة العلم وهى ثلاثة عشر حديثا * الحديث الاول (دت) يعنى روى ابو داود والترمذى باسنادهما (عن كثير بن قيس) رضى الله عنه (انه قدم رجل من المدينة) المنورة (على ابى الدرداء) رضى الله عنه (وهو) يومئذ (بدمشق) الشام (فقال) له ابو الدرداء (ما اقدمك) يعنى اى شئ كان سبب قدومك (يا اخى قال) اقدمنى (حديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) له ابو الدرداء (اما جئت لحاجة) غير هذا (قال لا قال اما قدمت) من بلدك (لتجارة قال لا قال) يعنى الرجل (ما جئت لا فى طلب هذا الحديث) اى فى سماعه منك (قال) ابو الدرداء (فانى قد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من سلك طريقا) سواء كان مسافرا اودون مدة السفر ولو فى مصر او قرية واو خطوة اوخطوتين (يبتغى) اى يطلب ويقصد (فيه) اى فى سلوكه ذلك (علما) نافعا كعلم معرفة الله تعالى على مذهب اهل الحق من العارفين والعلماء اهل الورع والدين وعلم الكتاب والسنة وعلم الشرايع والاحكام والعلوم الموصلة الى فهم الكتاب والسنة بنية فهم ذلك بها لا العلم المضر كعلم الكلام للمجادلة وعلم الشرايع للماهات ونحوها والعلوم الموصلة للمقصود لا بنية الوصول كعلوم العربية لذاتها فان الاشتغال بها لذاتها قاطع عن الاهم وموجب للغرور ودعوى العلم مع الجهل بالمقصود (سلك الله) تعالى (به) اى بذلك العبد (طريقا) موصلا (الى الجنة) وهو ذلك الطريق الذى سلكه فانه يصل بسبب سلوكه فيه الى دخول الجنة فى يوم القيامة لكثرة ما يحصل له من الثواب الجزيل والاجر الجليل (وان الملائكة) يعنى الحفظة الموكلين بالعبد او اعم منهم (لتضع) اى ترسل عن الطيران (اجنحتها) كما قال تعالى * جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع * وذلك كناية عن عدم فرارها منه او تواضعها له او سيره بالهامها او بسط اجنحتها ليسها باقدامه تبركا به وفيه اشارة الى فرار الشياطين عنه اذ لا يجتمع الشيطان والملك فى الاستيلاء والحضور وقال النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبيه ان معنى بسط اجنحة الملائكة التلطف وارادة الخير ودفع السوء وفى حديث

Marfat.com

زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما ونحن عنده طوبى للشام ان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليه رواه الامام احمد والترمذى وصححه هو وابن حبان والحاكم (رضاء) ى لاجل رضائها (لطالب العلم) النافع كما ذكرنا (وان العالم) بالعلم النافع (ليستغفر) اى يطلب من الله تعالى المغفرة (له) جميع (من فى السموات والارض) من الملائكة وغيرهم من الحيوان والنبات والجماد (حتى الحيتان) جمع حوت وهو السمك (فى الماء) وفى رواية يستغفر له كل شئ حتى الحيتان فى البحر قال الحليمى يحتمل ان معنى استغفارهم له ان يكتب الله له بعدد كل من انواع الحيوانات الارضية استغفارة مستجابة وحكمته ان صلاح العالم منوط بالعالم اذ بالعلم يدرى ان الطير لا يؤذى ولا يقتل الا لاكله ولا يذبح ما لا يؤكل لحمه ولا يعذب طير ولا غيره بجوع ولا بظمأ ولا يجلس فى حر ولا برد لا يطيقه وان قرار يدان البحر فى الماء اذا لم تكن اليها حاجة واجب وانه لا يجوز التاهى باخراجها من الماء والنظر الى اضطرابها من غير قصد اكلها واذا صيدت للاكل يجب الصبر عليها لتموت ولا يجوز فتحها بعصا او حجر الى غير ذلك ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (وفضل العالم) بالعلم النافع مع العمل به (على العابد) اى العامل من غير علم بمجرد توفيق الله تعالى له الى صحيح العمل بلا علم كما قدمناه اذ لو بطل عمله لم يكن عابدا فلا فضيلة له اصلا (كفضل القمر) المنير فى نوره فى ظلمة الليل (على سائر) اى بقية (الكواكب) اى النجوم التى فى السماء فانها لها نور ولكنه لا يظهر مع ظهور نور القمر فكذلك العابد الموفق للعبادة نور عمل صالح ولكنه لا يظهر مع ظهور نور العالم العامل بعلمه فانه عابد وزيادة (ان العلماء) بالعلم النافع العاملين بعلمهم لانهم الموفقون للاعمال الصالحة دون المخذولين الذين علمهم حجة عليهم (ورثة) جمع وارث لحظهم من العلم على قدر قربهم بالمتابعة (الانبياء) فانهم عليهم السلام كانوا عالمين للعلوم النافعة الشرعية عاملين بها فى الفرائض والنوافل فكذلك اتباعهم قال المناوى فى شرح الجامع الصغير فى حديث العلماء مصابيح الارض وخلفاء الانبياء وورثتى وورثة الانبياء وما سماهم ورثة لانبياء الا لمدانانتهم لهم فى الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله كذا فى الكشاف ومعجزات الانبياء عليهم السلام ضربان احدهما الوحى بواسطة الملك والثانى خرق العوائد كانقلاب العصا حية وفلق البحر واحياء الموتى ونبع الماء من بين الاصابع وافضل الناس من ورث منهم الامرين جميعا فورثوا فى مقابلة الوحى الالهام والعلوم وتبيين ما اتت به الانبياء عليهم السلام من الكتب بما جعل فى قلوبهم من النور وورثوا فى مقابلة الخوارق والآيات الكرامات وبذلك سموا ابدال النبيين لانهم بدل منهم قال بعضهم ومن ولى هذا المنصب فارتقى من مقام الولاية الى مقام الوراثة عظمت عداوة الجهال له لعلمهم بقبيح افعالهم وقصورهم عن معارج رتب الكمال وانكارهم لما وافق الهوى من اعمالهم

﴿ انتهى ﴾

Marfat.com

انتهى ومن هنا خوض السفلة ورعاع المتفقهة فى حق الشيخ الاكبر محيى الدين ابن العربى والشيخ شرف الدين بن الفارض والعفيف التلمسانى وابن سبعين ونحوهم بما لا يعرفه الفقيه المحجوب بحجب عالم الخلق عن اسرار عالم الامر الذى هو كلمح البصر وخاضوا فى فهم كلماتهم بما هم برئيون منه وافتروا عليهم فى نسبة المعانى الفاسدة التى تخالف الشريعة اليهم وسووا بينهم وبين الباطنية والزنادقة والملحدين ولم يقدروا من كثرة جهلهم وشدة غباوتهم مع دعواهم العلم ان يفرقوا بين كلامهم وكلام الكفار فوسوسوا فى صدور عامة المؤمنين الذين هم خير منهم وافسدوا عليهم اعتقادهم فى اولياء الله تعالى وحرموهم التماس بركاتهم واوقعوهم فى الانكار عليهم وعرضوهم لغضب الله تعالى وحرمانه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ان الانبياء) عليهم السلام (لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم) النافع وحثه (فمن اخذ به) اى تعلمه (فقد اخذ بحظ) اى نصيب (وافر) اى زائد من الكمال والمدد الالهى قال المناوى فى شرح الجامع الصغير يعنى ان جميع الانبياء عليهم السلام لم يورثوا شيئا من الدنيا لعدم صرفهم همهم الى اكتسابها واعراضهم عن الجمع والادخار واشتغالهم بما يوصل الى دار القرار لكن لا ينتقل الشئ الى الوارث الا بالصفة التى كان عليها عند المورث قال الغزالى لا يكون العالم وارثا لنبيه الا اذا الم على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه وبينه الا درجة النبوة وهى الفارقة بين الوارث والمورث اذ المورث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصله لكن انتقل اليه وتلقاه عنه * الحديث الثانى (ط) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن ابن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل العبادة) التى يعبد الله تعالى بها (الفقه) اى الفهم فى دين الله تعالى وهو معرفة النفس ما لها وما عليها اعتقادا وعملا وغلب فى عرف المتأخرين على معرفة الاحكام العملية عن ادلتها التفصيلية (وافضل الدين) اى الشرع المحمدى (الورع) وهو ترك المشتبهات ما يحتمل ان يكون حراما او مكروها مما ينفر منه قلب المؤمن زيادة على ترك المحرمات والمكروهات * الحديث الثالث (عط) يعنى روى الطبرانى فى الاوسط باسناده (عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قليل العلم) النافع مع العمل به والاخلاص فيه (خير من كثير العبادة) الموفق صاحبها لها على وجه الصحة من دون علم فان العالم العامل صاحب فضيلتين والعامل الموفق صاحب فضيلة واحدة فهو دون الاول * الحديث الرابع (ط) يعنى روى الطبرانى ايضا فى الاوسط باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاء) اى حضر (اجله) اى وقت موته (وهو يطلب العلم) النافع بقصد العمل به (لقى الله) تعالى فى يوم القيامة كما ورد فى خبر آخر ان الله تعالى

Marfat.com

يقبض له فى قبره من يعلمه (ولم يكن بينه و بين النبيين الا درجة النبوة) فان النبوة وهبية لا كسبية وقد انسد بابها وما بقى الا الولاية وهى تحصيل العلم النافع والعمل به ثم حصول علوم الالهام ببركة الاخلاص فى العمل كما قال الله تعالى * واتقوا الله ويعلمكم الله * فاذا مات طالب ذلك قبل تحصيل مقصوده لا يحشره الله تعالى يوم القيامة الا من اعلم العلماء الحديث الخامس (طك) يعنى روى الطبرانى فى الكبير باسناده (عن ثعلبة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله) تعالى للعلماء العاملين المخلصين (يوم القيامة اذا قعد) سبحانه وتعالى اى انكشف للخلق منجليا (على كرسيه) الذى وسع السموات والارض من غير كيفية ولا استقرار لانه تعالى ليس بجسم ولا عرض (لفصل عباده) اى قطع الخصومات بين بعضهم بعضا لظهور فضله تعالى عليهم وعدله فيهم (انى لم اجعل علمى) اى علمكم بى وباحكامى وحكمى (وحلمى) اى تخلقكم باخلاقى كما ورد تخلقوا باخلاق الله وفى حديث الجامع الصغير ان لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا من اتاه بخلق منها دخل الجنة (فيكم الا وانا اريد ان اغفر لكم جميع ذنوبكم) فلا اؤآخذكم بذنب منها (ولا ابالى) بذلك اى لا اهتم به لسهولته على * الحديث السادس (صف) يعنى روى الاصفهانى باسناده (عن ابى امامة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء) بالبناء للمفعول والمراد يوم القيامة (بالعالم) العامل المخلص فى عمله (والعابد) الموفق للعمل الصالح مع الاخلاص بلا علم (فيقال للعابد) المذكور (ادخل الجنة) لان نفعه قاصر عليه فادخله الجنة (ويقال للعالم) المذكور (قف حتى تشفع للناس) لان نفعه متعد الى غيره فهو ينفع نفسه وغيره فى الدنيا فينفع نفسه وغيره كذلك فى الآخرة * الحديث السابع (صف) يعنى روى الاصفهان ايضا باسناده (عن عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنهما انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم) المذكور (على العابد) المذكور (سبعون درجة مابين كل درجتين حضر) بضم الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة (الفرس) وهو ارتفاعها فى العدو كالاحضار والفرس محضير لا محضار اولغة كذا فى القاموس (سبعين عاما) ولعل السبعين فى الموضعين للتكثير لا للعدد كما فى قوله تعالى * ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم (وذلك) اى بسبب فضيلة العالم على العابد (لان الشيطان يبتدع البدعة للناس) اضلالا لهم بها بان يوقعها فى قلب احد من الغافلين ويزين له عملها و يغطى عليه فجها (فيبصرها العالم) بنور علمه النافع وعمله الصالح (فينهى عنها) فينفع بذلك نفسه وغيره (والعابد) الموفق بلا علم (مقبل على عبادة ربه) مشتغل بها (لا يتوجه اليها) اى الى تلك البدعة فلا يعرفها لينهى عنها وان عرفها بنور عمله الصالح فانتهى عنها هو فى نفسه فانه لا يتفرغ لينهى عنها غيره فنفعه قاصر عليه لا يتعدى الى غيره * الحديث الثامن (قط هق)

Marfat.com

يعني روي الدار قطني والبيهقي باسناد هما (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما عبد) بالبناء للمفعول اى ماعبد (الله) تعالى احد
(بشئ) من انواع العبادات فى ظاهره وباطنه (افضل من فقه) اى فهم
(فى دين الله) تعالى مع العمل بذلك والاخلاص فيه (ولفقيه) اى والله لفقيه
والفقيه هو العالم باحكام الله تعالى عليه وعلى غيره فى الظاهر والباطن العامل بعلمه
المخلص فيه (واحد) فكيف باثنين فاكثر (اشد) اى اكثر امتناعا وتباعدا (على
الشيطان) الذى يريد اغواءه واضلاله (من) امتناع وتباعد (الف عابد) موفق
للعمل الصالح بلافقه ولافهم لان مع الفقيه نور العلم زيادة على نور العمل الصالح فله
نوران فهو اكثر امتناعا واحتماء من ظلمة الشيطان ممن لهم نور واحد وهم العابدون
المنورون بالعمل الصالح (ولكل شئ عماد) اى عمود يرتفع بنيانه به ويعتمد عليه
(وعماد الدين) اى الشرع المحمدى (الفقه) اى الفهم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله
اعتقادا وعملا (وقال ابوهريرة رضى الله عنه والله لان اجلس ساعة) وهى جزء من اجزاء
الجديدين والوقت الحاضر والجمع ساعات وساع كذا فى القاموس (فافقه) اى اصير
فقيها فاهما فى دين الله تعالى (احب الى من ان احيى ليلة القدر) اى اقطعها بالتهجد
والعبادة مع ان ليلة القدر خير من الف شهر (وفى رواية) اخرى احيى (ليلة) من الليالى
(الى) وقت طلوع (الصباح) لان فقه الساعة نور ينتفع به صاحبه بالعمل والاخلاص
وغير صاحبه ايضا بالارشاد والدلالة واحياء الليلة نور ينتفع به صاحبه فقط والامر المتعدى
افضل من القاصر * الحديث التاسع (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن ابى امامة
رضى الله عنه انه ذكر) بالبناء للمفعول والذاكر بعض الناس (لرسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلان) من اصحابه (احدهما عابد) اى موفق للعمل الصالح بلاعلم (و)
الرجل (الآخر عالم) اى موفق للعمل الصالح مع العلم النافع (فقال) عليه الصلاة
والسلام (فضل) اى فضيلة (العالم) العامل بالاخلاص (على العابد) الموفق
بلاعلم الى العمل بالاخلاص (كفضلى) اى فضيلة النبى صلى الله عليه وسلم (على ادناكم)
اذ العمل الصالح يجمعهما ويمتاز النبى صلى الله عليه وسلم بزيادة العلم (ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله) سبحانه وتعالى (وملائكته) عليهم السلام (وهل
السموات) من الملائكة المجردين للعبادة (و) اهل (الارض) من جميع انواع الحيوانات
والنباتات والمعادن والانس والجن (حتى النملة) الكائنة (فى جحرها) بضم الجيم وبالحاء
المهملة قال فى القاموس الحجر بالضم كل حفرة تحتفره الهوام والسباع لانفسها
(والحيتان) جمع حوت وهو السمك (فى البحر يصلون) اى يدعون له ويستغفرون
ويثنون (على معلم الناس) من المؤمنين والكافرين (الخير) اى الطاعة بامتثال
الاوامر واجتناب المناهى قطعا اوظنا بالخطاب او بالكتاب اذا كان قصده بذلك التقرب

Marfat.com

الى الله تعالى لا الى المال والجاه * الحديث العاشر (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يشفع يوم القيامة) فى المذنبين من المسلمين (الانبياء) عليهم السلام لانهم الاصل فى ارشاد الناس وتعليمهم الخير فهم اول شافع فى المبتلين بالمعاصى دون الكفر (ثم) يشفع بعدهم (العلماء) بالعلم النافع مع العمل الصالح والاخلاص فيه والا كانوا فاسقين عاصين فيحتاجون الى شفاعة غيرهم فيهم (ثم) يشفع بعدهم (الشهداء) جمع شهيد والشهادة مقام من مقامات القرب الى الله تعالى وتحصل باسباب ظاهرة كالقتل ظلما ويسمى شهيد الدنيا كما هو مفصل فى كتب الفقه واسباب باطنة كالعشق مع العفه والصبر والموت ببعض الامراض كوجع البطن ونحوه ويسمى شهيد الاخرة على حسب ماهو مقرر فى موضعه وانما تأخر الشهداء عن العلماء لانهم انما امتازوا فى مقامهم بالعلماء فهم اتباع العلماء المذكورين * الحديث الحادى عشر (طك) يعنى روى الطبرانى فى الكبير باسناده (عن معاوية رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياايها الناس انما) يحصل (العلم) النافع للعمل به مع الاخلاص (بالتعلم) اى الدراسة على المشايخ اوالسماع منهم بقصد العمل به مع الاخلاص فيه لا بقصد غير ذلك ولهذا كثير ممن لم يرد فى وقت التعلم اوالسماع العمل بالعلم مع الاخلاص لا يتعلم غير صورة المسئلة و يفوته روحها وسرها وحكمتها ويحرم بركتها ولا يتحقق بشئ منها غير انه يتخيل بعقله صورتها الظاهرة فقط فتكون عنده قشرة بلا لب فلا يكبر فى نفسه العمل بها لانه لم يرد ذلك حين التعلم فتبقى حجة عليه لا له وربما كان تخيله صورتها سببا لانكاره بها واعتراضه على اهل العمل الصالح من الابرار والمقربين وهو لا يشعر لاستيلاء الغرور على قلبه وتراكم ظلمات الجهل المركب فى نفسه فيضل عن الصراط المستقيم كما نراه فى كثير من متفقهة زماننا (و) انما (الفقه) اى الفهم فى الدين المحمدى اعتقادا وعملا (بالتفقه) اى التفهم بقوة نور الخشوع والاخلاص والتقوى لا التفكر والتأمل بالنفس المدعية الاشتغال باطنا لتراكم ظلمات الغفلة والغرور والدعاوى الباطلة مع الاصرار على بغض الصالحين واحتقار مقامات المقربين فان ذلك التفكر لا يربح الا الضلال والغى والطمس والعمى (ومن يرد الله) تعالى (به خيرا) من خيور الدنيا والاخرة (يفقهه) اى يفهمه سبحانه وتعالى بمحض فضله عليه (فى) علوم (الدين) اى الشريعة المحمدية واسند هنا التفقيه الى الله تعالى وقبله التفقه الى النفس لان النفس اذا تفقهت بنور الخشوع والاخلاص متبراة من حولها وقوتها كما ذكرنا كان الله تعالى هو الذى يفقهها فيصح الاسنادان (وانما يخشى) اى يخاف خوف هيبة واجلال لا خوف عقاب فهو خوف الخواص والثانى خوف العوام و لهذا قال عليه السلام فى صهيب الرومى رضى الله عنه نعم

Marfat.com

العبد صهيب اولم يخف الله لم يعصه يعنى اولم يخفه خوف عقاب لم يعصه هيبة له واجلالا فقد نفى عنه خوف العقاب واثبت له خوف الاجلال والارهاب (الله) وفى تقديم المفعول اشارة الى الحصر اى لاغيره وفى ضمنه الاهتمام والتعظيم (من عباده) الانس والجن والملائكة وغيرهم (العلماء) اى العارفون به سبحانه من حيث ذاته العلية وصفاته السنية واسمائه القدسية وافعاله البهية واحكامه الفضلية والعدلية وتقدم الكلام على هذه الآية * الحديث الثانى عشر (برس) يعنى روى ابن عبد البر باسناده (عن معاذ رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا) يا معشر المكلفين (العلم) النافع بنية العمل به مع الاخلاص (فان تعلمه) كذلك (لله) تعالى والجار والمجرور متعلق بقوله (خشية) اى خشية لله سبحانه لا لغيره كما قال تعالى * ولا يخشون احدا الا الله * الآية (وطلبه) على الوصف الذى ذكرناه (عبادة ومذاكراته) كذلك بنية افادته واستفادته للعمل والاخلاص فالفرق بين التعلم والمذاكرة ان التعلم لمن لا يعلم والمذاكرة البحث مع من يعلم لسماع من لا يعلم او زيادة فائدة بتقوية فى دليل او تثبت من نسيان (تسبيح) اى تنزيه وتقديس لله تعالى لانها اما فى مسئلة اعتقادية تتعلق بجناب الله تعالى او عظيم شانه سبحانه او مسئلة عملية تتعلق بجزيل ثوابه وجليل نعمه او ما يسوق الى شئ من ذلك وما عداه فليس من العلم النافع بل من المضر الذى استعاذ منه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع (والبحث) اى التكلم من الجانبين بنية اظهار الحق للعمل به مع الاخلاص (عنه) اى عن العلم النافع كما ذكرنا (جهاد) فى النفس وفى الغير من جهة الموصوف بالنية الحسنة فاجره اجر المجاهد فى سبيل الله تعالى واما من جهة من لم يكن موصوفا بما ذكرنا فهو جهاد فى سبيل الشيطان فهو من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون والمخلص لا يظن سوءا بغيره لان الاصل الكمال فى الامة الموثقة بقوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * ولا يحيق المكر السيئ الا باهله (وتعليمه) اى العلم النافع (لمن لا يعلمه) من الناس صدقة) عليه (وبذله) اى ايراده (لاهله) المستعدين لقبوله والمتصفين به (قربة) اليهم (لانه) اى العلم المذكور (معالم) جمع معلم قال فى القاموس معلم الشئ كمقعد مظنته وما يستدل به كالعلامة (الحلال) من الاعتقاد والقول والعمل (والحرام) كذلك فان الحلال والحرام مما ذكر لا يعلم الا بالعلم فالعلم علامة على ذلك اى دلالة عليه وبيان له (ومنار) وهو الجبل وما يوضع بين الشيئين من الحدود ومحجة الطريق وموضع النور (سبل) جمع سبيل وهو الطريق (اهل الجنة) اى حدود الطرق الموصلة الى الجنة لانها تعلم به (وهو) اى العلم المذكور (الأنيس) لصاحبه وسامعه (فى) حالة (الوحشة والصاحب) الملازم للعبد (فى) حال (الغربة) عن الاوطان او عن الاقران والامثال كما ورد فى حديث الجامع الصغير طوبى للغرباء قال يا رسول الله من هم قال اناس صالحون

Marfat.com

فى اناس سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم وفى رواية من يبغضهم اكثر ممن يحبهم (والمحدث) اى المنادم لصاحبه فيما بينه وبين نفسه (فى الخلوة) اى فى حالة الانفراد عن الناس (والدليل) اى الدال المرشد (على السراء) اى ما يسر العبد (والضراء) اى ما يسوء مما يتعلق بامور الدنيا والآخرة فيعلم به صاحبه ما ينفعه وما يضره من جميع الامور (والسلاح) الذى يقاتل به (على الاعداء) فى الدين بالزام الحجج وابطال المذاهب الباطلة وفى الدنيا بأخماد الحسدة والمبغضين (والزين) الزينة والحلية والهيئة الحسنة (عند) لقاء (الاخلاء) جمع خليل وهم الاصحاب والاخوان (يرفع الله) تعالى (به) اى بالعلم المذكور فى الدنيا بالتقدم على غيرهم وفى الآخرة بالمراتب العالية (اقواما) وضعه فيهم بمحض فضله عليهم واحسانه اليهم (فيجعلهم) سبحانه (فى) انواع (الخير قادة) جمع قائد اى دعاة اليه يجذبون الناس بسلاسل الحجج والبينات الى نعيم الجنان كما ورد فى حديث الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة فى السلاسل وفى رواية البخارى عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل (وائمة) جمع امام يعنى يقتدى غيرهم بهم ويتابعهم ليصير مثلهم (تقتص) بالبناء للمفعول وبالصاد المهملة اى تتبع قال فى القاموس قص اثره قصا وقصصا تبعه (آثارهم) فى زمانهم بالافواه او الكتابة وكذلك بعدموتهم بحمد ونوا اخبار الصالحين الماضين وذكر واسيرتهم الحسنة (ويقتدى) بالبناء للمفعول (بفعالهم) قال فى القاموس فعال كسحاب اسم الفعل الحسن والكرم ويكون فى الخير والشر وهو مختص لفاعل واحد واذا كان فاعلين فهو فعال بالكسر فهو ايضا جمع فعل اه والمعنى انهم يبينون الدين المحمدى للناس باقوالهم وافعالهم كما كانت الانبياء عليهم السلام يفعلون كذلك فلو لم يكونوا عاملين بعلومهم لا يقتدى بافعالهم فيخرجون عن هذا الوصف المذكور (وينتهى) بالبناء للمفعول اى يتوصل الجاهلون (الى) معرفة (آرائهم) فيقفون عندها ولا يتجاوزونها ان قصدوا الفلاح والآراء جمع رأى وهو الاعتقاد (ترغب الملائكة) عليهم السلام (فى خلتهم) اى محبتهم وصحبتهم فلا يفارقونهم فيلهمونهم الخير ويحذرونهم من الشر وفى القاموس الخلة بالكسر هى الصداقة والاخاء والخلة ايضا الصديق للذكر والانثى والواحد والجمع والخل بالكسر والضم الصديق المختص اولا يضم الا مع ود يقال كان لى ودا وخلا والخليل الصادق اومن اصفاء المودة واصحها (وباجنحتها) اى الملائكة (تمسحهم) وهو كناية عن الهامهم ما به ترقى كثائفهم فيطيرون الى فضاء الملكوت الاعلى (يستغفر) اى يطلب المغفرة من الله تعالى (لهم) عن جميع ذنوبهم (كل) شئ (رطب) اى روحانى (ويابس) اى جسمانى والمراد جميع الاشياء (وحيتان) اى اسماك (البحر وهوامه) اى البحر وهى بقية حيوانات البحر

Marfat.com

(وسباع) اى وحوش (البر) بالفتح ضد البحر (وانعامه) جمع نعم بالتحريك وقد يسكن عينه وهى لابل والشاة اوخاص بالابل ويجمع على اناعيم كذا فى القاموس (لان العلم) مع العمل به والاخلاص فيه (حياة القلوب من) موت (الجهل ومصابيح) جمع مصباح وهو السراج (الابصار) جمع بصر يعنى ضياءها ونورها التى تبصر به (من الظلم) جمع ظلمة فكل شئ يخفى ينكشف بالعلم (يبلغ) اى يصل (العبد بالعلم الى منازل الاخيار) جمع خير قال فى القاموس الخير الكثير الخير كالخبر ككتف وجمعه اخيار وخيار اوالمخففة فى الجمال والميسم والمشددة فى الدين والصلاح (والدرجات العلى) اى الرفيعات (فى الدنيا والاخره والتفكر فيه) اى فى العلم المذكور (يعدل) ثواب (الصيام) لانه امساك عن التفكر فى غيره فهو حبس النفس على التفكر فيما يرضى الله تعالى كالصائم يحبس نفسه فى طاعة الله تعالى عن الاكل والشرب والجماع (ومدارسته) اى قراءته على المشايخ للحفظ والاتقان ومطالعته للفهم والايقان (تعدل) ثواب (القيام) بالتهجد خصوصا اذا كانت فى الليل وقد صفا الذهن وراقت البصيرة (به) اى بالعلم (توصل الارحام) بتعليمه لاقاربه واهله نساء ورجالا فيكون فى ذلك صلة رحم لهم (وبه يعرف) اى يتميز (الحلال والحرام) من كل اعتقاد وقول وعمل (وهو) اى العلم (امام العمل) لانه متقدم عليه تقدم الامام على المقتدى (والعمل تابعه) اى تابع العلم متأخر عنه (يلهمه) بالبناء للمفعول اى يلهمه الله تعالى (السعداء) جمع سعيد وهو من سبقت له الحسنى من الله تعالى فكان من اهل اليمين (ويحرمه) اى يحرمه الله تعالى (الاشقياء) جمع شقى وهو من حقت عليه الكلمة الازلية انه من اهل النار فكان من اهل الشمال * الحديث الثالث عشر (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن ابى ذر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اباذر لان) اللام للقسم المقدر تقديره والله لان (تغدو) اى تذهب فى وقت الغدوة وهى بالضم البكرة اومابين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداة وغدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدا بكر كذا فى القاموس (فتعلم) بالتشديد وحذف احدى التائين تخفيفا والاصل تتعلم (آية) واحدة (من القرآن) بنية ان تقرأها فى الصلاة اوفى غيرها اوتعلمها لغيرك اولتفهم معناها فتتعظ به اوتستنبط منه ان كنت من اهل الاستنباط (خير لك) عندالله تعالى (من ان تصلى مائة ركعة) من النافلة لان نفل الركعات قاصر ونفع تعلم الآية متعد وقد تقع فرضا بخلاف النافلة من الصلاة (ولان تغدو) اى تذهب بكرة النهار (فتعلم) اى فتتعلم (بابا) اى نوعا (من) انواع (العلم) وفيه اشارة الى ان تعلم طرف من المسئلة لايكون كذلك مالم تتم بجميع اطرافها فلا يبقى منها طرف الا تعلمته كمسئلة صحة الصلاة فانها متوقفة على تعلم جميع شروطها واركانها بتفاصيل الابحاث فى ذلك (عمل) بالبناء للمفعول اى

Marfat.com

سواء عمل غيرك (به) اى بذلك الباب من العلم الذى تعلمته انت للعمل به مع الاخلاص (اولم يعمل) بالبناء للمفعول ايضا اى ترك العمل به غيرك وضعفت رغبة الناس فى القيام به (خير لك من ان تصلى) لله تعالى (الف ركعة) من النافلة خصوصا اذا نويت بتعلم ذلك الباب احياء سنة درستها الناس وتركوا العمل بها فعملت بها انت لارشادهم الى ذلك وسبقهم الى فعل الخير وحثهم عليه (اقوال) اى هذه اقوال (الفقهاء) اى علماء الاحكام الشرعية فى بيان العلم قال (فى) كتاب فتاوى (الخلاصة سئل ابو بكر) من فقهاء الحنفية رحمه الله تعالى (عن قراءة القرآن للمتفقه) اى الطالبين لمعرفة الفقه بقصد العمل به مع الاخلاص (هى افضل) عند الله تعالى (ام درس) اى مدارسة بمعنى قراءة ومطالعة علم (الفقه قال) المسؤل (حكى عن ابى مطيع) البلخى رحمه الله تعالى (انه قال النظر) اى التأمل والتفهم (فى كتب اصحابنا) وهى كتب علم الفقه (من غير سماع) من مدارسة غيره (افضل من قيام الليل) ولم يقل افضل من قراءة القرآن احتراما للقرآن والا فان قراءة القرآن فى غير الصلاة مستحبة والنظر فى كتب علم الفقه لاكتساب الفوائد قد يكون فرضا اذا احتاج للعمل المفروض (وعن الامام ابى بكر محمد بن الفضل البخارى) رحمه الله تعالى (انه سئل عن الفقيه) اى المشتغل ليلا ونهارا بمطالعة مسائل الفقه ومراجعة احكام الشريعة للعمل بها فى فرائضه والانتهاء عما نهى عنه ولتعليم غيره (هل) يترك ذلك و (يصلى صلاة التسبيح) المذكورة فى كتب الفقه (قال) فى الجواب (تلك) اى صلاة التسبيح (طاعة العامة) فانهم لا يقدرون على طاعة الاشتغال بعلوم الشرايع والاحكام ونشرها وافادتها للخاص والعام ولا شك ان ذلك افضل من صلاة التسبيح لانها نفع قاصر وهو متعد (فقيل) له (فلان الفقيه) وذكر له اسمه (يصلى صلاة التسبيح قال هو عندى) محسوب (من) جملة (العامة) حيث ترك النفع المتعدى الى الغير واشتغل بالنفع القاصر على النفس وهو طريقة العوام (انتهى) ما نقله عن الخلاصة (وفى) كتاب (التجنيس) تأليف الامام الفرغانى مؤلف الهداية رحمه الله تعالى (الرجل اذا تعلم بعض القرآن) وهو مقدار ما يحتاج اليه بان تعلم قدر الفرض للقراءة فى الصلاة وذلك آية طويلة او قصيرة عند ابى حنيفة رضى الله عنه او ثلاث آيات قصار او آية طويلة عند صاحبيه رحمهما الله تعالى وتعلم قدر الواجب وهو فاتحة الكتاب ومعها سورة او ثلاث آيات قصار او آية طويلة وتعلم قدر السنة وهو نحو الاربعين آية من طوال المفصل من الحجرات الى البروج ونحو العشرين آية من اوساط المفصل من الطارق الى لم يكن وسورة من قصار المفصل من الزلزلة الى آخر القرآن (ولم يتعلم الكل) اى كل القرآن فان الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا كلهم يعلمون كل القرآن وانما غالبهم كان يعلم البعض دون البعض (فاذا وجد) ذلك الرجل (فراغا) بان وجد وقتا خليا من الاشتغال بالفرائض والواجبات

Marfat.com

والسنن المؤكدات (كان) حينئذ (تعلم) جميع (القرآن) له (افضل من صلاة التطوع) بليل اونهارًا وذلك (لان حفظ القرآن) كله اى تعلم قراءته على ظهر القلب اومن المصحف صحيحا مجودا (على الامة فرض كفاية) اذا قام به البعض سقط عن الباقين فالسابق بذلك هو الفرض والباقون متنفلون به لكنهم مترشحون الى سقوط الفرض بالتالى منهم اذا مات السابق اونسى فكان افضل ولان نفعه متعد بالتعليم بخلاف صلاة التطوع (وتعلم) احكام (الفقه) مقدار مايهمه منه فى عباداته ومعاملاته (اولى من ذلك) كله لافتراضه عليه وكذا الزائد على مايهمه لتعليم غيره (انتهى) ما نقله عن التجنيس (وفيه) اى فى التجنيس (ايضا طلب العلم) بالدين المحمدى اعتقادا وعملا (والفقه) اى الفهم والتأمل باخلاص فى ذلك كله (والعمل به) اى بما فقهه من ذلك بالتيقن به فى الاعتقاد واشغال الجوارح بتعاطيه فى الاعمال (اذا صحت) اى قويت وثبتت (النية) اى قصد القلب على التقرب بذلك كله الى الله تعالى من غير التفات الى ماسواه اصلا (افضل) عند الله تعالى (من جميع اعمال البر) بالكسر اى الخير كنوافل الصلوات والصيام والصدقة والحج (لقوله) اى النبى (عليه الصلاة والسلام ماعبد) بالبناء للمفعول (الله) تعالى (بشئ) من العبادات (افضل من فقه) فهم (فى الدين) المحمدى اعتقادا وعملا بقصد العمل بذلك مع الاخلاص (ولانه) اى طلب العلم النافع المذكور (اعم نفعا) اى من جهة النفع (لان نفعه يرجع اليه) اى الى المتعلم المذكور بالعمل به على وجه الاخلاص (والى غيره) ايضا بتعليم الغير (ونفع غيره) اى غير طلب العلم (من) سائر (الاعمال) الصالحة (يرجع الى العالم) بذلك (خاصة) دون غيره وان كان فى الاعمال ايضا يرجع الى الغير مثل ثواب العامل اذا ارشده ذلك لغير اليها ودله عليها فان الدال على الخير له مثل ثواب فاعله لاينقص من ثواب فاعله شيئا على ماورد فى الحديث ولكن ذلك الثواب الذى يحصل للدال اذا عمل المدلول بذلك الخير ثواب غير حاصل له باختياره وربما كان له بعد موته ايضا زيادة على ثواب الدلالة الاختيارى فليس مثل الثواب الذى يحصل للمتعلم على فعله الاختيارى فانه مضاعف له دون الاول وقد يكون فرضه ثوابه اكثر على كل حال (قال العبد الضعيف) يعنى الامام الفرغانى صاحب التجنيس (عصمه) اى حفظه (الله تعالى) من الزلل فى القول والعمل ورحمه الله تعالى (وكذا الاشتغال بالزيادة) من العلم النافع مع الاخلاص فيه (بعد ما تعلم) العبد (قدر مايحتاج اليه) فى اعتقاده وعباداته ومعاملاته (افضل) من الاشتغال بنوافل العبادات (اذا كان لايدخل عليه) اى على ذلك المشتغل بالزيادة (النقصان فى فرائضه) الفعلية كالفروضات من العبادات والتركية كالاجتناب عن المحرمات وكذلك فى فعل واجباته وترك مكروهاته التحريمية وفعل سننه وترك مكروهاته التنزيهية (وهو الصحيح) من الاقوال (لما قلنا) من ان نفع ذلك اعم من غيره (وصحة النية) المتقدم ذكرها هى (ان يطلب) العبد

Marfat.com

(به) اى بطلب العلم معرفة ظهور (وجه) اى ذات (الله) تعالى الموجودة متوجهة على شيئته الهالكة وكذا شيئية كل شئ وهذا مقام المقربين (و) يطلب حصول النجاة له من الله تعالى والنعيم المقيم فى (الدار الآخرة) من غير عذاب يسبق وهو مقام الابرار ادنى من الاول (ولا ينوى به) اى بطلب العلم المذكور (طلب) حصول (الدنيا) له وهى الاموال وما يتوصل اليه بها من الحظوظ العاجلة قبل يوم القيامة (وقيل اذا اراد ان يصحح نيته) فى طلب العلم المذكور (ينوى الخروج) بالعلم المذكور (من الجهل) فى نفسه (و) ينوى (منفعة الخلق) اى المخلوقات بتعليمهم ذلك والحكم عليهم به على وجه العدل فى بنى آدم وغيرهم (و) ينوى (احياء) اى ابقاء ذكر (العلم) النافع فى الارض حتى لا يندرس فيجهله الناس (انتهى) ما نقله من التجنيس (وفى) كتاب (بستان العارفين فاذا لم يقدر) العبد (على تصحيح النية) فى طلب العلم بان كانت حظوظ نفسه غالبة عليه وشهواته متحكمة من قلبه وحب المال والجاه مقيد اله (فالعلم) النافع حينئذ (افضل) له (من تركه) وان طلبه من غير اخلاص ولا بنية العمل به لانه فى حالة تركه يجتمع فيه ظلمة حظوظه وشهواته وغفلاته وعدم اخلاصه مع جهله ايضا بما فيه نجاته من ذلك فتبقى حالته ظلمات بعضها فوق بعض واما اذا اشتغل مع ذلك بتعلم العلم النافع قلت ظلماته وخفت غفلاته والشر بعضه اهون من بعض (ولانه) اى من لم يقدر على ردع نفسه عن السوء فى طلب العلم (اذا تعلم العلم) النافع (فانه يرجى) له ولو بعد حين (ان يصحح العلم بنيته) فيجعلها خالصة لله تعالى (قال مجاهد) من التابعين رحمه الله تعالى (طلبنا العلم) النافع (وما لنا فيه كثير من النية) الصالحة فى طلبه بل قليل منها لانه غالبا يكون فى رعونة الشباب وجهل الحداثة (ثم رزق الله) تعالى قلوبنا بعد ذلك (فيه تصحيح النية) وصدق الهمة خصوصا اذا وصل العبد الى سن الشيخوخة وانطفى توقد نيران آماله (انتهى) ما نقله من بستان العارفين (وفيه) اى فى بستان العارفين ايضا (قال بعضهم) وهو سفيان الثورى رحمه الله تعالى (تعلمنا العلم) النافع فى بداية الامر (لغير) وجه (الله) تعالى (فابى) اى امتنع (العلم) النافع علينا (ان يكون الا لله) تعالى فكان فى اخر الامر لوجه الله تعالى غيره من الله تعالى على العلم النافع ان يكون على غير وجهه وفى غير انائه وذلك بان يصرف الله تعالى وجوه الناس عن اعتبار ذلك العلم فيبقى صاحبه بينهم مهانا فينقطع طمعه فيهم بسبب علمه ذلك فيخلص فيه ونحو ذلك من الصوارف الجارية على مقتضى الحكمة الالهية (والظاهر) من قول هذا البعض (ان مراده) بالعلم الذى ابى ان يكون الا لله تعالى (العلوم الزاجرة) عن اقتراف الذنوب الظاهرة والباطنة التى فيها قصد غير وجه الله تعالى كعلوم المواعظ والمناهى والترهيب فان عالمها لا يزل يتعلمها بالنية الفاسدة حتى تصح نيته فيها

Marfat.com

فى الغالب اذا طال به المدا (بدليل قوله) اى صاحب بستان العارفين (فيما سبق) قريبا حيث قال فانه يرجى ان يصحح العلم نيته ومعلوم ان العلم الذى يصحح النية هو العلم الزاجر دون غيره (واذا اخذ الانسان حظا) اى نصيبا (وافرا) اى كثيرا (من) علم (الفقه ينبغى) اى يستحب له (ان لا يقتصر على) معرفة علم (الفقه) فقط (ولكن ينظر) اى يقرأ ويتأمل (فى علم الزهد) وهو علم التصوف الذى يعرف منه امراض القلب وادويتها ليرفع عنه الاخلاق المذمومة ويتصف بالاخلاق المحمودة (و) ينظر (فى كلام الحكماء) الالهيين العارفين بالله تعالى الذين آتاهم الله تعالى الحكمة كما قال سبحانه *يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا* الآية وهو علوم الالهام والحقايق الالهية لا علوم الفلسفة وحكمة العين فانها علوم محرمة كما سبق بيانه ومن اجل الحكماء الالهيين الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى والشرف بن الفارض والعفيف التلمسانى وابن سبعين وغيرهم رضى الله عنهم من العارفين المحققين فان كلامهم انفع شئ للفقيه اذا سلك به فى معرفة اسرار فقه ولكن بعد اعتقادهم ومحبتهم ونبذ كلام من تكلم فيهم بسوء من اهل الجهل والغباوة الذين هم ليسوا على طريقهم ولا يعرفون اصطلاحهم فان من جهل شيئا عاداه ولا عبرة بنقل المنكرين عليهم لكلامهم وزعمهم انهم فهموه لانهم لو فهموه لما ظهر من تقريرهم كفرا وضلالا بل كان يظهر ايمانا وتوحيدا ولكن كل اناء بالذى فيه ينضح وآنيتهم لما تنجست بكفر الانكار على اولياء الله تعالى وبغضهم والتعصب عليهم كان كل كلمة من كلام اهل الله تعالى اذا دخلت ذلك الاناء النجس تنجست به وكانت ايمانا فى الآنية الطاهرة فصارت كفرا فى الآنية النجسة القذرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ولا قطع عندنا ببقاء المنكرين على انكارهم لاحتمال توبتهم قبل الموت فلا طعن فيهم الا بحسب كلامهم حال صدوره منهم ان صح عنهم انظر الى هذا الامام فى علمى الظاهر والباطن سيد المتأخرين الشيخ شهاب الدين احمد بن علان الصديقى البكرى المكى النقشبندى رضى الله عنه فانه نقل فى كتابه شرح حكم العارف بالله تعالى الشيخ ابى مدين التلمسانى قدس سره قال دعوى النفس ينشأ من عجبها وهو اشد المهلكات كما شهد بذلك سيد الكائنات حيث قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فاما المنجيات فتقوى الله فى السر والعلانية والقول بالحق فى الرضاء والسخط والقصد فى الغناء والفقر واما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه وهى اشدهن فمن كان عنده اشد المهلكات كيف يتوقع الشفاء من ادوية الطاعات فلذلك قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من مات ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر ولقد صدق فيما قال فاى شخص بالاخى يصوم ولا يعجب بصومه واى شخص يصلى ولا يعجب بصلاته وهكذا سائر الطاعات الا ان تخل عليه عناية مولاه بمعرفة آداب الخدمة من مجالسة اطباء القلوب

Marfat.com

وحلول عناياتهم عليه حتى تحقق العجب الذى حل به من تلك الطاعات ولايعجب بعد ذلك الابفضل مولاه كما قال فى الحكم العطائية لاتفرحك الطاعة بانها برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله تعالى اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * فلا تفرح ياأخى ولا تعجب الا بنواله ولا تصحب الا من يعلمك العلوم التى تقربك الى حضرة كماله (و) ينظر (فى شمائل) اى اوصاف (الصالحين) المتقدمين رضى الله عنهم ويتأمل ما كانوا فيه من العلم والعمل والتقوى والورع ويقلدهم فيما يمكنه من ذلك فان الغيث اوله قطر ثم ينسكب ولاتعانه الوساوس واليأس من الشير على سيرهم ولاينتقد عليهم مالايعرفه ولايلتفت الى غرور مغرور فيهم ولاطعن طاعن كما لايلتفت الى طعن الرافضة والخوارج فى الصحابة والخلفاء الموثقين رضى الله عنهم اجمعين * والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (فان الانسان اذا تعلم) علم (الفقه) وحده (ولم ينظر فى علم الزهد و) علم (الحكمة) الالهية وهى علوم مواجيد القوم من الصوفية المحققين كما ذكرنا فما فهمه من ذلك على طبق الكتاب والسنة حمدهم عليه وما خفى عنه ودق اسله لاهله واعترف هو بالقصور فى نفسه عن فهمه ولو كان من اعلم علماء الظاهر فان لكل مجال رجالا ولكل مقام مقالا ولايعجب بنفسه ولايغر بعلمه فانه يهلك من حيث لايشعر (قسا) اى عتا وصلب (قلبه) فكان كالصخر لاتؤثر فيه المواعظ ولا الحكم وجدت بصيرته فلا يقدر يفهم بها شيئا سوى ظاهر من الحياة الدنيا وتتسلط عليه بسبب ذلك الوساوس الشيطانية فيقع فى اهل الله واوليائه بما هم بريؤن منه ويجحد الدين الخالص وطريق التقوى القلبية التى قال تعالى * فانها من تقوى القلوب * فيهلك فى مهواة من التلف (والقلب القاسى) الذى لايلين للحق (بعيد من الله) سبحانه مطرود عن ابواب فضله وانعامه (انتهى) ما نقله من كتاب بستان العارفين وانما كان هذا المقدار المذكور من النظر فى علم الزهد والحكمة كما بينا مستحبا مما ينبغى تعلمه للفقيه ولم يكن فرضا عليه لان القلوب البشرية قد تكون مطبوعة على الرقة واللين والخشوع وسلامة النية وحسن القصد والتواضع والاعتقاد فى كلام الصالحين والتسليم لهم من غير فهم لكلامهم بلاشك فيهم ولاتردد فيستغنى الفقيه بذلك عن النظر فى علم الزهد والحكمة ولايحتاج ان ينظر فيه كما على ذلك غالب العوام ممن لم يجتمع باحد من المنكرين على احد من الاولياء المحققين واجتمع بهم ولم يقدروا ان يوسوسوا فى صدره بحمله على الانكار على احد اصلا وسلمهم الله منهم ومن لم يكن مفطورا على ماذكرنا من سلامة الصدر والاعتقاد الحسن ونحوه احتاج الى النظر المذكور لعله يوجب له شيئا من ذلك فان القلوب بيد الله تعالى لاتدخل تحت تكليف العبد حتى يصلحها فلا معنى لايجاب ذلك عليه

﴿ واكن ﴾

Marfat.com

ولكن من اكثر من استعمال الدواء النافع فلا بد ان ينتج له ولو بعض شفاء فالاشتغال به
اهم من تركه والله الموفق وفى الشرعة وشرحها قال ويقتبس يعنى للتعلم من كل فن
حظا كافيا لحاجته ولا يقتصر على البعض وعلى القدر الغير الكافى منها فقد قيل
من طلب الله تعالى بعلم الكلام وحده بلا استعانة بغيره من العلوم تزندق اى انكر
الوحدانية واليوم الآخر اذ يغلب على قلبه حينئذ ادلة المبطلين فلا يقدر ان يخلصه
منها فيعتقد على مقتضاها ومن طلب الله تعالى بالزهد وحده بلا شئ
من العلوم ابتدع لعدم علمه الطريق المسنون ومن طلب الله تعالى بالفقه
وحده تفسق بان صار خارجا عن الطريق الموصل الى معرفة الله تعالى
لا يتخلص من التقليد ولا يميز ما يصلح القلب مما يفسده من الصفات الباطنة قال ابو الليث
رحمه الله تعالى من تعلم علم الفقه ولم ينظر فى علم الزهد والحكمة يسود قلبه ومن تفنن
بان تعلم الفنون تخلص عن التزندق والابتداع والتفسق ويكون فى طلبه على
صراط مستقيم (فاذا كان الحال) اى الشان (هذا) اى قسوة القلب (فى) علم
(الفقه) وحده مع شرف الفقه لانه معرفة الاحكام الشرعية للعمل بها مع
الاخلاص ولا يمكن العمل بها مع الاخلاص الا لصاحب علم الزهد والحكمة (فما ظنك
بسائر) اى بقية (العلوم) التى هى دون علم الفقه مما هى وسائل اليه (غير) العلوم
(الزاجرة) للعبد عن المخالفات كعلوم العربية ونحوها فانها توجب قسوة القلب
والبعد عن الله تعالى بالطريق الاولى لكل من اقتصر عليها فى الاشتغال ولم ينظر
فى علم الزهد والحكمة (وفى) كتاب (التجنيس) لصاحب الهداية (رجل تفقه) اى
تعلم الفقه (ثم اشتغل) بعد ذلك (بالعبادة) لله تعالى مع الاخلاص والورع (وامتنع)
بسبب ذلك (عن التعليم) للناس (فان كان الناس استغنوا عنه بغيره) من العلماء المعلمين
لغيرهم (اجزأه) اى كفاه ذلك الغير عن تعليم الناس لانه فرض كفاية وقد قام به البعض
فسقط عن الباقين (كما فعل) ابو سليمان (داود) بن نصير (الطائى) نسبة الى قبيلة طى
(فانه تعلم العلم عن ابى حنيفة) رضى الله عنه (ثم اشتغل) بعد ذلك (بالعبادة واعتزل)
جميع (الناس ولم يشتغل بالتعليم) لاحد قال ابو على الدقاق رحمه الله تعالى كان سبب
زهد داود انه كان يمر ببغداد يوما فتحاه المطرقون بين يدى حميد الطوسى فالتفت داود
فرأى حميدا فقال داود اف لدنيا سبقك بها حميد فلزم البيت واخذ فى الجهد والعبادة
وقال بعضهم ان سبب زهده انه كان يجالس ابا حنيفة رضى الله عنه فقال له ابو حنيفة
يوما يا ابا سليمان اما الاداة فقد احكمناها فقال له داود فاى شئ بقى فقال العمل به قال
داود فنازعتنى نفسى الى العزلة فقلت لنفسى حتى تجالسهم ولا تتكلم فى مسئلة فجالستهم
سنة لا اتكلم فى مسئلة وكانت المسئلة تمر بى وانا ارى الكلام فيها اشد نزاعا من العطشان
الى الماء ولا اتكلم ثم صار امره الى ما صار ذكره القشيرى فى رسالته (و) كان (هذا)

Marfat.com

الامر لداود رحمه الله تعالى (لانه اخذ بالفاضل) من الاحوال (وان كان التعليم) للغير (افضل) عند الله تعالى (لان نفعه اوفر) اى ازيد من نفع العابد (فلايكون) حينئذ (به) اى بالاشتغال بالعبادة وترك لتعليم (بأس) اى كراهة بل ترك الافضل فان التعليم مع العبادة من اخلاق النبيين عليهم السلام (انتهى) مانقله عن التجنيس (والحاصل ان العبادة المتعدية الى الغير) اى التى يتعلق بها صحة عبادة الغير وهى عبادة التعليم للغير العلم النافع (افضل من) العبادة (القاصرة) على نفع العابد بها نفسه (لان خير الناس) اى اكثرهم خيرا (من ينفع الناس) بالتعليم للخير (ثم) العبادة (المتعدية) الى الغير (نوعان) نوع (اخروى) اى منسوب الى الآخرة لتعلقه فى النفع فى الآخرة فقط (وهو افضل من جميع اعمال البر) اى الخير والصلاح (اذ) اى لانه (هو عمل الانبياء) والمرسلين عليهم السلام فانهم كانوا يعلمون الناس الشرايع والاديان بعد التوحيد والعقائد ويعلمونهم الاخلاق الحسنة ويحذرونهم عن الاخلاق السيئة (وبه) اى بهذا النوع من العبادة المتعدية (فضلوا) على غيرهم من جهة العمل وهم افضل من غيرهم بالنبوة قطعا (حرج) بالتشديد اى اسند (ديلم) يعنى ابامنصور الديلمى (عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم بابامن العلم) النافع اى مسئلة بتمامها (ليعلم الناس) ذلك الباب الذى تعلمه وفيه اشارة الى ان النية الصالحة لابد منها فى ثواب العمل وان المعلم للناس لايلزم ان يكون عالما جميع ابواب العلم بل يجوز لمن يعلم بابا من الابواب ان يعلمه لغيره وان الذى علم بعض المسئلة كمن علم شروط الصلاة فقط ولم يعلم اركانها لاينبغى له ان يعلم غيره حتى يستوفى علم مسئلة الصلاة كلها يعنى مايهم منها دون علم جميع فروعها فمسئلة الصلاة مثلا باب من العلم (اعطى) اى اعطاه الله تعالى من الاجر (ثواب سبعين صديقا) بكسر الدال المهملة مشددة يعنى ثواب السبعين غير مضاعف ولهم مضاعف ولعل السبعين للتكثير لاللعدد كمافى نظائره (ولذا قال فى) كتاب (التجنيس اذا تعلم رجلان علما) من العلوم النافعة (علم الصلاة اوغيره) كعلم الصوم اوالزكاة اوالحج وكان (احدهما يتعلم) ذلك العلم (ليعلم الناس) ماتعلمه اى بنية ذلك (والآخر) انما تعلم (ليعمل به) اى بما تعلمه (فالذى يتعلم) العلم المذكور (ليعلم) غيره (افضل) من الذى يتعلم ليعمل به هو لنفسه (لان منفعته) اى الذى يعلم غيره (اكثر للناس) من منفعة الذى يتعلم ليعمل به فى نفسه (وابلغ) اى اعظم (فى امر الدين) المحمدى لنشره احكام الله تعالى واظهاره شرايع الاسلام وحماية الحق عن اهل الباطل ونصرة المؤمنين على اعدائهم من الوساوس النفسانية والعصبة الشيطانية (انتهى) مانقله عن التجنيس (و) نوع آخر (دنيوى) اى منسوب الى الدنيا لحصول الانتفاع به فى الدنيا (كالصدقة) المفروضة وغيرها فان الذى يأخذها ينتفع بها فى الدنيا

﴿ والمعطى ﴾

Marfat.com

والمعطى ينتفع بها فى الآخرة فهو نفع متعد دنيوى لا اخروى والنوع الاول اخروى لانه ينتفع به الذى يتعلم فى الآخرة كما ينتفع المعلم فى الآخرة ايضا (والاعانة) على حوايج الدنيا والآخرة فى غير المعصية (والدلالة) على كل نفع دنيوى او اخروى (والشفاعة) فى الخير والصلاح (وبناء القناطر) من ماله فوق الانهار العظام او فى الطرق الصعبة السلوك على المارة (ونحوها) من بنيان السبلانات والسقايات والمساجد والمكاتب (وتسوية الطرق) جمع طريق اى ازالة التلعة منها وتنقية الاحجار وقلع الصخور (واماطة) اى رفع (الاذى) كالقمامات والشوك والنجاسات (عنها) اى عن الطرق بالنية الخالصة لوجه الله تعالى فى جميع ذلك والا كان معصية بالرياء والسمعة والعجب والمباهات (فهذا) النوع الثانى من العبادات المتعدية (متوسط) فى الثواب عند الله تعالى (بينهما) اى بين النوع الاول وبين العبادة القاصرة فيكون حينئذ (دون) النوع (الاول) الذى هو تعليم العلم النافع للغير فانه افضل من الكل (وفوق) العبادة (القاصرة) لتعدى نفعه الى الغير دون العبادة القاصرة التى هى (كالصلاة والصوم) فرضا ونفلا (والذكر والدعاء) ونحو ذلك من سائر العبادات البدنية (فلذا) اى لكون العبادة المتعدية افضل من القاصرة (كان الاشتغال بامر النكاح) اى الوطئ الحلال بعقد او ملك يمين لمن يقدر على ذلك بلا حرج عليه او على المرأة (و) كان (الكسب للمال الحلال من الوجوه الشرعية فيمن تيقن ذلك) و يقدر عليه (لاجل التصدق) بما زاد على الكفاية (افضل من التخلى) اى الانقطاع (للعبادة) والاشتغال بها لان فى النكاح حصول الذرية الصالحة ولو بالاسلام والايمان واعفاف نفسه وامرأته وقطع تشوقهما الى السوء وفى التصدق سد خلة الفقراء واغناء فاقتهم (فعليك) يا (ايها السالك) فى طريق الله تعالى (بالجد) اى السعى والاجتهاد (والمواظبة) من غير فتور (فى تحصيل العلم) النافع بنية العمل به مع الاخلاص وترك كل من يفندك عنه ويصرف همتك فى الاشتغال بما لا يعنيك من فشارات الدنيا وضلالات الغرور واذا علمت ذلك (فلا تصغ) اى تمل وتلتفت (الى ترهات) اى اباطيل (جهلة) الطائفة (المتصوفة فى زماننا) هذا وهو عصر التسعمائة فان الصوفية فى كل زمان فيهم جهلة وفيهم علماء عارفون كما ان الفقهاء كذلك فيهم فسقة مكبون على اكل الحرام وفيهم صالحون زاهدون وكذلك المفسرون والمحدثون وسائر انواع العلماء حتى الجنود والعساكر والملوك والقضاة والامراء واهل الاسواق فيهم الصالحون وغيرهم فى كل زمان والنوع الفاسد منهم هو المذموم فقط دون النوع الصالح ولا يعمم فى الذم او المدح الا الجاهل (يقولون) يعنى جهلة المتصوفة (العلم حجاب) و يعنون بذلك ان اشتغالهم بالعلم يوجب تركهم الاشتغال بما هم فيه من شهود الله تعالى على زعمهم ذلك وما عرفوا ان بالعلم يزداد شهودهم وتكمل معرفتهم به سبحانه ويرسخون فى مقام اليقين ولكنهم نظروا

Marfat.com

الى كيفية اشتغال اهل الغفلة بالعلم فانهم يشتغلون به وهم مصرون على الرياء والعجب والكبر والحقد والمنافسة بل على المعاصى والمخالفات واكل الحرام فحسبوا ان العلم اورثهم ذلك وانما العلم نور ولكن اهل الغفلة هم المتدنسون باوساخ الذنوب والقبايح ومقالة هؤلاء الجهلة من المتصوفة ليست فى زمان المصنف رحمه الله تعالى فقط بل فيما قبل ايضا كما ذكر الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه مواقع النجوم بعدان مدح العلم كثيرا ثم قال وانما اكثرنا هنا فى العلم لان فى زماننا قوما لا يحصى عددهم غلب عليهم الجهل بمقام العلم ولعبت بهم الاهواء حتى قالوا ان العلم حجاب واقد صدقوا فى ذلك لو اعتقدوه اى والله حجاب عظيم يحجب القلب عن الغفلة والجهل واضداده يعنى اضداد العلم من الظن والشك والوهم فما اشرفها من صفة خبأنا الله تعالى بالحظ الوافر منها وكيف لا يفرح بهذه الصفة ويهجر من اجلها الكونان ولها شرفان كبيران عظيمان الشرف الواحد ان الله سبحانه وصف بها نفسه والشرف الآخر انه مدح بها اهل خاصته من انبيائه وملائكته عليهم السلام ثم من علينا سبحانه ولم يزل مانا بان جعلنا ورثه انبيائه فيها فقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء (وانه) يعنى العلم (يحصل) للعبد (بالكشف وهو بلوغ ماوراء المحسوس من عوالم الغيب) وطريقه صفاء السريرة من الاشتغال بالاغيار ودوام الذكر والخشوع قال العفيف التلمسانى قدس الله سره فى شرح منازل السائرين للهروى رحمه الله تعالى فى الكاشفة انها بلوغ ماوراء الحجاب من المشاهدة الالهية بخلاف المكاشفة الصورية وهى كشف الصور مثل الاخبار بوقت قدوم الغائب والاخبار بماوراء الجدار مما لم يشاهد بالحس ونحو ذلك وهى ليست فى طريق الله تعالى بل هى قاطعة عنه ولذلك لم يختص بها ملة دون اخرى انتهى والعلم الذى يحصل بالمكاشفة حيث قلنا بحصوله بها علم المعارف الالهية والحقائق الربانية لا علم كيفية الاعمال الظاهرة ومعرفة الاحكام الشرعية فان هذا العلم لا يحصل الا بالتعلم والا لاستغنت الخلق عن الانبياء والكتب بالمكاشفة وهو باطل وان كان بعض الاولياء يلهمه الله تعالى الحق والصواب بشئ منه فبوافق ماعند العلماء منه فى اقواله واعماله واحواله واعتقاداته بطريق العناية له من الله تعالى فهو نادر فلا نطعن فى احد بعينه من المتصوفة الذين تركوا التعلم واشتغلوا بالذكر فعساه يكون وافق الحق من علم العلماء فى جميع امور هدايته له من الله تعالى وان كنا نقول لابد من التعلم ولا يحصل هذا العلم الا بالتعلم فان قولنا هذا على وجه العموم من غير خصوص فى احد والكف منا عمن وجدناه ترك التعلم للاحتمال المذكور على وجه الخصوص فى شخص معين واشخاص معينين وعلى هذا يحمل كلام المصنف رحمه الله تعالى هنا وفى نظائره من ابحاث هذا الكتاب (فلا حاجة) فى تحصيل العلم مع نورانية الكشف (الى الكسب) اى المطالعة والقراءة على المشايخ والمذاكرة (فانه) اى هذا القول من جهلة المتصوفة فى حق علم

Marfat.com

الشرايع والاحكام بطريق الاطراد فى كل احد الا الندرة القليلة فى بعض من يعتنى بهم الحق تعالى كما ذكرنا (كذب) محض لانه لم يقع للجميع بل انما وقع لاهل التوفيق والعناية بالموافقة فى الاعمال الصالحة كما وقع لاويس القرنى رضى الله عنه مع وجوده فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع بالنبى عليه السلام استغناء بالامداد الباطنى المحمدى له عن الاخذ من حيث الظاهر ومن كان موفقا كذلك لا يعرف صور المسائل ولا مواضع استنباطها ولا يدريها اذا سئل عنها وانما يوفق الله تعالى للعمل بها على وجه الصواب من غير شعور منه بذلك وليس هذا المقدار علما حتى يكون الكشف موصلا اليه بلا اكتساب ولا تعلم ولا دراسة (و) هو (ضلال) ايضا فى حق من لم يكن على الوصف الذى ذكرناه من الموفقين فانه يكون مخذولا حينئذ لاعنده توفيق من الله تعالى والهام للحق ولا له اشتغال واكتساب للعلم النافع الذى ربما وفقه الله تعالى للعمل به على وجه الاخلاص فنجا وسعد وليس هذا الوصف مخصوصا باحد بعينه نتجسس عليه ونحتقره بسبب عدم تعلمه العلم فى الظاهر لاحتمال التوفيق فى الباطن لعين الصواب وانما هذا حكم منا ومن المصنف رحمه الله تعالى على وجه العموم ليحترز العبد من مواضع الهلكة ولا نسئ الظن ايضا باحد معين كما قال تعالى * والله يعلم وانتم لا تعلمون (و) هو (اضلال) ايضا للغير ممن لم يكن على الوصف المذكور ممن يعلمه الله تعالى بلا تجسس منا ولا سوء ظن باحد معين اصلا ونؤول كل خطأ وجفاء فى كل مسلم من المسلمين كما قال الامام النووى رضى الله عنه فى ادب العلم والمتعلم من مقدمة شرح المهذب يجب على الطالب ان يحمل اخوانه على المحامل الحسنة فى كل كلام يفهم منه نقص الى سبعين محملا ثم قال ولا يعجز عن ذلك الا اكل قليل التوفيق انتهى كلامه واذا وجدنا احدا ممن ترك العلم الظاهر من المتصوفة وغيرهم من المسلمين فلا نسئله عن شئ من احكام الله تعالى اصلا فان من اراد تحجيل غيره فى العلم فهو كافر بالله تعالى كما تقدم بيانه فاذا سئلناه فوجدناه لم يعلم ما سئلناه عنه يحتمل ان الله تعالى موفق له الى العمل بمقتضاه بلا تعلم من العلماء فان التوفيق لا بد منه لمن علم ولمن لم يعلم وليس العلم بالحكم الشرعى مقتضيا للعمل به وحاملا على العمل قطعا من دون توفيق الله تعالى فكم من عالم لم يوفقه الله تعالى للعمل بما علمه فهو مخذول وكم من جاهل وفقه الله تعالى للعمل الصالح بطريق الالهام والعناية به فهو خير من ذلك العالم المخذول وان لم يكن له علم بما عمله ذلك العالم ولا يعلم بتفاصيل امور الناس على ما هم عليه الا الله تعالى وانما للعلماء النصح والتحذير بلا اساءة ظن ولا تجسس ولا امتحان لاحد معين اصلا وهذه احوال العلماء العاملين واما علماء القيل والقال من غير تقوى ولا خوف من الله تعالى فهم على غير ما ذكرنا (فان العلم) النافع بنية العمل به مع الاخلاص فيه (فرض) على كل مكلف لتوقف صحة العمل المفروض عليه فى العادة المطردة بحسب الظاهر فلو وفق الله تعالى العبد لذلك العمل المفروض على وجه الصحة بدون العلم

Marfat.com

لم يكن العلم فرضا عليه اذليس هو فرضا لذاته بل لغيره كالطهارة شرط لصحة الصلاة فهى فرض لغيرها لالذاتها فلو حصلت من غير تحصيل لهـا حصل المقصود منها كمن وقع فى ماء فانه يخرج طاهرا حيث عم الماء موضع الحدث منه فتصح صلاته بتلك الطهارة وان لم تقع عبـادة مثابا عليها كما قال فقهاؤنا (وانه) اى العلم انمـا يحصل (بالتعلم) وان لم يكن مقصودا لذاته فلا يكون عالما الا اذا تعلم وقد يكون عاملا بمجرد التوفيق من غير علم فيحصل المقصود فلا يبقى العلم فرضا حينئذ كمن وقع فى ماء حيث قلنا بحصول الطهارة له فلا تبقى الطهارة عليه فرضا (لمـا قاله) النبى (عليه الصلاة والسلام) كما سبق فى الحديث انما العلم بالتعلم (وان مأخذه) اى العلم (كتاب الله) تعالى وهو القرآن العظيم (وسنة حبيبه) اى حبيب الله محمد (صلى الله عليه وسلم لما بينا) فى هذا الكتاب (سابقا) فى فصل الاعتصام بالكتاب والسنة فليس مأخذ العلم الكشف يعنى العلم المذكور على حسب ما قررناه (وان الصحابة) رضى الله عنهم (خير هذه الامة) بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله خير القرون قرنى الحديث (وافضلها) اى افضل الامة علما وعملا (وانهم اجتهدوا) اى بذلوا وسعهم فى استنباط الاحكام من الادلة الشرعية (واختلفوا) فيما بينهم فى جزئيات القضايا (واستدلوا بالكتاب والسنة)على ماذهبوا اليه من المذاهب (ولم يقل احد منهم الهم) بالبناء للمفعول اى القى (الى) من الالهام وهو الالقاء فى القلب من غير تفكر (انه) اى الفعل الفلانى ونحوه (حرام اوحلال اوغير ذلك) من فرض اوواجب اومكروه فكيف يترك من دونهم التمسك بالكتاب والسنة والاستدلال بهما ويكتفى عن ذلك بالكشف والالهـام وان كان ذلك ممكنا باعتبار حصول التوفيق له من الله تعالى والتوفيق هو ان يخلق الله تعالى فيه القدرة على الطـاعة والكف عن المعصية من غير علم منه بذلك اومع العلم وليس من شروط التوفيق حصول العلم كما انه ليس من شروط حصول العلم التوفيق للعمل به كما قدمناه ولهذا قال الجنيد رضى الله عنه كما نقله عن القشيرى فى رسالته فى باب الارادة ان المريد الصادق غنى عن علم العلماء وذكر فى آخر الرسالة فى باب الوصية قال هذا احمد بن حنبل رحمه الله تعالى كان عند الشافعى رضى الله عنه فجاء شيبان الراعى فقال احمد اريد ياابا عبد الله ان انبه هذا على نقصان علمه ايشتغل بتحصيل بعض العلم فقال الشافعى رحمه الله تعالى لاتفعل فلم يقنع فقال لشيبان ماتقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة ولايدرى اى صلاة نسيها ما الواجب عليه ياشيبان فقال ياابا احمد هذا قلب غفل عن الله فالواجب ان يؤدب حتى لايغفل عن مولاه بعده فغشى على احمد فلما افاق قال له الشافعى الم اقل لك لاتحرك هذا وشيبان الراعى كان اميا (فان ادعوا) اى هؤلاء الجهلة المستغنون بالكشف عن تعلم الاحكام الشرعية حتى يصيروا بذلك عالمين بها على زعمهم (انهم كوشفوا) اى كاشفهم الله تعالى بذلك (ووصلوا) منه (الى ما

﴿ لم يصل ﴾

Marfat.com

لم يصل اليه الصحابة) رضى الله عنهم وان امكن ذلك بان يكاشفوا بالاسرار ويصلوا الى حقائق المعارف كما قدمناه فى ان رتبة العلم والكشف قد يكون فيها بعد الصحابة من هو افضل من الصحابة ماعدا فضيلة الصحبة بل قد يوجد فى غير النبى من العلم ما لا يوجد فى النبى خصوصا على القول بولاية الخضر مع انه اعلم من موسى عليه السلام وقول الهدهد لسليمان عليه السلام احطت بما لم تحط به مع انه طير وسليمان نبى عليه السلام وان كانت هذه الاحاطة فى امر دنيوى لكنه علم فى الجملة وليست النبوة هى العلم بل هى امر اختصاصى واما خصوص مسائل الحلال والحرام على الكيفية التى يعلمها اهل الاستنباط من الفقهاء وترتيب الادلة على ذلك ومعرفة هذا الاصطلاح المخصوص المعلوم فيما بين العلماء فلا بد فيه من التعلم والاخذ عن المشايخ (فهم مبتدعون) حيث زعموا معرفة هذا العلم على هذا الاصطلاح المخصوص بمجرد الكشف والالهام من غير تعلم (خارجون عن مذهب اهل السنة والجماعة) من حيث هذا الاصلاح المخصوص الذى تدونت فيه الآن مذاهب اهل اسلام ولم يعلم على اليقين صحة مرادهم (ولو سئل احدهم عن) شئ من (الاخلاق المذمومة مثل الرياء والكبر والحسد والحقد او عن معرفة علاجها) اى مداواتها (او عن) شئ من (الاخلاق الحميدة مثل النية) اى قصد الخير فى كل عمل (والتوبة والتوكل والصبر والرضاء بالقضاء والشكر او عن طريق تحصيلها او تقويتها ضعيفها بهت) فى ذلك ولم يقدر على الجواب عنه (وخجل) منه (وخلط فى كلامه) اى جاء بالهذيان (وتكلم بالشطح) اى بالكلام الذى فيه الغلو والخروج عن الحدود (والطامات) اى الزخارف الباطلة ولا يستطيع ان يجيب الجواب الذى اصطلحت عليه علماء هذا الشان من التقرير والبيان وان كان هو فى نفسه متصفا بجميع تلك الاخلاق الحسنة متباعدا عن جميع الاخلاق المذمومة بمجرد توفيق الله تعالى * والله على كل شئ قدير * فيكون كشيبان الراعى كما قدمنا واعمرى هذا الاصطلاح المخصوص الآن عند الفقهاء وغيرهم من العلماء لو سئل عنه ابو بكر الصديق رضى الله عنه لما عرفه بخصوص هذا الاصطلاح ور بما اعياه بيان ما هو متصف به من الطاعات والاخلاق الحسنة والتباعد عن الاخلاق المذمومة فضلا عن آحاد الامة ويا بيت شعرى من علم ذلك كله وبينه وقرره ولم يكن عنده توفيق من الله تعالى للعمل بمقتضاه والتخلق به ماذا يفيده من النتيجة غير علمنا نحن بانه عالم ذلك فالمدار على التوفيق فى كل حال فكما ان من لم يعلم شيئا من ذلك يحتمل انه موفق للقيام به كله من حيث ما يعلم الله تعالى منه كذلك من علم ذلك كله وبينه لنا يحتمل انه منافق فيه وانه يحفظه مجرد كلام وهو غير عامل به ولا يجوز سوء الظن باحد معين ولا التجسس عليه ولا كشف ستر الله عنه ولا فضيحته بل يحمل على احسن المحامل ولكن الفقهاء يحذرون الناس على العموم وينصحونهم موعظة وتنبيها (بل لو سئل عن فرائض الصلاة والوضوء

Marfat.com

والاستنجـاء تحير واضطرب) ولم يأت بجـواب اصلا (بل بعضهم) ممن لا يمكن الاطلاع عليه بخصوصه لتأ ويلنا كل ماصدر عنه من الخطأ وجوبا علينا ذلك كما مر عن النووى رحمه الله تعالى (لم يصحح اعتقاده بعد) على طريقة اهل السنة والجماعة (ويظن من جهله) بالله (ان الله فى السماء وانه) سبحانه على صورة مخصوصة (وبعضهم يعتقد ان الله لا يريد القبـايح والمعاصى) من غير شعور منه ان ذلك مذهب المخالفين (وبعضهم يعتقد انه موجد لفعله) كذلك من غير شعور بالخطأ (واكثرهم يصلون بلا تعديل ارکان) فتنقص صلاتهم وان لم نعلمهم باعيانهم الا اذا وصلنا الى ذلك بالتجسس والاستكشاف عن استار الله تعالى عليهم وهو مذموم فهم عندنا امور كليـة لا نعلم جزئيا تها يقينـا والظن السوء مؤول فالنصح للعموم (ولا تجويد) اى تصحيح وتحسين (قرآن) مع احتمال العجز منه عن تعلم ذلك فلا اثم كما قال عليه السلام اذا قرأ القارى فاخطأ ولحن او كان اعجميا كتبه الملك كما انزل اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير (ومع) وجود (هذه الفضايح) فيهم عند من يعلمها (يدعون انهم واصلون) بما هم به جاهلون (مكاشفون) بذلك (فهيهات هيهات) ان يصلوا الى معرفة جمع ذلك الا بالتعلم من المشايخ (نعم انهم واصلون الى الشيطان) الذى غرهم فادعوا ماليس عندهم (مغرورون بامانيه) اى بما يلقى اليهم من تمنى ما لا يحصل لهم الا بالتعلم (عاملون بوساوسه) التى يلقيها فى صدورهم (ولا يبعد ان يقع لبعضهم كشف حسى لبعض الاشياء) عن امور محسوسة تتعلق بالاكوان من الاخبار عن شئ فيكون كذلك وهو الكشف الصورى كما مر (اونحوه) اى نحو الكشف الحسى من بعض المنامات والتخيـلات والواردات الغيبية والهواتف (من خوارق العادات بمقتضى الرياضات) التى يعملونها من تصفية الباطن والتجرد عن العلاقة البشرية (اوارءة الشيطان) لهم طيرانا فى الهواء برفع بعضهم او نقله من مكان الى مكان باسرع زمان او الاتيان بما يريدونه (مكرا) بهم (واستدراجا من الله) تعالى ليزدادوا اثما (كما نقل) نظير ذلك (عن بعض الكفرة المرتاضين) اى المتخذين الرياضة كما قال الشيخ الاكبر رضى الله عنـه فى كتابه شجون المشجون عالم الصفـاء حجاب لانه يكون به الكشف وهذا يشاركنا فيه الرهبـان وانما نفضل عليهم بعالم الترقية (فيظنون انه) اى ما يقع لهم من ذلك (كرامة) من الله تعالى (وولاية) لهم منه تعالى كما يقع للاولياء المقربين (فيغترون به) فيهلكون ولا يشعرون وكل هذا محتمل فى امورهم التى تظهر لهم ويحتمل ايضـا انها امور صحيحة صـادرة بمحض تكريم الله تعـالى لهم وليس للشيطان سبيل عليهم حيث كانوا مستقيمين فى باطن الامر مما خفى على غيرهم والتوفيق محيط بهم وعناية الله تعالى تحفظهم والله ساترهم فى كل حال فلا قطع بالسوء فى احد منهم على التعيين كما قدمناه (وقد سمعت) ايها

Marfat.com

السالك (سابقا) فى آخر فصل البدع (قول سلطان العارفين) بالله تعالى (ابى يزيد) طيفور (البسامى) رضى الله عنه (لو نظرتم الى رجل اعطى من الكرامات) يعنى خوارق العادات (حتى تربع فى الهواء) بين السماء والارض (فلا تغتروا به) وتنسبوا اليه الولاية (حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى) الوارد ذلك عليه من الله تعالى تكليفاله (وحفظ الحدود) التى حدها الله تعالى له (واداء) احكام (الشريعة) انتهى قول ابى يزيد رضى الله عنه والمراد نظر ذلك منه بلا تجسس عليه ولا ظن فيه بل على وجه التحقيق بالثبوت الشرعى كالشاهد فى الزنا بحيث يرى ذلك مثل الميل فى المكحلة وستر ذلك عليه لان ستر الشهادة فى الحدود افضل كما قاله الفقهاء مع تحقق الاجنبية فى المزنى بها ومتى احتمل الامر الخير وجب الحمل عليه فلم يكن الرائى رأى مايخالف الشريعة قال الشيخ الاكبر رضى الله عنه فى شرح الوصية اليوسفية (ان استتر الولى بامر فى الظاهر عند العامة انه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط فى نظرهم لا فى نفس الامر وبعيد ان يقع مثل هذا من كبير فى الطريق ممكن ولا من صاحب حال لشغله فان صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له حال فى الستر ولا فى الظهور فيتخيل الاجنبى ان ذلك الولى قصد الستر بما ظهر منه مما ظاهره منكر وباطنه معروف وليس كذلك فاتى هذا الولى الامر صحيح محمود فى الشرع لو انصف هذا الناظر كرجل شرب كأس خمر فى ناظرعين الحاضر لعلمه بخمرية ذلك الكأس وهو يشرب مايجوز له شربه ولا يعلم ذلك الحاضر حتى يناوله اياه منه ان اعتنى به اذ لم يخطر له ستر حاله فيشربه الاجنبى شرابا حلالا فالاجنبى الذى لا يعلم ذلك محمود عنده اى عند نفسه فى انكاره موقوف لمقامه والولى محمود فى فعله اذ لم يقصد الستر فان قصد الستر بمثل هذا فهو مذموم فى الطريق بل لا يقع مثل هذا من ولى فى العموم وقد يقع من ولى فى الخصوص من اصحابه اختبارا منهم لصدق دعواهم فى التسليم له (فنعوذ بالله) تعالى (من شرورهم) اى شرور هؤلاء الجاهلين بالعلم الظاهر المحتمل ان يكونوا كما وصفهم وان يكونوا موفقين للهدى والرشاد مما لا يعلمه منهم الا الله تعالى (و) شرور (اقوالهم وافعالهم) التى لا تدخل فى الموازين الشرعية التى تعلمها العامة من علماء الرسوم وغيرهم فقد يقعون فى ذمهم وهم على حالة مرضية فيعادون احباب الله تعالى وهم لا يشعرون ولا عذر بالجهل فى الشريعة وقد يقعون فى مدحهم وهم على حالة غير مرضية فيحبون اعداء الله تعالى ويوالونهم فلا يوافقون الامر على ماهو عليه وان ذلك غير موجب للاثم بخلاف الاول فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوالى المنافقين الذين اسلموا بظواهرهم وكفروا ببواطنهم ويقسم لهم فى الغنائم ويعاملهم معاملة المسلمين فلو كان فى ذلك اثم ما فعله عليه السلام ولا جاءت به الشريعة واما نسبة الشر والسوء الى البرئ من ذلك بمجرد احتمال صدور ذلك منه بعلامة ونحوها فلم يقع منه عليه السلام ولا من اصحابه بعده ولا اذن به لاحد كيف وقد قال عليه السلام

Marfat.com

ادرؤا الحدود بالشبهات وقال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لااله الاالله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وغير ذلك من الاحاديث فالمؤمن يسع ماوسعه النبى صلى الله عليه وسلم (فانهم) على حسب الاحتمال المذكور (شياطين الانس) لظهورهم بالوسوسة فى صدور الناس (وقطاع طريق الله) تعالى لالتباس الطريق بسبب ذلك على ضعفة السالكين (وخصماء حبيبه) محمد (صلى الله عليه وسلم) لمخالفتهم لشريعته مع زعمهم موافقتها وهذا كلام الفقيه الخائف على الامة ان تضل باحتمال الخطاء فيمن يحتمل ذلك فيهم وان كان لله تعالى * يضل من يشاء ويهدى من يشاء* والتسليم اسلم والله سبحانه اعلم (الفصل الثالث) تمام الفصول الثلاثة التى اشتمل عليها الباب الثانى من ابواب الكتاب الثلاثة وهو اطول الفصول لانه المقصود بالتصنيف (فى) بيان (التقوى) اى الاحتراز بحسب الطاقة البشرية من غضب الله تعالى بمعونة الله تعالى لا بالنفس والا كانت شركا خفيا (وهو ثلاثة انواع النوع الاول) من ذلك (فى فضيلتها) اى التقوى (اعلم) ايها السالك فى طريق الله تعالى بالعلم والعمل مع الاخلاص (اولا) اى قبل الشروع فى المقصود (انى اردت ان اورد) فى هذا الفصل (جميع الآيات القرآنية (الدالة على فضيلة التقوى فوجدتها) اى الآيات (تجاوزت) اى فاقت فى الكثرة (مائة وخمسين) آية (ووجدت صريح الامر) من الله تعالى للعباد (فيها اكثر من اربعين) آية (فاقتصرت من) الآيات (المكررات على) آية (واحدة ولم اراع ترتيب المصحف) فى تقديم الآيات المتقدمات وتأخير المتأخرات (كما راعيت) ذلك (فيما سبق) فى فصل الاعتصام وفصل الاقتصاد وفصل العلوم (تقديما للمناسبة المعنوية) اى من حيث المعنى بين الآيات فانه الاولى بالاعتبار فى التصانيف (الآيات) اى هذا بيان الآيات الواردة فى فضيلة التقوى الآية الاولى من سورة الحجرات وهى قوله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فان التقوى بها تكمل النفوس ،وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله ،وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى مهين على الله قاله البيضاوى وقال الشيخ عز الدين اتقاكم اخوفكم له واعملكم بطاعته روى انه لما كان يوم الفتح امر عليه الصلاة والسلام بلالا ان يؤذن على ظهر الكعبة فقال غياث بن اسيد الحمد لله الذى اكرم اسيدا حتى لا يرى هذا اليوم وقال الحارث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود وقال سهل بن عمرو ان يكره الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان لو قلت شيئا لاخبره به رب السماء فنزلت هذه الآية وقال الواحدى اخبرنا عبد الرحمن ابن عبدان وذكر اسناده عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقول يوم القيامة امرتكم فضيعتم ماعهدت اليكم فيه ورفعتم انسابكم فاليوم ارفع نسبى

Marfat.com

واضع انسابكم ان المتقون ان اكرمكم عندالله اتقاكم وروى باسناده عن سعيد المقبرى قال سأل رجل عيسى ابن مريم اى الناس افضل فأخذ قبضتين من تراب فقال اى هاتين افضل الناس خلقوا من تراب فاكرمهم اتقاهم وقال قتادة اكرم الكرم التقوى والأم اللؤم الفجور *الآية الثانية من سورة المائدة وهى قوله تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) للمعاصي والمخالفات فان الطاعه لاتقبل الامن مؤمن تقى قال الخازن يعنى ان حصول التقوى شرط فى قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين مقبولا فى قصة قابيل وهابيل دون الآخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر قابيل فى قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين للنبى صلى الله عليه وسلم انه انما لم يقبل قربان قابيل لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين وقال الواحدى قال ابن عباس قال له هابيل انما يتقبل الله ممن كان زاكى القلب والمعنى من المتقى للمعاصى وقال البيضاوى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى له ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محفوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وقال ابن جميل فى التنوير مختصر التفسير الكبير للرازى وانما تقبل قربان هابيل لتقواه قال تعالى * ولكن يناله التقوى منكم * والتقوى فى القلب ولها صفات منها ان يكون على خوف من تقصيره فى تلك الطاعة فيجتهد فى تخليصها منه وان يجتهد فى اخلاص النية وان لايكون لغيرالله فيه شركة وما اصعب مراعاة هذه الشرائط *الآية الثالثة من سورة الانفال وهى قوله تعالى (ان اولياؤه الا المتقون) من الشرك الذين لايعبدون غيره قاله البيضاوى وقال الواحدى المتقون الكفر والشرك والفواحش انتهى وفى مرجع هذا الضمير قولان احدهما انه راجع الى المسجد الحرام قال الخازن قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اولياء المسجد الحرام فرد الله تعالى عليهم بقوله وما كانوا اولياءه يعنى ليسوا اولياء المسجد الحرام ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون يعنى ولكن اكثر المشركين لايعلمون ذلك وقال البيضاوى وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو ردلما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ولكن اكثرهم لايعلمون اذلا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند اوارادبه الكل كما يراد بالقلة العدم والثانى انه راجع الى الله حيث ذكر فى الآية قبله وقداشار اليه البيضاوى بقوله وقيل الضميران لله يعنى ضمير وما كانوا اولياءه وضمير ان اولياؤه * الآية الرابعة من سورة الجاثية وهى قوله تعالى (والله ولى) اى متولى جميع امور (المتقين) يعنى المؤمنين الذين اتقوا الشرك قاله الواحدى وقال البيضاوى وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذالجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولى المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة *الآية الخامسة من سورة براءة

Marfat.com

وهى قوله تعالى (ان الله يحب المتقين) من اتقى الله فى اداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده قاله الواحدى وقال الخازن يعنى ان تعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه *الآية السادسة من سورة النجم وهى قوله تعالى (فلا تزكوا انفسكم) فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة من المعاصى والرذائل قاله البيضاوى وقال الشيخ عزالدين بن عبد السلام لا تمدحوها باطهارة او لا تدعوا طاعة بلا عمل وقيل لا تخبروا بخير عملتموه وقال الواحدى قال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة والى ماهى صائرة فقال فلا تزكوا انفسكم لا تبرؤها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن اعمالها يدل على هذا ماروى ان زينب بنت ابى سلمة قالت سميت برة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تزكوا انفسكم الله اعلم بالبر منكم وقال الخازن وقيل فى معنى الآية هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك او انا ازكى منك او اتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله تعالى يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو اعلم بمن اتقى) اى بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل فى معنى الآية فلا تزكوا انفسكم اى لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقال ابو عبد الرحمن السلمى فى حقائق القرآن قال ابو عثمان من علم من اين هو والى اين هو وماهو فى الوقت علم انه ليس بمحل التزكية ومع هذا هو مخاطب بقوله تعالى * فلا تزكوا انفسكم *بماذا يزكى نفسه باخلاقه ام بافعاله ام باقواله ام باحواله كلا لكن نفسه هى الامارة بالسوء الى اى جانب ابصر رأى نقص الرق وذل العبودية *الآية السابعة من سورة البقرة وهى قوله تعالى (واعلموا ان الله مع المتقين) بالعون والنصرة كما ذكره الواحدى وقال البيضاوى فيجزيهم ويصلح شأنهم *الآية الثامنة من سورة طه وهى قوله تعالى (والعاقبة للتقوى) اى العاقبة المحمودة لذوى التقوى قاله البيضاوى وقال الشيخ عزالدين بن عبد السلام اى وحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين وقال الخازن والعاقبة الجميلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس للذين صدقوك واتبعوك واتقونى *الآية التاسعة من سورة القصص وهى قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) اى العاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله وقال الشيخ عزالدين اى حسن العاقبة وقيل الثواب وقيل الجنة وقال الخازن اى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب معاصيه وقال الواحدى قال الكلبى وهم الذين اتقوا الكبائر والفواحش وقال قتادة اى الجنة للمتقين وهم الذين اتقوا عقاب الله باداء

Marfat.com

فرائضه واجتناب معاصيه * الآية العاشرة من سورة الزخرف وهى قوله تعالى (والآخرة عندربك للمتقين) عن الكفر والمعاصى وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا واشعار بالاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع على الايمان وهوانه تمتع قليل بالاضافة الى مالهم فى الآخرة مخل به فى الاغلب لما فيه من آفات قل من يتخلص عنها قاله البيضاوى وقال الواحدى والآخرة يعنى الجنة عندربك للمتقين خاصة لهم وقال الخازن والآخرة يعنى الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عندالله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * الآية الحادية عشر من سورة ص وهى قوله تعالى (وان للمتقين لحسن مآب) مرجع كما قال البيضاوى وقال الشيخ عزالدين منقلب وقال الخازن اى احسن مرجع ومنقلب يرجعون و ينقلبون اليه فى الآخرة * الآية الثانية عشر من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) قال ابن عباس لا تصروا على الذنب اذا اذنب احد فليسرع الرجوع ليغفرالله له وقيل الى التوبة من الزنا وشرب الخمر وفى الكلام محذوف على تقدير وسارعوا الى موجب مغفرة من ربكم قاله الواحدى وقال البغوى اى بادروا وسابقوا الى الاعمال التى توجب المغفرة وقال ابن عباس الى الاسلام وروى عنه الى التوبة قاله عكرمة وقال على بن ابى طالب الى اداء الفرائض وقال ابو العالية الى الهجرة وقال الضحاك الى الجهاد وقال مقاتل الى الاعمال الصالحة وروى عن انس بن مالك انها التكبيرة الاولى وقال ابن جبل فى التنوير مختصر التفسير الكبير للرازى والمعنى سارعوا الى ما يوجب المغفرة وتمسك بها من قال ان الامر للفور قال ابن عباس هو الاسلام ووجهه ان التنكير فى مغفرة للتعظيم فيكون موجبها عظيما وهو الاسلام وعن عثمان رضى الله عنه هو الاخلاص لانه المقصود من العبادات وقيل الصلوات الخمس وقيل جميع الطاعات وقال البيضاوى وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلاواو (وجنة) اى وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب والجنة هى حصول الثواب وفيه اشعار بانه لابد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة قاله الخازن (عرضها السموات والارض) اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض قاله البيضاوى وقال الواحدى قال ابن عباس يريد لرجل واحد من اوليائه وقال كريب ارسلنى ابن عباس الى رجل من اهل الكتاب اسأله عن هذه الآية فاخرج ارسغا رموسى فنظر فقال تلفق كما يلفق الثوب فاما طولها فلا يقدر احد قدره وقال الجنان اربع

Marfat.com

جنة عدن وهى الدرجة العليا وجنة الفردوس وجنة النعيم وجنة المأوى كل جنة منها كعرض السموات والارض لو وصل بعضها الى بعض وقال ابن جميل فى التنوير والمعنى كعرض السموات لان عرض السموات لايكون عرض الجنـــة اى لو جعلت السموات والارض طبقا طبقـا بحيث يكون كل واحدة سطحا ووصل البعض بالبعض كان ذلك مثل عرض الجنة وقيل المراد المبالغة فى وصف سعة الجنة كقوله تعالى *خالدين فيها مادامت السموات * وانما خص العرض بالذكر لان الظاهر ان الطول اعظم كقوله تعالى بطائنها من استبرق *تنبيها بهـا على الظاهر التى هى اعلى وقال البغوى اى عرضها كعرض السموات والارض كما قال فى سورة الحديد وجنة عرضها كعرض السماء والارض اى سعتها وانما ذكر العرض على المبالغة لان طول كل شئ فى الاغلب اكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهرى انما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا على التمثيل لانها كالسموات والارض لا غير معناه كعرض السموات السبع والارضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى * خالدين فيها مادامت السموات والارض يعنى عند ظنكم والا فهما زائلتان وروى عن طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده اصحابه وقالوا ارأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا انه لمثله فى التوراة ومعناه انه حيث يشاء الله فان قيل قد قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وماتوعدون * واراد بالذى وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة فى السمـاء فكيف يكون عرضها السموات والارض قيل ان باب الجنة فى السماء وعرضها السموات والارض كما اخبر تعـالى وسئل انس بن مالك عن الجنة افى السماء ام فى الارض قال واى ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقال ابن جميل فى التنوير فان قيل انتم تقولون ان الجنة فى السماء فكيف تكون كعرض السماء فالجواب المراد انها فوق السماء وتحت العرش ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاين النـار فقال سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمراد والله اعلم ان الفلك اذا دار حصل النهار فى جانب من العـالم والليل فى جانب ضده فكذلك الجنة فى العلو والنار فى السفل واما على قول من يقول ان الله تعالى يخلقها يوم القيامة فلا يبعد ان يخلق الجنة فى مكان السموات والنار فى مكان الارض وقال الخازن روى ان هرقل ارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضهـا السموات والارض فاين النار فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار (اعدت) اى هيئت (للمتقين) الشرك والفواحش وقال الخازن فيه دليل على الجنة والنار مخلوقتان الآن وقال البيضاوى وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم *الآية

Marfat.com

الثالثة عشر من سورة مريم وهى قوله تعالى (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) اى نجعلها ثواب اعمالهم اى جزاءها وعاقبتها لانه باق بعد فان ولان الارث اطيب مال واهناه وقيل يرثون ما اعد للكفار ان لو آمنوا لان الكفر موت وقوله تقيا اى موحدا اومن الشرك والكبائر قاله الشيخ عزالدين بن عبدالسلام وقال ابن جميل فى التنوير واشير بتلك الى الجنة لانها غائبة واستعير الميراث لاهلها لانها باقية لهم كما يبقى على الوارث مال الموروث اوهى ارث عن الكفار لانهم لو آمنوا لاستحقوها اولان تقواهم اورثهم اياها قال القاضى المرتكب للكبائر الفاسق ليس بمتق فلا يدخل الجنة بالآية والجواب انها تدل على ان المتقى يدخلها اما ان غير المتقى لا يدخلها فلا تدل عليه اومن تقى الكفر يصدق عليه انه متق فتتناوله الآية فنعكس الدليل عليهم * الآية الرابعة عشر من سورة الزمر وهى قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين قاله البيضاوى (زمرا) جماعات فى تفرقة ذكره الشيخ عزالدين وقال البيضاوى افواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلو الطبقة وهى الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه اومن قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة (حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها) جواب اذا والواو مقحمة وقيل للحال اى جاؤها مفتحة لا يوقفون وقيل واو الثمانية والجواب محذوف اى فازوا ونالوا المنى وفائدة الحذف تعظيم الامر وقيل الجواب وقال لهم بإقحام الواو وذكره الشيخ عزالدين وقال البيضاوى حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) آمنة من الله لكم ان بنا لكم بعدها مكروه اوآذى قاله العز بن عبدالسلام (طبتم) طهرتم من دنس المعاصى ذكره البيضاوى وقال الخازن اى ابشروا بالسلامة من كل الآفات طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم وقال الشيخ عزالدين طبتم بطاعة الله اوعن الخبائث اوللجنة اوطابت اعمالكم فطاب مثواكم (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصى بعفو الله تعالى لانه يطهره قاله البيضاوى وقال الخازن وقال على رضى الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على ابواب الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (الآيتين) اى اقرا الآيتين بعد هذا الى آخر السورة وذلك

Marfat.com

قوله تعالى * وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين * الآية الخامسة عشر من سورة يوسف عليه السلام وهى قوله تعالى (ولدار الآخرة) يعنى الجنة وانما اضاف الدار الى الآخرة وان كانت هى هى لان العرب تضيف الشئ الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين تفسه قاله الخازن وقال البيضاوى ولدار الحالة او الساعة او الحياة الآخرة (خير) من الدنيا (للذين اتقوا) الشرك والمعاصى (افلا يعقلون) هذا فيؤمنوا ويتقوا الشرك عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبر من الجنة خير من الارض وما فيها ذكره الواحدى وقال البيضاوى افلا يعقلون فيستعملون عقولهم ليميزوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلى يعنى قل لهم افلا تعقلون * الآية السادسة عشر من سورة يوسف عليه السلام ايضا وهى قوله تعالى (ولأجر الآخرة) يعنى لثواب الآخرة (خير) اى افضل من اجر الدنيا قاله الخازن وقال الواحدى اى مايعطى الله تعالى من ثواب الآخرة خير مما يعطى المؤمنين فى الدنيا والمعنى ان مايعطى الله تعالى يوسف عليه السلام فى الآخرة خير مما اعطاه فى الدنيا وكذلك غيره ممن يسلك طريقه فى الصبر على المكاره (للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش لعظمه ودوامه قاله البيضاوى اى لعظم اجر الآخرة ودوامه كان خيرا وقال الخازن يعنى يتقون مانهى الله عنه * الآية السابعة عشر من سورة الشعراء وهى قوله تعالى (وازلفت الجنة للمتقين) قال ابن عباس قربت الجنة لأوليائى قال ابو اسحق تأويله انه قرب دخولهم اياها ونظرهم اليها ذكره الواحدى وقال الشيخ عز الدين وازلفت اى تزلف يومئذ حتى يشتموا من المحشر ريحها وقال ابن جبل فى التنوير معنى ازلفت قربت وذلك زيادة لنعيم هؤلاء وقال البيضاوى فى ازلفت بحيث يرونها من الموقف فيبتهجون بانهم المحشورون اليها * الآية الثامنة عشر من سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى قوله تعالى (مثل الجنة) أى صفتها قال سيبويه حيث قال المثل هو الوصف ههنا وصف الجنة وذلك لاقتضى مشابهة وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة مثل عجيب وشئ عظيم قاله الخازن (التى وعد المتقون) قال الكلبى ومقاتل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم يتقون الشرك ذكره الواحدى * الآية التاسعة عشر من سورة النحل وهى قوله تعالى (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح قاله البيضاوى وقال الواحدى هذا كما تقول نعم الدار دار تنزلها وقال ابن جميل فى التنوير والمخصوص بالمدح محذوف اى ولنعم دار المتقين دار الآخرة

﴿ تم ﴾

Marfat.com

ثم ابتدأ جنات عدن اى هى جنات عدن اوجنات هو المخصوص بالمدح ومعنى عدن الاقامة وقال الخازن دار المتقين الجنة وقال الحسن هى الدنيا لان اهل التقوى يترددون فيها الى الاخرة والقول الاول اولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله تعالى فسر هذه الدار بقوله جنات عدن يعنى بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان اى اقام به (يدخلونها) يعنى تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها (تجرى من تحتها الانهار) يعنى تجرى الانهار فى هذه الجنان تحت دورا هلها وقصورهم ومساكنهم وقال ابن جبل فى التنوير والمعنى ان لهم ابنية وان الانهار تجرى من تحتها (لهم فيها) اى فى تلك الجنات (مايشاؤن) يعنى مما تشتهى الانفس و تلذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا فى الجنة لان قوله لهم فيها مايشاؤن يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد فى الدنيا قاله الخازن وقال البيضاوى وفى تقديم الظرف يعنى الجار والمجرور تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا فى الجنة (كذلك يجزى الله المتقين) اى هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) يعنى مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم وافعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة عن الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة وقيل معناه ان وفاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة قاله الخازن وقال ابن جبل فى التنوير وقوله طيبين يفيد معانى كثيرة فيندرج فيها اتيانهم بالمأمورات واجتنابهم المنهيات وانهم طاهرون من المعصية طيبة نفوسهم بالموت قيل المراد وفات الموت وقيل وفات الحشر لقوله ادخلوا الجنة والاكثر على الاول وانه لما بشروا بالجنة صاروا كانهم دخلوها وقال البيضاوى طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون سلام عليكم) لا يحيقكم بعد مكروه وقال الخازن تسلم عليهم الملائكة او تبلغهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من الاعمال الصالحة وقال البيضاوى ادخلوا الجنة حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ وقال الخازن فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى *ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون *وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله منه بفضل

Marfat.com

ورحمة اخرجه فى الصحيحين من حديث ابى هريرة قلت قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم رحمه الله اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكليف ولا تثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله تعالى لا يجب عليه شئ بل العالم ملكه والدنيا والاخرة فى سلطانه يفعل ما يشاء فلو عذب المطيعين و الصالحين وادخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وادخلهم الجنة كان ذلك له ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق انه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح فى خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفى ظاهر الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق احد الثواب والجنه بطاعة واما قوله تعالى *ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون* ونحوها من الآيات التى تدل على ان الاعمال يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد من الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اى بسببها وهى من الرحمة والله سبحانه وتعالى اعلم * الآية العشرون من سورة الدخان وهى قوله تعالى (ان المتقين فى مقام) اى موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم (امين) يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال قاله البيضاوى، وقال الواحدى امن وافيه الغير من الموت والحوادث والمقام المجلس كقوله ومقام كريم وقال الشيخ عزالدين مقام امين مكان مأمون من الموت اومن الشيطان والاحزاب اومن الغير والمحن والعذاب (فى جنات وعيون) بدل من مقام جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب قاله البيضاوى (يلبسون من سندس واستبرق) السندس مارق من الحرير والاستبرق ماغلظ منه معرب اومشتق من البراقة ذكره البيضاوى وقال الشيخ عزالدين السندس مارق من الديباج مما يلبس والاستبرق ماغلظ منه مما يفترش وقال الخازن فان قلت كيف ساغ ان يقع فى القرآن العربى المبين لفظ اعجمى قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب (متقابلين) اى يقابل بعضهم بعضا وقال الشيخ عزالدين متقابلين بالمحبة غير متدابرين بالبغض والحسد اوفى المجالس وقال البيضاوى متقابلين فى مجالسهم يستأنس بعضهم ببعض (كذلك) اى الامر كذلك اوآتيناهم مثل ذلك وقال الخازن اى كما

Marfat.com

اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك اكرمناهم (وزوجناهم بحورعين) اى قرناهم بهن ليس هومن عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اى جعلناهم اثنين اثنين و الحور من النساء النقيات البياض وقيل اللاتى يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين وقال الشيخ عزالدين العين جمع عيناء وهى العظيمة العينين من النساء (يدعون فيها بكل فاكهة) يطلبون ويأمرون باحضار مايشتهون من الفواكه لايتخصص شئ منها بمكان ولازمان وقال الشيخ عزالدين بكل فاكهة نوع مما اشتهوه منها (آمنين) من الضرر قاله البيضاوى وقال الخازن اى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان وقال الشيخ عزالدين آمنين من غائلتها وغب اذاها ونفادها (لا يذوقون فيها الموت الاالموتة الاولى) اى لايذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فيها وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لايذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت فى الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكأن موتهم فى الدنيا انهم فى الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها قاله الخازن وقال الشيخ عزالدين الاالموتة الاولى اى سوى ماذاقوه كقوله الاما قد سلف وقيل بعدها والعرب تضع الكلمة مكان غيرها اذا تقارب معناهما وقيل بمعنى لكن الموتة الاولى فقد ذاقوها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه قاله البيضاوى وقال الخازن يعنى كل ماوصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم) لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب قاله البيضاوى * الآية الحادية والعشرون من سورة الطور وهى قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونعيم) فى اية جنات واى نعيم اوفى جنات ونعيم مخصوصة بهم (فاكهين) ناعمين متلذذين قاله البيضاوى وقال الخازن اى معجبين بذلك ناعمين (بما آتيهم ربهم) اى من الخير والكرامة (ووقاهم ربهم) وصرف عنهم (عذاب الجحيم كلوا واشربوا) اى يقال لهم ذلك (هنيئا) اى مأمون العاقبة من التخمة والسقم قاله الخازن وقال البيضاوى اى اكلا وشربا هنيئا اوطعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه اوبدله وقيل الباء زائدة ومافاعل هنيئا والمعنى هنا كم ما كنتم تعملون اى جزاؤه وقال الخازن بما كنتم تعملون اى فى الدنيا من الايمان والطاعة (متكئين على سرر مصفوفة) اى موضوعة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحورعين) اى صيرناهم ازواجا بسببهن * الآية الثانية والعشرون من سورة المرسلات وهى قوله تعالى (ان المتقين) اى الذين اتقوا الشرك (فى ظلال) جمع ظل وهو ظل

Marfat.com

الاشجار (وعيون) اى فى ظلها عيون ماء قاله الخازن (وفواكه مما يشتهون) مستقرون فى انواع الترفه قاله البيضاوى (كلوا واشربوا) اى ويقال لهم ذلك وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى لابواسطة وما اعظمها من نعمة وان يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام (هنيئا) اى خالص للذة لايشوبه تنغيص (بما كنتم تعملون) اى فى الدنيا من الطاعات قاله الخازن (انا كذلك نجزى المحسنين) فى العقيدة ذكره البيضاوى وقال الخازن قيل المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم *الآية الثالثة والعشرون من سورة النبأ وهى قوله تعالى (ان للمتقين) الذين لم يجعلوا لله شريكا (مفازا) فوزا بالجنة ونجاة من النار ثم فسر ذلك الفوز فقال (حدائق واعنابا) يعنى اشجار الجنة وثمارها قاله الواحدى وقال البيضاوى مفازا فوزا او وضع فوز والحدائق والاعناب بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وقال الخازن الحدائق جمع حديقة وهى البستان المحوط فيه نخل (وكواعب) جمع كاعب يعنى جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن (اترابا) اى مستويات فى السن وقال الشيخ عز الدين كواعب نواهد اوعذارى اترابا اقرانا مستويات على سن واحد متصافيات متواخيات وقيل الذبذات على سن ثمانى عشرة سنة (وكأسا دهاقا) ملأى متتابعة صافية وقال الخازن قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية وقال الواحدى عن مسلم بن قسطاس قال دعا ابن عباس غلاما فقال اسقنى دهاقا فجاء الغلام بها ملأى فقال ابن عباس هذا الدهاق وقال سعيد ابن جبير ومجاهد هى المتتابعة (لايسمعون فيها) اى فى الجنة وقيل فى حلقة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل فى حالة شربهم (لغوا) اى باطلا من الكلام (ولاكذابا) اى تكذيبا والمعنى انه لايكذب بعضهم بعضا ولاينطقون به قاله الخازن وقال الواحدى قال ابن عباس وذلك ان اهل الدنيا اذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل واهل الجنة اذا شربوا لم يتكلموا عليها بشئ يكرهه الله تعالى (جزاء من ربك) قال الزجاج المعنى جازاهم بذلك جزاء وكذلك (عطاء) اى واعطاهم عطاء (حسابا) قال ابو عبيدة كافيا وقال ابن قتيبة كثيرا يقال احسبت فلانا اى اكثرت له واعطيته مايكفيه قال الزجاج اى فى ذلك الجزاء كل مايشتهون *الآية الرابعة والعشرون من سورة البقرة وهى قوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى اهل اليمن كان يحجون ولايتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس قاله البيضاوى وقال البغوى نزلت فى ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون نحن نحج

Marfat.com

بيت الله افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضى بهم الحال الى النهب والغصب فقال الله جل ذكره وتزودوا اى ما تبلغون به وتكفون ه وجوهكم قال اهل التفسير الزاد الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها فان خير الزاد التقوى من السؤال والنهب وقال الواحدى فان خير الزاد التقوى يعنى ما تكفون به وجوهكم عن السؤال وانفسكم عن الظلم فهذا نوع تقوى وقال الخازن وقيل فى معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لابد له من سفر فى الدنيا ولابد فيه من زاد فيحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولابد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم فى الآخرة (واتقون) اى وخافوا عقابى وقيل معناه واشتغلوا بتقواى وفيه تنبيه على كمال عظمة الله عز وجل (ياأولى الالباب) اى ياذوى العقول الذين يعلمون حقائق الامور وقال البيضاوى فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤ من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب * الآية الخامسة والعشرون من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (ولباس التقوى) خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب قاله البيضاوى وقال ابن جرير فى التنوير وفى اللباس قولان احدهما انه الملبوس لانه الحقيقة وفيه وجوه احدها ان المراد اللباس المتقدم يعنى فى الآية قبله يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا واعيد ذكره لاضافته الى التقوى وللاخبار عنه بانه خير ردا لما كانوا يعتقدون فى الطواف عراة الثانى المراد ما يلبس فى الحروب للوقاية الثالث المراد ما يعد من اللباس للصلاة * القول الثانى انه مجاز قيل هو الايمان وقيل العمل الصالح وقيل العفاف والتوحيد لان المؤمن مستور وان عرى عن الثياب والفاجر مكشوف العورة وان كان كاسيا وقيل هو الحياء وقيل ما يظهر على الانسان من السكينة والعمل الصالح وقال الخازن اختلف العلماء فى معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا فى معناه فقال ابن الانبارى لباس التقوى هو اللباس الاول يعنى المذكور فى الآية قبله وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده ليخبر عنه بانه خير لان العرب فى الجاهلية كانوا يعبدون بالتعرى وخلع الثياب فى الطواف بالبيت فاخبران ستر العورة فى الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن على لباس التقوى آلات الحرب التى يتقى بها فى الحروب كالدرع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التى يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة فى الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا فى معناه فقال قتادة والسدى لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقى به

Marfat.com

من النار وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن هو الحياء لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال الكلبى هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى (ذلك خير) يعنى ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وقال الواحدى والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب له الى الله مما خلق له من اللباس والرياش للتجمل * الآية السادسة والعشرون من سورة الحجرات وهى قوله تعالى (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) جربها للتقوى ومرنها عليها اوعرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف اوللفعل باعتبار الاصل اوجرب قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لاتظهر الا بالاطلاع عليها واخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه قاله البيضاوى وقال الواحدى قال الفراء اخلص الله قلوبهم للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديه ويسقط خبثه ودلى هذا تقدير الكلام امتحن الله قلوبهم فاخلصها للتقوى فحذف الاخلاص لدلالة الامتحان عليه ولهذا قال مقاتل ومجاهد وقتادة اخلص الله قلوبهم * الآية السابعة والعشرون من سورة الحج وهى قوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) شعائر الله المعالم التى ندب الله تعالى اليها وامر بالقيام بها واحدتها شعيرة فالصفا والمروة من شعائر الله والذى يعنى به ههنا البدن قاله الزجاج وقال البيضاوى شعائر الله دين الله اوفرائض الحج ومواضع نسكه اوالهدايا لانها من معالم الحج وهواوفق لظاهر مابعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما وقال الواحدى يعنى بتعظيم شعائر الله استعظام الهدايا والضحايا والشعائر جمع شعيرة وهى البدن يقال اشعر الرجل بدنته اذا جعل عليها علامة ليعلم انه اوجبها بدنة وهو مذهب الشافعى رضى الله عنه فى الابل والبقر يجرح سنامها من الجانب الايمن وهى مستقبلة القبلة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الغنم فانها ضعيفة لاتحتمل الاشعار والشعيرة بمعنى المشعرة فانها قال الفراء اريد فان الفعلة كما قال ان ربك من بعدها لغفور رحيم قال ابن عباس يريد من التقوى الذى اتقاه المتقون واضاف التقوى الى القلوب لان حقيقة التقوى تقوى القلوب كما روى فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال التقوى ههنا واشار الى صدره وقال ابن جميل فى التنوير والشعائر ما ينصب اعلاما لشئ قيل هو عام

Marfat.com

وقيل هو افعال الحج وقيل الهدايا وتعظيمها بان يعتقد الطاعة فى التقرب بها و بان يختارها عظيمة سمينة ولاياكس فى ثمنها وكذلك الاضحية والرقبة ومعنى فانها من تقوى القلوب اى فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضاف لان المعنى يدل عليها واضيفت الى القلوب لانها محل الاخلاص وبالغ سبحانه فى تعظيم الهدايا ابعادا عن عادات الجاهلية وقال الشيخ عزالدين تقوى القلوب اخلاصها وقيل قصد الثواب *الآية الثامنة والعشرون من سورة براءة وهى قوله تعالى (افمن اسس بنيانه) بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان خير) على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة قاله البيضاوى وقال الواحدى البنيان مصدر يراد به المبنى ههنا والتأسيس احكام اساس البناء وهواصله وقرأ نافع اسس بضم الالف بنيانه رفعا هذا فى المعنى كالاول لانه اذا اسس بنيانه فتولى ذلك غيره بامره كان كبنيانه والمعنى المؤسس بنيانه متقيا يخاف الله ويرجو ثوابه ورضوانه خير ام المؤسس بنيانه غير متق وهو قوله ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الآية وقال الخازن افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله تعالى ورضوانه خير ام من اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل بناء على غير اساس ثابت *الآية التاسعة والعشرون من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شئ) فى الدنيا المؤمن والكافر المكلف وغيره (فساكتبها) فسانبتها فى الآخرة (للذين يتقون) الكفر والمعاصى قاله البيضاوى وقال الواحدى قال الحسن وقتادة ان رحمته وسعت فى الدنيا البر والفاجر وهى يوم القيامة للمتقين خاصة وقال عطية العوفى ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فاذا صار الى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضئ بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة وقام معه فقال اعرابى وهو فى الصلاة اللهم ارحمنى ومحمدا ولاترحم معنا احدا فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للاعرابى لقد تحجرت واسعا يريد رحمة الله عزوجل رواه البخارى وقال قتادة وابن عيينة فى قوله ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس انا من ذلك الشئ فانزل الله فساكتبها للذين يتقون الى آخر الآية فتمنتها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتورية والانجيل ونؤتى الزكاة فاختلسها الله من ابليس واليهود والنصارى وجعلها لهذه الامة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى *وهو نبيكم كان اميا لايكتب وقال الخازن فرحمة الله تعالى عمت البر والفاجر فى الدنيا وهى للمؤمنين خاصة فى الآخرة وقيل للمؤمنين خاصة فى الدنيا والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة وتقدم هذا فى الاعتصام بالسنة * الآية الثلاثون من سورة البقرة وهى قوله تعالى

Marfat.com

(هدى للمتقين) اى هوهدى يعنى القرآن اى رشد وبيان لاهل التقوى والهدى مايهتدى به الانسان قاله البغوى وقال البيضاوى يهديهم الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال تعالى *لعلى هدى اوفى ضلال مبين* ولانه لايقال مهدى الالمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم اوكافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس اولانه لاينتفع بالتأمل فيه الامن صقل العقل واستعمله فى تدبر الآيات والنظر فى المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لايجلب نفعا مالم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله *وننزل من القرآن ماهوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاخسارا* ولايقدح مافيه من المجمل والمتشابه فى كونه هدى مالم ينفك عن بيان تعيين المراد منه والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى *والزمهم كلمة التقوى* والثانية التجنب عن كل مايؤثم من فعل اوترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى *ولوان اهل القرى آمنوا واتقوا * والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق وينبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيق المطلوب بقوله تعالى * يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله تعالى *هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة وقال البغوى قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء واصله الحجز بين شيئين ومنه يقال اتقى بترسه اى جعله حاجزا بين نفسه وبين مايقصده وفى الحديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى اذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو فكأن المتقى يجعل امتثال امر الله والاجتناب عما نهى حاجزا بينه وبين العذاب قال عمر بن الخطاب لكعب الاحبار حدثنى عن التقوى فقال هل اخذت اى سلكت طريقا ذا شوك قال نعم قال فاعملت فيه قال حذرت وتشمرت قال كعب ذلك التقوى وقال ابن عمر التقوى ان لاترى نفسك خيرا من احد وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ماحرم الله واداء ما افترض الله فمن رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير وقيل هو الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الواحدى والمراد بالمتقين فى هذه الآية المؤمنون الذين اتقوا الشرك وجعلوا ايمانهم حاجزا بينهم وبين الشرك كأنه قال القرآن بيان وهدى لمن اتقى الشرك وهم المؤمنون وخص المؤمنون بان الكتاب بيان لهم دون الكفار الذين لم يهتدوا بهذا الكتاب لانتفاعهم به دونهم كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها وكان صلى الله عليه وسلم منذرا لمن يخشى ولمن لم يخش وقيل معناه هدى للمتقين والكافرين فاكتفى باحد

Marfat.com

الفريقين عن الآخر كقوله تعالى *سرابيل تقيكم الحر *واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما* الآية الحادية والثلاثون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (وموعظة للمتقين) اى المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال البيضاوى للمتقين من قومهم يعنى بنى اسرائيل اولكل متق سمعها وقال الواحدى نهيا وعبرة لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان يتجاوزوا ماحدلهم *الآية الثانية والثلاثون من سورة الانبياء عليهم السلام وهى قوله تعالى (وذكرا للمتقين) اى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون اوذكر مايحتاجون اليه من الشرايع وقال ابن جميل فى التنوير وخص الذكر بالمتقين لانهم المنتفعون به وقال الخازن يعنى يتذكرون بمواعظه ويعملون بمافيه * الآية الثالثة والثلاثون من سورة البقرة وهى قوله تعالى (يا ايها الناس اعبدوا ربكم) يا ايها الناس عموم فى كل مكلف من مؤمن وكافر قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب اهل مكة ويا ايها الذين آمنوا خطاب اهل المدينة ومعنى اعبدوا ربكم اى وحدوا ربكم واخضعوا له بالطاعة ولا يجوز ذلك الا لمالك الاعيان قاله الواحدى وقال البغوى قال ابن عباس كل ماورد فى القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقال البيضاوى فالناس يعم المؤمنين الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ماخصه الدليل ومارى عن علقمة والحسن ان كل شئ نزل فيه يا ايها الناس فمكى ويا يها الذين آمنوا فمدنى ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب مالا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بما عقبه ومن المؤمنين ازديادهم وبقاؤهم عليها اى العبادة وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هى الربوبية (الذى خلقكم) الخلق ابداع شئ لم يسبق اليه وكل شئ خلقه الله فهو مبتديه اولا على غير مثال سبق اليه قاله الواحدى وقال البيضاوى الخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس (والذين من قبلكم) متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او لزمان وقال الواحدى ومعنى الآية ان الله تعالى احتج على العرب بانه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقرين بذلك لقوله تعالى * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله * فقيل لهم اذ كنتم معترفين بانه خالقكم فاعبدوه فان عبادة الخالق اولى من عبادة المخلوقين من الاصنام (لعلكم تتقون) حال من الضمير فى اعبدوا كأنه قال

Marfat.com

اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغى ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى * يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه * وقيل تعليل للخلق اى خلقكم لكى تتقوا كما قال تعالى * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * وهو ضعيف اذ لم يثبت فى اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل قاله البيضاوى وقال الواحدى قيل ان لعل تكون ترجيا وتكون بمعنى كى وقيل لعل كلمة ترجئة وتطميع اى كونوا على رجاء وطمع ان تتقوا بعبادتكم عفو بة الله ان تحل بكم كما قال فى قصة فرعون * لعله يتذكر او يخشى كأنه قال اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما والله تعالى من وراء ذلك عالم بما يؤول اليه امره وقال البغوى لعلكم تتقون لكى تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بان تصبروا فى ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء كما قال * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى * اى ادعواه الى الحق وكونا على رجاء التذكر وحكم الله من ورائه يفعل ما يشاء قال سيبويه لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب انتهى وهذه اشارة الى ان فرعون تذكر وخشى قطعا تصديقا لرجاء الله تعالى منه ذلك وهو يقتضى قبول ايمانه كما جزم به الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه وتابعه عليه الجلال الدوانى فى رسالة له فى ذلك وغيره ايضا * الآية الرابعة والثلاثون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (واذكروا ما فيه) ما فى الكتاب ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به (لعلكم تتقون) لكى تتقوا المعاصى او رجاء منكم ان تكونوا متقين قاله البيضاوى وقال البغوى اذكروا ادرسوا وقيل احفظوا لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى فان قبلتم والا رضختكم بهذا الجبل وغرقتكم بهذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة فى اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا وقال الواحدى بالمعنى احفظوا ما فى التوراة من الحلال والحرام واعملوا بما فيه وقيل واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب لكى تتقوا محارمى فتتركوها فتنجوا من العذاب والهلاك فى الدنيا والآخرة *

Marfat.com

This work, **Al-hadîqat an-nadiyya,** was written by 'Abd al-Ghanî an-Nabulusî, a great scholar of Islam who passed away in 1143 A.H. (1731). It is an annotation of Muhammad al-Birghiwî Effendi's work **Al-tarîqat al-Muhammadiyya.** The original, in two volumes of more than a thousand pages, was published in Istanbul in 1290 (1873), and the second edition was a photostatic reproduction done in Pakistan in 1396 (1976). The present volume, the first 400 pages of the original edition, explains that it is necessary for Muslims to live up to **Al-Qur'ân al-karîm**, to the Sunna, to the ijmâ' al-Umma and to what the mujtahid scholars reported, that other religious teachings which are not taken from these four sources are called **bida'**, and that those who commit bida' are destined to disasters. It also praises as-Sahâba al-kirâm and the prominent scholars in the knowledge of tasawwuf, refutes the fallacious, false shaikhs and explains the six fundamentals of imân. 'Ilm (knowledge), 'ulamâ' (scholars) and the possessors of taqwâ are also evaluated well. The text is Arabic.

IŞIK KİTABEVİ

Marfat.com

İşbu **(Hadîkat-ün-nediyye)** kitâbını, büyük islâm âlimi Abdülganî Nablüsî yazmışdır. Kendisi, 1143 [m. 1731] de vefât etmişdir. **Kitâb, Birgivi Muhammed** efendinin **(Tarîkat-i Muhammediyye) kitâbının şerhi**dir. Kitâbın hepsi bin sahifeden fazla olup iki cild hâlindedir. İlk olarak 1290 [m. 1873] **de İstanbulda** basılmış, ikinci defa, 1396 [m. 1976] **senesinde Pakistan**da ofset yolu ile basdırılmışdır. **İşbu kitâbımız, birinci** baskıdan yalnız ilk dörtyüz sahifesi olup, **müslüman**ların Kur'ân-ı **kerîme ve sünnete ve müctehid olan** âlimlerin bildirdiklerine, **ve icmâ'ı ümmete uymaları** lâzım olduğunu, bu dört kaynakdan alınmamış olan din bilgilerine **(Bid'at)** denildiğini, **bid'at sâhiblerinin** felâket yolunda olduklarını bildirmekte, **Eshâb-ı kirâmı** ve tesavvuf ilminin büyüklerini övmekte **ve ya**lancı, sahte şeyhleri kötülemekde ve **imânın altı şartını** anlatmaktadır. Ayrıca, ilmi ve ilm adamlarını ve takvâ sâhiblerini medh etmektedir. **Kitâb arabçadır. İçinde** osmanlıca yazı hiç yoktur.

IŞIK KİTABEVİ

Darrüşşefaka Cad. No. 72
FATİH - İSTANBUL
TURKEY

Price 30 TL.

Marfat.com

İşbu **(Hadîkat-ün-nediyye)** kitâbını, büyük islâm âlimi Abdülganî Nablüsî yazmışdır. Kendisi, 1143 [m. 1731] de vefât etmişdir. **Kitâb, Birgivi Muhammed** efendinin **(Tarîkat-i Muhammediyye) kitâbının şerhi**dir. Kitâbın hepsi bin sahifeden fazla olup iki cild hâlindedir. İlk olarak 1290 [m. 1873] **de İstanbulda** basılmış, ikinci defa, 1396 [m. 1976] **senesinde Pakistan**da ofset yolu ile basdırılmışdır. **İşbu kitâbımız, birinci** baskıdan yalnız ilk dörtyüz sahifesi olup, **müslüman**ların Kur'ân-ı **kerîme ve sünnete ve müctehid olan** âlimlerin bildirdiklerine, **ve icmâ'ı ümmete uymaları** lâzım olduğunu, bu dört kaynakdan alınmamış olan din bilgilerine **(Bid'at)** denildiğini, **bid'at sâhiblerinin** felâket yolunda olduklarını bildirmekte, **Eshâb-ı kirâmı** ve tesavvuf ilminin büyüklerini övmekte **ve ya**lancı, sahte şeyhleri kötülemekde ve **imânın altı şartını** anlatmaktadır. Ayrıca, ilmi ve ilm adamlarını ve takvâ sâhiblerini medh etmektedir. **Kitâb arabçadır. İçinde** osmanlıca yazı hiç yoktur.

IŞIK KİTABEVİ

Darrüşşefaka Cad. No. 72
FATİH - İSTANBUL
TURKEY

Price 30 TL.

Marfat.com

الحديقة الندية

شرح

117

الطريقة المحمدية

الجزء الاول

للعارف بالله تعالى سيدي العلامة عبد الغني النابلسي الحنفي رحمه الله تعالى

مطبعة عامره

دار الخلافة (استانبول)

سنه ١٢٩٠ هجريه

İHLÂS VAKFI YAYINIDIR

قد أعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

حسين حلمى بن سعيد استانبولى

يطلب من المكتبة ايشيق بشارع دار الشفقة بفاتح ٧٢

استانبول - تركيه

١٣٩٩ هجرى ١٩٧٩ ميلادى

117

Marfat.com